

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأئمة

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

س ١٣٣٧ هـ
م ١٩١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقالة السادسة

فيما يُكْتَبُ في [الوصايا الدينية^(١)، والمساحات، والإطلاقات السلطانية والطُرُخانيات، ونحويل السنين والتذاكر؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما تقدّماء الكُتّاب من ذلك

اعلم أنه كان لقدماء الكُتّاب بذلك عناية عظيمة بحسب ما كان للولوك من الإقبال على معالم الدين، ومن أكثرهم عنايةً بذلك أهل الغرب : لم يزالوا يكتبون بمثل ذلك إلى نواحي ممالكهم، ويُقرأ على منابرهم؛ ولهم في ذلك الباع الطويل والهمة الوافرة. وهذه نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الداراري : أحد كُتّاب الأندلس عن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين المنصور^(٢) : أحد خلفاء بني أمية بالأندلس، وهي :

(١) الزيادة من ج ١ ص ٢٦ من هذا المطبوع .

(٢) ليس في خلفاء بني أمية بالأندلس من اسمه المنصور، وإنما المنصور هو ابن عاصم كان تغلب على هشام بن الحكم الأموي واستبد بالأمر وتغلب من بعده أبوه المنافر ثم أخوه المنظر عبد الرحمن الملقب بالناصر لدين الله، ثم انقرضت دولتهم وصادت الدولة إلى بني أمية فخلع هشام هذا ويورثه ابنه محمد الملقب بالمهدي . انظر "فتح الطيب" ج ١ و"العبر" ج ٤ و"صبح الأعشى" ج ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا المطبوع .

الحمد لله الذى جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصليين تفتتح عنهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالمعروف والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلاة على سيدنا محمد الكريم المبتعث بالشرعية التى طهرت القلوب من الأدران وأستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان طوراً بالشدة وتارة باللين ، القائل (ولا عدول عن قوله عليه السلام) « من أتقى الشبهات استبرأ لدينه » تنبيها على ترك الشك لليقين ، وعلى آله الكرام أعلام الإسلام المتلقين راية الأهداء فى إظهار السنن وإيضاح السنن باليمن ؛ الذين مكّتهم الله تعالى فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر : وفاءً بالواجب لذلك التمكن .

والرضا عن الأئمة المظهرين للدين المتين ، البالغين بالبلاد والعباد نشرًا للعدل وإتماماً للفضل إلى أقصى غاية التمهيد والتأمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! وعن تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ! .

وإنّا كتبناه لكم - كتب الله لكم أتباعاً إلى ما ينهى من المصالح إليكم ، وأستماعاً إلى ما يتلى من المواعظ عليكم - من حضرة إشبيلية - كلاًها الله - .

والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن تعلموا أننا لم نقيم هذا المقام الذى حفظ الله به نظام الحق من انتشاره ، وأمدنا بعونه الجميل على إحياء الدين وإفاضة أنواره ، إلا لنتوفى كل نظر يعود على الأمة باستقامة أنهارها وأولاهها ، ونهيب بها إلى أسمى رتب السعادة وأعلاها ، ونوقظ بصارتها بنافع الذكري من كراها . فعليها لها بحكم ماتقلدناه من إمامتها ، وتخللناه من أمانتها ، أن نتخولها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونرشدنا إلى المناهج الواضحة والسبل البينة ، ونفضي على خاصتها وعامتها ظل الدعة والأمنة ؛ وإذا كنا نوفيها تمهيد دنياها ،

ونعتني بحماية أقصاها وأذناها ، فالدين أهم وأولى ، والتهمم باحياء شرائعه وإقامة شعائره أحق أن يقدم وأحرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ماأمر به ونَدَع ، ونتبع السنن المشروعة ونَذَر البدع . ولها أن لا نَدَّخِر عنها نصيحة ، ولا نُغَيِّبَ إرادته من الأدواء مُريحيه . ولنا [عليها] أن تُطِيع وتُسمع ، وقد علم الله أنا لم نتحمل أمانة الإسلام ، لنستكثر من الدنيا وزُخُرفها ، ولم نتصد لهذا المقام ، لنستأثر بنعيمها وترَفها ، وإنما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكفاة في أوثر قرأها وأوطأ كنفها ، وبحسب هذه النية التي طابقتها العمل ، ولم يتعدّها الأمل ، نيلت من الخيرات نهايات ، كانت الخواطر تستبعد منالها ، وتيسرت إرادات ، كانت الأمة منذُ زمان لم ترمثلها ، وساعدت العناية الربانية فلم تُؤن مقصوداً جميلاً ، ولا مناً جزيلاً .

وإلى هذا - أدام الله كرامتكم - فإننا لم نزل مع طول المباشرة للأحوال كلها ، وتردد المشاهدة لعقد الأمور وحالها ، نقف وقوف المتأمل على جزئيات الأمور ووكلياتها ، ولا يغيب عن تصفحنا وتعرفنا شيء من مصالح الجهات وكيفياتها ، ولم نمتر بمائل إلا تولينا إقامته ، وأعدنا إليه اعتداله واستقامته ، ولا آتينا إلى صواب قول أو عمل إلا شددنا مَبْنَاه ، وأظهرنا لفظه ومعناه .

والآن حين استوفى إشرافنا على البلاد قاطبه ، ولزمنا بحكم القيام لله في خلقه بحقه أن نتعهد الكفاة دانية ونائية وشاهدة وغائبة ، ورجونا أن نتخلص من القسم الأول في قوله عليه السلام : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَّقْ بِهِمْ فَارْقُ بِهِ» بأعمال على الرِّق دائبه ، وعلى الحق مواظبه - صرفنا أَعْنَةَ الاعتناء بجوامع المصالح فرأينا الدين ينظم تبذرها ، ويستوعب تعددها ، لا تشد مصلحة عن قوانينه ، ولا تُنال بركة إلا مع تحصينه وتحسينه ، والله تعالى يعيننا وإياكم على إقامة حدوده ، وإدامة

عُهوده . وأول ما يتناول به الأمر كافة المسلمين الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على
أكمل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعاتها ، فقد قال عليه السلام :
« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا
فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعٌ » . وقال عمر رضى الله عنه : « وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ » فهي الركن الأعظم من أركان الإيمان ، والأُسُّ الأوثق لأعمال الإنسان ،
والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإيثار الصلاة الجماعة من المزية على صلاة
الواحد ، أمر لا يضيّعه المُفْلِحُونَ ، ولا يحافظُ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود
رضى الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهْدَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ » وشهود الصبح والعشاء
الآخرة شاهدٌ بتمحيص الإيمان ، وقد جاء : « إِنَّ شُحُودَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ يَعْدِلُ
قِيَامَ لَيْلَةٍ » وحسبكم بهذا الرُّحْمَانُ . والواجب أن يُعْتَنَى بهذه القاعدة الكُبرى من
قواعد الدين ، ويُؤخَذَ بها في كافة الأمصار الصغير والكبير من المسلمين ، ويُحَظَّ
في التزامها قوله عليه السلام : « مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَعِ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ
سَنِينَ » . وبحسب ذلكم رأينا أن نُلزِمَ جارك كلَّ مسجد ، وأمير كلِّ سُوقٍ وشيخ
كلِّ رُقَاقٍ ومُعَلِّم كلِّ جهة الاتِّدَابِ لهذا السعى الكريم ، واليدار لما فيه من الأجر
العظيم ، وأن يُحْضَرَ كلٌّ مَنْ فِي جِهَتِهِ أَوْ سُوقِهِ أَوْ حَوْمَةِ مَسْجِدِهِ أَوْ مَوْضِعِ صَنْعَتِهِ
أَوْ تِجَارَتِهِ أَوْ تَعْلِيمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وحضورها ، والاعتناء بأحكام طُهورها ، وأن لا يتخلف
عن الجماعة إلا لِعُدْرَيْنِ ، أو أمرٍ يكون معه الشُّهُودُ غير ممكن . وعليهم أن يلتزموا
هذه الوظيفة أتمَّ التَّامِ ، ويقوموا بها مؤتَجِرِينَ أَحْسَنَ قِيَامٍ ، ويُسَمِّرُوا عَنْ سَاعِدِ
كُلِّ جِدِّ وَأَعْتَرَامٍ ، ويتعرفوا كُلٌّ مَنْ تَحْتَوَى عَلَيْهِ الْمَنَازِلُ مِنْ بَلَّغِ حَدِّ التَّكْلِيفِ مِنْ
الرَّجَالِ ، ويتعهدوهم الحِينَ بَعْدَ الْحَيْنِ وَالْحَالَ إِثْرَ الْحَالِ ، وَيَطْلُبُوهُمْ بِالذِّكْرِ بِمِلَازِمَةِ

هذا العمل الذي قدّمه الله على سائر الأعمال . ويحذر المسلم أن يواقع بإضاعة المكتوبة أمرا أمرا ، ويترك من فرائض الإسلام ما يقتل متعمدا تركه حدا أو كفرا . وعلى معلمي كتاب الله أن يأخذوا الصبيان بتعلم الصلاة والطهارة والإدابة لإقامتها والموالاتة وحفظ ما تقام به وأقل ذلك سورة فاتحة الكتاب . وعلى كل إنسان في خاصته أن يأخذ صغار بنيته ويكرّمهم وسائر أهله ومن إلى نظره بذلك ويأمرهم به ، قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته » .

ثم أعلموا أن الصلاة بما آتتها الله به من وظائفها الشريفة ، وخصائصها المنيّفة ، تنظم من أعمال البر ضرورا لا تختصر ، وتخصم من موقعة ما يُشأن ويُنكر ، وتُحطى من الخيرات العظيمة الجسيمة بالقسم الأوفى الأوفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ ﴾ . ونحن لا نوسع تاركها بحال عذرا ، ولا نُؤخّرله عقابا وزجرا ، ولا نزال نجبره على إقامتها قسرا ، وإذا استمرّ التعهّد لها مع الأحيان ، وعمل الناس بما جددناه من إجراء التذكير بها بين القرابة والصّحابة والخيران ، وتواصوا بالمحافظة عليها حسب الإمكان ، لم تزل بيوت أذن الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه معمورة بتلاوة القرآن ، ولم تنفك إلا للإقامة عن الأذان .

ومما يزيد هذه الوظيفة تأكيدا ، ويوقّ قواعدها تشبيدا ، درس كتاب الصلاة والطهارة حتى يستكوه وعيا وحفظا ، ويؤدّوا مضمّته لفظا فلفظا ، ففي ذلك من الإشراف على أحكام العبادتين ما يبين مزيّته وفضله ، ولا يسع المؤمن بحال جهله ، ثم إذا أحكوه انتقلوا إلى درس كتاب الجهاد ، وعمرّوا الآناء بتعرّف ما أعدّ الله للمجاهدين من الخير المستفاد ، فالجهاد في سبيل الله فرض على الأعيان ، وقد تأكّد

تعيّنه لهذه البلاد المجاورة لعبدة الأصنام والصُّلْبَانِ ، ونرجو أن يُخَيِّرَ الله ما وعد به من الفتح القريب لأهل الإيمان ، وليطلبوا الناس بعرض ما يتدارسون تثبيتاً لمحفوظاتهم ، واستزادةً لقسمهم من الأجر وحُظوظهم .

ومن مقدّمات الجهاد ، وأقوى أسباب الاعتداد ، تعلمُ الرّماية التي ورد الحَضُّ عليها ، وندب الشرع إليها ، قال عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ « أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ » قالها ثلاثاً : فَاطْفِرُوا النَّاسَ بتعلمهم ، ولتربّوهم طبقاتٍ على قدر إجادتهم وتقديهم ، قال عليه السلام : « مَنْ تَرَكَ الرَّمِيَّ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا » . وقال عليه السلام : « مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَبَّغَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَلْبَغْ كَانَ لَهُ كِعْتَقٌ رَقَبَةٍ » .

وليُعلموا أنهم يُطالبون في وقت الحاجة بما يُثمره هذا التأكيّد من يدّارهم ، ويترتّب عليه من آثمارهم ، وليحِرِّصُوا على أن يُلْفَى عددهم وافرّاً في حالتي إيرادهم وإصدارهم .

ومما فيه مصلحةٌ كريمة الأثر ، واضحة الجُؤول والغرر ، يكون ذِكْرُها جَمِيلاً ، وأجرُها جَزِيلاً ، نَعَهْدُ الضُّعَفَاءَ والفقراء ، وإسماهم من الكثير كثيراً ومن القليل قليلاً بحسَبِ الإصابة والرخاء ، ووضعُ الصدقات في أهل التعفُّف الذين لا يسألون الناس الخافاً أوّل ما يجيئ حين العطاء ، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوْفِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ التَّمَرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَإِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » فتفقّدوا هذا الصَّنَفَ فهو أوّلُ بالإيثار ، وأحقُّ أهل الإقتار ، والمؤمنون إخوة ويُعْنَى بالجار بالجار ، وليُعن الغنى الفقير فذلك من مكارم الآثار .

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفةٌ تعيَّنَت إقامتها على المسلمين جميعاً فمن رأى منكراً فليُنهِه إليكم وعليكم تغييره وتغيُّفه أثره على ما يوجبُه الدين ويقتضيه ، وليأخذوا الحق من كل من تعيَّن عليه سواء في ذلك القوي والضعيف ، والمشرُوف والشرِيف . وكلُّ من ارتكب منكراً كائناً من كان ، عزَّ قدره أو هان ، فليبالغ في عقابه ، وينكَل على قدر ما ارتكب من المنكر وأتى به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقال لأسماء في الحديث نفسه « أَلْتَسْقِعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » وقد حدَّ عمر رضي الله عنه ولده ، وحدَّ عثمان رضي الله عنه أخاه .

فلتكن هذه الوظيفة منكم بمرأى ومسمع ، ولتسلُّكوا في إقامتها على الخامل والنبية أَوْضَحَ مَهَيِّع ، ووفُّوا المعروف حقَّه من الإظهار ، وتلقَّوا المنكر بأنم وجوه الإنكار ، ثم عليكم أجمعين بالتواصي بالخير والتعاون على البر والتقوى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وقال عليه السلام : « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يستنفذ وسعته في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ؛ ولم ينشأ ما نسا من الأهوال ، ولا طراً في هذه الأمة ما طراً من الاختلال ، إلا بمفارقة الاقتداء الذي هو للدين رأس المال ، ورضي الله عن عمر حيث قال : « فُرِضَتِ الْفِرَائِضُ وَسُنَّتِ السُّنَنُ وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاحِشَةِ إِلَّا أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا » .

ومن أشدَّ المنكرات بغير نكير وجوب تغيير الخمر التي هي أس الإثم والفجور ، وأم الخبائث والشرور ، وأس كل خطيئة ورأس كل محذور ، فليشتدَّ أثم الاشتداد

في أمرها ، ويبحث غاية البحث عن مكان عصرها ، ويتفقد الأماكن المتهمة
ببيعها ، ويتسبب بكل وجه وكل طريق إلى قطعها . وليبادر حيث كانت إلى إراقة
دنانها ، وليبالغ إلى أقصى غايات الاجتهاد في شأنها ، وإن الله لعن الخمر وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ؛ فليتيق الله مدمن شربها فإنها رجس من عمل
الشیطان ، وليحذر ما في قوله عليه السلام : « لَا يَشْرَبُ الْمُؤْمِنُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا
وهو مؤمن » : من إخراجها عن أهل الإيمان ؛ وشرب الخمر لحاج في الطبع ، فلا خير
فيها مع الاعتناء المبني على الشرع ، ولو نهى الناس عن فت البعر لفتوه حرصا غالبا على
ما تقدم فيه من الزجر والمنع ؛ فن عثر عليه بهد من شارب لها أو عاصر ، مستسرها
أو مجاهر ، فليضرب الضرب المبرح ، ويسجن السجن الطويل ، وليبق إلى أن تصح
توبته صحة لا تحتمل التأويل ؛ ثم إن عاد فالحسام المصمم يحسم داءه إذا أعضل ،
ويصد به سواه عما استحل من هذا الحرام واستسهل .

ومن أشد ما حذر منه ، وأكّد النهي عنه ، كتب الفلاسفة لعن الله واضعها !
فإنهم بنوها على الكفر والتعطيل ، وأخلوها من البرهان والدليل ، وعدلوا بها ضلالا
وإضللا عن سواء السبيل ، وجعلوها نكاة لعقائدهم ومقاصدهم الخيلة ركونا إلى
الباطل وتمسكا بالمستحيل . وقد كان سيدنا الإمام المنصور رضى الله عنه قد جد فيها
بالتحريق والتمزيق ، وسد بامضاء عزمه المسدد ورأيه المؤيد وجوه طلابها بكل
طريق ، فحسبنا أن نقندين في ذلك بأثره الجميل ، ونأخذ في إحراقها حيث وجدت
وإهانة كاتبها وطالبيها وقاريها ومقرريها ، ولا يعدل عن السيف في عقاب من آتتها
وأستوهبها وإن السيف في حقه لقليل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تَرَكْتُ
فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه » وبحسب العاقل كتاب
الله وسنة الرسول .

ويتعلق بهذا المنهى عنه ما أَسْرَسَ فيه مَرَدَّةُ أهل الأهواء ، والمتنكبون فيما تلبَّسوا به من الأدْرانِ عن سَنَنِ الاهْتداءِ ، أولئك قومٌ اعتقدوا إباحَةَ المحظورات كُلِّها ، وعدَّوا بِلِياماتهم السَّخِيفَةِ ، وتَحِيَّلاتهم الضَّعِيفَةِ ، كُلَّ وَاهِي العَقْدِ مُنْجِلًا ، وأَدْعَوْا أَنهم من المِلَّةِ وأَعْمَالهم تَقْضِي بِأنهم لَيْسُوا من أَهلها ، فَلْيُبَيِّحْ عن ذلك الصَّنْفِ الأوَّلِ وهذا الثَّانِ ، فمذهِبنا أَن نَظْهَرُ دينَ الله ممَّا لَصِقَ به من الأدْرانِ ؛ وَأَن نُعِيدَهُ إِلَى ما كان عليه قَبْلُ والله المستعان .

ومن الوظائف التي يجبُ أَن تَعْتَنُوا بها غايةَ الاعتناء ، وَأَن تُقَدِّمُوا النظرَ فيها على سائر الأشياءِ ، أَمْرُ أسواقِ المسلمين فقد اتَّصل بنا ما تَطَرَّقَ للتَّجاراتِ من مُسَاهَحاتٍ تَعْنَى عليها الخدع ، ولا يَنْتَهِرُها إِلَّا الحِرْصُ والطَّمَعُ ، ولا تُوافِقُ الشرعَ ولا يُطابقُها الورعُ ، حتى شابَ أَكْثَرَ المعاملاتِ الفسادُ ، ولا يَجْرِي على القانونِ الشرعيِّ في كثيرٍ من المَبَايعاتِ الإِنْعقادِ ، وتَصَدَّى المتَحِيلُونَ فيها لِحِيلٍ يَقْصِدُونَهَا ، وَأَنواعٍ لاجْتِلابِ السُّخْتِ يَرْضُدُونَهَا ، وَرَبَّما وَرَدَ التَّاجِرُ مِنَ القَطْرِ الشَّاسِعِ ، وَحَسَنَ الظَّنِّ بِالمُشْتَرِي مِنْهُ أَوِ البَائِعِ ، فَيَبْلُغُ في خَدْعَتِهِ ، والإِضرارَ به في سِلْعَتِهِ ، أسوأَ المَبالَغِ ، ويرتَكِبُ من مُحَرَّمَ الخِلابةِ ما ليس بالسائِغِ ، وَسمِعَ من ذلك أَن من لا يَتَّقِي الله تعالى يَلَايِسُ الرَّبَّاءَ في تِجارَتِهِ ، وَيَبْنِي عليه جَمِيعَ إِدارَتِهِ ، وَحِفْظَ المَكاسبِ من الخَبائِثِ أَوْجِبُ الواجِبَاتِ ، والحلالُ بَيْنَ والحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهما أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ ، وَيُحَقِّقُ اللهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ، فَلْتَنْزِلُوا الأَمْناءَ المعروفينَ بالدِّيانَةِ ، المشهورينَ بالأَمَانَةِ ، تَفْقَدَ هذه الأسواقُ ، وَلْيُخَصَّ كُلُّ أَمِينٍ من تَشْمِلُ عليه سُوْقُهُ مِنَ التَّجَارِ ، وَلْيَعْرِفِ الْمُخْتَارُ مِنْهُمْ من غيرِ المُخْتَارِ ، ومن لا يَصْلُحُ للتَّجَارَةِ في سَواقِ المسلمين يُقَامُ مِنْها على أسوأِ حالٍ ، وَمَنْ عَثَرَ مِنْهُمْ على رَبَّاءٍ في مَعاملَتِهِ عاجِلْتُمُوهُ بِأَشَدِّ العِقَابِ وَأَسْوَأِ النِّكَالِ ، خَلَّصُوا المَتَّاجِرَ مِنَ الشَّوَائِبِ ، وَمُرُوهُمْ بِأَن يَسِيرُوا في بَيْعِهِمْ وَشُرَائِهِمْ وَأَقْضِيَّائِهِمْ على

أَجَلِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَنْ يُحَذَّرُوا الْغِشَّ فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»
وَالْإِكْتِفَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، وَإِذَا اعْتَبِرْتُ فِي الْمُبَايَعَاتِ الْوُجُوهَ
الشَّرْعِيَّةَ وَلِحَظْتُ الْأَحْكَامَ زَكَّى اللَّهُ عَمَلِ التَّاجِرِ ، وَبُورِكَ لَهُ فِيمَا يُدِيرُ مِنَ التَّاجِرِ .
ثُمَّ لَتَوْصُوا كُلَّ مَنْ تُقَدِّمُونَهُ لَشُغْلٍ مِنَ الْأَشْغَالِ أَنْ يَبْدَأَ بِصَلَاحِ نَفْسِهِ قَبْلَ سِوَاهَا ،
وَأَنْ يَلْتَزِمَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُؤْتِرُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَيَرْضَاهَا ، وَحَذَّرُوهُمْ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَقْفُوا لَهُمْ
عَلَى مَا يَشِينُ ، أَوْ تَسْمَعُوا لَهُمْ قَبِيحًا يَحْنِي أَوْ يَبِينُ ، فَمَنْ سَمِعَ عَنْهُ أَدْنَى سَبَبٍ مِنْ هَذَا
فَعَاجِلُوهُ بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ ، وَالنَّكَالِ الْمُبِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَالسَّلَامُ .

قلت : وعلى هذه المعاني والأمور المأمور بها في هذا الكتاب قد كانت الخلفاء
تكتب بها في المكتبات على أنحاء متفرقة على ما تقدم في مقاصد المكتبات من
المقالة الرابعة ، وكانوا يؤثرون على الصلاة والمساجد مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ ،
وَأِنْ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأُمُورِ الْآنَ مَضْمُونةٌ فِي تَوَاقِعِ أَصْحَابِ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ
فِي الْكَلَامِ عَلَى الْوَلَايَاتِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السادسة

(فِيمَا يُكْتَبُ مِنْ ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا)

وهو قليل : لِقَلَّةِ الْإِعْتِنَاءِ بِأَمْرِ الدِّينِ وَالْإِكْتِفَاءِ فِي ذَلِكَ بِالتَّفْوِيزِ إِلَى مَتَوَلَّى
الْحِسْبَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ رُبَّمَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْمُهِّمَةِ عِنْدَ تَعَدِّي الطَّوْرِ فِي أَمْرِ
مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ ، وَالْخُرُوجِ فِيهِ عَنِ الْحَدِّ .

ثم هو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ عن الأبواب السلطانية)

وهذه نسخة توقيع شريف من هذا النوع كُتِبَ به في الأيام أن لا يباع
 على أهل الذمة رقيقٌ حين كثر شراء أهل الذمة من اليهود والنصارى العبيد والجواري
 (١) وتهويدهم وتصيرهم .

(١) لم يذكر نسخة التوقيع بل كتب بهامش غير نسخة مانصه "بياض مقدار ورقة" .

الضرب الثاني

(مما يُكتب في الأوامر والنواهي الدينية - ما يُكتب

عن نواب السلطنة بالممالك)

وهذه نسخة توقيع كريم بمنع أهل صيدا ويروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة
والشيعة وردعهم ، والرجوع إلى السنة والجماعة ، واعتقاد مذهب أهل الحق ، ومنع
أكابرهم من العقود الفاسدة والأنكحة الباطلة ، والتعرض إلى أحد من الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وأن لا يدعوا سلوك [طريق] أهل السنة الواضحة ،
ويمشوا في شرك أهل الشك والضلال ، وأن كل من تظاهر بشيء من يدعهم قول
بأشد عذاب وأتم نكال ، وليخمد نيران يدعهم المذهب ، وليأدر إلى حسم فسادهم
بكل همه ، وتصريفهم عن ^(١) اعتبره ، وتطهير بواطنهم من ردالة اعتقادهم
الباطل إلى أن يعانوا جميعهم بالترضى عن العشرة . وليحفظ أنسابهم بالعقود
الصحيحة ، وليدأوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنة الصريحة . في خامس عشرين ^(٢)
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الذى شرع الحدود والأحكام ، وجدع بالحق لأتوف العوام الأغنام
الطعام ، وجمع الصلاح والتجاح والفلاح فى الأخذ بسنة خير الخلق وسيد الأنام ،
وقع الزائعين عما عليه أهل السنة من الحق فى كل نقض وإبرام .

نحمده على نعمه الحسام ، ومننه التى تؤمض بروقها ونشام ، وآلائه التى لا تُسَام
ولا تُسَام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ليس لمن تمسك

(١) بياض فى الأصل ولعله « عن التهوك فى مهالك أهوائهم إلى مانص عليه الشرع واعتبره » .

(٢) كذا فى الأصل باثبات النون ونقل الصبان عن ابن هشام تلحين الكتاب فيه .

بِعُرْوَتِهَا الْوُثْقَى أَنْفِصَالٌ وَلَا أَنْفِصَامٌ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِوَاضِحِ الْإِرْشَادِ وَالْإِعْلَامِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، وَهُدَاةُ الْخَلْقِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ؛ خُصُوصًا أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ بِمَا وَقَّرَ فِي صَدْرِهِ لَا بِزَيَّةٍ ضَلَالَةٍ وَلَا بِزَيْدٍ صِيَامٍ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الَّذِي كَانَ لَهُ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ أَعْظَمُ مَقَامٍ، وَمَنْ أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ آتِقَاءً وَآنْتِقَامٍ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ فَحَصَلَ لَشَمْلِ سُورِهِ وَآيَاتِهِ بِمَا فَعَلَ أَحْسَنُ النِّتَامِ، وَأَنْفَقَ مَالَهُ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ تَعَالَى فَخَازَ مِنَ الثَّوَابِ رَتْبَةً لَا تُرَامُ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي كَانَ صِهْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبْنَ عَمِّهِ وَوَارَثَ عِلْمَهُ اللَّهُامِ، وَالْمُجَادِلَ عَنْ دِينِهِ بِالْعِلْمِ وَالْمُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحُسَامِ، وَالْبَاقِينَ مِنَ الْعَشَرَةِ الْكَرَامِ، صَلَاةٌ تُسْتَمَدُّ بِرُكَّتِهَا وَتُسْتَدَامُ، وَيَتِمُّوْا فَضْلُهَا بِغَيْرِ آتِقْضَاءٍ وَلَا أَنْصِرَامٍ .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرْعِهِ الَّذِي آرْتِضَاهُ، وَدِينِهِ الَّذِي قَضَاهُ، وَحُكْمَهُ الَّذِي أَمْرَهُ وَأَمْضَاهُ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَوْضَحَ الدَّلَالََةَ، وَأَفْصَحَ الْمَقَالََةَ؛ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ طَوَائِفَ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ مِنَ الْأَوْدَاءِ؛ وَنَصَرَهُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ مِنَ الْمَشْرُوكِينَ وَالْحَاسِدِينَ حَتَّى مَاتَ كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الدَّاءِ؛ وَبَيَّنَّ الطَّرِيقَ، وَبَرَّهَنَ عَلَى التَّحْقِيقِ، فَأَعْلَنَ النَّذَارَةَ وَالْإِشَارَةَ، وَمَهَّدَ قَوَاعِدَ الدِّينِ تَارَةً بِالنَّصِّ وَتَارَةً بِالْإِشَارَةِ؛ وَتَمَّ الدِّينُ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ، وَشُدِّدَتْ قَوَاعِدُهُ بِإِعْلَالِ أَعْلَامِهِ؛ وَعَمَّتِ الدَّعْوَةُ وَتَمَّتْ، وَفَشَّتِ الْهُدَايَةُ وَتَمَّتْ؛ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الدِّينِ أَرْسَالًا، وَبَلَغَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ آمَالًا، وَأَصْبَحَتِ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ نَتَوَاتَرًا وَتَوَالَى، وَنَحَمَدُ نَارَ الشَّرْكِ وَطَفَفَتْ مَصَابِيحُ الضَّلَالَةِ وَوَحَّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

فلما تكامل ما أراد الله تعالى إظهاره في زمانه، وتمّ ما شاء إبرازه في إبانته، وأعلنت الهداية، ومُحيت الغواية، وقام عمود الدين، ودحضت حجة الملحدين، واستوسق أمر الإسلام، واستتب، وتبّت يدا مناويّه وتبّ - اختار الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جواره وقربه، فقضى تحبه ولقي ربه، فقام خلفاؤه بعده بأثاره يقتدون، وبهديه وإرشاده يهتدون، ولأحكامه يتبعون، ولأوامره يستمعون، ولمعاني ما جاء به يعون، وإلى قضاياه يرجعون، لا يغيرون ولا يبدلون، ولا يتعرضون ولا يتأولون، فقضى على ذلك الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، لم يتبع أحد منهم في زمانهم عقيدة فاسده، ولم يظهر أحد مقالة عن سواء السبيل حائده، ثم تفرقت الآراء، وتعددت الأهواء، واختلفت العقائد، وتباينت المقاصد، ووهت القواعد، وتصادمت الشواهد، وتفرقت الناس إلى مقتز بالحق وجاحد، وظهرت البدع في المقالات، وضلّ كثير في كثير من الحالات، وتهاقت غالبهم في الضلالات، وقال كل قوم مقالة تضمنت أنواعا من الجهالات، وكان من أسخفهم عقلا، وأضعفهم نقلا، وأوهنهم حجة، وأبعدهم من الرشد محجة، طائفة الرافضة والشيعة، لأرتكابهم أمورا شنيعة، وإظهارهم كل مقالة فظيعة، وخرقهم الإجماع، وجمعهم قبيح الابتداع، فتبددوا فرقا، وسلكوا من فواحش الاعتقادات طرقا، وتنوع ناسهم، وتعددت أجناسهم، وتجروا على تبديل قواعد الدين، وأقدموا على نبذ أقوال الأئمة المرشدين، وقالوا ما لم يسبقوا إليه، وأعظموا الفرية فيما حملوا كلام الله ورسوله عليه السلام عليه، وبأوا بإثم كبير وزور عظيم، وعرجوا عن سواء السبيل نخرجوا عن الصراط المستقيم، وفأهرا بما لم يمه به قبلهم عاقل، وانتحلوا مذاهب لا يساعدهم عليها نقل ناقل، وتخيّلوا أشياء فاسدة حالهم فيما تخيلها أسوأ من حال باقل، وتمسكوا بأثار

موضوعه ، وحكايات إلى غير التقات مرفوعة ؛ يُنقل عن أحدهم ما ينقله عن مجهول غير معروف ، أو عن هو بالكذب والتدليس مشهور وموصوف ؛ فأذاهم ذلك إلى القول بأشياء - منها ما يوجب الكفر الصراح ، ويبيح القتل الذي لاحتج على فاعله ولا جناح - ومنها ما يقتضي الفسق إجماعا ، ويقطع من المتصنف به عن العدالة أطعما - ومنها ما يوجب عظيم الزجر والنكال - ومنها ما يقتضي بقائه إلى الويل والويل . لعب الشيطان بعقولهم فأغواهم ، وصمهم إلى حربه وآوهم ، ووعدهم غرورا ومناهم ، وتمنوا مغالبة أهل الحق فلم يبلغوا منهاهم ؛ مرقوا من الدين ، وخرقوا إجماع المسلمين ، وأستحلوا المحارم ، وآرتكبوا العظائم ، وأكتسبوا الجرائم ؛ وعدلوا عن سواء السبيل ، وتبوءوا من غضب الله شر مقيم . مذهبههم أضعف المذاهب ، وعقيدتهم مخالفة للحق الغالب ؛ وآراؤهم فاسدة ، وقرائحهم جامدة ، والنقول والعقول بتكذيب دعاويهم شاهدة ؛ لا يرجعون في مقالاتهم إلى أدلة سليمة ، ولا يرجعون في استدلالهم على طريق مستقيمة ؛ يعارضون النصوص القاطعة ، ويضطلون القواعد لمجرد المنازعة والمدافعة ، ويقسرون كلام الله تعالى بخلاف مراده منه ، ويتجربون على تأويله بما لم يرده الله ولم يرده عنه ؛ فهم أعظم الأمة جهالة ، وأشدّهم غواية وضلالة ؛ ليس لهم فيما يدعونه مستند صحيح ، ولا فيما ينقلونه نقل صريح .

فلذلك كانوا أقل رتبة في المناظره ، وأسوأ الأمة حالا في الدنيا والآخرة ؛ وأحقر قدرنا من الاحتجاج عليهم ، وأقلّ وضعا من توجيه البحث إليهم ؛ أكابرهم مخلطون ، وأصاغرهم مثلهم ومعظمهم محبّطون ؛ بل كلهم ليس لأحد [منهم] حظ في الجدال ، ولا قدم في صحة الاستدلال ؛ ولو طُلب أحد منهم بصحة دعواه لم يجد عليها دليلا ؛ ولو حُقق عليه بحث لم يلق إلى الخلاص سبيلا ؛ غاية متكلّمهم أن يروى عن منكر من الرجال مجهول ، ونهاية متعلّمهم أن يورد حديثا هو عند العلماء موضوع أو معلول ؛ يطعنون

في أئمة الإسلام، ويسبون أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويدعون
أنهم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو برىء منهم، منزه
عما يصدر عنهم، فقد رُفِعَ عند الله والناس، ومَحَلُّهُ أَعْلَى بالنص والقياس، ويحرم
أن يُنسَبَ إليه الرضا بهذه العقائد، أو التقرير لهذه المفاصد، فإن طريقته هي المثل،
وسيرته هي العليا، فالأخذ بالحق إليه يُقُول، والصواب معه حيث يفعل أو يقول،
ولا يصح نقل شيء من هذا عنه، ولا يحل نسبة شيء إليه منه، ومنصبه أجل من
ذلك، ومكانه أعز مما هالك، غير أن هؤلاء يعرض لأحدهم في دينه شبهة، يقلد
فيها مثله في الضلالة وشبهه، ويتردد في نفسه من الغم برهة لا يجد خلاصه منها
وجّهه، ولا يوجه قلبه إلى طلب النجاة منها وجّهه، ولا يقع نظر بصيرته على طريق
الصواب ولا يحقق كنهه، فيرتكب خطرا يوجب توبيخه في القيامة وجبهه، وتُسَوِّدُ
في الموقف ناصية منه وجبهه، ويعتدم لتحيره في الضلال عقله وفهمه وفقهه،
قد صرّفوا إلى الطعن في العباد، ومخالفة رب الأرض والسماء، همهم وهمهم،
واقترأوا على الله كذبا فدمهم وأباح دمهم، وقال لسان حال أمرهم أرا قدمهم أراق
دمهم، وهان دمهم فما ندّمهم .

وقد بلغنا أن جماعة من أهل بيروت وضواحيها، وصيدا ونواحيها، وأعمالها
المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومن أراغ كل من الجهتين ضياعها، وأصقاعها
وبقاعها، قد انتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقزروه، وبشوه
في العامة ونشروه، واتخذوه ديناً يعتقدونه، وشرعاً يعتمدونه، وسلوكاً منهاجهم،
وخاضوا لحاجه، وأصلوه وفرعوه، وتدينوا به وشرعوه، وحصلوه وفصلوه، وبلغوه
إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظموا أحكامه، وقدموا حكمه، وتعموا تجيله
واعظامه، فهم باطله عاملون، وبمقتضاه يتعاملون، ولأعلام علمه حاملون، والفساد

قائلون، وبغير السداد قائلون، وبحرم حرامه عائذون، وبحمي حمايته لائذون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسدة شدته عاكفون. وإنهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستحلون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه، ويأكلون مال مخالفيهم ويتنبهونه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتدينون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الجليث، والمذهب الذي ساوى في البطلان مذهب التلث - فأنكرنا ذلك غاية الإنكار، وأكبرنا وقوعه أشد إكبار، وغضبنا لله تعالى أن يكون في هذه الدولة للكفر إذاعه، وللعصية إشادة وإشاعة، وللطاعة إخافة وإضاعة، ولالإيمان أزجى بضاعة، وأردنا أن نجهز طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جند الإمام، تستأصل شائفة هذه العصبة الملعونة، وتطهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نقدم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجهنا هذا الخطاب، ليقرا على كافتهم، ويبلغ إلى خاصتهم وعامتهم، يعلمهم أن هذه الأمور التي فعلوها، والمذاهب التي انتحلوها، تبيح دماءهم وأموالهم، وتمضي تعميمهم بالعذاب واستئصالهم، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعير كونه من الدين ضرورة فقد كفر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ﴾ عطفًا على ما حكم بتحريمه، وأطلق النص فتعين حمله على تعميمه، وقد أنه قد على ذلك الإجماع، وأنقطعت عن مخالفته الأطلاع، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سميعا بصيرا ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ونكاح المتعة منسوخ، وعقده في نفس الأمر منسوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريمه واشتباره، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله ان لم يتب فهو مقتول، وعذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول. وسب الصحابة رضوان الله عليهم

مُخَالَفَ لِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ ، وَمُنَادٍ لِتَصْرِيحِهِ
 بِاحْتِرَامِهِمْ وَتَجْيِيلِهِمْ ، وَمُخَالَفَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، مُوجِبَةً لِلْكَفْرِ
 عِنْدَ كُلِّ قَائِلٍ وَإِمَامٍ ، وَمُرْتَكِبُ ذَلِكَ عَلَى الْعُقُوبَةِ سَائِرٍ ، وَإِلَى الْجَحِيمِ صَائِرٌ . وَمَنْ
 قَذَفَ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ مَا بَرَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ خَالَفَ كِتَابَ الْعَظِيمِ ،
 وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ النَّكَالَ الْبَلِيغَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَامَتْ وَاضِحَاتُ الدَّلَائِلِ ،
 وَبِهِ أَخَذَ الْأَوَائِلُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَائِلُ ، وَهُوَ الْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَمَاعِدَا ذَلِكَ
 فَهُوَ مُرْدُودٌ ، وَمِنَ الْمِلَّةِ غَيْرُ مُعْدُودٍ ، وَحَادِثٌ فِي الدِّينِ ، وَبَاعَثَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ ،
 وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ فِي كُلِّ مَقَالَةٍ ، وَالْمَوْضِعِ فِي كُلِّ دِلَالَةٍ ، « كُلُّ مُحَدِّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ
 ضَلَالَةٌ » . فَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ، وَاعُودُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ سَرِيعًا ، وَفَارِقُوا مَذْهَبَ أَهْلِ
 الضَّلَالَةِ ، وَجَانِبُوا عُصْبَةَ الْجَهَالَةِ ، وَاسْمَعُوا مَقَالََةَ النَّاصِحِ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَعُوَا ، وَعَنِ
 النَّبِيِّ ارْجِعُوا ، وَإِلَى الرَّشَادِ رَاجِعُوا ، وَإِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ بَادِرُوا وَسَارِعُوا . وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ بِنِكَاحٍ مُتَعَةٍ فَلَا يَقْرُبُهَا ،
 وَيُحَذِّرُ مِنْ غَشْيَانِهَا وَلِيَتَجَنَّبَهَا . وَمَنْ نَكَحَ أُخْتَيْنِ فِي عَقْدَيْنِ فَلْيُفَارِقِ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا فَإِنَّ
 عَقْدَهَا هُوَ الْبَاطِلُ ، وَإِنْ كَانَتَا فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ فَلْيُخْرِجْهُمَا مَعًا عَنْ حِبَالَتِهِ وَلَا يُتِمَّ طُلَّ ،
 فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَنَكَالَ الْمَجْرَمِ فِي الْحَمِيمِ كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ ، وَدَارُ غَضَبِ اللَّهِ تُنَادِي
 بِأَعْدَائِهِ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِعَذَابِهِ ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى أَلِيمِ عِقَابِهِ ، وَلَا مَقَرَّ
 لِلظَّالِمِ مِنْهُ وَلَا خَلَاصَ ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاصَ . فَرَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ ،
 وَاسْتَعَدَّ لِرَمْسِهِ ، وَمَهَّدَ لِمَصْرَعِهِ ، وَوَطَّأَ لِمَضْجَعِهِ ، قَبْلَ قَوَاتِ الْقَوْتِ ، وَهُجُومِ
 الْمَوْتِ ، وَانْقِطَاعِ الصَّوْتِ ، وَاعْتِقَالِ اللِّسَانِ ، وَانْتِقَالِ الْإِنْسَانِ ؛ قَبْلَ أَنْ تُبَدَّلَ
 التَّوْبَةُ وَلَا تُقْبَلَ ، وَتُذَرَى الدَّمُوعُ وَتُسَبَّلَ ، وَتُنْقِضَى الْأَجَالُ وَيَنْقُطَعَ الْأَمَلُ ،
 وَيَمْتَنِعَ الْعَمَلُ ، وَتَرْهَقَ مِنَ الْعَبْدِ نَفْسُهُ ، وَيُضْمَمَ رَمْسُهُ ، وَيَرِدَّ عَلَى رَبِّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ

غَضَبَان، وَإِنَّ سُخْطَهُ عَلَيْهِ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ قَدْ بَانَ، وَلَا يَنْفَعُهُ حِينَئِذٍ النَّدَمُ، وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أُنْذِرَ، وَأَنْصَفَ مَنْ حُدِّرَ، فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلِبُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، أَلْهَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ رُشْدَنَا، وَوَفَّقَ إِلَى مَرَاضِيهِ قَصْدَنَا، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَعَانَنَا جَمِيعًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة مرسوم كتبت به عن نائب المملكة الطرابلسية إلى نائب حصن الأكراد، بإبطال ما أُحْدِثَ بالحصن : من الخمار ، والفواحش ، وإلزام أهل الذمة بما أُجْرِيَ عليهم أحكامه من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - في أواخر جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة ، وهو :

المرسوم بالأمر العالى - لازال قصده الشريف المثابرة على تغيير المنكر، وشدّ أزر المنكر، مشمراً فى إراحة القلوب بإزاحة مواطن الفواحش : من سِقَاح ومُخَدَّر ومَيْسِر ومُسْكِر - أن يتقدّم الجنب الكريم باستمرار ماوقفنا الله تعالى له ورسمنا به ، وأعطيناه دستوراً يجده من عمل به يوم حسابه : من إبطال الخمار ، وهدم مبانيها بحيث لا يبقى للنفس الأمانة عليها أماره ، وإخفاء معالمها التى توطئها الشيطان فقطن ، وإزالة ما بها من الفواحش التى ما ظهر منها أقل مما بطن ، وإخلاء تلك البلاد من هذا الفساد الموجب لكثرة المحن والاختلاف وإراقة ما بها من الخمر ، التى هى رأس الإثم والشمرور ، وإحراق كل مخدّر مذموم فى الشرع مخدور ، وإذهاب اسم الحانة بالكلية بحيث لا يتلفظ به مسلم ولا كافر ، ولا يطمع نفسه فى الترتيب عليها من هو على نخزيه وبغيه مظافر . وقد غيرنا هذا المنكر بيد أطال الله بفضله فى الخير بآعها ، وغنمنا إزالة هذه المفسدة فأحرزنا برّها وأصطناعها ، خوفاً من وعيد

قوله تعالى : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ورجاء أن نكون من المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وعملاً بقوله عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » . وعلمنا بأن أمير الرعية إذا لم يزل المنكر من بينهم فكيف يفلح في يومه وحال السؤال عنهم في غده .

وقد صار حصن الأكراد بهذه الحسنة في الحصن المتبوع ، وأهله المتمسكون بالعروة الوثقى في مريع خصب مريع ، وضواحيه مطهرة من خبث السفاح ونجاسة الخمر ، ونواحيه كثيرة الشور قليلة الشرور ، قد أعلی الله تعالى به كلمته ، وأجاب لصغيره وكبيره في هذا الأمر دعوته ، وما ذلك إلا بتوفيق من أهلنا لذلك ، وألهمنا رشدنا وطهرنا من هذه المفسدات تلك المسالك ، وله الحمد على ما وفق إليه ، وأعان عبده في ولايته عليه ، فإن المنكر إذا فشا ولم يُنكر آن نحراب الديار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيَغَارُ » ، فعند ذلك تمنع السماء درها ، وتمسك الأرض بذرها ، ويحرف الضرع ، ويبيس الزرع ، وتعطش الأجداد ، وتهلك البلاد .

فليبسط الجنب الكريم يده في إزالة ما بقي من منكر ، متفقدا لجليله وحقيقه بالفحص الشديد وما على ذلك يُحمد بكل لسان ويُشكر ، مترقبا من يدخل البلد ذلك ليقابله بالضرب بالسياط ، أخذا في تتبع حلاله بالحزم والتجري والاحتياط ، إلى أن يصل بنا أخباره ، ويعلّو لدينا في سياسته ونهضته مناره ، ونحمد عندنا لإيأته وآثاره ، وهو بحمد الله كما نعهد شديد على كل مُفسد ومعاند ، سيدي الآثار والآثار والمقاصد .

وأما أهل الذمة فما رُفع عنهم السيف إلا باعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل النقص والإبرام .

فليتقدم الجنبُ الكريمُ بإلزامهم بما ألزمهم به الفاروق رضوانُ الله عليه، وليُلجئهم في كل أحوالهم إلى ما أُلجَّاهم إليه : من إظهار الذلَّة والصَّغار ، وتغيير النعل وشدَّ الزنَّار، وتعريف المرأة بِصَبْغِ الإزار، وليُمنَّعوا من إظهار المنكر والخمر والناقوس وليُجعل الخاتم أو الحديّد في رقابهم عند التجرّد في الحَمَّام، وليُزَمَّوا بغير ذلك من الأحكام التي ورد بها المرسوم الشريف من مُدَّة أيام، ومن لم يلتزم منهم بذلك وأمتنع، وأُعلن بكفره وأُعلی كلمته ورفَّع، فما له حَكَمٌ إلا السيف، وغنم أمواله وسبى ذراريّه وما في ذلك على مثله حَيْفٌ، فهاتان مَفْسَدَتانِ أُمِرنا بالزامهما فإِرا من سُخط الله تعالى وحِذارا، إحداهما إبطالُ الحانة والثانية إخفاء كلمة اليهود والنصارى .

فليتقدم الجنبُ المشار إليه باستمرار ما رسمنا به فهو الحق الذي لا شك فيه ، والنور الذي يتبعه المؤمن ويَحْكِيه ، ونرجو من كرم الله تعالى استمرار هذه الحسنة مدى الأزمان، واستثمار شجرها المائد الأغصان ، وإبطال هذا الحُزن المسمى ظلما بالفَرَح، وإعمال السيف في عنق من آرتضاه بين أظهر المسلمين فانهتك سرّه وأفتضح .

وليَقْمَعَ أهل الشرك والضلال ، بما يلزم الصَّغار عليهم والإذلال ، إلى أن لا يُرْفَعَ لهم راس ، ولا يُسَيِّدوا كيدا إلا على غير أساس ، وليستجلب الجنبُ الكريم لهذه الدولة الشريفة ولنا الدعاء من المسلمين ، والفقراء والصالحين والمساكين ، وليُطَبِّ قلوبهم باستمرار ما أزلناه، ومحونا آثاره وأبطلناه ، وقصدنا بإبطاله من تلك الأرض ، مساحةً من الحَكَم العَدْل يوم العَرَض ؛ ومن أعاد ما أبطلناه أو أغان على إعادته ، أو أمر بتشيدِه وبناء حجارتِه ، أو رَبَّ مَرْتَبًا على خَدْرِ بَغْيٍ ومَوَّه ودَلَّس بالأفراح ، أو أطلق أن يُباع مشرك أو سَوَّل له شيطانُه أنه من الأرباح ، فإن الله تعالى يُحاكمه وهو أحكم الحاكمين ؛ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

الباب الثانى

فيما يكتب فى المسامحات والإطلاقات، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يكتب فى المسامحات

والمسامحات جمع مُسامحة، وهى [الجُود والموافقة^(١) على ما أُريد منه] . والمزاد المسامحة بما جرت به عادة الدواوين السلطانية : من المقررات واللوازم السلطانية، وهى على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكتب من الأبواب السلطانية)

وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شيء من ذلك كتب به مرسوم شريف وشملته العلامة الشريفة، وهو على مرتبتين :

المرتبة الأولى — المسامحات العظام .

وقد جرت العادة أن تُكتب فى قطع الثلث مفتوحة بـ «الحمد لله» .

وصورتها أن يكتب فى أعلى الدَّرَج بوسَطه الأسمُ الشريف كما فى مراسيم الولايات، ثم يكتب من أول عَرْض الورق إلى آخره «مرسوم شريف أن يُسمح بالجهة الفلانية وإبطال المُكوس بها، أو أن يسمح بالباقي بالجهة الفلانية، أو أن يُسمح أهل الناحية الفلانية بكذا وكذا، ابتغاء لوجه الله تعالى، ورجاء لنواله الجسيم

(١) بياض فى الأصل والتصحيح من المصباح .

على ما شرح فيه» ثم يترك وصلان بياضاً غير وصل الطرة، ويكتب في أول الوصل الثالث البسملة، ثم الخطبة بالحمد لله إلى آخرها، ثم يقال : وبعد، ويؤتى بمقدمة المسامحة : من شكر النعمة، والتوفيق بحققها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق، وعمل مصالح الرعية وعمارة البلاد، وما يخرط في هذا السلك، ثم يقال : ولذلك لما كان كذا وكذا اقتضت آراؤنا الشريفة أن يسأج بكذا، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف أن يكون الأمر على كذا وكذا، ثم يقال : فلتستقر هذه المسامحة ويؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال : وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف العمل بمضمونه أو بمقتضاه، ويختتم بالدعاء بما يناسب .



وهذه نسخة مرسوم بمسامحة بواقى دمشق وأعمالها، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى، وهى :

الحمد لله الرؤوف بخلقه، المتجاوز لعباده عما قصروا فيه من حقه، المسأج لبريته بما أهملوه من شكر ما بسط لهم من رزقه، جاعل دولتنا القاهرة مطمع كرم، تُجنى أنوار البر في البرايا من أفقه، ومنشأ ديم، تُجلب أنواء الرفق بالرايا من برقه، ومضمار جود يحتوى على المعروف من جميع جهاته ويشتمل على الإحسان من سائر طرقه، فلا يرتتهى إليه الآمال إلا ولكرنا إليه منية سبقه، ولا أجر يتوجه إليه وجه الأمانى إلا تلقته نعمنا بمتهلل وجه الإحسان طلقه، ولا معروف تجذب منه أرجاء الرجاء إلا واستهلّت عليه آلاؤنا من صوب ربنا المألوف لآلى ودقه .

نحمده على نعمه التى عمت الرايا بتوالى الإحسان إليهم، وأنامتهم فى مهاد الأمن بما وضعت عنهم مسأحتنا من إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، وأنالتم مالم

تَطْمَحْ آمَانُهُمْ إِلَيْهِ : مَنْ رَفَعَ الطَّلَبَ عَنْ بَوَاقِ أَمْوَالِ أَخْرَوْهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَكَانَتْ كَالْأَعْمَالِ الْمُقَدِّمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَبَعْتُ عَلَى نَشْرِ رَحْمَتِهِ ، الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي عِبَادِهِ ، وَتَحُثُّ عَلَى بَثِّ نِعْمَتِهِ ، الَّتِي تَعْمَرَتْ كُلَّ حَيٍّ عَلَى اجْتِمَاعِهِ وَوَسَّعَتْ إِلَى كُلِّ حَيٍّ عَلَى انْفِرَادِهِ ، وَتَحْضُ عَلَى مَا أَلْهَمْنَا مِنْ رَأْفَةٍ بِمَنْ تَابَلَهُ بِتَوْحِيدِهِ وَشِدَّةٍ عَلَى مَنْ جَاهَرَهُ بِعِبَادِهِ .

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسَكَّتْ أَلْسِنَةَ الشَّرْكِ وَأَخْرَسَهَا ، وَعَفَّى مَعَالِمَ الْعُدُونِ وَطَمَسَهَا ، وَأَثَّلَ قَوَاعِدَ الدِّينِ عَلَى أَرْكَانِ الْهُدَى وَأَسَّسَهَا ، وَأَوْضَحَ سُبُلَ الْخَيْرَاتِ لِسَالِكِيهَا فَإِذَا سَعِدَتْ بِالْمُلُوكِ رَعَايَاهَا فَإِنَّمَا أَسْعَدَتِ الْمُلُوكَ بِذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَنْفُسَهَا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ شَقَّعُوا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ مُلْكِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ الْحَسَنَةِ ، وَزَرَعُوا الْجِهَادَ بِالْإِيمَانِ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَأَثْمَرَ بِالتَّوْحِيدِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ ، صَلَاةَ جَامِعَةٍ أَشْتَاتَ الْمُرَادِ ، سَامِعَةً نَدَاءَ أَرْبَابِهَا يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، قَامِعَةً أَرْبَابَ الشُّكِّ فِيهَا وَالْإِلْحَادَ ؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ ، فَإِنَّا لِمَا آتَانَا اللَّهُ مِنْ مُلْكِ الْإِسْلَامِ ، وَخَصَّنَا بِهِ مِنَ الْحُكْمِ الْعَالَمِ ، فِي أُمَّةٍ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَأَيَّدَنَا بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ دِينِهِ ، وَأَمَدَّنَا بِهِ مِنْ تَأْيِيدِ تَأْيِيدِهِ وَدَوَامِ تَمْكِينِهِ ، وَجَعَلَ دَوْلَتَنَا مَرْكَزًا مَدَارُ مُلْكِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَيْهِ ، وَفَلَكًا مَالُ أُمُورِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ عَلَى اخْتِلَافِهَا إِلَيْهِ ، وَرَزَقَنَا مِنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ مَا أَعَزَّ الْمُسْلِمِينَ وَأَدَاهُمُ ، وَأَذَلَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ ، وَكَفَّ بِالرُّعْبِ أَطْمَاعَهُمْ ، وَأَعْمَى بِمَا شَاهَدُوهُ أَبْصَارَهُمْ وَأَصَمَّ بِمَا سَمِعُوهُ أَسْمَاعَهُمْ ،

وَحَصَرَهُم بِالْمَهَابَةِ فِي بِلَادِهِمْ ، وَأَيَّاسَهُم بِالْخَافَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ قَبْلَ طَارِفِهِمْ وَتِلَادِهِمْ - لَمْ
 نَزَلْ نَرْغَبُ فِي حَسَنَاتِ تُحَلَّى بِهَا أَيَّامُنَا ، وَقُرُبَاتِ تَجْرِي بِهَا أَقْلَامُنَا ، وَمَكْرُمَاتِ تَكْمُلُ
 بِهَا عَوَارِفُنَا وَإِنْعَامُنَا ، وَمَا تَرِيحُلِدُّ بِهَا فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ذِكْرُنَا ، وَمَوَاهِبَ تُجْمَلُ
 بِهَا بَيْنَ سِيرِ الْعَصُورِ الذَّاهِبَةِ سِيرَتُنَا الشَّرِيفَةِ وَعَصْرُنَا ، وَمَصَالِحَ يُصَرَّفُ بِهَا إِلَى مَصَالِحِ
 الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ نَظَرُنَا الْجَمِيلِ وَفِكْرُنَا ، نُهُوضًا بِطَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إِلَيْنَا ، وَأَدَاءً
 لَشُكْرِهِ فِيمَا أَتَمَّ بِهِ نِعْمَةَ الْعَمِيمَةِ عَلَيْنَا ، وَاكْتِسَابًا لثَوَابِهِ فِيمَا تُقَدِّمُهُ مِنْ ذَخَائِرِ الطَّاعَاتِ
 بَيْنَ يَدَيْنَا ، وَنَظَرًا فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ بِخِفَّةِ ظُهُورِ سَاكِنِيهَا ، وَإِطَابَةً لِقُلُوبِ الْعِبَادِ مِنْ
 تَبَعَاتِ الْبَوَاقِي الَّتِي كَانَتْ تَمْنَعُهُمْ مِنْ عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ وَتُنْفِرُهُمْ مِنَ التَّوَطُّنِ فِيهَا ، وَرَغْبَةً
 فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ، وَتَحَرُّيًا لِلْإِصَابَةِ وَجِهَ الْمَصْلَحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
 فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا آتَّصَلَ بِنَا [أَنَّ] بَاقِيَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْبَوَاقِي الَّتِي يُتَبَعُ أَلْسِنَةُ
 الْأَقْلَامِ ، إِحْصَاؤُهَا ، وَيُثْقَلُ كَوَاهِلُ الْأَفْهَامِ ، تَعْدَادُ وَجُوهِهَا وَاسْتِقْصَاؤُهَا ، مِمَّا
 لَا يُسَمَّحُ بِمِثْلِهِ فِي سَالِفِ الدُّهُورِ ، وَلَا يَسْخُو بِهِ إِلَّا مَنْ يَرِغَبُ مِثْلُنَا فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
 أَجُورٍ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ مَصَالِحِ الْجُمْهُورِ - اقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعْفِيَ مِنْهَا ذِمًّا
 كَانَتْ فِي أَغْلَالِ إِسَارِهَا ، وَأَثْقَالِ انْكَسَارِهَا ، وَرَوْعَةِ اقْتِضَائِهَا ، وَلَوْعَةِ التَّرَدُّدِ بَيْنَ
 إِنْظَارِ الْمَطَالِبَةِ وَإِمْضَائِهَا ؛ وَأَنْ نَعْتِقَ مِنْهَا نَفُوسًا كَانَتْ فِي سِيَاقِ مَسَاقِيهَا ، وَجِبَالِ
 إِزْهَاقِهَا وَإِرْهَاقِهَا ، لِتَتَوَقَّرَ الْهَمَمُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ ، بِالْأَمْنِ عَلَى الطَّارِفِ وَالتَّلَادِ ،
 وَتُجْمَعَ الْخَوَاطِرُ عَلَى حُسْنِ الْخُلْفِ ، بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ عَمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ
 سَلَفٌ ، بِذِمِّ بَرِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْأَنْفُسِ ، عَرِيَّةٍ عَنْ عَثَرَاتِ تِلْكَ الْبَوَاقِي الَّتِي مَا كَانَ
 يُقَالُ إِنَّهَا تُقَالُ .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علّوا وتشريفوا ، وأمضاه بما يعم الآمال
رفقا بالرعايا وتخفيفا ، وأجراه من العدل والإحسان بما يعم البلاد ، ويحجر العباد ،
فإن الأرض يُحييها العدل ويَعْمُرُها الاقتصارُ على الاقتصاد - أن يسامح

فليستقرَّ حكم هذه المسامحة استقرارا يُبقي رِسْمَها ، ويحو من تلك البواقي المساقاة
رِسْمَها واسْمَها ، ويضع عن كواهل الرعايا أعباءها ، ويُسيّر بين البرايا أخبارها الحسنة
وأنباءها ، ويُسقط من جرائد الحساب تفاصيلها وجملها ، ويحقق بتعفيته آثارها رجاء
رعية بلادنا المحروسة وأملها .

فقد آبتغينا بالمسامحة بهذه الجمّل الوافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ،
وأعتقنا بها ذمم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطلب
واستمراره مستترقا ، تقربا إلى الله تعالى لما فيه من إثارة التخفيف ، ووضع إضر
التكليف ، وتقوية حال العاجز فإن غالب الأموال إنما تُساق على الضعيف ،
وتوفير هم الرعايا على عمارة البلاد وذلك من أكد المصالح وأهمّها ، وتفريغ خواطرهم
لأداء ما عليهم من الحقوق المستقبلّة وذلك من أخصّ المنافع وأعَمّها ، فليُقابلوا هذه
النعم بشكر الله على ما خصّ دولتنا به من هذه المحاسن ، ويوالوا حمده على ما منّهم
به من موادّ عدلها التي ماء إحسانها غير آسن ، ويتهللوا لأيماننا الزاهرة بالأذعية
التي تُخلّد سلطانها ، وتشيّد أركانها ، وتعلي منار الدين باعتلائها ، وتؤيّد بها باللائكة
المقرّزين على أعداء الله وأعدائها . وسيل كل وافٍ على مرؤوسنا هذا : من ولاة
الأمر أجمعين العمل بضمومه ، والانتهاؤ إلى مكنونه ، والمبادرة إلى إثبات هذه
الحسنة ، والمسارة إلى العمل بهذه المسامحة التي تستدعي مساز القلوب وثناء
الألسنة ، وتعفية آثار تلك البواقي التي عفونا عن ذكرها ، ونحو ذكر تلك الأموال
التي تعوّضنا عن استيفائها بأجرها .



وهذه نسخة مرسوم شريف بالمساحمة بالبواقي في ذم الجند والرعايا بالشام ،
 كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في شهور سنة اثنتين وسبعائة بخط
 السلامة كمال الدين محمد الزمليكانى من إنشائه ^(١) ، وقُرئ على المنبر بالجامع الأموى
 بدمشق المحروسة ، وهى :

الحمد لله الذى وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، وَسَمِعَ نِدَاءَ كُلِّ حَيٍّ رَأْفَةً وَحِلْمًا ،
 وَخَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ بِالْإِحْسَانِ فَأُنْجِصَ فِيهَا مَنْ عَدَلَ وَخَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ،
 وَزَانَ دَوْلَتَنَا بِالْعَفْوِ وَالتَّجَاوُزِ فَهِيَ تَعْتَسِدُ الْمَسَاحِمَةَ بِالْأَمْوَالِ الْحَسِيمَةِ غِنًا إِذَا أَعْتَدَتْهَا
 الدُّوَلُ غُرْمًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي عَمَرَتْ رَعَايَانَا بِإِدَامَةِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَعَمَرَتْ مَمَالِكَنَا بِمَا
 تَتَعَاهَدُ بِهِ أَهْلُهَا مِنْ تَشْرِجَتِاجِ الرَّأْفَةِ عَلَيْهِمْ ، وَخَفَّفَتْ عَنْ أَهْلِ بِلَادِنَا أَنْقَالَ بَوَاقِ
 الْأَمْوَالِ الَّتِي كَانُوا مَطْلُوبِينَ بِهَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَمَنْ يَبِينُ يَدِيهِمْ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَمْ تَزَلْ تَشْفَعُ لِأَهْلِهَا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَجْمَعُ لِأَرْبَابِهَا
 بِالرَّأْفَةِ وَالرَّقِّ أَشْتَاتِ النِّعَمِ الْإِحْسَانِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَلَّ
 الْعُكْبَةُ ، وَهَدَى الْأُمَّةَ ، وَسَنَّ الرَّأْفَةَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَالرَّحْمَةَ ، وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى
 ذَوِي الْعُسْرَةِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ بَرَاءَةٍ كُلِّ مَشْغُولِ الذِّمَّةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ أَمَرُوا بِالْتِّيسِيرِ ، وَأَقْتَنَعُوا مِنَ الدُّنْيَا بِالْتِّيسِيرِ ، وَأَوْضَحُوا طُرُقَ الْإِحْسَانِ لِسَالِكِيهَا
 فَسَهَّلُوا عَلَى الْمُقْتَدِي بِهِمْ فِي الْحَقِّ عَلَى الْأُمَّةِ الصَّغْبُ وَيُسِّرُ الْعَسِيرَ ، صَلَاةً تُدْخِلُ يَوْمَ
 الْحِسَابِ ، وَتَعْدُ لِلْوَقْتِ الَّذِي إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

(١) نسبة إلى زمليكان وقد ضبطها صاحب القاموس بالسر وضبطها ياقوت في معجمه بالفتح فاعل
 فيها روايتين .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خَصَّ أيامنا الزاهرة بالفتوح التي أنامت الرعايا ،
 في مهاد أمنها ، وأنالت البرايا ، مواقع يمينها ومنها ، وكفت أكف الحوادث عن
 البلاد وأهلها ، ونشرت عليهم أجنحة البشائر في حزن الأرض وسملها ، وأعدبت
 من الطمانينة مواردهم ، وعمت بالدعة والسكون قاطنهم وراحلهم ، وبللتهم من بعد
 خوفهم أمنا ، ونوالتهم بأجابه داعي الذب عنهم منا ، رأينا أن نفسح لهم مجال
 الدعة والسكون ، وأن لا نتقنع لهم بما كان من أسباب المسار حتى نبتعها بما يكون ،
 وأن نصفي بالإعفاء من شوائب الأكدار شربهم ، ونؤمن بالإعفاء عن طلب البواقي
 التي هي على ظهورهم كالآوزار شربهم ، وأن نشفع العدل فيهم كما أمر الله تعالى
 بالإحسان إليهم ، ونضع عنهم بوضع هذه الأثقال إضرهم والأغلال التي كانت عليهم ،
 وأن نوفر على عمارة البلاد همهم ، ونبرئ من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم
 ذممهم ، ونريح من ذلك أسرهم ، ونطلق من ربة الطلب المستمر إسرهم ،
 ونسأجهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونعفيهم من الطلب
 بالبواقي التي نسوها كالأجال وهي مقدمة بين يديهم ، لتكون بشرهم بالنصر كامله ،
 ومسرهم بالأمن من كل سبيل شامله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل به عميا ، وفضله لحسن النظر في مصالح
 رعاياه مديما - أن تساح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها
 من البواقي المساقاة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجهة
 بالخط الشريف ، وجملة ذلك من الدراهم ألف ألف وسبعائة ألف وستة وأربعون^(١)
 ألفا ومائة ألف وخمسة وأربعون درهما ، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة
 وأثنان وأربعون غرارة ، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن الغنم

(١) لعله « من الدنانير » وحينئذ يستقيم الكلام .

نَحْمِئَةُ رَأْسٍ ، وَمِنَ الْفُولَازِ سِتْمِئَةُ وَثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ ، وَمِنَ الزَّيْتِ أَلْفَانِ وَثَلَاثُمِئَةُ رِطْلٍ ، وَمِنَ حَبِّ الرِّمَّانِ أَلْفٌ وَسِتْمِئَةُ رِطْلٍ .

فَلْيَتَلَقَّوْا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِبَاعِ الشُّكْرِ الْمَدِيدِ ، وَيَسْتَقْبِلُوا هَذِهِ الْمِنَّةَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ الْحَمْدَ يَسْتَدْعِي الْمَزِيدَ ، وَيُرْقِلُوا فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ ، فِي حُلُلِ الْأَمْنِ الصَّافِيَةِ ، وَيَرِدُّوْا مِن نِّعْمَتِنَا الْبَاهِرَةِ ، مَنَاهِلَ السَّعْدِ الصَّافِيَةِ ، وَيُقْبِلُوا عَلَى مَصَالِحِهِمْ بِقُلُوبٍ أَزَالِ الْأَمْنُ قَلَقَهَا ، وَأَذْهَبَتْ هَذِهِ الْمَسَاحَةُ الْمَبْرُورَةُ فَرْقَهَا ، وَنَقُوسِ أَمْنَتِ الْمُوَازَنَةِ مِنْ تِلْكَ التَّيَبَاتِ بِحِسَابِهَا ، وَوَنَقَتْ بِالنِّجَاحَةِ فِي تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنْ شِدَّةِ طَالِبٍ يَأْبَى أَنْ يُفَارِقَ إِلَّا بِهَا ، وَلِيَتَوَقَّفُوا عَلَى رُفْعِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ ، وَيَتَيَمَّنُوا بِمَا شَمِلَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ وَالْمَنْ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ ، فَقَدْ تَصَدَّقْنَا بِهَذِهِ الْبَوَاقِ الَّتِي أَبَقَتْ لَنَا أَجْرَهَا وَهِيَ أَكْمَلُ مَا يُقْتَنَى ، وَخَفَّفَتْ أَنْثَالَ رَعَايَانَا وَذَلِكَ أَجْمَلُ مَا بِهِ يُعْتَنَى . وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى هَذَا الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ اعْتِمَادُ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حَدِّهِ وَرَسْمِهِ ، وَيُعْفَى آثَارَ هَذَا الْبَاقِ الْمَذْكُورِ بِحُجُورِ رَسْمِهِ وَاسْمِهِ ، بِحَيْثُ لَا يَتْرَكَ لِهَذِهِ الْبَوَاقِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَمْوَالِنَا أَنْتِسَابٌ ، وَلَا يَبْقَى لَهَا إِلَى يَوْمِ الْعَرْضِ عَرْضُ نُورِدِهِ وَلَا حِسَابٌ ، وَانْخَطَ الشَّرِيفُ شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ حِجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .



وَهَذِهِ نَسْخَةُ مَسَاحَةِ بِمَكُوسٍ عَلَى جِهَاتٍ مُسْتَقْبَحَةٍ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ، وَإِبْطَالِ الْمَنْكَرَاتِ ، كُتِبَ بِهَا فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ » أَيْضًا فِي شَهْرِ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِئَةَ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدِّينَ الْحَمْدَ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَى أَثْبَتِ عِمَادٍ ، وَأَصْطَفَانَا لِإِشَادَةِ أَرْكَانِهِ وَتَتَفِيدِ أَحْكَامِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ ، وَسَهَّلَ عَلَيْنَا مِنْ إِظْهَارِ شَعَائِرِهِ مَا رَامَ

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا تَسْهِيلَهُ فَكَانَ عَلَيْهِ صَعْبُ الْإِقْيَادِ ، وَأَدَّخَرْنَا مِنْ أَجُورِ نَصْرِهِ أَجَلَ مَا يُدْخِرُ لِيَوْمٍ يَفْتَقَرُ فِيهِ لِصَالِحِ الْإِسْتِعْدَادِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ بَلَّغَتْ مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْحَقِّ الْمُرَادِ ، وَأُنْحَدَتْ نَارَ الْبَاطِلِ بِمُظَافِرَتِنَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ شَدِيدَةُ الْإِقْقَادِ ، وَنَكَّسَتْ رُءُوسَ الْفَحْشَاءِ فَعَادَتْ عَلَى أَسْتَحْيَاءِ إِلَى مُسْتَسْنِيهَا أَقْبَحَ مَعَادٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَطَّرَ فِي صَحَائِفِنَا مِنْ غُرَرِ السَّيْرِ مَا تَبَقَى بِهِجْتُهُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَجِدُّهَا الْعَبْدُ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَتَسْرَى أَنْوَارُ هَدْيِهَا فِي الْبَرَايَا فَلَا تَزَالُ آخِذَةً فِي الْإِزْدِيَادِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْإِنْدَارِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ، وَالْإِعْذَارِ إِلَى مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكِينَ فَأَوْضَحَ لَهُ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ أَهْلَ الرَّدَّةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ أَحْسَنَ تَرَدُّدٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمَّمَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ سَائِرَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ لِلْجَاهِدِينَ وَنَفْسَهُ لِلْجِهَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَافَعَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا بَرِحَ فِي جِدَالٍ عَنْهُ وَفِي جِلَادٍ ، صَلَاةٌ تَهْدِي إِلَى السَّدَادِ ، وَتَقُومُ الْمُعْجُجَ وَتُثَقِّفُ الْمَيَّادِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْدُ مَلَكَا أُمُورَ خَلْقِهِ ، وَبَسَطَ قُدْرَتَنَا فِي التَّصَرُّفِ فِي عِبَادِهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِحَقِّهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا الْقِيَامَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، وَفَهَّمَنَا أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضُ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلَائِقِ قَبْضَتَيْنِ فَرَعَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ قَبْضَةِ يَمِينِهِ ، وَالْقِيَامَ إِلَيْنَا مِنْ مَقَالِيدِ الْمَمَالِكِ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْنَا بِتَمْكِينِ الْبَسْطَةِ وَعَدَمِ الْمَشَاقِقِ فِي ذَلِكَ ، وَمَهَّدَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا عَلَى غَيْرِنَا تَوَعَّرَ ، وَأَعَدَّ لَنَا مِنَ النَّصْرِ مَا أَجْرَانَا فِيهِ عَلَى عَوَائِدِ لُطْفِهِ لَا عَنْ مَرَحٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَنْ خَدٍّ مُصْعَرٍّ - أَلْهَمْنَا إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازَ الْحَلَالِ وَإِذْلَالَ الْحَرَامِ ، وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَأَنْ لَا تَخْتَارَ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارُ الدُّنْيَا ، فَلَمْ تَزَلْ تُقِيمُ

للدِّينِ شِعَارًا ، وَنَعْنَى لِلشَّرِّكَ آثَارًا ، وَنُعَلِّنُ فِي النَّصِيحَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْرًا وَإِسْرَارًا ، وَنَتَّبِعُ أَثَرَ كَرَمِ نَقْتَفِيهِ ، وَمُطَوِّلِ بَحْقِهِ نُوفِيهِ ، وَنَعْلَمُ حَقَّ قُرْبَةِ نُسَيْدِهِ ، وَنَحْنُ لَا أَسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ نُؤَيِّدُهُ ، وَذَا كُرْبَةٍ نَفْرِجُهَا ، وَغَرِيْبَةٍ نَخْشَاءُ أَسْتَظَرِّدُ مِنْ أَدْوَارِ الْحَقِّ نُخْرِجُهَا ، وَسَنَّةَ سَيِّئَةٍ تَسْتَغِيْظُ النُّفُوسَ زَوَالَهَا فَتَجْعَلُهَا هَبَاءً مَنْثُورًا ، وَجَمَلَةً عَظِيْمَةً أُسِّسْتُ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا فَيَحْطِمُهَا كَرْمُنَا فَتُؤْدَى الْإِجْزَاءُ عَنْهَا مَوْفُورًا ، فَاسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ فِي مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ مَمْلَكَةِ مَمْلَكَةٍ ، وَأَسْتَظَرِّدُنَا فِي إِبْطَالِ كُلِّ فَاحِشَةٍ مُؤَبِّقَةٍ مُهْلِكَةٍ ، فَعَفَّيْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالْأَيْدِي الْمَصْرِِيَةِ مَا شَاعَ خَبْرُهُ ، وَظَهَرَ بَيْنَ الْأَنْامِ أَثَرُهُ ، وَطُبِّقَتْ بِحَاسِنِهِ الْآفَاقُ ، وَلَهَجَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الدُّعَاءِ وَالرَّفَاقِ : مِنْ مُكُوسِ أَبْطُلَانِهَا ، وَجِهَاتِ سُوءِ عَظْلَانِهَا ، وَمِظَالِمِ رَدْدَانِهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَزَجْرَانِهَا عَنْ غِيْبِهَا وَجَهْلَانِهَا ، وَبَوَاقِ سَاحِنِهَا بِهَا وَتَمَحُّنِهَا ، وَطَلِبَاتِ خَفَّفَانَا عَنْ الْعِبَادِ بِتَرْكِهَا وَأَرْحَانِهَا ، وَمَعْرُوفِ أَقْنَا دَعَائِمِهِ ، وَبُيُوتِ اللَّهِ عِزِّهِ وَجَلَّ أَثَرُنَا مِنْهَا كُلِّ نَائِمَةٍ ، ثُمَّ بَثَّنَا ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَنَيْنَا ثَمَرَاتِ النُّصْرَةِ مِنْ شَجَرَاتِ الْعَدْلِ الَّتِي هِيَ بَيْدٌ يَقْطِنُهَا مَغْرُوسُهُ .

وَمَا أَتَّصِلُ بِعِلْمِنَا الشَّرِيفَةِ أَنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَةِ آثَارَ سُوءِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا ، وَمَوَاطِنَ فِسْقٍ لَا يَقْدِرُ غَيْرُنَا عَلَى دَفْعِ ضَرَرِهَا وَضَيْرِهَا ، وَمَقَاطِنَ آثَامٍ يَجِدُ الشَّيْطَانُ فِيهَا مَجَالًا فَسِيحًا ، وَقُرَى لَا يُوجَدُ بِهَا مِنْ [كَانَ] إِسْلَامُهُ مَقْبُولًا وَلَا مِنْ [كَانَ] دِينُهُ صَحِيحًا ، وَنَحْمُورًا يُتَظَاهَرُ بِهَا ، وَيَتَّصِلُ سَبَبُ الْكَبَائِرِ بِسَبَبِهَا ، وَتُشَاعُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ مُجْهَرًا ، وَتُبَاعُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَا يُوجَدُ لِهَذَا الْمُنْكَرِ مُنْكَرًا ، وَيُحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِمَقَرَّاتٍ تُنْتِجُ لَا تُجْدِي نَفْعًا ، وَتَبْقَى فِي يَدِ آخِذِهَا كَانَهَا حَيَّةً تُسْمَى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانةٌ عبر عنها بالأفراح قد تطاير شررها ، وتفاقم ضررها ، وجوهر فيها بالمعاصي ، وآذنت لولا حلم الله وإمهاله بزلزلة الصياصي ، وغدت لأهل الأهوية مجمعا ، ولذوى الفساد مربعا ومرتعا ، يتظاهر فيها بما أمر بسستره من القاذورات ، ويؤقى بما يجب تجنبه من المحذورات ، ويُسَرِّس في الأفراح بها بما يؤدى إلى غضب الجبار ، وتهافت النفوس فيها كالقراش على الاقتحام في النار .

ومنها - أن المستجون إذا سُجِن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب ، وإذا أفرج عنه ولو في يومه آتقلب إلى أهله في الخسارة بشر منقلب ، فهو لا يجد سرورا بفرجه ، ولا يحمد عقي مخرجه .

ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سُكَّانها يُعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلبا ، ولا خالط لهم لبًا ، ولا أظهروا له بينهم شعارا ، ولا أقاموا له منارا ، بل يُحالفون أحكامه ، ويجهلون حلاله وحرامه ، ويخلطون ذبايحهم بذبايح المسلمين ، ومقابرهم بمقابر أهل الدين ، وكل ذلك مما يجب ردعهم عنه شرعا ، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وفرعا ، فعند ذلك رغبتنا أن نفعل في هذه الأمور ما يبقى ذكره مفخرة على ممر الأيام ، وتدوم بهجته بدوام دولة الإسلام ، ونمحو منه في أيامنا الشريفة ما كان على غيرها به عارا ، ونسترجع للحق من الباطل ثوبا طالما كان لديه معارا ، وثبتت في سيرة دولتنا الشريفة عوارف لا تزال مع الزمن تُذكر ، وتتلو على الأسماع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال بالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا وزاجرا ، ولامثال أوامر الله تعالى مُسارعا ومبادرا - أن يُبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره :

<p>سجن الأقباص المحدث بأمر أقباص الديوان المعمور التي كان فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أعفوا عن العمل وقدر عليه في السنة لل</p>	<p>السجون بالمملكة الطرابلسية خارجا عن سجن طرابلس بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها عالم</p>	<p>جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجا عما لعله يستقر من ضمان الفرع الخ . وتقديرها للم</p>
<p>حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عمن كان معا في حصنها وتقدير متحصل ذلك للم</p>	<p>عفاية الشام بمكور طرابلس واقفة والسرون وما معه بحكم أن المذكورين كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قزر على ذلك في السنة عالم</p>	<p>أقباص للأمراء بحكم أن بعض الأمراء كان لهم جهات زرع أقباص وقزروا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل . وتقدير ذلك للم</p>
<p>المستحدث إقطاعا من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم تجربه عادة : من حشيش وملح وضيافة . وتقديره للم</p>	<p>ضمان المشعل بطرابلس مما كان أولا بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة وسبعائة وتقديره للم</p>	<p>هبة الشاذ بنواحي الكهف تشد فيما كان يستأدى من كل مدير وتقدير متحصله للم</p>

فليُطْلَ هذا على مَمَرِ الأزمنة والذهور، إبطالاً باقياً إلى يوم التشور، لا يُطْلَب ولا يُسْتَادَى، ولا يَبْلُغُ الشيطانُ في بهائِهِ مُراداً .

ويُقرأ مرسومنا هذا على المنابر ويُشاع ، وتُسْتَجَلَبُ لنا منهم الأدعية الصالحة فإنها نعم المناع .

وأما النصيرية فليُعمروا في بلادهم بكل قرية مسجداً، ويُطلق له من أرض القرية رُقعة أرض تقومُ به . ومن يكون فيه من القوام بمصالحه على حَسَب الكفاية، بحيث يستفِز الجناح الفلاني نائب السلطنة بالملكة الطرابلسية والحصون المحروسة ضاعف الله تعالى نعمته من جهته من يثق إليه لإفراد الأراضى وتحديدِها وتسليمها لأئمة المساجد المذكورة، وفصلها عن أراضى المُتَطْعين وأهل البلاد المذكورة ويعملُ بذلك أوراقاً وتُخلَّد بالديوان المعمور حتى لا يبقى لأحد من المُتَطْعين فيها كلام، ويُنادى في المُتَطْعين وأهل البلاد المذكورة بصورة ما رسمنا به من ذلك .

وكذلك رسمنا أيضاً بمنح النصيرية المذكورين من الخطاب وأن لا يُمكنوا بعد ورود هذا من الخطاب جملة كافية ، وتؤخذ الشهادة على أكابرهم ومشايخ قراهم لئلا يعود أحدٌ منهم إلى التظاهر بالخطاب ومن تظاهر به قُوبِلَ أشدَّ مقابلة .

فلتُعتمد مراسمتنا الشريفة ولا يُعدَّل عن شيء منها ، ولتُجرِ المملكة الطرابلسية مجرى بقية الممالك المحروسة في عدم التظاهر بالمنكرات، وتعفيه آثار الفواحش وإقامة شعائر الدين القويم : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِمَّا عَلَى اللَّهِ يُدْلُوهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بالمساحية في جميع المراكز بما يُستأدى على الأغنام الدغالي الداخلية إلى حلب ، وأن يكون ما يُستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة ، من إنشاء المقتر الشهابي بن فضل الله ، مما كُتب به في شهور سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله ذي المواهب العظيمة ، والعطايا التي لا تُجود بها يد كريمة ، والمِن التي عَوَّضنا منها عن كل شيءٍ بخيرٍ منه قيمة ، والمساحية التي ادَّخر لنا بها عن كل مال حُسْنَ مَالٍ وبِكُلِّ غَنَمٍ غَنِيمَةً .

نحمده على نِعَمِهِ التي عَدَتْ على كثرة الإنفاق مُقِيمَةً ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم من سَمَحَ وسامح في أمورٍ عظيمة . صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً مستديمة ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فبِئْسَ مَا كُنَّا اللَّهُ لَمْ تَزَلْ نَرْغَبُ إِلَيْهِ ، وَنَعَامِلُهُ بِمَا نَهَبَهُ لَهُ وَنَزَجَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُنْقِ مَمْلَكَةً مِنْ مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى سَامَحْنَا فِيهَا بِأَمْوَالٍ ، وَسَامَيْنَا فِيهَا بِنَفْعٍ أَرْضَهَا السُّحْبُ الثَّقَالُ ، وَكَانَتْ جِهَةُ الْعِدَادِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيبَةِ الْمَحْرُوسَةِ مُثْقَلَةً الْأَوْزَارِ بِمَا عَلَيْهَا ، مَشْدُودَةً النَّطَاقِ بِمَا يَغْلُ مِنَ الطَّلَبِ يَدَيَهَا ، مِمَّا هُوَ عَلَى التَّرْكَانِ بِهَا مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى عِدِيدِهِمْ عَدَدُهُ مَنْسُوبٌ ، وَنَحْنُ نُنْظَنُ فِي جَمَلَةٍ مَا أَسْقَطَتْهُ مَسَامِحَتُنَا الشَّرِيفَةُ وَهُوَ مِنْهُمْ مَطْلُوبٌ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْدَغَالِيِّ زَائِدًا عَلَى الرُّعُوسِ الْكِبَارِ ، وَمَعْدُودًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكِبَائِرِ وَهُوَ فِي حِسَابِ الدَّوَاوِينِ مِنَ الصَّغَارِ ، فَلَمَّا آتَصَلَ بِنَا أَنْ هَذِهِ الْمَظَالِمَةُ مَا أَنْجَلَى عَنْهُمْ ظُلْمُهَا ، وَلَا رَفَعَ مِنَ الْحِسَابِ عَنْهُمْ قَلْمُهَا - أَكْبَرْنَا مَوْقِعَ بَقَائِهَا ، وَعَلِمْنَا أَنَّهَا مَدَّةٌ مَكْتُوبَةٌ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى أَنْقِضَائِهَا ، وَاسْتَجْلَبْنَا قُلُوبَ

طوائف التُّركان بها ، وأوثقنا أسبابهم في البلاد بسببها ، لأمرين كلاهما عظيم :
لرغبتنا فيما عند الله ولما لهم من حقٍّ ولأئٍ قديم ، كم صاروا مع الجيوش المنصورة
جُيوشاً ، وكم ساروا إلى بلاد مُلوك الأعداء فثَلُّوا لهم عُروشاً ، وكم كانوا على أعقاب
العساكر المؤيدة الإسلامية ردفاً ومقدمتهم في محاصرة جاليشا ، وكم قَتَلُوا بسببهم
كافراً وقدَّموا لهم رِماحهم نَعوشاً ، ومنهم أمراء وجنود ، ونُزُولٌ ووُفُودٌ ، وهم وإن
لم يَكُونُوا أَهْلَ خِباء فهم أَهْلُ عَمُودٍ ، وذُؤُوءٌ أنسابٍ عريقة ، وأحسابٍ حقيقه ،
إلى القَبْجاق الخُلَّص مرجعهم ، والفُرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمُّعهم - فاقضى
رأيتُ الشريف أن نرعى لهم هذه الحقوق بباطال تلك الزيادة المرادة ، وأن نتناسى
منها ما هو في العدد كالنسيء في الكُفْر زيادته .

فرسم بالأمر الشريف - لا زالت مواهبه تشمَل الآفاق ، وتزيد على الإنفاق ،
وتقدِّم ما ينفد إلى ما هو عند الله باق - أن يُسَاحَ جميع التُّراكين الدَّاخلِ عِدَادهم
في ضِمَانِ عِدَادِ التُّركان بالملكة الحلبية المحروسة بما يُستأدى منهم على الأغنام الدغالى ،
وأن يكون ما يُستخرج منهم من العدد على الكِبار خاصَّةً : وهو عن كل مائة رأس
كبار ثلاثة أُرُوس كبار خاصَّةً لا غير من غير زيادةٍ على ذلك ، مساحةً مستمَّرة ، دائمةً
مستقرَّة ، باقيةً بقاء الليالى والأيام ، لا تُبدَّل لها أحكام ، ولا تتغيَّر بتغيُّر حاكم من
الحُكَّام ، نرجو أن تُسرَّ بها في صحائف أعمالنا يوم العَرْض ، لا يتأَوَّل فيها حِسَاب ،
ولا تمتد إليها [يُد] حُسَاب ، ولا يبقى عليها سبيلٌ للدواوين والكتَّاب ، ولا تُسَيَّب
أغنامهم ليرعاها منهم أولئك الذئاب ، كُلُّها مرَّةً على هذه المساحة زمانٌ أكَّد أسبابها ،
وبيَّض في صحائف الدفاتر حِسَابها ، لا تُعارض ولا تُناقض ولا يتأَوَّل فيها متأوِّل
في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ، ولا يدخل حُكْمها في النسيان ، ولا يُنْقَص
أجرها المضمون ، ولا تُطلَب أصحاب هذه الدغالى عليها بعداد في قرن من القرون ،

ولا يُستحقَّر بما يُستأدَّى منها جليلاً ولا حقيراً ، ولا يَسْمَح لنفسه من قال إنها صغيرة
وهي عند الله كبيرة : لتطيب لأهلها ومن تَسَامَع بما شَمِلهم من إحساننا الشريف
النُّفوس ، ولا تُصدِّع لهم بسبب هذا الطَّلَب رُءُوس ، فمن تعرَّض في زماننا أمدنا
اللهُ بالبقاء أو كَشَف في هذه الصدقة الجارية وجهَ تأويل ، أو سكن فيها إلى مداومة
بقليل ، أو طَلَب من ظالم بعينه مُداواة قوله العليل ، فسيجد ما يُصْبِح به مثله ،
ويتوبُّ به مثله ويكون لمن بعده عِبْرَةٌ بمن قُدِّم قبله ، ونحن نبرأ إلى الله ممن يتعرَّض
بعدنا إلى نقضها ، وهذه المسامحة عليه حجتنا التي لا يقدر عند الله على دحضها .

ولتُقرأ على المنابر وتُعلَّ كلمتها ، وتمتدَّ في أفطار الأرض كما أمتدَّ السحابُ ترَحُّمها ،
وسيل كل واقفٍ عليها من أرباب الأحكام : أصحاب السيوف والأقلام ، ومن
يتناوبُ منهم على الدَّوام ، العملُ بما رسمنا به واعتماداً ما حكم بموجبه ، بعد الخط
الشريف شرفه الله تعالى أعلاه . إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثانية — من المسامحات أن تُكَتَّب في قطع العادة مفتوحةً برسم
بالأمر الشريف .

وغالب ما يُكَتَّب ذلك للتَّجار الخواجكية بالمسامحة بما يلزمهم من المكُوس
والمقرَّرات السلطانية عن نظير ثمن ما يُبتاع منهم من الممالك .

والعادة أن يكتب في طُرَّتِها « توقيعُ شريفٍ بمسامحة فلان بما يجبُ عليه من
الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية » بحسب ما يُرسم له به .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف — لا زال يُتَّبَع السَّماحُ بمثله ، ويشمل الرعايا كلَّ وقتٍ
في ممالكه الشريفة بعدله ، ويواصل إليهم رفقته ورفده فلا يبرحون في مهادٍ من

نِعْمِهِ وإِسْعَادٍ مِنْ فَضْلِهِ - أَنْ يُسَاحَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ (إِلَى آخِرِ الْقَابَةِ) أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى رَفْعَتَهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقُوقِ الدِّيَوَانِيَةِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَةِ، فِيمَا يَبِيعُهُ وَيَتَبَاعُهُ وَيَتَقَوَّضُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَصْنَافِ خَلَا الْمُنَوَّعَاتِ : صَادِرًا لِأَغْيَرٍ أَوْ صَادِرًا وَوَارِدًا، بِنَظِيرِ الْمَالِكِ الَّذِينَ ابْتَاعَهُمْ بِرِسْمِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِكَذَا وَكَذَا أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَلْيَعْتَمِدْ هَذَا الْمَرْسُومَ الشَّرِيفُ كُلُّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُ بِحَسْبِهِ وَمَقْتَضَاهُ ، مِنْ غَيْرِ عُدُولٍ عَنْهُ وَلَا نُخْرُوجَ عَنْ حُكْمِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وَهَذِهِ نَسْخَةُ دَعَاءٍ آخَرٍ يَفْتَتَحُ بِهِ تَوْقِيعُ مَسَاحَةِ ، وَهُوَ : لَا زَالَتْ نِعْمَةُ عَمِيمِهِ ، وَسَجَايَاهُ كَرِيمِهِ ، وَمَوَاهِبُهُ فِي الْآفَاقِ سَائِرَةٍ وَفِي الْأَقْطَارِ مُقِيمَةٍ ، أَنْ يُسَاحَّ فَلَانُ بِكَذَا وَكَذَا . آخِرُ : لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَحَقُّقُ وَسَائِلُ طَالِبِهَا ، وَأَوَامِرُهُ الْمَطَاعَةُ نَافِذَةٌ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، أَنْ يُسَاحَّ فَلَانُ بِكَذَا وَكَذَا .

قُلْتُ : وَالْعَادَةُ فِي مَسْتَدِّ ذَلِكَ أَنَّهُ تُحَضَّرُ بِهِ قَائِمَةٌ مِنْ دِيَوَانِ الْخَاصِ الشَّرِيفِ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا كَاتِبُ السَّرِّ بِالتَّعْيِينِ ، وَيُخَلِّدُهَا كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ عِنْدَهُ شَاهِدًا لَهُ بِذَلِكَ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْمُسْتَنَدَاتِ .

الضرب الثاني

(مَا يُكْتُبُ عَنْ نَوَابِ السُّلْطَنَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ)

وِغَالِبُ مَا يَكُونُ فِي مَسَاحَاتِ التِّجَارِ بِمَقَرَّرٍ مَا يَتَبَاعُونَهُ أَوْ يُشْتَرُونَهُ ، أَوْ يَقْدَرُ مَعِيْنٌ يَحْصُلُ الْوَقُوفُ عِنْدَهُ ، وَيَعْبَرُ عَمَّا يُكْتُبُ فِيهِ بِالتَّوَاقِعِ كَمَا فِي الْوِلَايَاتِ عِنْدَهُمْ ، وَأَكْثَرُ مَا يُفْتَتَحُ بِرِسْمِ الْأَمْرِ .

وهذه نسخة مرسوم شريف بمساحة كتب بها عن نائب الشام في الدولة الناصرية «فرج» لخواجه محمد بن المزلق، وهى :

رسم بالأمر العالى - لا زال قصد ذوى الحقوق عنده ناهجا، وإحسانه للقرب إليه مساحا - أن يسامح الجنب العالى، الصدى، الكبيرى، المحترمى، المؤتمنى، الأوحدى، الأكلى، الرئيسى، العارى، المقررى، الخواجكى، الشمسى، محمد الإسلام والمسلمين، شرف الأكر فى العالمين، أوجد الأئمة المقربين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، عين الأعيان، كبير الخواجكيه، سفير الدوله، مؤتمن الملوك والسلاطين: محمد بن المزلق، عين الخواجكية بالملكة الشريفة الشامية المحروسة - أدام الله تعالى نعمته - بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالطرق المصيرية، وجميع البلاد الشامية المحروسة والركاه بدمشق، وحلب، وطرابلس، وحماة، وصفد، وغزة، وخص، وبعبك المحروسات، والبروك، والمقطعين، وقطيا، مما يبيعه ويتباعه ويتعوضه من جميع الأصناف خلا المنوعات صادرا وواردا، ويؤمن عليه بقيمة ما يشتره بما مبلغه من الدراهم النقرة الجيدة مائتا ألف درهم، ولا يطالب عن ذلك بحق من الحقوق ولا بمقرر من المقررات، مساحة باقية مستمرة، دائمة أبدا مستقرة، لا ينتقض حكمها، ولا يغير رسمها، لخدمته الدول على اختلافها، ولبلغته فى التقرب بما يرضى الخواطر الكريمة وينفع الناس بما يحضره من أنواع المتاجر وأصنافها، ولاستحقاقه لهذا الإنعام، ولاختصاصه به دون الخاص والعام .

فليتق ذلك بالحمد والابتهال، والله تعالى يبلغه من مزيد إنعامنا الآمال، والاعتماد فى معناه، على الخط الكريم أعلاه . إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة السادسة

(فيما يكتب من الإطلاقات : إما تقريراً لما قرره غيره من الملوك السابقة ، وإما ابتداءً لتقرير ما لم يكن مقرراً قبلاً ، وإما زيادةً على ما هو مقرّر ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب فى قطع الثلث مفتوحاً بالحمد لله ، وهو أعلاها)

وهذه نسخة توقيع شريف باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسفُ
ابنُ أيوب بالديار المصرية للعمريين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، كُتب به فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابي بن
فضل الله ، وهى :

الحمد لله الذى أبدأ الجميل وأعاده ، وأجرى تكريمنا على أبجل عاده ، وقفى بنا آثار
الذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

نحمده على أن جعل جودنا المقدم وإن تأخر أياما ، والمطيب لذكر من تقدم حتى
كأنما حاله مثل المسك ختاماً ، والصيب الذى تقدمه من بواد الغيث قطر ثم استهل
هو نعماً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرفع أعلامها ونمنع
أن تطمس الليالى لمن جاهد عليها من ملوك الزمان أعلاماً ، ونشهد أن سيدنا محمداً

عبدُه ورسوله الذى هَدَى به إلى أوضح المسالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فتحوا من الأرض ما وعد أنه سيبلغ مُلك أُمته إلى ما زوى من ذلك ، وسلم . وبعد ، فإن أفضل النعم ما قرِن بالإدامه ، وأعظم الأجور [أجر] من سنِّ سنة [حسنة] فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأحسن الحسنات ما رَغِبَت السلف الصالح في خَلْفهم ، وأمرت بأيديهم ما حازوه من ميراث سلفهم ، وكان المولى الشهيد الملك الناصر صلاح الدين ، منقذ بيت المقدس من المشركين ، أبو المظفر يوسف بن أيوب - قدس الله روحه - هو الذى كان على قواعد العمرين بانيا ، والفتاح لكثير من فتوحات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتوحا ثانيا ، ولما اعلى الله بمصر دولته المنيه ، ومحا به من البدع الإسماعيلية عظام كثيره ، حبس ناحية « شِباس الملح » وما معها جميع ذلك بحده وحدوده وقريبه وبعيده ، وعامره وغامره ، وأوله وآخره ، على المقيمين بالحرمين الشريفين من الذرية العمرية ، كما قاله فى توقيعه الشريف المكتتب بالخط الفاضل عمر الأنام ، وأتفى بهداه بعده من إخواننا الصالحين ملوك الاسلام ، بخدنا لهم هذا التوقيع الشريف تبركا بالمشاركة واستدراك ما فاتنا مع سلفهم الكريم بالإحسان إلى أعقابهم . ومرسومنا أن يحملوا على حكم التوقيع الشريف الصلاحى وما بعده من توقيعات الملوك الكرام ، ولا يغيروا عليهم فيه مغير من عوائد الإكرام ، ولا يقبل فيهم قول معترض ولا تتعرض إليهم يد متعرض ، ولا يفسح فيهم لمستعص إن لم يكن رافضا فإنه برفض حقهم مترفض ، وليعامل الله فيهم بما يزيد جدتهم رضى الله عنه رضا ، ويحبس تحبسا ثانيا لولانا لقيال لمن يطالب بها كيف تطالب بشيء مضى مع من مضى ، ونحن نبرأ إلى الله من سعى فى نقضها بسبب من الأسباب ، أو مد فيها إلى فتح باب ، أو تأول فى حكم هذا الكتاب عليهم وقد وافق حكم جدتهم حكم الكتاب ، وأن لا يقسم شيء من ريع

هذه الناحية على غير المقيمين منهم بالحرمين الشريفين . ومن خاف على نفسه في المقام فيهما من كان في أحدهما ثم فارقه على عزم العود إلى مكانه ، وأقام وله حينئذ إلى أوطانه ، ولم يُلْهِهِ استبدال أرض بأرض وجيران بجيران عن أرضه وجيرانه ، إتباعا لشرطها الأول بمثله ، وآتباعا فيها (؟) فاز مع السابقين الأولين بمزيد فضله .

وليكن النظر فيه لأمثل هذا البيت من المستحقين لهذا الحبس كابرًا عن كابر ، ناظرًا بعد ناظر ، آتباعا للراد الكريم الصلاحى في مرسومه المقدم ، وتفسيرًا لمن لا يفهم ، من غير مشاركة معهم لأحد من الحكام ، لأرباب السيوف ولا أرباب الأقلام : لنكون نحن ومحسبها - أثابه الله على هذه الحسنة - متناصرين ، ولتجد البقية التى قد ناصرها ناصرين الناصر الأول منهما بتناصرين ، وليحذر من تتبع عليهم تأويلا ، ومن وجد في قلبه مرضا فأعداهم به تعليلا ، فاستبناه لتأويل حصل عليهم ، ولا لتعليل المراسيم الملوكية التى هى في أيديهم ، وإنما هو بمثابة إسجال أتصل من حاكم إلى حاكم ، وسيف جددنا تقليده ليضرب به على يد الظالم ، وجود أعلمنا من يحىء أنه على مدى الليالى والأيام ضرب لازم ، وفضل إن تقدمنا إليه من الملوك الكرام حاتم ، فإن كرمنا عليه حاتم ، فقد نبهوا رحمهم الله مكافأة على إحسانهم إلى الذرية العمرية عمرا ، ثم ماتوا وأحالوا على جودنا الحمدي فإنهم ببركات من سميننا باسمه صلى الله عليه وسلم لأنواع الحسنات أسرا . فكان توقعنا هذا لهم بمنزلة الخاتمة الصالحة ، والرحمة التى أربت أوائلها على الغيوث الساخفة ، فلقد تداركنا رفق برهم المعلل ، ولحقنا سابق معروفهم فلم نتمهل ، وأعدنا ما بدأوا به من الجميل فتكمل ، وقرنا مراسيمنا المطاعة بعضها ببعض وربما زاد الآخر على الأول ، فأمددناها منه بما لو لم يكن مداده أعز من سواد القلب والبصر لما كان قرة عين لمن يتأمل : يرتفع عن هذه الناحية وعمر فيها كل كارث كارث ، ويزال عنهم إلا ما يكون من مجدّدات

الخير خيرَ حادثٍ ، ويعلمَ الملِكُ المتقدِّمان أماننا أن نُعزِّزَ بثالث . وجميع الثواب والولاية والمتصرفين ، والمُسارِعِينَ إلى الخيرات ونعوذُ بالله من المتوقِّفين ، ومن يدخلُ في دائرة الأعمال ، وينضمُّ إلى راية العَمَلِ ، فانا نُحذِّره أن يتعرَّضَ فيها إلى سوء مآل ، أو يردَّ منها يده إلى جيبه بمال ، أو يُسَوِّشَ على أهلها ما استقاموا على أحسن حال ؛ وإن يحمِّدَ الله من تقدَّمتنا من الملوك وأنَّبَعُوا فيه التوفيقَ في علاماتهم فإنا نحمِّدُه وهو أَمَلُنَا ولنا في الغيبِ آمال ، والله تعالى يجعلُ هذه الحسنةَ خالصةً لوجهه الكريم ، معوِّضةً منه بالثواب العظيم ، واصلهً بالرحمة لرميم هذا البيت القديم ، إن شاء الله تعالى ، والاعتماد

المرتبة الثانية

(ما يُفتتح به «أما بعد حمد الله»)

وهو على نحو ما تقدَّم في الولايات : إما في قُطْعِ الثُلث أو في العادة المنصوريَّة .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أيماننا مطلقاً للسَّعاده ، وجعل لأوليائِها ، من إحساننا الحُسنى وزيادته ، وأضفى حُلَّ بهائِها ، على من لم يجتمع لغيره ما آجتماع له من أوصاف السَّياده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي شيد الله به مباني الدين الحنيفي ورفع عِمادَه ، ونصر جيوش الإسلام ومهد مِهاده ، وعلى آله وصحبه الذين مامنهم إلا من جعل طاعته ونصرتَه عمدته وأعتاده ، وأتخذ مظافرتَه ومؤازرتَه في كل أمر عتاده ، صلاةً مستمرةً على كَرِّ الحديدِين إلى يوم الشَّهاده - فإنَّ أولى من تلحظه دولتنا الشريفة في أقبالها بمزيد إقبالها ، وتعلي قدره إلى غاية

تَقْصُرُ الْأَفْلاكَ عَنْ إِدْرَاكِ مَنَارِهَا وَبَعْدَ مَنَازِلِهَا ، وَتُضَاعِفُ لَهُ أَسْبَابَ الْإِحْسَانِ مِنْ حُسْنِ نَظَرِهَا وَاشْتِمَائِهَا ، وَتُشَيِّدُ مَبَانِيَ عِزِّهِ فَلَا تَصِلُ يَدُ الزَّمَنِ إِلَى بَعْضِ تَصَرُّمِهَا ، وَتُسَبِّغُ مَلَابِسَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَيَخْتَالُ فِي أَضْفَايَا وَمُعَلِّمِهَا ، وَتُجَدِّدُ مِنْ مَزَايَا جُودِهَا مَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَزَاءُ عَمَّا أَسْلَفَهُ مِنْ خِدْمِهَا - مَنْ نَظَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهَا الْمَنْصُورَةِ فَأَحْسَنَ النَّظَرَ ، وَعَضَّدَ أَنْصَارَهَا بِآرَائِهِ الَّتِي تُشْرِقُ بِهَا وَجْهُ الْأَيَّامِ بِإِشْرَاقِ الدَّرَارِيِّ وَالذَّرَرِ ، وَأَضْحَى لَهُ فِي الْعُلَيَاءِ الْمَحَلُّ الْأَيْمِلَ ، وَالْمُنَاقِبُ الَّتِي هِيَ كَالنَّهَارِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَالسِّيَادَةُ الَّتِي تَكْسُو الزَّمْنَ حُلُلَ الْبَهَاءِ فَيَجْرُ مِنْهَا عَلَى الْحَجَرَةِ ذِيلاً ضَافِياً ، وَالْمَآثِرُ الَّتِي لَوْلَا مَا أَحْيَيْتَهُ مِنْ مَعَالِمِ الرَّاسَةِ كَانَ طَلَّلاً عَافِياً ، مَعَ مَا لَهُ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي تَشْكُرُهَا الْأَيَّامُ وَالذُّوُلُ ، وَإِلْخِدَمِ الَّتِي كَمْ بَلَغَ بِمَخَالَصَتِهِ فِيهَا مِنْ قَصْدٍ وَأَمَلٍ ، وَالسَّجَايَا الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ عَلَيْهَا حُلُلًا مِنَ الثَّنَاءِ وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى الْحُلُلِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي تَحَلَّى مِنْ هَذَا الثَّنَاءِ بِدَرِّهِ الثَّيْنِ ، وَتَلَقَّى رَايَةَ هَذَا الْمَجْدِ كَمَا تَلَقَّاهَا عَرَابُهُ بِالْيَمِينِ ، وَتَنَضَّدَتْ كَوَاكِبُ هَذَا الْمَدْحِ لِتَنْتَظِمَ سِلْكَ الْمَآثِرِ ، وَاتَّسَقَتْ فَرَائِدُ هَذَا الشُّكْرِ لِتُرْصَعَ عَقُوداً لِمَفَاحِرِهِ - وَجِبَّ عَلَيْنَا أَنْ نُجَدِّدَ لَهُ فِي أَيَّامِنَا مَا تَنَضَاعَفَ بِهِ أَسْبَابُ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَيَتَحَقَّقَ مِنْهُ إِقْبَالُنَا بِوَجْهِهِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِلَالَتِهِ ، وَأَضْفَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ حُلُلَ آلَائِهِ ، وَأَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ بِوُجُودِهِ رَوْنَقَ بَهَائِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ فِي الشَّهْرِ كَذَا وَكَذَا مُضَافاً إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ لَحْمٍ وَتَوَائِلٍ وَعَلِيقٍ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، فَلْيَتَلَقَّ إِحْسَانَنَا بِبِدَائِ اسْتِحْقَاقِهَا فِي الْفَضْلِ بَاعٍ شَدِيدٍ ، وَيَتَقَّ مِنْهَا بِالْإِقْبَالِ الَّذِي لَا يَزَالُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ ، وَيَتَنَاوَلُ مَا قُرِّرَ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ تَارِيخِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(مما يكتب به في الاطلاقات)

أن يكتب في قطع العادة مفتتحاً برسم بالأمر الشريف ، والرسم فيه على نحو
ما تقدم في الولايات ، وهو أن يقال : « رسم بالأمر لا زال أن يستقر
باسم فلان كذا وكذا : لأنه كذا وكذا » ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع شريف بمرتبة على الفرنج الجرجان الواردين لزيارة القدس
أنشأته لشرف الدين قاسم ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال عدله الشريف لمال الفء بين ذوى الاستحقاق
قاسم ، وفضله العميم لأولى الفضل في سلك الصلات ناظماً ، ومعروفه المعروف
لمواقع البر يؤتم علماً وبيت غانماً - أن يستقر لمجلس القاضي فلان الدين على الفرنج
الجرجان الواردين لزيارة قسامة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما أشتمل عليه :
من مبين العلم ومبين العمل وجميل السيرة ، واجتمع لديه : من طيب الذكر وجميل
الأثر وصفو السيرة ، وإقامته بالمسجد الأقصى الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى
تسدد الرحال إليها ، وإحدى القبلتين المعول فى أول الإسلام عليهما ، ومجاورة الصخرة
المعظمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرمة ، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا
القاهرة ، والابتغال إلى الله تعالى بدوام أيماننا الزاهره .

فليتناول هذا المعلوم مهناً ميسراً ، وليرج من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهرها ،
وليشهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويرمهم
بسيما الليل التى لا تحيط إن شاء الله تعالى الطغاة المتمردين ، فبذلك يستحق هذا
السهم من الفء حقاً ، ويعتد من المقاتلة الذابيين عن الإسلام صدقاً ، وليقيم على جادة

الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك برياً ، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر
يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنياً مرياً ، والخط الشريف أعلاه



وهذه نسخة توقيع شريف أيضاً أنشأه باسم بهاء الدين أبي بكر بن غانم كاتب
الدست الشريف بالشام المحروس باستمرار مرتبه على الفرنج الجرجان الواردين إلى
نغر الرملة المحروس ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسان كرمه يزين بهاء حسنه المكارم ، وكرم
إحسانه تراكم سبحانه الهامية فترى بالسيول وتهزأ بالغائم ، وفي نواله يقسم
في أوليائنا خلفاً بعد سلف فهم من فضله بين غانم وأبن غانم - أن يستقر مرتب
(١) المجلس السامى

(١) لم يذكر الطرف الثاني وهو ما يكتب عن الثواب فتنه .

الباب الثالث

من المقالة السادسة في الطرخانيات

والمرادُ بها أن يصيرَ الشخصُ مسموحاً له بالخدم السلطانية : يُقيم حيثُ شاء ، ويرتجل متى شاء : تارةً بمعلوم يتناولُه مجَّاناً، وتارةً بغير معلوم ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في طرخانيات أرباب السيف

وأعلم أن الطرخانية تُكتب للأمراء تارةً وللأجناد أخرى، وأكثر ما تُكتب لمن كبرت سنُّه وضعُفت قُدرته وعجزَ عن الخدمة السلطانية . وقد جرت العادة أن يسمَّى ما يكتب فيها مراسيم ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(أن يفتَحَ المرسوم المكتَب في ذلك بالحمد لله)

والرسمُ فيه على نحوٍ من الولايات : وهو أن تُستوفى الخطبةُ إلى آخرها، ثم يقال : وبعدُ، ثم يقال : ولما كان فلانٌ ونحو ذلك ، ثم يقال : أقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر فلانٌ طرخاناً يتصرَّف على اختياره يسيرُ ويُقيم في أيِّ مكان اختاره من بلاد المملكة ، وما يجري مجرى ذلك .

وهذه نسخة مرسوم شريف بطرخانيةٍ لأَمير ، وهي :

الحمد لله اللطيف بعباده الرُؤوف بحُلُقِه ، المانِّ بفضلِه الغامرِ بِجُودِه الجائدِ بِرِزْقِه ، المتفضِّل على العبد : في الصِّبا بصفْحِه وفي الكُهولة بعَفْوِه وفي الشَّيْخُوخة بعَفْقِه .

نُحَمِّدُهُ عَلَى أَنْ جَبَلْنَا عَلَى أَصْطِنَاعِ الصَّنَائِعِ ، وَخَصَّنَا بِرَفْعِ الْعَوَائِقِ وَقَطْعِ الْقَوَاطِعِ ،
وَأَلْهَمْنَا عَطْفَ النَّسَقِ وَإِنْ كَثُرَتْ مِمَّا سِوَاهِ التَّوَابِعِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُسَكِّنُ الرَّحْمَةَ فِي قَلْبِ قَائِلِهَا ، وَتَرْفَعُ سَطْوَةَ الْغَضَبِ عَنْ مُتَحِلِّهَا
فِي أَوَانِ السَّطْوَةِ وَأَوَائِلِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ أَوْعَدَ
فَعَقًا ، وَأَكْرَمُ رَسُولٍ وَعَدَ فَوْقِي . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا
فِي الْمَعْرُوفِ سَنَنَهُ ، وَنَهَجُوا فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ نَهْجَهُ فَكَانَ لَهُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ ، صَلَاةٌ تُقِيلُ الْعَثَرَاتِ ، وَتُلَوِّدُ لِسَانَ قَبُولِهَا ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنْ أَوَّلَى مَنْ رَمَقَتْهُ الْمَرَاحِمُ الشَّرِيفَةُ ، بَعَيْنِ عِنَايَتِهَا ، وَلِحَظَّتْهُ الْعَوَاطِفُ
الْمَنِيفَةُ ، بَلَحَظَتْ رِعَايَتَهَا ، ^(١) مَا لَا يُفَارِقُهُ وَلَا يُبَايِنُ ، وَأَنْ لَا يُحِطَّ مِنْ قُدْرِهِ الْعَالِي
بَسَبَبِ مَا أَتَّفَقَ إِذْ كُلُّ مُقَدَّرٍ كَائِنٌ ، وَأَنْ يُصَرَّفَ اخْتِيَارُهُ فِي الْإِقَامَةِ حَيْثُ شَاءَ مِنْ
الْمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ وَالْمَدَائِنِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السَّماح ، ومن كرمه بُلُوغُ النِّجَا
والتَّجَا ، ومن نِعَمِهِ الصَّفْحُ عَنِ الذَّنْبِ الْمُتَّحِ ، حَتَّى يَحْفَظَ عَلَى الْأَنْفُسِ النَّفِيسَةِ
الْأَمْوَالَ وَيُرِيحَ لَهَا الْأَرْوَاحَ ، [وَلَا يَرْجُيُ^(٢) مِنْ قِسْمَةِ الْمَكْرُمَاتِ مَا يُنْسَى بِهِ الذَّنْبُ
فَكَأَنَّهُ كَانَ بَرْقًا أَوْ مِزْجًا وَلَمْ يَحْ وَرَاحَ - أَنْ يَكُونَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ طَرَاثًا يُقِيمُ حَيْثُ شَاءَ
وَأَيْنَ أَرَادَ مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ مُعَامَلًا بِمَزِيدِ الْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ ، وَأَوْفَرَ
الْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ حَسَبَ مَا أَقْتَضَتْهُ الْمَرَاسِيمُ الشَّرِيفَةُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ مَا شَمِلَتْهُ الصَّدَقَاتُ
الْعَمِيمَةُ وَالْمَرَاحِمُ الشَّامِلَةُ بِالْعَفْوِ الشَّرِيفِ ، وَالْحُكْمِ الْمَنِيفِ ، وَالْإِقْبَالِ وَالرِّضَا ،

(١) بياض في الأصل ولعله « من أهله اخلاصه في الخدم لأن يقوم مقام الخ » .

(٢) زدنا هذه الجملة لينتسق الكلام .

والصَّفْح عَمَّا مَضَى، لِمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ تَرْفِيهِ خَاطِرِهِ، وَقَرَّارِ قَلْبِهِ بِرَفْعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُ
وَقُرَّةِ نَاضِرِهِ . وَلِمَا تَخَلَّقَتْ بِهِ أَخْلَاقُنَا، مِنْ التَّيَمُّنِ الَّذِي أَلْبَسَهُ أَثَوَابَ الْأَمَانِ،
وَجُبِلَتْ عَلَيْهِ طِبَاعُنَا، مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالرَّاحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ وَلِمَا مَهَّدَهُ لَهُ
عِنْدَنَا اعْتِرَافُهُ الَّذِي هُوَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ أَقْوَى شَفَاعَةٍ، وَلِمَا تَحَقَّقْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ إِلَّا لَوْفُورِ الطَّاعَةِ الَّتِي أُوجِبَتْ لَهُ الْإِرْهَابُ إِذَ الْهَرَبُ مِنَ الْمُلُوكِ طَاعَهُ، وَكَيْفَ
لَا وَقَدْ تَيَقَّنَ سُخْطَنَا الشَّرِيفَ وَعَلِمَ، وَخَشِيَ مَهَابَتَنَا الشَّرِيفَةَ وَمَنْ خَافَ سَلِمَ .

فَلْيَتَلَدَّ عُقُودَ هَذِهِ الْمِنَّةِ الَّتِي طَوَّقَتْ جِيدَهُ بِالْجُودِ، وَلْيَشْكُرْ مَوَاقِعَ هَذَا الْحِلْمِ الَّذِي
سَرَّ وَسَارَ كَالْمَثَلِ السَّائِرِ فِي الْوُجُودِ، وَلْيُقَابِلْ هَذَا الْإِقْبَالَ بِالْإِعْدَاءِ لِأَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ،
وَلْيَحْظَ بِمَوَاهِبِنَا الْعَمِيمَةِ وَصَدَقَاتِنَا الْبَاهِرَةِ، وَلْيَحِطْ عِلْمًا بِأَنَّ إِحْسَانَنَا الْعَمِيمَ قَدْ
أَعَادَ إِلَيْهِ مَا أَلْفَهُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَالْإِصْعَادِ، وَأَنَّ صَفْحَنَا الشَّرِيفَ قَدْ أَضْرَبَ عَمَّا
مَضَى وَالْمَاضَى لَا يُعَادُ، فَلْيَقُمْ حَيْثُ شَاءَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَحْرُوسَةِ، مَتَقِيًّا ظِلَالَ مَوَاهِبِنَا
الَّتِي يَغْدُو وَسَرَائِرُهَا بِهَا مَا نُوسِسُهُ، وَارْدًا بِحَارِ عَطَايَانَا الزَّائِرَةِ، مُمْتَعًا بِمَلَابِسِ رِضَانَا
الْفَاخِرَةِ، طَيِّبَ الْقَلْبِ مِنْهَسْطِ الْأَمَلِ، مُنْشِرِحَ الصَّدْرِ بِمَا عَمَّهُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَشَمَلِ،
مَرْعَى الْجَنَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَعْظَمَ الْقَدْرِ عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ، مَبْتَهَجًا بِغَمْدِ
مَا عَرَّضَ مِنْ ذَلِكَ التَّقْطِيبِ، مُسْتَبْشِرًا بِإِقْبَالِنَا الَّذِي يَلْدُّ بِهِ عَيْشُهُ وَيَطْبِيبُ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ لَهُ عَوَارِفَنَا الْمُطْلَقَةَ، وَغَمَائِمَ كَرَمِنَا الْمُغْدِقَةِ، وَمَوَاهِبِنَا الَّتِي انْتَشَرَتْ لَهُ
فِي كُلِّ قُطْرٍ فَهِيَ لِأَنْوَاعِ الْعَطَايَا مُسْتَغْرِقَةٌ، وَمِنْنَتُنَا الَّتِي تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُمَا سَارَ وَتُقِيمُ لَدَيْهِ
أَنَّى أَقَامَ فَلَا تَزَالُ عِنْدَهُ مَخِيْمَةً فِي الْأَمَاكِنِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ
أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(أن يفتح مرسوم الطرخانية بـ «أما بعد»)

والرسم فيه كما في الولايات أيضا يقال فيه [أما بعد] فإن كذا وكذا ، ثم يقال :
ولما كان كذا وكذا ، اقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : ولذلك رُسم بالأمر
الشريف ، ويكمل عليه .

وهذه نسخة مرسوم من ذلك ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى أوزعتنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، وآلائه
التي ألهمتنا بالتخفيف عن برئته اقتران محامده بذكرها ، ومنته التى وفق بها دولتنا
الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجزته بفكرها ، وأحق ما أمرته
بذكرها . والصلاة والسلام على رسوله الذى أوضح سبيل المعروف ، وشرع سنن
العدل المألوف ، ووصفه الله تعالى بالرافة والرحمة فيه يقتدى كل رحيم وبه ياتم كل
رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكيه ، وقربوا منال الفضل
لآخذه وبيتوا الحيف والإستيطاط لتاركه . فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة
بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان ، وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد
النعم الحسان ، فلا تزال نعيم النظر فى أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم
وجمهورهم ، ليناموا من عدلنا فى مهاد الدعة ، ويبيت ضعيفهم من مراحنا الشريفة
فى أتم رافة وفقيرهم فى أوفر سعة .

ولما كان فلان ممن توفّر فى الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر فى الطاعة سنه ووهن
عظمه ، وعجزت عن الركوب والنزول حركته ، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن
تلمس بركته . اقتضى حسن رأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان ، ويعامل
بوافر البر وجزيل الأمتنان .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يُوالى المِنَن ، ويُولى الأولياء من المعروف
كل جميل حسن - أن يستقر المذكور طرخاناً لا يُطلب لخدمة في نهار ولا ليل ،
ولا يُلزم بالقيام بترك^(١) ولا خيل ، فليَمُضَ حكم هذه الطرخانية لا تتأول السنة الأقالام
في نصه ، ولا تتطرق أوهام الأفهام إلى اعتراض ما ثبت من إعفائه بنقصه ولا نقصه ،
وسبيل كل واقف عليه اعتماد مضمونه والوقوف عند حكمه ، والانتهاؤ إلى حده
وتبائع رسمه ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة السادسة

(فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقالام)

وهو قليل نادر قل أن يكتب ، وإذا كتب فغالبا ما يفتتح برسم ، ويسمى
ما يكتب فيه تواقع .

وهذه نسخة طرخانية كُتِب بها عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للقاضي
قُطب الدين بن المكرم أحد كُتاب الدَّرج الشريف بالأبواب الشريفة ، عند إقامته
بالمحجاز الشريف ، بأن يستقر طرخانا بنصف معلومه الذي كان له على كتابة الدَّرج
الشريف وأن يقيم حيث شاء ، وهي :

رُسِم بالأمر الشريف - لا زال يأمر فيطاع ، ويصل فيعين على الانقطاع ،
ويُرى على اقتراح الآمل جوده المكرر المكرم فالآمل يقتراح ما أستطاع - أن يستقر
للمجلس السامي القضائي فلان بن المكرم نفع الله به من معلومه عن كتابة الدَّرج

(١) الترك الطعن بالترك وهو رخ صغير .

(٢) لم يذكر المرتبة الثالثة ولعلها ما يفتتح برسم بالأمر الشريف .

الشریف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر، على
الأدعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة، ويُقيم حيث شاء، ثم يستقر ذلك لأولاده
من بعده، ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه، وأستعانة
بمحضر الجود دون غائبه، وإكراماً لجانبه، وطالب وجه الله تعالى [يعان] على الفوز
بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمح ببعده عن أبوابنا الشريفة، ولا نُجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفه،
لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره مئده ولا نصيفه، ولديوان إنشائنا جمال يعقود
كتابته النظمية ومعاني ألفاظه اللطيفة، وإتمنا لإقباله على الآجله، وإعراضه عن
العاجله، وأستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافله، أسعفتنا سؤاله بالإجابة، وأعناؤه
على الإنابة، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابه، ومن أحسن سبيلا من
أخذ لنفسه قبل الحين، ونفض يديه من الدنيا فرآح بالخير مملوء اليدين، فنظر إلى
معاده فأقبل على الله قري العين، وها نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدين .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المتزايدة، والصلوات العائده، والإحسان إليه وإلى
بنيه جملة واحده، وليدع لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتا، وحين يقول ناطقا
وحيث يُفكر صامتا، وعند فطره من صومه، وفي أعقاب الصلوات في ليله ويومه،
وليواصل إليه هذا المرتب ميسرا لا يكدر مورده بتأخير، ويُصرف إليه مهنأ لا يُشأن
طوله بتقصير، ولا يُحوج إلى عناء وطلب، ولا يلجأ في تناوله إلى كد وتعب، بل
يرقه خاطره عما فاز به من حسن المنقلب، والله تعالى يمده بعونه وفضله، ويُحب
فرعه ببركة أصله، والخط الشريف أعلاه حجة فيه، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع

من المقالة السادسة

(فيما يُكْتَب في التوفيق بين السنين الشمسية [والقمرية] المعبر عنه في زماننا
بتحويل السنين ، وما يُكْتَب في التذاكر ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

[فيما يكتب في التوفيق بين السنين ، وفيه طرفان]

الطرف الأول^(١)

(في بيان أصل ذلك)

اعلم أن استحقاق الخراج [و] جبايته منوطان بالزروع والثمار من حيث إن الخراج من متحصل ذلك يؤخذ ، والزروع والثمار منوطة بالشهور والسنين الشمسية من حيث إن كل نوع منها يظهر في وقت من أوقاتها ملازم له لا يتحول عنه ولا ينتقل للزوم كل شهر منها وقتاً بعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع ؛ واستخراج الخراج في الملة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وشهوره وسنوه عربية . والشهور العربية تنتقل من وقت إلى وقت ، فربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من السنين العربية ، ثم تراخى الحال فيه إلى أن صار استحقاقه في أواخرها ، ثم تراخى حتى صار في السنة الثانية فيصير الخراج منسوباً للسنة السابقة ، واستحقاقه في السنة اللاحقة ، فيحتاج حينئذ إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها على ماسياتي ذكره .

(١) الزيادة مأخوذ مما سأتى له من التقسيم .

قال في "موادّ البيان" : والسببُ في انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أنّ أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمسُ الفلكَ فيها دفعة واحدة ، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً ورُبُع يومٍ بالتقريب حسب ما توجبه حركتها ، وأيام السنة الهلالية هي المدة التي يقطع القمرُ الفلكَ فيها اثنتى عشرة دفعة ، وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسُدُس يومٍ ؛ فيكون التفاوتُ بينهما أحدَ عشر يوماً وسُدُس يومٍ ، فتكون زيادةُ السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً . وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنةً بالتقريب ؛ فإذا تبادى الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً ؛ فيرى السلطانُ عند ذلك أن تُنقل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالاسم دون الحقيقة توفيقاً بينهما ، وإزالةً للشبهة في أمرهما ؛ ومتى أوعزَ بذلك لم يقف على الغرض فيه إلا الخاصة دون العامة ؛ وأسرع إلى ظنّ المعاملين وأرباب الخراج والأُملاك أنّ ذلك عائدٌ عليهم بظلمٍ وخيف ، وإلى ظنّ مستحقّ الإقطاع أنه منقُصٌ لهم ، ونسبوا الجورَ إلى السلطان بسبب ذلك وشتموا عليه ، فرسم بُلغاءُ الكتاب في هذا المعنى رُسوماً تعودُ بتفهم الغي ، وتبصير العمى ؛ وتوصل المعنى المراد إلى الكفاة إيصالاً يتساوون في تصديقه وتيقنه ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه .

قلت : وقد ذكر أبو هلال العسكري في الأوائل : أنّ أول من أضرَّ النيروز المتوكل على الله أحدُ خلفاء بني العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف في متصيد له إذ رأى زرعاً أخضر ، فقال : قد استأذني عبيدُ الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر ؛ فقليل له : إن جباية الخراج الآن قد تضرُّ بالناس إذ تُلجئهم إلى أنهم يقتريضون ما يؤدّون في الخراج ، فقال : أهذا شيءٌ حدث أو لم يزل كذا ؛ فقليل له : بل حدث ، وعرف أنّ الشمسَ تقطعُ الفلكَ في ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورُبُع يومٍ ،

وَأَنَّ الرُّومَ تَكْلِسُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ سِنِينَ يَوْمًا فَيَطْرَحُونَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيَجْعَلُونَ شَبَاطَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَتَوَالِيَاتٍ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَنْجِرُ مِنْ ذَلِكَ الرَّبْعِ الْيَوْمُ يَوْمُ تَامَ ، فَيَصِيرُ شَبَاطُ ثِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ السَّنَةَ الْكَيْسَةَ . وَكَانَتْ الْفَرَسُ تَكْلِسُ لِلْفَضْلِ الَّذِي بَيْنَ سِنِيهَا وَبَيْنَ سَنَةِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مِائَةِ وَسِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً شَهْرًا ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ عَطَّلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ ؛ وَجَاءَ زَمَنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَ الدَّهَاقَةُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَشَرَحُوا لَهُ ذَلِكَ (وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَأَضْرَبَ النَّاسُ ذَلِكَ)^(١) ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَنِّحَ إِلَيْهِ [فَأَرْسَلَ]^(٢) الْكُتُبَ إِلَى هِشَامٍ سَرًّا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ .

فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّشِيدِ اجْتَمَعُوا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ نَحْوَ شَهْرٍ فَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ وَقَالُوا : تَعْصَبُ لِلْمَجُوسِيَّةِ ، فَأَضْرَبَ عَنْهُ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ؛ فَأَحْضَرَ الْمُتَوَكِّلُ حَيْثُئِذٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا فِي تَأْخِيرِ النَّيْرُوزِ بَعْدَ أَنْ تُحْسَبَ الْأَيَّامُ ، فَوْقَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى أَنْ يُؤَنِّحَ إِلَى سَبْعَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ حَزِيرَانَ ، فَكَتَبَ الْكِتَابَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ قَبْلَ دُخُولِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَوَلِيَ الْمُتَصَرُّ وَاحْتِجَّ إِلَى الْمَالِ فَطُوبِلَ بِهِ النَّاسُ عَلَى الرَّسْمِ الْأَوَّلِ ، وَانْتَقَضَ مَارِسَةُ الْمُتَوَكِّلِ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَتَّى وَلِيَ الْمُعْتَضِدُ ، فَقَالَ لَعَلِّي بَنِي يَحْيَى الْمُنْجِمُ : تَذَكَّرُ ضَجِيجَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الْخِرَاجِ فَكَيْفَ جَعَلَتِ الْفُرْسُ مَعَ حِكْمَتِهَا وَحُسْنِ سِيرَتِهَا أَفْتَتَاحَ الْخِرَاجِ فِي وَقْتٍ مَا لَا يَتِمَكَّنُ النَّاسُ مِنْ أَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَشَرَحَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَقَالَ :

(١) لعل ما بين القوسين مكرر من قلم الناسخ .

(٢) بياض في الأصل بقدر كلمة .

ينبغي أن يُردَّ إلى وقته ، ويلزم يوما من أيام الروم فلا يقع فيه تغيُّر ، فقال له المعتضد سرُّ إلى عبيد الله بن سليمان فوافقه على ذلك ، فصرت إليه ووافقته ، وحسبنا حسابه فوقع في اليوم الحادى عشر من حزيران ، فأحكم أمره على ذلك ، وأثبت في الدواوين ، وكان النيروز الفارسى إذ ذاك يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . ومن شهور الروم الحادى عشر من نيسان .

وقد قال أبو الحسين على بن الحسين الكاتب رحمه الله : عهدت جباية الخراج في سنين قبل سنة إحدى وأربعين ومائتين في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمة الله عليه تجزى لكل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما ورُبَّ يوم وزيادة الكسر عليه ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، كان قد آنقضى من السنين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، أوّلهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه ، واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة : وهى ثلاثمائة وخمسة وستون يوما ورُبَّ يوم وزيادة الكسر ، وتبيّا إدراك غلات وثمار سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، إذ كانت قد آنقضت ونُسب الخراج إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

قال صاحب "المنهاج في صناعة الخراج" : ولما نُقلت سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ، جَبَى أصحاب الدواوين الجوالى والصدقات لستى إحدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد ، لأن الجوالى بسر من رأى ومدينة السلام ومضافاتهما كانت تُجَبَى على شهور الأهلة ، وما كان عن جماجم أهل القرى

والضياع والمستغلات كانت تُجْبَى على شهور الشمس ، ^(١) فأُلْزِم أهل الجوالى خاصة في مدة الثلاث وثلاثين سنة ، ورفعها العمال في حُسباناتهم فاجتمع من ذلك ألوف ألوف دراهم ، فجرت الأعمال بعد نقل المتوكل على ذلك سنة بعد سنة ، إلى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرت أن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ؛ فلم يَنْبَهُ كُتَّابُ أمير المؤمنين : المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك ، إذ كان رؤسائهم في ذلك الوقت إسماعيل بن بُلْبُل وبنو القُرَات ، ولم يكونوا عَمِلُوا في ديوان الخراج والضياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ، ولا كانت أسنانهم أسناناً بلغت معرفتهم معها هذا النقل ، بل كان مولدُ أحمد بن محمد بن القُرَات قبل هذه السنة بخمس سنين ، ومولدُ عليٍّ أخيه فيها ؛ وكان إسماعيل يتعلَّم في مجلس لم يبلغ أن يَنْسَخَ ، فلما تقلدت لناصر الدين رحمة الله عليه أعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين ، وكان مقيماً بأذربيجان ، وخليفته بالجليل والقرى جرادة بن محمد ، وأحمد بن محمد كاتبه ، واحتجبت إلى رفع جماعتي إليه - ترجمتها بجماعة [سنة] ست وسبعين ومائتين [التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين] ^(٢) ، ووجب إلغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين ؛ فلما وقفنا على هذه الترجمة أنكرها وسألني عن السبب فيها فشرحتُ لها ، ووَكَّدت ذلك بأن عرَّفتهما أني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القراءان [بعد] ما عرضته على أصحاب التفسير ، فذكروا أنه لم يَأْت فيه شيء من الأثر ، فكان ذلك أوكد

(١) عبارة المقرئ ج ١ ص ٢٧٦ « وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم أهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها الخ » وهي أوضح .

(٢) الزيادة من "المواظ والاعتبار" للمقرئ ج ١ ص ٢٧٦ وقد اعتمدناها في كثير من التصحيف في هذا الموضع .

فُلُطَفِ اسْتِخْرَاجِي : وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ : ﴿ وَلْيَتُوبُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْمَفْسِّرِينَ عَرَفَ مَا مَعْنَى 'وَازْدَادُوا تِسْعًا' ، وَإِنَّمَا خَاطَبَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ نَبِيَّهِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَمَا تَعَرَّفُهُ مِنَ الْحِسَابِ ؛ فَمَعْنَى هَذِهِ التَّسْعِ أَنَّ الثَّلَاثَةَ كَانَتْ شَمْسِيَّةً بِحِسَابِ الْعِجَمِ وَمَنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ السِّنِينَ الْقَمَرِيَّةَ ، فَإِذَا أُضِيفَ إِلَى الثَّلَاثَةِ الْقَمَرِيَّةُ زِيَادَةُ التَّسْعِ كَانَتْ سِنِينَ شَمْسِيَّةً [صَحِيحَةً] فَاسْتَحْسَنَاهُ ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ جَرَادَةُ مَعَ النَّاصِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ وَتَوَقَّى النَّاصِرِ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَقَلَّدَ أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، أَجْرَى لَهُ جَرَادَةُ ذِكْرَ هَذَا النِّقْلِ ، وَشَرَحَ لَهُ سَبَبَهُ : تَقَرُّبًا إِلَيْهِ ، وَطَعْنًا عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَأْخِيرِهِ إِيَّاهُ .

فَلَمَّا وَقَفَ الْمُعْتَضِدُ بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ تَقَدَّمَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ بِإِنْشَاءِ الْكُتُبِ بِنَقْلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، فَكَتَبَ ، وَكَانَ هَذَا النِّقْلُ بَعْدَ أَرْبَعِ سِنِينَ مِنْ وَجُوبِهِ ، ثُمَّ مَضَتْ السَّنُونَ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ إِلَى أَنْ أَنْقَضَتْ الْآنَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً أَوْلَاهُنَّ السَّنَةُ الَّتِي كَانَ النِّقْلُ وَجِبَ فِيهَا : وَهِيَ سَنَةُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَخْرَجْنَهَا أَنْقِضَاءُ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، فَوَافَقَ ذَلِكَ خِلَافَةَ الْمُطِيعِ لِلَّهِ فِي وِزَارَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ ، فَأَمَرَ بِنَقْلِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، وَنَسَبَةَ الْخَرَاجِ إِلَيْهَا فُنُقِلَتْ ، وَأَمَرَ بِالْكِتَابَةِ بِذَلِكَ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فَكُتِبَ بِهِ .

وَقَدْ حَكَى أَبُو الْحُسَيْنِ هَلَالُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِيَّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ نَقْلَ السَّنَةِ أَمَرَ أَبَا إِسْحَاقَ وَالِدِي وَغَيْرَهُ مِنْ كُتَّابِهِ فِي الْخَرَاجِ وَالرِّسَائِلِ بِإِنْشَاءِ كِتَابٍ عَنِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَكُلُّ مَنْهُمْ كَتَبَ ، وَعُمِرْتُ النُّسْخُ عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ فَاخْتَارَ مِنْهَا كِتَابَ وَالِدِي

(١) وتقدم بأن يُكتب إلى أصحاب الأطراف . وقال لأبي الفرج بن أبي هاشم خليفته :
اكتب إلى العمال بذلك كتباً مخففة ، وأنسخ في أواخر [ها] هذا الكتاب السلطاني
فغاط أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب الدي ، وقد كان عمل نسخة
أطرح في جملة ما أطرح ، وكتب : « قد رأينا نقل سنة خمسين [إلى إحدى
(٢) وخمسين] فاعمل على ذلك » ولم ينسخ الكتاب السلطاني ، وعرف الوزير أبو محمد
ما كتب به أبو الفرج ، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتاب
إلى العمال وإثباته في الديوان ؟ فأجاب جواباً علل فيه ، فقال له يا أبا الفرج : ما تركت
ذلك إلا حسداً لأبي إسحق على كتابه ، وهو والله في هذا الفن أكتب أهل زمانه .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : وقد كان نقل السنين في الديار المصرية
[أغفل] (٣) حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية فنقلت سنة تسع وتسعين
الخارجية إلى سنة إحدى وخمسمائة فيما رأيته في تعليقات أبي . قال : وآخر ما نقلت
السنة في وقتنا هذا أن نقلت سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين
وخمسمائة الهلالية ، فتطابقت السنتان . وذلك أني لما قلت للقاضي الفاضل عبد الرحيم
البيساني : إنه قد آن نقل السنة ، أنشأ سجلاً بنقلها نسخ في الدواوين ، وحمل
الأمر على حكمه ، ثم قال : وما برح الملوك والوزراء يعنون بنقل السنين في أحيانها ،
ومطابقة العاميين في أول زمان اختلافهما بالبعد وتقارب اتفاقهما بالنقل .

قلت : والحاصل أنه إذا مضى ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حوت
السنة الثالثة والثلاثون إلى تلو السنة التي بعدها ، وهي الخامسة والثلاثون ، وتلغى

(١) في المقرئ « هشام » .

(٢) الزيادة من المقرئ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) من المقرئ ص ٢٧٦ ج ١ .

الرابعة والثلاثون ؛ ومقتضى البناء على التحويل الذى كان فى خلافة المطع فى سنة سبع وثلثمائة المقدم ذكره أن تحوّل سنة سبع وثلثمائة إلى سنة تسع وثلثمائة ؛ ثم تحوّل سنة أربعين وثلثمائة إلى اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وتلغى سنة إحدى وأربعين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة إلى سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، وتلغى سنة أربع وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة ست وأربعمئة إلى سنة ثمان وأربعمئة ، وتلغى سنة سبع ؛ ثم تحوّل سنة تسع وثلاثين وأربعمئة إلى سنة إحدى وأربعين وأربعمئة ، وتلغى سنة أربعين ؛ ثم تحوّل سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة إلى سنة أربع وسبعين وأربعمئة ، وتلغى سنة ثلاث وسبعين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة ، وتلغى سنة ست ؛ لكن قد تقدّم من كلام صاحب "المنهاج فى صناعة الخراج" أن التحويل كان تأخر بالديار المصرية إلى آخر سنة تسع وتسعين وأربعمئة ، فحوّلت سنة تسع وتسعين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة ؛ فيكون التحويل بالديار المصرية قد وقع قبل استحقاقه بمقتضى الترتيب المقدم ذكره بست سنين من حيث إنه كان المستحقّ مغلّ سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة كما تقدّم ، فنقلت سنة تسع وتسعين وأربعمئة إلى سنة إحدى وخمسمائة . والأمر فى ذلك قريب إذ التحويل على التقريب دون التحديد .

ثم مقتضى ترتيب التحويل الرابع فى الديار المصرية بعد تحويل سنة تسع وتسعين وأربعمئة إلى سنة إحدى وخمسمائة أن تحوّل بعد ذلك سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة إلى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وتلغى سنة ثلاث وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتلغى سنة ست وستين ؛ ثم تحوّل سنة ثمان وتسعين وخمسمائة إلى سنة ستمئة ، وتلغى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ؛ ثم تحوّل سنة إحدى وثلاثين وستمئة إلى سنة ثلاث وثلاثين وستمئة ، وتلغى سنة

أثنتين وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة أربع وستين وستمئة إلى سنة ست وستين وستمئة ،
وتلغى سنة خمس وستين ؛ ثم تحوّل سنة سبع وتسعين وستمئة إلى سنة تسع وتسعين
وستمئة ، وتلغى سنة ثمان وتسعين ؛ ثم تحوّل سنة سبعمئة وثلاثين إلى سنة سبعمئة
وأثنتين وثلاثين ، وتلغى سنة إحدى وثلاثين ؛ ثم تحوّل سنة ثلاث وستين وسبعمئة
إلى سنة خمس وستين وسبعمئة ، وتلغى سنة أربع وستين وسبعمئة ؛ وتحوّل سنة
ست وتسعين وسبعمئة إلى سنة ثمان وتسعين وسبعمئة ، وتلغى سنة سبع وتسعين ؛
ثم لا يكون تحويل إلى سنة تسع وعشرين وثمانمئة ، فتحوّل إلى سنة إحدى وثلاثين
وثمانمئة ، لكن قد حوّل كُتّاب الدواوين بالديار المصرية وأرباب الدولة بها سنة
تسع وأربعين وسبعمئة : (وهي سنة الطاعون الجارف العام) إلى سنة إحدى وخمسين
وسبعمئة ، وألغوا سنة خمسين . وكان يقال : مات في تلك السنة كل شيء حتى
السنة ، وسيأتي ذكر المرسوم المكتتب بها في تحويل السنين في هذه المقالة ،
إن شاء الله تعالى .

ونُقِل ذلك لتأخير وقع من إغفال تحويل سنة سبعمئة وثلاثين المتقدمة الذكر ،
(١)
وآخر سنة حوّلت في زماننا سنة

(١) بياض في الأصل .

الطرف الثانى

(فى صورة ما يكتَب فى تحويل السنين ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ما كان يكتب فى ذلك عن الخلفاء ، وفيه مذهبان)

المذهب الأول

(أن يُفتَح ما يكتب بـ «أما بعد»)

وعلى ذلك كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد .

وهذه نسخة ما ذكر أبو الحسين بن على الكاتب المتقدم ذكره أنه كتب به فى ذلك فى نقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين فى خلافة المعتضد بالله أمير المؤمنين ، وهى :

أما بعد ، فإن أولى ما صرف إليه أمير المؤمنين عنايته ، وأعمل فيه فكره ورويته ، وشغل به تفكده ورعايته ، أمر الفىء الذى خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره ، وحياطته وتكثيره ، وجعله عماد الدين ، وقوام أمر المسلمين ، وفيما يصرف منه إلى أعطيات الأولياء والجنود ، ومن يستعان به لتحصيل البيضة والذئب عن الحريم ، وحج البيت ، وجهاد العدو ، وسد الثغور ، وأمن السبل ، وحسن الدماء ، وإصلاح ذات البين . وأمير المؤمنين يسأل الله راغباً إليه ، ومتوكلاً عليه ، أن يحسن عونه على ما حمله منه ، ويديم توفيقه لما أرضاه ، وإرشاده إلى ما يقضى عنه وله .

وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يمر عليه أمر جباية هذا الفىء فى خلافة آباءه الراشدين فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار فى كل سنة أولاً

أولاً على تجارى شهور سنَى الشمس فى النجوم التى يحل مال كل صنف منها فيها ،
 ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً ورُبعا
 وزيادةً عليه ، ويكون إدراك الغلات والثمار فى كل سنة بحسب تأخرها .

فلا تزال السنون تَمْضى على ذلك سنةً بعد سنةٍ حتى تَقْضى منها ثلاثٌ وثلاثون
 سنةً وتكون عبدة الأيام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة ، وهى ثلاثمائة وخمسة
 وستون يوماً ورُبْع يوم وزيادةً عليه ، فينذ يتها بمشيئة الله وقدرته إدراك الغلات
 التى تجرى عليها الضرائب والطسوق فى استقبال المحرم من سنَى الأهلة . ويجب مع
 ذلك إلغاء ذكر السنة الخارجة إذ كانت قد انقضت ونسبتها إلى السنة التى أدركت
 الغلات والثمار فيها . وإنه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله
 رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، آخرت سنة إحدى وأربعين ومائتين ،
 فاستغنى عن ذكرها بالغائها ونسبتها إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين ؛ فخرت
 المكتبات والحسابات وسائر الأعمال بعد ذلك سنةً بعد سنةٍ إلى أن مضت ثلاثٌ
 وثلاثون سنةً ، آخرت انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ، [ووجب إنشاء الكتب
 (١) بإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين] ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين .

فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين [المعتمد على الله وتأخر الأمر أربع سنين إلى
 (١) أن أمر أمير المؤمنين] المعتضد بالله رحمه الله فى سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل
 خراج سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ؛ فخرى الأمر على
 ذلك إلى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاثٌ وثلاثون سنةً : أولاهن السنة التى كان
 يجب نقلها فيها ، وهى سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرت انقضاء شهور خراج
 سنة سبع وثلاثمائة ؛ ووجب افتتاح خراج ما تجرى عليه الضرائب والطسوق فى أولها

(١) الزيادة من المقرئى ص ٢٧٧ ج ١ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

[وإن] من صواب التدبير واستقامة الأعمال، واستعمال ما يخفف على الرعية معاملتها به تقل سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة، فرأى أمير المؤمنين (لما) يلزمه نفسه ويؤاخذها به، من العناية بهذا الفء وحياطة أسبايه، وإجرائها مجاريها، وسلك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم فيها، أن يكتب إليك وإلى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك، وأن يكون ما يصدر [إليك] من الكتب وتصدرونه عنكم وتجرى عليه أعمالكم ورؤوعكم وحساباتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل.

فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كل ما تمضيه تقوى الله وطاعته، ومستعملا [عليه] ثقات الأعوان وكفائهم، مشرفا عليهم ومقومًا لهم، واكتب بما يكون منك في ذلك، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة ما كتب به أبو إسحق الصابي عن المطيع لله بنقل سنة ست وثلاثمائة (١) إلى سنة سبع وثلاثمائة، وهى :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين لا يزال مجتهدا في مصالح المسلمين، وباعثا لهم على مرشد الدنيا والدين، ومهيئا لهم إلى أحسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون، وأصوب الرأي فيما يبرمون وينقضون، فلا تلوح له خلة داخلية على أمورهم إلا سدها وتلافها [ولا حال عائدة بحظ عليهم إلا اعتمدها وأتاها] (٢) ولا سنة عادلة إلا أخذهم بإقامة رسمها، وإمضاء حكمها، والافتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها، وإذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها، وتجهله العامة بقصور أفهامها، وكانت أوامره فيه خارجة إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله، وأمائل

(١) صوابه « بنقل سنة خمسين وثلاثمائة إلى إحدى وخمسين وثلاثمائة » كما يفيد نص الكتاب بعد اهـ .

(٢) الزيادة من « رسائل الصابي » ص ٢٠٩ ومن المقرئى ص ٢٧٨ ج ١ .

عَمَّالَهُ ، الذين يَكْتَفُونَ بالإِشارَةِ ، وَيَجْتَزُّونَ بِسِيرِ الإِبَانَةِ والعبارة ، لم يَدْعُ أَنْ يُلْغَ من تَلْخِصِ اللفظِ وإيضاحِ المعنى إلى الحَدِّ الذي يُلْحِقُ المتأخِّرَ بالمتقدِّمِ ، ويَجْمَعُ بين العالمِ والمتعلِّمِ ، ولا سِيَّما إذا كان ذلك فيما يتعلَّقُ بمعاملاتِ الرعيَّةِ ، ومن لا يَعْرِفُ إلا الظَّواهرَ الجليَّةَ دُونَ البواطنِ الخفيَّةِ ، ولا يَسْتَهْلُ عليه الانتقالُ عن العاداتِ المتكرَّرةِ ، إلى الرُّسُومِ المتغيِّرةِ ، ليكونَ القولُ بالمشْرُوحِ لمن بَرَزَ في المعرفةِ مَدَكِّرا ، ولمن تأخَّرَ فيها مبصِّرا ، ولأنَّه ليس من الحقِّ أَنْ تُنَمَّعَ هذه الطبقةُ من بَرْدِ اليقينِ في صُدُورها ، ولا أَنْ يُقْتَصَرَ على اللَّامِحةِ الدالَّةِ في مخاطبةِ جُهورِها ، حتَّى إذا اسْتَوَتْ الأقدامُ بطوائفِ الناسِ في فَهْمِ ما أُمِرُوا به وَفَقِهِ ما دُعُوا إليه وصاروا فيه على كلمةٍ سواءٍ لا يعترِضُهم شكُّ الشاكِّينَ ولا اسْتِرابَةُ المسترِيبينَ ، أَطْمَأْنَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَأَنْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ ، وَسَقَطَ الخِلافُ بَيْنَهُمْ ، وَاسْتَمَرَ الإِتِّفَاقُ فِيهِمْ ، وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّهُمْ مَسْؤُوسُونَ على اسْتِقامَةِ من المِنْهاجِ ، وَمَحْرُوسُونَ من جِرائِرِ الزَّيغِ والأَعْوجاجِ ؛ فكان الأَنْقيادُ مِنْهُمْ وَهُمْ دَارُونَ عَالِمُونَ ، لا مَقْلَدُونَ مُسَلِّمُونَ ؛ وَطَائِفُونَ مَخْتَارُونَ ، لا مُكْرَهُونَ ولا مُجْبَرُونَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمِدُّ اللهَ تَعَالَى في جَمِيعِ أَغْرَاضِهِ وَهَرَامِيهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَغَايِرِهِ ، مَادَّةً من صُنْعِهِ تَقِفُ به على سَنَنِ الصَّلَاحِ ، وَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوابَ النِّجَاحِ ، وَتُنْهِضُهُ بِمَا أَهْلُهُ لِحِمْلِهِ من الأَعْيَاءِ التي لا يَدْعَى الاسْتِغْلَالُ بها إلا بِتَوْفِيقِهِ [وَمُعُونَتِهِ] ، ولا يَتَوَجَّهُ فيها إلا بِدَلَالَتِهِ وَهَدَايَتِهِ ، وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنَّ أَوَّلَى الْأَقْوالِ أَنْ يَكُونَ سَدَّادًا ، وَأَحْرَى الْأَفْعَالِ أَنْ يَكُونَ رَشَادًا ، ما وَجَدَ له في السابقِ من حُكْمِ الله أَصْولُ وقَواعِدَ ، وفي النَّصِّ من كُتُبِهِ آيَاتٌ وشواهدُ ، وكان مُقْضِيًّا بِالْأُمَّةِ إلى قَوامِ من دِينٍ وَدُنْيَا ، وَوَفَاقٍ في آخِرَةٍ وَأَوَّلَى ،

فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو، والغرس الذى ينبت ويزكو، والسعى الذى تنجح مباديه وهواديه، وتنبهج عواقبه وتواليه، وتستنير سبله لسالكها، وتورد لهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها، غير ضالين ولا عادلين، ولا منحرفين ولا زائلين .

وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الأفلاك الدائرة، والتجوم السائرة، فيما تتقلب عليه من اتصال وإفتراق، ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق، منافع تظهر فى كُرور الشهور والأعوام، ومُرور الليالي والأيام، وتتأوب الضياء والظلام، واعتدال المساكن والأوطان، وتغاير الفصول والأزمان، ونشء النبات والحيوان، فما فى نظام ذلك خلل، ولا فى صنعة صانعه زلل، بل هو منوط بعضه ببعض، ومحوط من كل ثمة ونقض، قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وقال جل من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ . وقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ . وقال عزت قدرته: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ . ففضل الله تعالى فى هذه الآيات بين الشمس والقمر، وأنبأنا فى الباهر من حكمه، والمعجز من كلمه، أن لكل منهما طريقاً سخر فيها وطبيعة جُبل عليها، وأن كل تلك المباني والمخالفات فى المسير، تؤدى إلى موافقة وملازمة فى التدبير، فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ورُبُعاً بالتقريب المعمول عليه، وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الملك مرة واحدة، ونقصت السنة الهلالية فصارت ثلثمائة وأربعة وخمسين يوماً وكسراً، وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنتى عشرة

مرة، واحتيج إذا آنساق هذا الفضل إلى استعمال النقل الذى يطابق إحدى السنتين بالأخرى إذا اختلفتا، ويدانى بينهما إذا تفاوتتا .

وما زالت الأمم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنانٍ من طُرُقها ومذاهبها، وفى كتاب الله عز وجل شهادة بذلك إذ يتول فى قصّة أهل الكهف : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تقريب التقريب .

فأما الفُرس فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهرها اثنا عشر شهرا، وأيامها ثلثمائة وستون يوما، ولقبوا الشهور اثني عشر لقبًا، وسمّوا أيام الشهر منها ثلاثين اسمًا، وأفردوا الأيام الخمسة الزائدة، وسمّوها المسترقّة وكبسوا الربع فى كل مائة وعشرين سنةً شهرا .

فلما انقرض ملكهم ، بطل فى كبس هذا الربع تديريهم ، وزال نور وزهم عن سنّته ، وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته ، انفراجا هو زائد لا يقف ، ودائر لا ينقطع ، حتى إنّ موضوعهم فيه أن يقع فى مدخل الصيف وسيتمى إلى أن يقع فى مدخل الشتاء ، [ويتجاوز ذلك ، وكذلك موضوعهم فى المهرجان أن يقع فى مدخل الشتاء ^(١) وسيتمى إلى أن يقع فى مدخل الصيف ويتجاوزه .

وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمةً وأبعد نظرا فى عاقبة : لأنهم رتبوا شهور السنة على أرسادٍ رصدوها ، وأنواءٍ عرفوها ، وقضوا الخمسة الأيام الزائدة على الشهور ، وساقوها معها على الدهور ، وكبسوا الربع فى كل أربع سنين يوما، وسمّوا أن يكون إلى شباط مضافا فقرّبوا ما بعده غيرهم ، وسهلوا على الناس أن يقتتوا أثرهم ، لا جرم

(١) الزيادة من "المقرئى" ص ٢٧٩ ج ١ ومن الرسائل وهى من سقطات النسخ .

(١) أن [المعتضد بالله صلوات الله عليه على أئمة بني] ، ولما لهم أحتذى [في تصديره نوروزة اليوم الحادي عشر من حزيران ، حتى سلم مما لحق النواريزي سالف الأزمان ، وتلافوا الأمر في عجز سني الهلال عن سني الشمس ، بأن جبروها بالكبس ، فكلما اجتمع من فضول سني الشمس ما يفي بتمام شهر جعلوا السنة الهلالية التي يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما تم في سنتين بحسب ما يوجب الحساب ، فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما .

وأما العرب فإن الله جل وعز فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها المتعبة ، وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل منتهى ، وجزية أهل ذمتها ، على السنة الهلالية ، وتعبدها فيها برؤية الأهلة ، إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة ، وأعلامها لائح ، فيتكافأ في معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منهم والعام ، والناقص الفقه والنام ، والأثني والذكر ، وذو الصغر والكبر ، فصاروا حينئذ يحبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ونراج الأرض المسوحة ، ويحبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات ، وسائر ما يجري على المشاهرات ، وحدث من التعاضل والتداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا ، وازداد بعدا ، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي تنتهي إليها تنسب في التسمية إلى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ، ويتجاوز إلى ما بعدها ويخطئ ، ولم يجوز لهم أن يقتدوا بخالفهم في كبس سنة الهلال بشهر ثالث عشر ، لأنهم لو فعلوا ذلك لترحلت الأشهر الحرم عن مواقعها ، وانخرقت المناسك

(١) الزائد من "رسائل الصابي" و"المقريري" .

(٢) كذا في المقريري أيضا والذي في الرسائل الخطية «والأرحام» .

عن حقائقها ، ونقصت الجباية عن سني الأهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفضل إلى أن تتم السنة ، وأوجب الحساب المقرّب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة هلالية ، فنقلوا المتقدمة إلى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم .

وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الهلالية جمعا بينهما ، ولزوما لتلك السنة فيهما .

فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك ، وما تضمنه كتابه هذا إليك ، ومُرِ الكُتّاب قبلك أن يحتدوا رسمه فيما يكتبون به إلى عمّال نواحيك ، ويخلّدونه في الدواوين من دُكُورهم ورُفُوعهم ، ويقرّرونه في دُروج الأموال ، وينظّمونه في الدفاتر والأعمال ، وينتوّن عليه الجماعات والحسابات ، ويوعِزون بكتبه من الروزنامات والبرآت ، وليكن المنسوبُ كان من ذلك إلى سنة خمسين وثلاثمائة التي وقع النقل [عنها معدّولا به إلى سنة إحدى وخمسين التي وقع النقل ^(١)] إليها ، وأقيم في نفوس من بحضرتك من أصناف الجُند والرعية وأهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغيّر لهم رسما ، ولا يلحق بهم ثلما ، ولا يعود على قايضى العطاء بقصان ما استحقّوا قبضه ، ولا على مؤدى حق بيت المال بإغضاء عما وجب أدائه ، فإن قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي يؤثر أن تراح فيه العله ، وتسدّ به منهم الخلة ، إذ كان هذا الشأن لا يتجدّد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناس ، وإذ كار الناس ، وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ، إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة من رسائل الصابي الخطية .

المذهب الثاني

(مما كان يُكْتَب عن الخلفاء في تحويل السنين أن يُفْتَح ما يكتب بلفظ :
« من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة » ونحو ذلك)
ثم يُؤْتَى بالتحميد وهو المعبر عنه بالتصدير، وعليه كان يكتب خلفاء الفاطميين
بالديار المصرية .

قال في "موادّ البيان" : والطريق في ذلك أن يفتح بعد التصدير والتحميد ...
.....

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب في الدولة الأيوبية)

وكانت العادة فيه أن يفتح بخرجت الأوامر ونحو ذلك ، ثم يذكر فيه نحو
مما تقدم .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية [إلى السنة العربية] ، من إنشاء
القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » تغمده الله
برحمته ، وهي :

خرجت الأوامر الصلاحية بكتب هذا المنشور وتلاوة مودعه بحيث يستمر ،
ونسخته في الدواوين بحيث يستقر ، ومضمونه .

إن نظرنا لم يزل نتجلى له الجلائل والدقائق ، ويتوحي من الحسنات ما تسيربه
الحقائب رالحقائق ، ويُجلّد من الأخبار المشروعة ، كلّ عذب الطرائق رائق ، ويجدد

(١) هنا بياض في الاصل بقدر كلمات ولعل بعدها وهو على ضربين « الضرب الخ .

من الآثار المتبوعة ، ما هو ببناء الخلائق لائق ، ولا يُغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير إلا جَهْدَنَا أن نكتسبها ، ولا يُثَوَّب بنا الداعي إلى مَثُوبَةٍ إلا رأينا أن نحتسبها ، لا سيما ما يكون للسنين الماضية مُمَضِيًا ، وإلى القضايا العادلة مُفَضِيًا ، ولِحَاسِنِ الشريعة مُجَلِّيًا ، ولِعَوَارِضِ الشُّبْهِ رَافِعًا ، ولِتَنَاقُضِ الْخَبَرِ دَافِعًا ، ولَأَبْوَابِ الْمَعَامِلَاتِ حَافِظًا ، ولْأَسْبَابِ الْمَغَالِطَاتِ لَافِظًا ، وَلِلخَوَاطِرِ مِنْ أَمْرَاضِ الشُّكُوكِ مَصَحِّحًا ، وَعَنْ حَقَائِقِ الْيَقِينِ مُفَصِّحًا ، وَلِلْأَسْمَاعِ مِنْ طَيْفِ الْأَخْتِلَافِ مُعْغِيًا ، وَلِنَغَايَةِ الْإِشْكَالِ مِنْ طُرُقِ الْأَفْهَامِ مُعْغِيًا .

ولما أَسْتَهْلَتْ سَنَةً كَذَا الْهَلَالِيَّةُ ، وَقَدْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّنَةِ الْخَرَجِيَّةِ إِلَى أَنْ صَارَتْ غَلَّاتِهَا مَنْسُوبَةً إِلَى مَا قَبْلَهَا ، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ : مِنْ أَخْذِ الدَّرْهِمِ الْمُنْقُودِ ، عَنْ غَيْرِ الْوَقْتِ الْمُنْقُودِ ، وَتَسْمِيَةِ بَيْتِ الْمَالِ مُمِطًّا وَقَدْ أُنْجَزَ ، وَوَصْفِ الْحَقِّ الْمُتَلَفِّ بِأَنَّهُ دَيْنٌ وَقَدْ أُعْجِزَ ، وَأَكْلِ رِزْقِ الْيَوْمِ وَتَسْمِيَتِهِ مَنْسُوبًا إِلَى أَمْسِهِ ، وَإِخْرَاجِ الْمُعْتَدِّ لِسَنَةِ هَلَالِهِ إِلَى حِسَابِ الْمُعْتَدِّ إِلَى سَنَةِ شَمْسِهِ .

وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَجْرَى أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى تَارِيخِ مَنَزَّةٍ عَنِ اللَّبْسِ ، مُؤَقَّرٍ عَنِ الْكِبْسِ ، وَصَرَّحَ كِتَابُهُ الْعَزِيزُ بِتَحْرِيمِهِ ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنْ تَأْخِيرِ وَقْتِ النَّسْيِ ، وَتَقْدِيمِهِ ، وَالْأُمَّةُ الْحَمْدِيَّةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَهَا الْكُسْرُ ، كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَسُنَّتُهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَارِقَةٌ ، وَسُنَّتُهَا أَبَدًا سَابِقَةٌ ، وَالسُّنُونُ بَعْدَهَا لَا حَقَّ ، يَتَعَاوَرُهَا الْكُسْرُ الَّذِي يُزْحَرِحُ أَوْقَاتَ الْعِبَادَاتِ عَنْ مَوَاضِعِهَا ، وَلَا يُدْرِكُ عَمَلُهَا إِلَّا مِنْ دَقِّ نَظَرِهِ ، وَاسْتَفْرِغَتْ فِي الْحِسَابِ فِكْرَهُ ، وَالسَّنَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَقْطَعُ بِخَنَاحِ أَهْلَتِهَا الْأَشْتَبَاهِ ، وَتَرُدُّ شَهُورَهَا حَالِيَةً بِعُقُودِهَا مُوسُومَةَ الْحَبَاهِ ، وَإِذَا تَقَاعَسَتْ السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ عَنْ أَنْ نَطَأَ أَعْقَابَهَا ، وَتَوَاطَى حِسَابُهَا ، اجْتَذَبَتْ قِرَاهَا قَسْرًا ، وَأَوْجَبَتْ

لَحَقَّهَا ذِكْرًا، وَتَزَوَّجَتْ سَنَةَ الشَّمْسِ سَنَةَ الْهِلَالِ وَكَانَ الْهِلَالُ بَيْنَهُمَا مَهْرًا؛ فَسَنَّتْهُمْ
 الْمُؤَنَّثَةُ وَسَنَّتْنَا الْمَذْكُورَ، وَآيَةُ الْهِلَالِ هُنَا دُونَ آيَةِ اللَّيْلِ هِيَ الْمُبْصَرَةُ، وَفِي السَّنَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَا فِيهَا مِنْ عَرَبِيَّةِ الْإِفْصَاحِ، وَرَاحَةِ الْإِیْضَاحِ، الزِّيَادَةُ الَّتِي تَظْهَرُ
 فِي كُلِّ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً تُوفِّي عَلَى عِدَدِ الْأُمِّ قَطْعًا، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:
 ﴿وَلْيَسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الزَّائِدَةِ زِيَادَةً،
 مِنْ لَطَائِفِ السَّعَادَةِ، وَوُضَائِفِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ يَمْتَازُونَ عَلَى كُلِّ
 مِلَّةٍ بِسَنَةِ فِي نَظِيرِ تِلْكَ الْمَدَّةِ قَصَدُوا صَلَاتَهَا، وَأَدَّوْا زَكَاتَهَا، وَحَجَّوْا فِيهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقَ
 الْكَرِيمَ، وَصَامُوا فِيهَا الشَّهْرَ الْعَظِيمَ، وَاسْتَوْجَبُوا فِيهَا الْأَجُورَ الْجَلِيلَةَ، وَأَنْتَسَتْ فِيهَا
 أَسْمَاعُهُمْ بِالْأَعْمَارِ الطَّوِيلَةِ، وَمَخَالَفُوهُمْ فِيهَا قَدْ عَطَّلَتْ صَحَائِفُهُمْ فِي عُذْوَانِهِمْ، وَإِنْ
 كَانَتْ عَاطِلَةً، وَخَلَّتْ مُوَافِقُهُمْ فِي أَدْيَانِهِمْ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قَطُّ أَهْلَةً.

وَقَدْ رَأَيْنَا بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ بِاتِّبَاعِ الْعَوَائِدِ الَّتِي سَلَكَهَا السَّلَفُ،
 وَلَمْ تَسْلُكْ فِيهَا السَّرْفَ، أَنْ يَنْسَخُوا أَسْمَاءَهَا مِنْ الْخَرَجِ، وَيَذْهَبَ مَا بَيْنَ السَّنِينَ
 مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالْإِعْوَاجِ، لَا سِيَّمَا وَالشُّهُورُ الْخَرَجِيَّةُ قَدْ وَافَقَتْ فِي هَذِهِ الشُّهُورِ
 الشُّهُورَ الْهَلَالِيَّةِ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي أَيَّامِنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ الْأَيَّامِ، كَمَا أَلْقَى بَاعْتِلَانَنَا الْوِفَاقَ بَيْنَ
 الْأَنَامِ، وَأَسَكَّنَ بَنَظَرَنَا مَا فِي الْأَوْقَاتِ مِنْ أَضْطِرَابٍ وَفِي الْقُلُوبِ مِنْ أَضْطِرَامٍ.

فَلَيْسَتْ أَنْفِ التَّارِيخِ فِي الدَّوَاوِينِ الْمَعْمُورَةِ، لِاسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ، بِأَنْ تُوسَمَ
 بِالْهَلَالِيَّةِ الْخَرَجِيَّةِ لِإِزَالَةِ الْإِلْتِبَاسِ، وَلِإِقَامَةِ الْقِسْطِ، وَإِيضًا [حَا] لِمَنْ أَمْرُهُ عَلَيْهِ
 عَمَّةٌ مِنَ النَّاسِ، وَعَلَى هَذَا التَّقْرِيرِ، تُكْتَبُ سَجَلَاتُ التَّحْضِيرِ، وَتُنَظَّمُ الْحُسْبَانَاتُ
 الْمَرْقُوعَةُ، وَالْمَشَارِعُ الْمَوْضُوعَةُ، وَتَطْرُدُ الْقَوَانِينُ الْمَشْرُوعَةُ، وَتُثَبَّتُ الْمَكَلَّفَاتُ
 الْمَقْطُوعَةُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ دَوَاعِي نَقْلِهَا، وَعَوَارِضِ زَلِيلِهَا وَزَوَالِهَا، إِلَّا أَنَّ الْأَجْنَادَ

إذا قبضوا واجباتهم عن منشور إلى سنة خمس في أواخر سنة سبع وسقط ساقطهم بالوفاة، وجرى بحكم السمع لا بالشرع إلى أن يرث وارثه دون بيت المال مستغل السنة الخراجية التي يلتق فيها تاريخ وفاته من السنة الهلالية وفي ذلك ما فيه، مما يبين الإنصاف وينافيه [لكنفى] .

وإذا كان العدل وضع الأشياء في مواضعها فلنسنا نحرم أيامنا المحرمة بزماننا، مارزقته أبناءها من عدل أحكامنا، بل نخلع عن جديدها المس كل المس، و[تمنع] تبعه الضلال أن تُسند مهادثته إلى نور الشمس، ولا نجعل أيامنا معمورة بالأسقاط التي تجمعها، بل معمورة بالأقساط التي تنفعها، فليبين التاريخ على بنيانه وليحسم الخلف الواقع في السنين، بهذا الحق الصادع المبين، ولينسخ المشهود به في جميع الدواوين، وليكتب بحكمه من الخراج إلى من يمكنه من المستخدمين - ومنها أن المستجد من الأجناد لو حمل على السنة الخراجية في استغلاله، وعلى الهلالية في استقباله، لكان محالاً على ما يكون محالاً، وكان يتعجل استقبالا، ويأطن استعلالا، وفي ذلك ما ينافر أوصاف الإنصاف ويصون الفلاح إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(ما يكتب به في زماننا)

وقد جرت العادة أن يكتب في قطع الثلث وأنه يفتح بخطبة مفتحة ب«الحمد لله» ثم يقال : وبعد فإننا لما اختصنا الله تعالى به من النظر في أمر الناس ومصالحهم، ويذكر ما سنح له من ذلك ثم يقال : ولما كان، ويذكر قصة السنين : الشمسية والقمرية، وما يطرأ بينهما من التباعد الموجب لنقل الشمسية إلى القمرية،

ثم يقال : أفتضى الرأي الشريف أن يحول مغل سنة كذا إلى سنة كذا وتذكر نسخة ذلك ، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف الفلانى لا زال أن تحول سنة كذا إلى سنة كذا .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية ، وهى :

الحمد لله الذى جعل الليل والنهار آيتين ، وصير الشهور والأعوام لأبتداء المبدء وانتهاء غايتين ، ليعلم خلقه عدد السنين والحساب ، وتعمل برئته على توفية الأوقات حقها من الأفعال التى يحصل بها الاعتداد ويحسن بها الاحتساب .

نحمده على ما خص أيامنا الزاهرة من إناعام النظر فى مصالح خلقه ، وإمعان الفكر فى تشييد ما بسط لهم من رزقه ، وإزالة الضرر فى تيسير القيام بما أوجب عليهم من حقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عاصمة من الزينغ ذا هوى ، معتصمة من التوفيق بأقوى أسباب التوثيق وأوثق أسباب القوى ، شافعة حسن العمل فى مصالح العباد بحسن النية ، فإن الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة على العالمين ، ونشر دعوته فى الآفاق فأيده لإقامتها بنصره وبالمؤمنين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أمروا فإطاعوا ، ونهوا فاجتنبوا ما نهوا عنه ما استطاعوا ، صلاة تبنى نماء البذور ، وتبقى بقاء الدهور ، وتطوى بنشرها مراحل الأيام إلى يوم النشور .

وبعد ، فإننا لما أختصنا الله تعالى به من التوفيق على مصالح الإسلام ، والتناول لما تنشرح به فى مواقف الجهاد ، صدور السيوف وتنطق به فى مصالح العباد ، السنة الأفلام ، تتبع كل أمر فنسد خلله ، ونقف ميله ، ونقيم أوده ، وننظر ليومه

بما يصلح به يومه ولغده بما يصلح غده ، إصلاحاً لكل حال بحسبه ، وتقريباً لكل شيء على ما هو أليق بشأنه وإقراراً لكل أمر على ما هو الأحسن به .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل بها ميقات القوت الذى قال الله تعالى فيه : ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وقرينة لا يعول في أحكام الدين إلا عليها ، ولا يرجع في تواريخ الإسلام إلا إليها ، ولا تعتبر العباد الزمانية إلا بأهلتها ، ولا يهتدى إلى يوم الحج الأكبر إلا بأدلتها ، ولا يعتد في العدد التى تحفظ بها الأنساب إلا بأحكامها ، ولا تعلم الأشهر الحرم إلا بوجودها في الأوقات المخصوصة من عامها . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام في المدد ، واختلاف الشهور الهلالية في العدد ، ما يلزم منه تداخل مغل في مغل ، ونسبة شيء راح وأنقضى إلى ما أدرك الآن وحصل ، ويؤدى ذلك إلى إبقاء سنة بغير خراج ، وهذر ما يجب تركه فليس الوقت إليه محتاج ، وإلغاء ما يتعين إلغاؤه ، وإسقاط ما تلتفت إليه الأذهان وهو لا يمكن رجأؤه ، وإن كان ذلك الإسقاط لا ضرر فيه على العباد والبلاد ، ولا نقص ينتج منه للأمرء والأجناد ، ولا حقيقة له ولا معنى ، ولا إهمال شيء أفقر تركه ولا إبقاؤه أغنى ، ولكن صار ذلك من عوائد الزمن القديمه ، ومصطلاح لا تزال العقول بالاحتياج إلى فعله عليه ، وأمر لا بد لك منه ، وحالاً لا مندوحة للدول عنه ، لتغدو التصرفات على الاستقامة ما يشيه ، والمعاملات من الحق ناشيه ، ويعنى رسم ما لم يكن في الحقيقة رابط ، ويزال أسم ما لو توسمه الفضل لأضحى كأنه يغالط . اقتضى حسن رأى الشريف أن تحوّل هذه السنة التى يحصل بها الكبس ، وأن يدحضها يقين النفس ، وأن يرفع ما بها من أشكال الإشكال ، ويزال هذا السبب الذى نشأ عنه دخول الأكثر باستدراج الأقل فلا يكون للأذهان عليه اتكال .

نظراً بذلك في مصالح الأمة ، ودفعاً لما يجدونه من أوهام مُدْهِمَةٍ ، وعملاً يطابق به الدليلُ حكمه ، ويوافقُ فيه اللفظُ معناه والفعلُ أسمه ، وتخفيفاً عن الرعية من لزوم مالا يلزم في الحقيقة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل عدله سائراً في الأيام والأَنَامَ ، وفضله [سائداً] بالرَّفَقِ الذي تغدو به العقولُ والعيونُ كأنها من الأمن في منام - أن يُحوَّلَ مُغَلُّ سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية المحروسة ، لمُغَلِّ سنة خمسين وسبعمائة ، ويُغَيَّرَ اسمُ مُغَلِّ السنة المذكورة ، من الدواوين المعمورة ، ولا يُنسَبَ إليها مُغَلُّ بل يكون مُغَلُّ سنة خمسين وسبعمائة تالياً لمُغَلِّ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتستقرَّ السنة حينئذٍ هلاليةً نَحَاجِيَّةً بحكم دوران السنين ، وأستحقاقُ هذا التحويل من مدَّةِ خمس عشرة سنة ، حيث اتَّفَقَ مبدأ السنين الشمسية والقمرية ، ووقوع الإغفال عن هذا المَبْهَمِ في الدول الماضية ، لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مَضَى من الدول ، مُقَوِّمَةً بعون الله لكل متأوِّدٍ من الزَّيْغِ والخَلَلِ ، لما في ذلك من المصلحة العامة ، والمِنْحَةِ التامة ، والحقِّ الواضح ، والقَصْدِ الناجح ، والمنهج القويم ، والصِّراطِ المستقيم ، والاعتماد على الشهور القمرية قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ .

فليُعتمدَ حُكْمُ ماقرَّرنَاهُ ، وليُتَّهَلَّ أمرُ ماأمرْنَاهُ ، وليُثَبَّتْ ذلك في الدواوين ، وليُشهرَ نبؤُهُ المبين ، وليُسَقَطَ ماخَلَّلَ بين هاتين السنتين من المُغَلِّ الذي لاحقيقة له ، وليُترك ما بينهما من التناوُتِ الذي لا تُعرفُ الحُسبانَاتُ مُعَدِّله ، وليُجَحَّ اسمُ هذه الأيام من الدفاتر ، وليُنسَ حكمُها فإنها أولى بذلك في الزمن الآتي والغابر ؛ فليس المُغَلُّ سوى للعام الذي وُجِدَ فيه سببه ، وظهر فيه حصولُهُ وتعيَّنَ طلبُهُ ، وأدركَ في إبانِهِ ، وجاء

في زمانه، وأتبع به ثمر غرسه، وأستحق في وقته لا كما يلزم أن يكون اليوم في أمسه؛ وفي ذلك من الأسباب الباعثة على ممارستها به، والدواعي اللازمة لدهابه، والبراهين القاطعة بقطعه، والدلائل الواضحة على دفعه، ما قدمناه : من المصالح المعينه، والطرق المبينه، وإزالة الأوهام، وتأكيده الأفهام، وإراحة الخواطر، وإزاحة ما تشوق إليه الظنون في الظاهر؛ وليتطل ذلك من الارتفاعات بالكليّة، ويسقط من الجرائد لتغدو الحسابات منه خليه، ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل ولا مشروح، ولا مشهود يغدو حكمه ويروح، ولا مكلفات تودعها الأقلام شيئاً على الحجاز وهو في الحقيقة مطروح، لتثبت الحسنات لأيماننا الزاهرة في هذا المحو، ويكشف ما ينتج بسماء العقل من غيم الجهالة بما وصّح من هذا الصّحو، ويتمسك في صحة العبادات والمعاملات بالسينن العربية من غير خروج عن ذلك النحو، والله تعالى يبين بنا طرق الصواب، ويحسن ببقاء ملكنا الشريف المال والمآب، ويجعل دولتنا توضح الأحكام على اختلاف الحديد : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الأبواب ﴾ .

والاعتماد فيه على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه، إن شاء الله تعالى .

حادى عشر^(١) جمادى الأولى سنة خمسین وسبعائة .

حسب المرسوم الشريف ؛ بالإشارة الكافية السيفية، كافل الممالك الشريفة الإسلامية، أعز الله تعالى نصرته؛ ثم الحمدلة والتصلية والحسبة .

قلت : وهذه النسخة صدرها إلى قوله : والشهور الهلالية أجنبي عما بعد ذلك من ثمة الكلام . وذلك أنى ظفرت بعجز النسخة، وهو المكتتب في تحويل

(١) كذا في الأصل بإثبات النون وهو كثير في كتابات الكتاب وهو لحن .

سنة تسع وأربعين في نفس المرسوم الشريف الذي شملته العلامة الشريفة ،
وقد قُطِعَ أوله فركبها على هذا الصذر .

ومن عجيب ما يُذكر في ذلك أن سنة تسع وأربعين التي حوّلت إلى سنة خمسين
هي السنة التي وقع فيها الطاعونُ الجارفُ الذي عمّ الأقطارَ خلا المدينة النبوية ،
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخلها
الطاعون ، وكثر فيها الموتُ حتى انتهى إلى عشرين ألفاً في اليوم الواحد ، وكان يُقال
في هذه السنة لما حوّلت : [مات كل شيء حتى السنة] لإلغائها . وجعل مُغلّ
سنة خمسين تالياً لمُغلّ سنة ثمانٍ وأربعين كما تقدّم .

الفصل الثاني

من الباب الرابع من المقالة السادسة
(فيما يُكتب في التذاكر)

والتذاكر جمع تذكّرة .

قال ”في موادّ البيان“ : وقد جرت العادة أن تُضمّن حمل الأموال التي يُسافر
بها الرسولُ ليعودَ إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكونَ حجةً له فيما يُورده
ويُصدّره ، قال : ولا غنى بالكاتب عن العلم بعنواناتها وترتيبها .

فأما عنوانُ التذكّرة فيكون في صدرها تلوّ البسملة ، فإن كانت للرسول يُعمل
عليها ، قيل : تذكّرة مُنِجحة صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ،
ويُنهي بمشيئة الله تعالى إلى ما نُصّ فيها . وإن كانت حجةً له يُعرضها لتشهد بصدق

ما يورده، قيل : تذكرة مُنِجحة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عَرْضه على فلان .

وأما الترتيبُ فيختلف أيضا بحسب اختلاف العُنوان : فإن كانت على الرسم الأول ، كان بصدرها « قد آسْتَحَرْنَا الله عزَّ وجلَّ ونَدَبْنَاكَ ، أو عَوَّلْنَا عَلَيْكَ ، أو نَفَذْنَاكَ ، أو وَجَّهْنَاكَ إلى فلان : لإيصال ما أودَعْنَاكَ وشَافَهْنَاكَ به من كذا وكذا » وَيُقْصُ جميع الأغراض التي أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ بِجَمَلَةٍ . وإن كانت مجمولةً على يده كالجملة له فيما يَعْرِضُهُ ، قيل : « قد آسْتَحَرْنَا الله عزَّ وجلَّ وعَوَّلْنَا عَلَيْكَ في تَحْمُلِ تَذَكُّرَاتِنَا هذه والشُّخُوصَ بِهَا إلى فلان ، أو النُّفُوزِ ، أو التَّوَجُّهِ ، أو المَصِيرِ ، أو القصد بِهَا وإيصالِهَا إِلَيْهِ ، وعَرْضِ مَا تَضَمَّنَتْهُ عَلَيْهِ ، من كذا وكذا » وَيُقْصُ جميع أغراضِهَا .

ثم قال : وهذه التذَكُّرُ أَحْكَامُهَا أَحْكَامُ الْكُتُبِ فِي النُّفُوزِ عَنِ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى ، وَعَنِ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ، فَيَنْبَغِي أَنْ تُبَيَّنَ عَلَى مَا يَحْفَظُ رَتَبَ الْكَاتِبِ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ : فَإِنْ كَانَتْ صَادِرَةً عَنِ الْوَزِيرِ إِلَى الْخَلِيفَةِ مَثَلًا فَتُصَدَّرُ بِمَا مِثَالُهُ « قد آسْتَحَرْتُ الله تعالى ، وعَوَّلْتُ عَلَيْكَ فِي الشُّخُوصِ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - مَتَحَمَّلًا هَذِهِ التَّذَكُّرَ ، فَإِذَا مَثَلْتَ بِالْمَوَاقِفِ الْمُطَهَّرَةِ ، فَوْقَهَا حَقَّهَا مِنَ الْإِعْظَامِ وَالْإِكْبَارِ ، وَالْإِجْلَالِ وَالْوَقَارِ ، وَقَدَّمَ تَقْيِيلَ الْأَرْضِ وَالْمُطَالَعَةَ بِمَا أَشَاءَ مُوَاسِلَتَهُ مِنْ شُكْرِ نِعَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الضَّافِيَةِ عَلَى ، الْمُتَابِعَةِ لَدَيْ ، وَإِخْلَاصِي لِعَاطَتِهِ ، وَأَتَتَصَانِي فِي خِدْمَتِهِ ، وَتَوْفِيرِي عَلَى الدَّعَاءِ بِنَيَاتِ دَوْلَتِهِ ، وَخُلُودِ مَمْلَكَتِهِ ، وَطَالِعَ بِكَذَا وَكَذَا » وَعَلَى هَذَا النِّظَامِ إِلَى آخِرِ الْمَرَاتِبِ يَعْنِي مَرَاتِبِ الْمَكَاتِبِ .

قلت : والذي جرى عليه أَصْطِلَاحُ كُتَابِ الزَّمَانِ فِي التَّذَاكُّرِ أَنَّ التَّذَكُّرَ تَكْتُبُ فِي قِطْعِ الشَّامِي ، تُكْسَرُ فِيهَا الْفَرْخَةُ الْكَامِلَةُ نِصْفَيْنِ ، وَتَجْعَلُ دَقْتَرًا وَوَرَقَةً إِلَى جَنْبِ

أخرى لا كُرَّاسةً بعضها داخل بعض ، وتكون كتابتها بقلم الرِّقاع ، وتكون البسملة في أعلى باطن الورقة الأولى بياض قليل من أعلاها وهامش عن يمينها ؛ ثم يكتب السطر التالي من التذكرة على سمت البسملة ملاصقاً لها ، ثم يُخَلَّى قدرُ عرض إصبعين بياضاً ويكتب السطر التالي ، ثم يُخَلَّى قدرُ إصبع بياضاً ويكتب السطر التالي ؛ ويجرى في باقى الأسطر على ذلك حتى يأتى على آخر الورقة ، ثم يكتب باطن الورقة التى تليها كذلك ، ثم ظاهرها كذلك ، ثم الورقة الثانية فبا بعدها على هذا الترتيب إلى آخر التذكرة ، ثم يكتب « إن شاء الله تعالى » ثم التاريخ ، ثم الحمدلة والصلاة على النبی صلی الله علیه وسلم ، ثم الحسبلة ، على نحو ما تقدم فى المكتبات والولايات وغيرها على ما تقدم بيانه فى المقالة الثالثة فى الكلام على الخواتم .



وهذه نسخةُ تذكرة أنشأها القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، سيرها ضحبة الأمير شمس الدين الخطيب : أحد أمراء الدولة الصلاحية إلى أبواب الخلافة ببغداد فى خلافة الناصر لدين الله ، وهى :

تذكرة مباركة ولم تزل الذكرى للمؤمنين نافعه ، ولعواریض الشك دافعه ؛ ضمنت أغراضاً يُقَيِّدها الكتاب ، إلى أن يُطْلَقَها الخطاب . على أن السائر سيار البيان ، والرسول يمضى على رسل التبيان ؛ والله سبحانه يُسَدِّده قائلاً وفاعلاً ، ويحفظه بادئاً وعائداً ومُقِمّاً وراحلاً .

الأميرُ الفقيهُ شمس الدين خطيبُ الخطباء - أدام الله نعمته ، وكتب سلامته ، وأحسن صحابته - يتوجه بعد الاستخارة ويقصد دار السلام ، والخطبة التى هى عُش بيضة الإسلام ؛ ومجتمع رجاء الرجال ، ومتسع رحاب الرجال ؛ فإذا نظر تلك الدار

الدائر سحَابُهَا ، وشَافَهُ بالنظر مَعَالَمَ ذَلِكَ الْحَرَمِ الْمُحَرَّمِ عَلَى الْخُطُوبِ خِطَابُهَا ، وَوَقَفَ
أَمَامَ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَحْسُدُ الْأَرْجَلَ عَلَيْهَا الرُّءُوسُ ، وَقَامَ بِتِلْكَ الْمَنَازِلِ الَّتِي تُنَافِسُ
الْأَجْسَامَ فِيهَا النُّفُوسُ ، فَلَوْ اسْتَطَاعَتْ لَزَارَتْ الْأَرْوَاحُ مَحْرِمَةً مِنْ أَجْسَادِهَا ،
وَطَافَتْ بِكَعْبَتِهَا وَتَجَرَّدَتْ مِنْ أَعْمَادِهَا ، فَلْيُمْطِرِ الْأَرْضَ هُنَاكَ عَنَّا قُبَلًا تُخَضِّلُهَا ،
بِأَعْدَادِ لَا تُخَضِّلُهَا ؛ وَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهَا سَلَامًا نَعْتُهُ مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ اللَّازِمَةِ ، وَسُنَنِ الْإِسْلَامِ
الْقَائِمَةِ ، وَلْيُورِدْ عَنَّا تَحِيَّةً يَسْتَنْزِلُهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَحِيَّةً مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ، وَصَلَاةً تَخْتَرِقُ
أَنْوَارَهَا الْأَسْتَارَ الْمُحِجِّبَةَ ، وَلْيُصَافِحْ عَنَّا بَوَاجِهُهُ صَفْحَةً الثَّرَى ، وَلْيَسْتَشْرِفْ عَنَّا بِنَظَرِهِ
فَقْدَ ظَفِيرِ بَصْبَاحِ السُّرَى ، وَلْيَسْتَلِمِ الْأَرْكَانَ الشَّرِيفَةَ ، فَإِنَّ الدِّينَ إِلَيْهَا مُسْتَبَدٌّ ، وَلْيَسْتَدِمِ
الْمُلَاحَظَاتِ اللَّطِيفَةَ ، فَإِنَّ النُّورَ مِنْهَا مُسْتَمَدٌّ ، وَإِذَا قَضَى التَّسْلِيمَ وَحَقَّ اللَّقَاءَ ،
وَاسْتَدْعَى الْإِخْلَاصَ جَهْدَ الدَّعَاءِ ، فَلْيَعُدْ وَلْيَعُدْ حَوَادِثَ مَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى ،
وَجَوَارِي أُمُورٍ إِنْ قَالَ مِنْهَا كَثِيرًا فَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا جَرَى ، وَلْيَشْرَحْ صَدْرًا مِنْهَا لَعَلَّهُ
يُشْرَحُ مِنْهَا صَدْرًا ، وَلْيُوضِّحِ الْأَحْوَالَ الْمُسْتَسْرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْبَدُ سِرًّا :

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبُ * فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ

كَالْعَيْسِ أَقْتُلُ مَا يَكُونُ لَهَا الظَّأ * وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَجْمُولُ

فَإِنَّا كُنَّا نَهْتَسِ النَّارَ بِأَيْدِينَا ، وَغَيْرِنَا يَسْتَدِيرُ ، وَنَسْتَبْذِطُ الْمَاءَ بِأَيْدِينَا ، وَغَيْرِنَا يَسْتَمِيرُ ،
وَنَلْقَى السَّهَامَ بِخُورِنَا ، وَغَيْرِنَا يَغَيِّرُ التَّصْوِيرَ ، وَنُصَافِحُ الصَّفَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَغَيْرِنَا يَدْعَى
التَّصْدِيرَ ، وَلَا بَدَّ أَنْ نَسْتَرِدَّ بِضَاعَتِنَا ، بِمَوْقِفِ الْعَدْلِ الَّذِي تُرَدُّ بِهِ الْغُصُوبُ ، وَنُظْهِرُ
طَاعَتِنَا ، فَتَأْخُذُ بِحِظِّ الْأَلْسِنَةِ كَمَا أَخَذْنَا بِحِظِّ الْقُلُوبِ ، وَمَا كَانَ الْعَائِقُ إِلَّا أَنَّا كُنَّا نَنْظُرُ
ابْتِدَاءً مِنَ الْجَانِبِ الشَّرِيفِ بِالنَّعْمَةِ ، يُضَاهِي ابْتِدَاءَنَا بِالْخِدْمَةِ ، وَإِجَابًا لِلْحَقِّ ، يَشَاكِلُ
إِجَابَتَنَا لِلسَّبْقِ ، إِلَى أَنْ يَكُونَ سَحَابُهَا بِغَيْرِ يَدٍ مُسْتَنْزِلًا ، وَرَوْضُهَا بِغَيْرِ غَرْسٍ مُطْفِلًا .

كان أول أمرنا أنا كنّا في الشام نفتح الفتوحات مبشرين بأنفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكره نحن والدنا وعمنا، فأى مدينة فتحت، أو معقل ملك، أو عسكر للعدوكسر، أو مصاف للإسلام معه ضرب، فإي يجهل أحد، ولا يحدد عدو، أنا نصطلي الجمره، ونملك الكسره، ونتقدم الجماعة، ونرتب المقاتلة، وندير النعبه، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجرها، ولا يضربنا أن يكون لغيرنا ذكرها .

وكانت أخبار مصر نتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء التدبير، ومما دولتها عليه من غلبة صغير على كبير، وأن النظام قد فسد، والإسلام بها قد ضعف عن إقامته كل قائم بها وقعد، والفرنج قد احتاج من يديرها إلى أن يقطعهم بأموال كثيره، لها مقادير خطيره، وأن كلمة السنة بها وإن كانت مجموعه، فإنها مقمومه، وأحكام الشريعة وإن كانت مسماه، فإنها متجاهاه، وتلك البدع بها على ما يعلم، وتلك الضلالات فيها على ما يفتى منها بفراف الإسلام ويحكم، وذلك المذهب قد خالط من أهله اللحم والدم، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تتخذ من دون الله تعظم وتفخم، فتعالى الله عن شبه العباد، وويل لمن غره قلب الذين كفروا في البلاد .

فسمت هممنا دون همم ملوك الأرض إلى أن نستفتح مقفلها ونسترجع للإسلام شاردها ونعيد على الدين ضالته منها فسرنا إليها بعساكر ضخمة، وجوع جمه، وبأموال انتهكت الموجود، وبلغت منا المجهود، وأنفقناها من خالص ديمنا وكسب أيدينا، ومن أسارى الفرنج الواقعين في قبضتنا، فعرضت عوارض منعت، وتوجهت للمصريين حيل باستنجد الفرنج تمت : ((ولكل أجل كتاب)) . ولكل أمل باب .

وكان في تقدير الله سبحانه أنا نملكها على الوجه الأحسن، ونأخذها بالحكم الأقوى الأمكن، فغدر الفرنج بالمصريين غدرة في هذنة عظم خطبها وخبطها،

وَعَلِمَ أَنَّ اسْتِئْصَالَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ مَحْطُّهَا ، وَكَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ،
 كَمَا كَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ فِي هَذَا الْأَوَّانِ ، بَأَنَّا إِن لَمْ نُذَرِكِ الْأَمْرَ وَإِلَّا تَخَرَجَ
 مِنَ الْيَدِ ، وَإِن لَمْ نُدْفَعْ غَرِيمَ الْيَوْمِ لَمْ يُمَهِّلْ إِلَى الْغَدِ ، فِسرْنَا بِالْعَسَاكِرِ الْمَوْجُودَةِ
 وَالْأُمَرَاءِ الْأَهْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى بِلَادٍ قَدْ تَمَهَّدَ لَنَا بِهَا أُمْرَانِ ، وَتَقَرَّرَ لَنَا فِيهَا فِي الْقُلُوبِ
 وَدَّانِ : الْأَوَّلُ لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ إِثَارِنَا الْمَذْمُوبِ الْأَقْوَمِ ، وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ الْأَقْدَمِ ، وَالْآخِرُ
 لِمَا يَرْجُوهُ مَنْ فَكَّ إِسَارَهُمْ ، وَإِقَالَةَ عِثَارِهِمْ ، فَفَعَلَ اللَّهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَجَاءَ الْخَبَرُ إِلَى
 الْعَدُوِّ فَانْقَطَعَ حَبْلُهُ ، وَضَاقَتْ بِهِ سُبُلُهُ ، وَأَفْرَجَ عَنِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ضِيَاعُهَا
 وَرَسَائِقُهَا وَبِلَادُهَا وَإِقْلِيمُهَا قَدْ نَفَذَتْ فِيهَا أَوَامِرُهُ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا صُلْبَانُهُ ، وَأَمِنَ
 مِنْ أَنْ يُسْتَرْجَعَ مَا كَانَ بَأْيْدِهِمْ حَاصِلًا ، وَأَنْ يُسْتَنْقَذَ مَاصِرٌ فِي مِلْكِهِمْ دَاخِلًا ، وَوَصَلْنَا
 الْبِلَادَ وَبِهَا أَجْنَادٌ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ ، وَسَوَادُهُمْ كَبِيرٌ ، وَأَمْوَالُهُمْ وَاسِعَةٌ ، وَكَلِمَتُهُمْ جَامِعَةٌ ،
 وَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ أَقْدَرُ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفْرِ ، وَالْحِيلَةُ فِي السَّرِّ مِنْهُمْ أَنْفَذُ مِنْ
 الْعَزِيمَةِ فِي الْجَهْرِ . وَبِهَا رَاجِلٌ مِنَ السُّودَانِ يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَغْنَاءُ
 أَعْجَامَ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، لَا يَعْرِفُونَ رَبًّا إِلَّا سَاكِنَ قَصْرِهِ ، وَلَا قِبْلَةً إِلَّا مَا تَوَجَّهُوا
 إِلَيْهِ مِنْ رُكْنِهِ . وَبِهَا عَسَاكِرُ مِنَ الْأَرَمَنِ بَاقُونَ عَلَى النَّصْرَانِيَةِ مَوْضُوعَةٌ عَنْهُمْ الْحِزْيَةُ
 كَانَتْ لَهُمْ شَوْكَةً وَشِكَّةً ، وَحِمِيَّةً وَحِمَّةً ، وَلَهُمْ حَوَاشٍ لِقَصْرِهِمْ مِنْ بَيْنِ دَائِعٍ تَلَطَّفَ
 فِي الضَّلَالِ مَدَاخِلُهُ ، وَتُصِيبُ الْعُقُولَ مَخَاتِلُهُ ، وَمِنْ بَيْنِ كُتَابِ أَفْلَامِهِمْ تَفْعَلُ أَفْعَالُ
 الْأَسَلِ ، وَخُذَّاءٌ يَجْمَعُونَ إِلَى سَوَادِ الْوُجُوهِ سَوَادَ النَّحْلِ ، وَدَوْلَةٌ قَدْ كَبُرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ ،
 وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا الْكَبِيرُ ، وَمَهَابَةٌ تَمْنَعُ خَطَرَاتِ الضَّمِيرِ ، فَكَيْفَ لِحَظَاتِ التَّدْيِيرِ .

هَذَا إِلَى اسْتِبَاحَةِ الْحَارِمِ ظَاهِرَةً ، وَتَعْطِيلِ الْفَرَائِضِ عَلَى عَادَةٍ جَارِيَةٍ ، وَتَحْرِيفِ
 لِلشَّرِيعَةِ بِالتَّأْوِيلِ ، وَعُدُولِ إِلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ ، وَكُفْرٍ سَمِيٍّ بِغَيْرِ اسْمِهِ ،
 وَشَرْعٍ يُتَسَرَّبُ بِهِ وَيُحْكَمُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ .

فما زلنا نَسَحَتُهُمْ سَحَتَ الْمَبَارِدِ لِلشَّفَارِ ، وَتَحَيَّفَهُمْ تَحَيَّفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِلْأَعْمَارِ ،
بِعَجَائِبِ تَدْيِيرٍ ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْمَسَاطِيرُ ، وَغَرَائِبِ تَقْرِيرٍ ، لَا تَحْمِلُهَا الْأَسَاطِيرُ ، وَلَطِيفِ
تَوْصُلِ مَا كَانَ فِي حِيلَةِ الْبَشَرِ وَلَا قُدْرَتِهِمْ إِلَّا إِيَّانَهُ الْمُقَادِيرُ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَنْجَدُوا
عَلَيْنَا الْفَرَجَ دَفْعَةً إِلَى بُلَيْسٍ ، وَدَفْعَةً إِلَى دِمْيَاطٍ ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا وَصَلُوا بِالْعَدُوِّ الْمُجَهَّرِ ،
وَالْحَشْدِ الْأَوْفَرِ ، وَخُصُوصًا فِي نَوْبَةِ دِمْيَاطٍ فَإِنَّهُمْ نَازَلُوهَا بِحَرًّا فِي أَلْفِ مَرَكَبٍ مُقَاتِلِ
وَحَامِلِ ، وَبَرًّا فِي مِائَتِي أَلْفِ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَحَصَرُوهَا شَهْرَيْنِ يَبَاكُوفُنَهَا وَيُرَاوِحُونَهَا ،
وَيُمَاسُونَهَا وَيُصَاحِجُونَهَا ، الْقِتَالُ الَّذِي يُصَلِّيهِ الصَّلِيبُ ، وَالْقِرَاعُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ مَنْ
مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَنَحْنُ مُقَاتِلُ الْعَدُوِّ : الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، وَنُصَايِرُ الضَّدِّينِ : الْمُنَافِقِ
وَالْكَافِرِ ، حَتَّى أَتَى اللَّهَ بِأَمْرِهِ ، وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ ، وَخَابَتِ الْمَطَامِعُ مِنَ الْمَضْرِبِينَ وَمَنْ
الْفَرَجِ وَمَنْ مَلَكَ الرُّومَ وَمَنْ الْجَنَوِيِّينَ وَأَجْنَاثِ الرُّومِ لِأَنَّ أَنْفَارَهُمْ تَنَافَرَتْ ، وَنُصَارَاهُمْ
تَنَاصَرَتْ ، وَأَنَاجِيلُ طَوَاعِيهِمْ رُفِعَتْ ، وَصُلْبُ صَلْبَتِهِمْ أُخْرِجَتْ ، وَشَرَعْنَا فِي تِلْكَ
الطَّوَائِفِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالسُّودَانِ وَالْأَرْمَنِ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ تَارَةً بِالْأَوَامِرِ
الْمُرْهَقَةِ لَهُمْ ، وَبِالدُّنُوبِ الْفَاضِحَةِ مِنْهُمْ ، وَبِالسُّيُوفِ الْمَجْرَدَةِ وَبِالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ ، حَتَّى بَقِيَ
الْقَصْرُ وَمَنْ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ قَدْ تَفَرَّقَتْ شَيْعَتُهُ ، وَتَعَزَّزَتْ يَدَعُهُ ، وَخَفَّتْ دَعْوَتُهُ ،
وَحَفِيتْ ضَالَّتُهُ . فَهِنَاكَ تَمَّتْ لَنَا إِقَامَةُ الْكَلِمَةِ وَالْجَهْرُ بِالْخُطْبَةِ وَالرُّفْعُ لِلِوَاءِ السَّوَادِ
الْأَعْظَمِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَعَاجَلَ اللَّهُ الطَّاعِيَةَ الْأَكْبَرَ بِفَنَائِهِ ، وَبَرَّأَنَا
مِنْ عَهْدَةِ يَمِينٍ كَانَ حِثُّهَا أَيْسَرَ مِنْ إِثْمِ إِبْقَائِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ عُوِجِلَ لِقَرُطِ رَوْعَتِهِ ، وَوَافَقَ
هَلَاكُ شَخْصِهِ هَلَاكُ دَوْلَتِهِ .

وَمَا خَلَا دَرْعُنَا ، وَرَحَّبَ وَسْعُنَا ، نَظَرْنَا فِي الْغَزَوَاتِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ ، فَلَمْ
تَخْرُجْ سَنَةً إِلَّا عَنْ سُنَّةٍ أُقِيمَتْ فِيهَا بَرًّا وَبَحْرًا ، وَمَرْكَبًا وَظَهْرًا ، إِلَى أَنْ أَوْسَعْنَاهُمْ
قِتْلًا وَأَسْرًا ، وَمَلَكْنَا رِقَابَهُمْ قَهْرًا وَقَسْرًا ، وَفَتَحْنَا لَهُمْ مَعَاقِلَ مَا خَطَرَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا

مَنْدُ أُخِذَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَمَا أُوجِفَتْ فِيهَا خِيْلُهُمْ وَلَا رِكَابُهُمْ مَدْ مَلَكَهَا أَعَادِيهِمْ ، فَمِنْهَا مَا حَكَمَتْ فِيهِ يَدُ الْخُرَابِ ، وَمِنْهَا مَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ يَدُ الْاِكْتِسَابِ ، وَمِنْهَا قَاعَةٌ بِشَفَرِ أَيْلَةٍ كَانَ الْعَدُوُّ قَدْ بَنَاهَا فِي بَحْرِ الْهِنْدِ ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ مِنْهُ إِلَى الْحَرَمَيْنِ وَالْيَمَنِ ، وَغَزَا سَاحِلَ الْحَرَمِ فَسَبَى مِنْهُ خَلْقًا ، وَخَرَقَ الْكُفْرَ فِي هَذَا الْجَانِبِ نَحْرًا ، فَكَادَتْ الْقِبْلَةُ أَنْ يُسْتَوْلَى عَلَى أَصْلَافِهَا ، وَمَسَاجِدُ اللَّهِ أَنْ يَسْكُنَهَا غَيْرُ أَهْلِهَا ، وَمَقَامُ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ مَنْ نَارُهُ غَيْرُ بَرْدٍ وَسَلَامٍ ، وَمَضَّجُ الرَّسُولِ شَرَفَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَطَرَّقَهُ مِنْ لَا يَدِينُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ وَصَارَتْ مَعْقِلًا لِلْجِهَادِ ، وَمَوْئِلًا لِسُقَّارِ الْبِلَادِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ الْعِبَادَةِ ، فَلَوْ شَرَحَ مَا تَمَّ بِهَا لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَثَرِ الْجَلِيلِ ، وَمَا اسْتَدَّ مِنْ خَلَاتِهِمْ ، وَأُحْرِقَ مِنْ زُرُوعِ الْمُشْرِكِينَ وَرُعَى مِنْ غَلَاتِهِمْ ، إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ ثَغُورُهُمْ ، وَآخَنَتْ أُمُورُهُمْ ، لَاحْتِيجَ فِيهِ إِلَى زَمَنِ يَشْغَلَ عَنْ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ لِسَمَاعٍ مَوْرَدَهُ ، وَإِيضًا مَقْصِدَهُ .

وَكَانَ بِالْيَمَنِ مَا عَلِمَ مِنْ أَبْنِ مَهْدَى الضَّالِّ وَلَهُ آثَارٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَثَارٌ طَالِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِأَنَّهُ سَبَى الشَّرَائِفَ الصَّالِحَاتِ وَبَاعَهُنَّ بِالثَمَنِ الْبَخْسِ ، وَاسْتَبَاحَ مِنْهُنَّ كُلَّ مَا لَا تَقَرُّ عَلَيْهِ نَفْسٌ ، وَكَانَ يَبْدِعُهُ دَعَا إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ وَسَمَاءَ كَعْبِهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ الرِّعَايَا الْمَعْصُومَةِ وَأَجَاحَهَا ، وَأَحْلَلَ الْفُرُوجَ الْحَرَمَةَ وَأَبَاحَهَا ، فَأَنْهَضْنَا إِلَيْهِ أَخَانًا بَعْسَكِرْنَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْنَا لَهُ نَفَقَاتٍ وَاسِعَةً ، وَأَسْلَحِيَّةَ رَائِمَةٍ ، وَسَارَ فَأَخَذَنَا اللَّهُ الْحَمْدَ ، وَأَنْجَحَ اللَّهُ فِيهِ الْقَصْدَ ، وَوَرَدَتْنا كُتُبُ عَسَاكِرْنَا وَأَمْرَانَا بِمَا نَقَذَ فِي أَبْنِ مَهْدَى وَبِلَادِهِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَعَاqِلِهِ الْمُسْتَضَافَةِ ، وَالْكَلِمَةُ هُنَاكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ إِلَى الْهِنْدِ سَارِيَّةٌ ، وَإِلَى مَا لَمْ يَقْتَضِ الْإِسْلَامُ عُذْرَتَهُ مَدْ أَقَامَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ مُتَمَادِيَةً .

وَلَنَا فِي الْمَغْرِبِ ، أَثَرٌ أَغْرَبَ ، وَفِي أَعْمَالِهِ أَعْمَالٌ دُونَ مَطْلَبِهَا كَمَا يَكُونُ الْمَهْلَكُ دُونَ الْمَطْلَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَدْ اسْتَهْتَرُوا أَنْ أَمْرَهُمْ أَمْرٌ ، وَمُلْكُهُمْ

قد عَمِرَ ، وَجُيُوشُهُمْ لَا تُطَاقُ ، وَأَوَامِرُهُمْ لَا تُشَاقُّ ، وَنَحْنُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ مَلَكَ مَا يُجَاوِرُنَا مِنْهُ بِلَادًا تَزِيدُ مَسَافَتَهَا عَلَى شَهْرٍ ، وَسَيَّرْنَا عَسْكَرًا بَعْدَ عَسْكَرٍ رَجَعَ بِنَصْرِ بَعْدَ نَصْرٍ ، وَمِنَ الْبِلَادِ الْمَشَاهِيرِ ، وَالْأَقَالِمِ الْجَمَاهِيرِ — لُكُّ — بَرْقَةٌ — قَفْصَةٌ — قَسْطِيلِيَّةٌ — تَوَزَّرَ كُلُّ هَذِهِ تُقَامُ فِيهَا الْخُطْبَةُ لِمَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمُسْتَضَى بِاللهِ سَلَامٌ اللهُ عَلَيْهِ ، وَلَا عَهْدَ لِلْإِسْلَامِ بِأَقَامَتِهَا ، وَتُفْعَلُ فِيهَا الْأَحْكَامُ بِعَلَمِهَا الْمَنْصُورِ وَعَلَامَتِهَا . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ عِنْدَنَا وَقَدْ قَدْ شَاهَدَهُ وَفُودُ الْأَمْصَارِ ، مِقْدَارُهُ سَبْعُونَ رَاكِبًا كُلُّهُمْ يَطْلُبُ لِسُلْطَانِ بَلَدِهِ تَقْلِيدًا ، وَيَرْجُو مِنَّا وَعْدًا وَيَخَافُ وَعِيدًا .

وَقَدْ صَدَرَتْ عَنَّا بِحَمْدِ اللهِ تَقَالِيدُهَا ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْنَا مَقَالِيدُهَا ، وَسَيَّرْنَا الْخِلَاعَ وَالْأَلْوِيَةَ ، وَالْمَنَاشِيرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَوَامِرِ وَالْأَفْضِيَةِ .

وَأَمَّا الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ يُحَدِّقُونَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَالْكُفَّارُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهَا بِالْمَالِكِ الْعِظَامِ وَالْعَزَائِمِ الشَّدَادِ ، فَهُمْ صَاحِبُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَهُوَ الطَّاغِيَةُ الْأَكْبَرُ ، وَالْجَبَّارُ الْأَكْثَرُ ، وَصَاحِبُ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي أَكَلَتْ عَلَى الدَّهْرِ وَشَرِبَتْ ، وَقَائِمُ النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي حَكَمَتْ دَوْلَتَهُ عَلَى مَمَالِكِهَا وَغَلَبَتْ ، وَجَرَتْ لَنَا مَعَهُ غَزَوَاتٌ بَحْرِيَّةٌ ، وَمُنَاقَلَاتٌ ظَاهِرِيَّةٌ وَسَرِّيَّةٌ ، وَكَانَتْ لَهُ فِي الْبِلَادِ مَطَامِعُ مِنْهَا أَنْ يَجْبِيَ خَرَاجًا ، وَمِنْهَا أَنْ يَمْلِكَ مِنْهَا فِجَاجًا ، وَكَانَتْ غُصَّةً لَا يُسَيِّغُهَا الْمَاءُ ، وَدَاهِيَةً لَا تُرْجَى لَهَا الْأَرْضُ بِلِ السَّمَاءِ ، فَأَخَذْنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ بِكَظَمِهِ ، وَأَقْمَنَاهُ عَلَى قَدَمِهِ ، وَلَمْ نُخْرِجْ مِنْ مِصْرَ ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ نَارُ سُلَيْمَ فِي جُمُعَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نَوْبَتَيْنِ بَكَتَيْنِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُظْهِرُ فِيهِ خَفَضُ الْجَنَاحِ ، وَالِاقَاءُ السَّلَاحِ ، وَالِانْتِقَالَ مِنْ مُعَادَاهُ ، إِلَى مُهَادَاهُ ، وَمِنْ مَنَاصِحِهِ ، إِلَى مَنَاصِحِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ أَنْذَرَ بِصَاحِبِ صَقِيلِيَّةَ وَأَسَاطِيلَهُ الَّتِي يَرِدُ ذِكْرُهَا ، وَعَسَا كَرِهَ الَّتِي لَمْ يَخَفْ أَمْرُهَا .

ومن هؤلاء الكفار صاحب صقلية هذا كان حين علم أن صاحب الشام وصاحب قسطنطينية قد اجتمعاً في نوبة دمياط فغلبا وهزما وكسرا، أراد أن يظهر قوته المستقلة بمفردها، وعزمته القائمة بجردتها، فعمر أسطولاً استوعب فيه ماله وزمانه: فإنه إلى الآن منذ خمس سنين يكثر عدته، ويذهب عُدته، ويحتلب مقاتلته إلى أن وصل منها في السنة الحالية إلى إسكندرية أمر رافع، وخطب هائل، ما أثقل ظهر البحر مثل حمله، ولا ملاء صدره مثل خيله ورجله، ماهو إقليم بل أقاليم تقله، وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا أن الله خذله؛ ولو ذهبنا نصف ما ذهب فيه من ذهب؛ وما أخذ منه من سلاح وخيل وعدد ومجانيق، ومن أسر منه من خيالة بكار، ومقدمين ذوي أقدار، وملوك يقاطعون بالجل التي لها مقدار؛ وكيف أخذوه وهو في العدد الأكثر بالعدد الأقل من رجالنا، وكيف نصر الله عليه مع الأصعب من قتاله بالأسهل من قتالنا، لعلم أن عناية الله بالإسلام تُغنيه عن السلاح، وكفاية الله لهذا الدين تكفيه مئونة الكفاح؛ ومن هؤلاء الجنويين الذين يسربون الجيوش - البنادقة - البياشنه - الجنوية كل هؤلاء تارة لا تطاق ضراوة ضرهم، ولا تطفأ شرارة شرهم؛ وتارة يجهزون سفارا يحتكون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الأحكام المرهوبة؛ وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وبلاده؛ وكلهم قد قررت معه المواقفة، وانتظمت معه المسالمة؛ على ما نريد وبكرهون، ونؤثر ولا يؤثرون.

ولما قضى الله بالوفاة النورية، وكنا في تلك السنة على نية الغزو، والعساكر قد ظهرت، والمضارب قد برزت، ونزل الفرنج بانياس وأشرفوا على احتيازها، وراوها فرصة مدوا إليها يد انتهازها، استصرخ بنا صاحبها للممانعة، واستنهضنا لتفريج الكرب الواقع؛ فسرنا مراحل اتصل بالعدو أمرها، وعوجل بالهدنة الدمشقية

التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قُبل كثيرها ولا قُلبها ؛ ثم عدنا إلى البلاد فتوافت إلينا الأخبار بما الدولة النورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشدت الأمور وتقطعت بها ، وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمّح إليه طالب ، والفرنج قد بنوا بلادا يتحيفون بها الأطراف الإسلامية ، ويضايقون بها البلاد الشامية ، وأمرأء الدولة قد سُجن أكابرهم وعُوقبوا وصودروا ، والمماليك الذين للتوقي أغرارٌ خُلقوا للأطراف لا للصُدور ، وجعلوا للقيام لا للجلوس في الحقل المحصور ، وقد مدّوا الأعين والأيدي والسيف ، وساءت سيرتهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ، ويجعلهم لظهره سندا ، ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويفرّج لهم عن أسير من أكابر الكفار كان مقامه مما يدفع شرا ، ولا يزيد نار الكفر جحرا ، وإطلاقه يحلب قطيعة تقوى إسلاما وتضعف كفرا ؛ فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا ولببلاد الإسلام في العاقبة ، وعرفنا أن البيت المقدس إن لم تيسر الأسباب لفتحه ، وأمر الكفر إن لم يجرّد العزم في قلعه ، وإلا شبت عُروقه ، وآتسعت على أهل الدين خروقه ، وكانت الحجة لله قائمه ، وهم القادرين بالقعود آثمه ؛ وإذا لا يتمكن بمصر منه مع بُعد المسافة ، وأنقطاع العارة وكلال الدواب ، وإذا جاورناه كانت المصلحة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والغزوة ممكنة ، والميرة متسعة والخيل مستريحة ، والعساكر كثيرة ، والجموع متيسرة ، والأوقات مساعدة ، وأصاحبنا مافي الشام من عقائد معتلة ، وأمور مختلة ، وآراء فاسده ، وأمرأء متحاسده ، وأطماع غالبة ، وعقول غائبة ، وحفظنا الولد القائم بعد أبيه ، وكملناه كفالة من يقضى الحق ويؤفيه ، فإننا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ، ويظهرون الوفاء بخدومه وهم عاملون بظلمه ، والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ،

ويؤكد الدعوه، ويجمع الأمة، ويحفظ الألفه، ويضمن الزلفه، ويفتح بقية البلاد،
ويطبق بالاسم العباسي كل ما تخطئه العهاد. ونحن نقترح على الأحكام المعهودة،
وننتظر أن يأتي الإنعام على الغايات المزيدة؛ وهو تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن
والشام، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية، وكل ما يفتح الله للدولة بسيفنا
وسيف عساكرنا، ولن نقيمه من أخ وولد من بعدنا، تقليدًا يضمن للنعمة
تخليدًا، وللدعوة تجديدًا، مع ما ينعم به من السمات التي يقتضيها الملك، فإن الإمارة
اليوم بحسن نيتنا في الخدمة تُصرف بأقلامنا، ونستفاد من تحت أعلامنا، ويتبين
أن أمراء الدولة النورية يحتاج إليهم في فتح البلاد القدسية ضرورة: لأنهم منازل
العساكر، ومجمع الأنفار والعشائر؛ فحق لم يكن عليهم يد حاكمه، وفيهم كلمة نافذه؛
منعهم ولاية البلاد، وبغاة العناد.

وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به
ويكفيه؛ والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملأوا، وقرنا لا يزال يحرم
السيف حتى يكلأوا؛ حتى إننا لما جاورناهم في هذا الأمد القريب، وعلموا أن
المصحف قد جاء بأيدينا يخاصم الصليب؛ استشعروا بفراق بلادهم، وتهادوا التعازي
لأرواحهم بأجسادهم، وإذا سدّد رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع في غمده،
وبلغنا المني بمشيئة الله ويد كل مسلم تحت برده، وأستقذنا أسيرًا من المسجد
الذي أسرى الله إليه بعبده.

هذا ما لاح طلبة على قدر الزمان، والأنفس تطلب على مقدار الإحسان؛ فإن
في استنهاض نيات الخدام بالإنعام ما يعود على الدولة منافعه، وتنكأ الأعداء مواقفه؛
وتبعث العزائم من موت منامها، وتنفض عن البصائر غبار ظلامها؛ والله تعالى يُجِدُّ
إرادتنا في الخدمة بمضاهة الاقتدار، ومساعدة الأقدار، إن شاء الله تعالى.

الضرب الثاني

(ما كان يُكتب لنواب السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان
عن الديار المصرية)

والعادة أن يُكتب فيما يتعلق بمهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ،
وما يترتب فيها ، وما يُشئ على حكمه بمصر والقاهرة المحروستين ، وسائر أعمال الديار
المصرية ، وما تبرز به المراسيم الشريفة في أمورها وقضاياها ، وأستخراج أموالها
وحملها ، وعمل جسورها وحفائرها ، وما يتجدد في ذلك ، وما يجري هذا المجرى
من سائر التعلقات ، وتصدر بذلك التذكرة .

وهذه نسخة تذكرة سلطانية كتبت بها عن السلطان الملك الصالح على ، ابن الملك
المنصور قلاوون الصالحى ، لكافل السلطنة بالديار المصرية ، الأمير زين الدين كتبغا ،
عند سفر السلطان الملك الصالح الى الشام ، وأستقرار كتبغا المذكور نائباً عنه في سنة
تسع وتسعين وستمائة ، من إنشاء أحمد بن المكرم بن أبى الحسن الأنصارى ، أحد
كُتاب الدرج يومئذ ومن خطّه نقلت ، وهى :

تذكرة نافعة ، للخيرات جامعها ، يعتمد عليها المجلس العالى ، الأميرى ، الزينى ،
كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - فى مهمات الديار
المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب بها ، وما يبت ويقتصل فى القاهرة ومصر
المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية ، صانها الله تعالى ، وما تُستخرج به المراسيمُ
الشريفة ، المولوية ، السلطانية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية - أنفذها الله تعالى -
فى أمورها وقضاياها ، ولاياتها وولاياتها ، وحملها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على
ما شرح فيه :

فصل الشرع الشريف :

يُسَدُّ مِنْ حُكَّامِهِ وَقُضَاتِهِ فِي تَنْفِيزِ قَضَايَاهُ وَتَصْرِيفِ أَحْكَامِهِ ، وَالشَّدَّ مِنْهُ فِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فصل العدل والانصاف والحق :

يَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ : مُدْنِيهَا وَقُرَاهَا وَأَعْمَالِهَا وَوِلَايَاتِهَا : بِحَيْثُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الرِّعَايَا مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَبَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَائِبٍ وَحَاضِرٍ ، وَوَارِدٍ وَصَادِرٍ ، وَيَسْتَجْلِبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَلْسِنَةَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ حُجَّةُ اللَّهِ وَمَحَجَّةُ الْخَيْرِ ، فَيُدْفَعُ كُلُّ ضَرَرٍ وَيَرْفَعُ كُلُّ ضَيْرٍ .

فصل الدماء :

يَعْتَمِدُ فِيهَا حَكَمُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ قِصَاصٌ يَسَلِّمُ لِعَرِيْمِهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ يُقَطَّعُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فصل الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروسين حرسهما الله تعالى :

لَا يَتَجَوَّهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَقْوَى قَوْيٌّ عَلَى ضَعِيفٍ ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ جَمَلَةً كَافِيَةً .

فصل

يَتَقَدَّمُ بَأَن لَّا يَمْشِي أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا ضَوَاحِيهَا فِي الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ لِمُضْرُورَةٍ مَأْسِيَةٍ ، وَالنِّسَاءُ لَا يُنْصَرَفْنَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يُخْرَجْنَ وَلَا يَمْشِينَ جَمَلَةً كَافِيَةً .

فصل الحبوس :

تُحْرَسُ وتُحْفَظُ بالليل والنهار، وتُحْلَقُ لِحَى الأسارى كلهم : من فرنج وأنطاكيين وغيرهم ، ويُتَعَهَّدُ ذلك فيهم كلما تَبَتَّتْ ، ويُحْتَزُّ في أمر الداخل إلى الحبوس ، ويُحْتَزُّ على الأسارى الذين يُسْتَعْمَلُونَ ، والرجال الذي يخرجون معهم ، وتُقَامُ الضَّمَانُ النِّقَاتُ على الجاندارية الذين معهم ، ولا يُسْتَعْدَمُ في ذلك غريب ، ولا مَنْ فِيهِ رِيَّةٌ ، ولا تَبِتُ الأسارى الذين يُسْتَعْمَلُونَ إلا في الحبوس ، ولا يخرج أحدٌ منهم لحاجة تختص به ولا لحَمَامٍ ولا كَنيسة ولا فُرْجة ، وتُتَفَقَّدُ قيودهم وتُوثَّقُ في كل وقت .

ويضاعف الحرس في الليل على خزانة البنود باظهار ظاهريها وعلوها وحولها وكذلك خزانة الشمائل وغيرها من الجيوش .

فصل

يُرْتَبُ جماعة من الجند مع الطوائف في المدينة لكشف الأزقة وغلق الدروب وتفقد أصحاب الأرباع ، وتأديب من يُحْلَلُ بمركزه من أصحاب الأرباع ، وتكون الدروب مغلقة . وكذلك تجرد جماعة الحسينية والأحكار وجميع المراكز ، ويعتمد فيها هذا الاعتماد ؛ ومن وجد في الليل قد خالف المرسوم ويمشي لغير عذر يمسك ويؤدب .

فصل

يُحْتَزُّ على الأبواب غاية الاحتراز ، ويتفقّد في الليل خارجها وباطنها وعند فتحها وغلقها .

فصل

الأماكن التي يجتمع فيها الشباب وأولو الدعارة ومن يتعماني العيث والزنطرة ، لا يُفَسَّحُ لأحد في الاجتماع بها في ليل ولا نهار ، ويكفون الأكل اللثام بحيث تقوم المهابة وتعظم الحرمة ، وينزجر أهل الغنى والعيث والعبث .

فصل

يُرتَّبُ المَجْرَدُونَ حَوْلَ المَدِينَتَيْنِ بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة، وكذلك جهة القَرَافَةِ وخَلْفَ القلعةِ وجهةِ البحر، وخارجُ الحسينية، ولا يهْمَلُ ذلك ليلةً واحدة، ولا يفارقُ المَجْرَدُونَ مراكرهم إلا عند السُّفُور وتكاملِ الضوء .

فصل

يَتَقَدَّمُ بأن لا تجتمع الرجال والنساء في ليالى الجمع بالقرافتين، ويمنعُ النساء من ذلك .

فصل

مُهَيِّمَاتُ الغائبين في البيكار المنصور تُنَحَّظُ وَيَشُدُّ مِنْ نَوَابِهِمْ في أمورهم ومصالحهم، ويستخلص حقوقهم لنوابهم وغلمانهم ووُكَلَاءِهِمْ؛ ومن كانت له جهةٌ يستخلص حقَّه منها ولا يتعرَّضُ إلى جهاتهم المستقرَّة فيما يستحقُّونه؛ ويُقَوَّى أَيْدِيهِمْ، وتُؤَخَذُ المُجِيجُ على وُكَلَاءِهِمْ بما يَقْبِضُونَهُ حتى لا يقول موكلوهم في البيكار : إنَّ كُتُبَ وُكَلَاءِنَا وَرَدَتْ بأنهم لم يَقْبِضُوا لَنَا شَيْئاً ، فيكون ذلك سبباً لردِّ شكوايهم .

فصل

خَلِيجُ القاهرة ومصر المحروستين يُرَسِّمُ بِعَمَلِهِ وَحَفَرِهِ وإِتْقَانِهِ في وقته : بحيث يكون عملاً جيِّداً مُتَّقِناً من غير حَيْفٍ على أحد، بل كلُّ أحدٍ يعمل ما يلزمه عملاً جيِّداً .

فصل

جُسُورُ ضواحي القاهرة يُسْرِعُ في إِتْقَانِهَا وتَعْرِيضِهَا ، ويَحْتَمِدُ في حُسْنِ رَصْفِهَا وفتح مَسَارِهَا ، وحِفْظِهَا من الطارقِ عليها ، وتبقى مُتَّقِنَةً مَكْمَلَةً إلى وقتِ النَّيلِ المبارك ، ولا يُخْرَجُ في أمرها عن العادة، ولا يَحْتَمَى أحدٌ عن العمل فيها بما

يلزمه ، ويحمل الأمر في جرائفها ومقلقاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل في الأعمال والولايات .

تنتجز الأمثلة الشريفة السلطانية ، المولوية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية ، شرفها الله تعالى ، بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والتراع ، وعمل ما تهتم منها وتريم ما وهى ، وإصلاح ما تشعث من أبوابها ، وتحصيل أصنافها التي تدعو الحاجة إليها في وقت النيل ، وتعتمد المراسيم الشريفة من أن أحدا لا يعمل بالجاه ، ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة ، ويؤكد على الولاية في مباشرتها بنفوسهم ، وأن لا يتكلموا على المشدين ، وأى جهة حصل منها نقص أو خلل كان قبالة ذلك روح وإلى ذلك العمل وماله ، ويشدد على الولاية في ذلك غاية التشديد ، ويحذر أتم التحذير ، وتأخذ خطوط الولاية بأن الجسور قد اتقن عملها على الوضع المرسوم به ، وأنها اتقنت ولم يبق فيها خلل ، ولا ما يخشون دافعه ، ولا ما يخافون دركه ، وأنها عمات على ما رسم .

فصل

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية : أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء يتزلون ببيوت شعر على الطرقات على البلدين ، يحفرون الرائح والغادي ، وأى من عدم له شىء يلزمه دركه ، ويؤدى في البلاد أن لا يسافر أحد في الليل ولا يغتر ، ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويؤكد في ذلك التأكيد التام .

فصل الثغور المحروسة :

يلاحظ أموراً ومهماتها، ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية في مهماتها وأحوالها وحفظها، والأحترار على المعتقلين بها، والاستظهار في حفظهم، والتيقظ لمهمات الثغر، واستجلاب قلوب التجار، واستمالة خواطريهم، ومعاملتهم بالرفق والعدل حتى تتواصل التجار وتعمر الثغور؛ ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال، وأصناف الدخائر، وأصناف الخزائن المعمورة والحوائج خاناه، ويوعز إليهم بأن هذا وقت أنفتاح البحر وحضور التجار وتزجية الأموال، وصلاح الأحوال، والنهضة في تكثير الجمول، ويؤكد عليهم في المواصلة بها، وأن تكون حمولاً متوفرة، وأنه لا يفرط في مستخرج حقوق المراكب الواصلة، ولا يقلل متحصلها، ولا ينقص حملها، ويسير بحملها حملاً إلى بيت المال المعمور على العادة، ويؤكد عليهم في الاستعمالات، وتحصيل الأقمشة والأمتعة على اختلاف أصنافها وإزالة الأعذار فيها : بحيث لا يتوقف أمر الاستعمالات ولا يؤثر مهمتها عن وقته، ومهما وصل من الممالك والحواري والحرير والوبر والأطلس والفضة الحجر، وأقصاب الذهب المغزول يعتمد في تحصيله العادة .

فصل

يؤكد على ولاية الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها، والمواصلة بالحمول في أوقاتها، ومباشرة أحوال الأقصاب ومعاصرها في أوقاتها، وأعتاد مصلحة كل عمل على ما يناسبه وتقتضيه مصلحته : من مستخرج ومستغل، ومحمول ومزدرع، ومستعمل ومُنْفَق، ويحذرون عن حصول خلل، أو ظهور عجز، أو فتور عزم، أو تقصير رأي، أو ما يقتضي الإنكار ويوجب المؤاخذه، ويشدد في ذلك ما تقتضيه فرص الأوقات التي ينبغي آتبارها على ما يطالعون به .

فصل [أموال] الخراج الديوانية :

يُحْتَرَزُ عَلَيْهَا وَتُرَبَّى وَتَمَّتْ، وَلَا يُطْلَقُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بِرِسْومٍ شَرِيفٍ مَنَّا، وَيُطَالَعُ
بِأَنَّ الْمَرْسُومَ وَرَدَ بِكَذَا وَكَذَا وَيَعُودُ الْجَوَابُ بِمَا يَعْتَمَدُ فِي ذَلِكَ .

فصل حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يَسْتَخْلَصُ أَمْوَالَهُمْ وَوَكَلَاءَهُمْ، وَيُوجَدُ الشَّهَادَاتُ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ غَلَّةٍ وَدِرَاهِمٍ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ، وَلَا يُجَوِّجُ الْوَكَلَاءُ إِلَى شَكْوَى مِنْهُمْ تَتَّصِلُ بِنَ هُوَ فِي الْبَيْكَارِ، وَيُخَسِّمُ هَذِهِ
الْمَادَّةَ، وَيُسَدُّ أَبْوَابَ الْمَاظِلَةِ عَنْهُمْ .

فصل

يَتَقَدَّمُ إِلَى الْوَلَاةِ وَالنُّظَارِ وَالْمُسْتَعْدِمِينَ بِعَمَلِ أَوْ رَاقٍ بِمَا يَتَحَصَّلُ لِلْمَقْطَعِينَ الْأَصْلِيَّةِ (؟)
فِي كُلِّ بِلَدٍ، وَلِمْقَطَعِ الْجِهَةِ، وَلَنْ أُفْرِدَ لَهُ طِينَ بِجِهَةٍ، وَإِنْ جِهَتُهُ عَلَى الرِّسُومِ : لِيَعْلَمَ
حَالُ الْمَقْطَعِينَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْجَيْشِيَّةِ وَالْجِهَاتِيَّةِ وَمَا تَحَصَّلَ لِكُلِّ مِنْهُمْ، وَلَا يَحْصُلُ
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْوَلَاةِ مَكَاشِرَةٌ وَلَا إِهْمَالٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي الْوَكَلَاءِ لِأَجْلِ غَيْبَةِ الْأَمْرَاءِ
وَالْمَقْطَعِينَ فِي الْبَيْكَارِ، وَلَا يُجَوِّجُ أَحَدٌ مِنَ الْمَقْطَعِينَ إِلَى شَكْوَى بِسَبَبِ مَتَأَخَّرِ
وَلَا ظَلِيمَةٍ وَلَا إِجْحَافٍ .

فصل

إِذَا خَرَجَ جَانْدَارٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْأَعْمَالِ لَا يُعْطَى فِي الْعَمَلِ أَكْثَرَ مِنْ دَرَاهِمِينَ ثُبْرَةً،
وَيُوصَلُ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ فِيهِ لِمُسْتَحَقِّهِ، فَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ قَالٌ وَقِيلٌ أَوْ حَيْفٌ أَوْ تَعَنُّتٌ
يُرْسَمُ عَلَيْهِ، وَيُسَيَّرُ الْحَقُّ مَعَ صَاحِبِهِ مَعَهُ، وَيُطَالَعُ بِأَنَّ فَلَانَا الْجَانْدَارُ حَضَرَ وَجَرَى
مِنْهُ كَذَا وَكَذَا، وَيُشْرَحُ الصُّورَةُ لِيَخَسِّمَ الْمَوَادَّ بِذَلِكَ .

فصل

إذا سَيرَ أحدٌ من الولاة رسولا بسببِ خلاصِ حقٍّ من بعضِ قرى أعماله فيكون ما يُعطى الجاندار عن مسافة سفر يومٍ نصفَ نُقْرة ، وعن يومينِ درهمٍ واحدٍ لا غيرُ ، وأى جاندار تعدى وأخذ غير ذلك يؤدَّب ويُصَرَّف من تلك الولاية .

فصل :

تُكتبُ الحجج على كل وكيل يقيضُ لخدمته شيئاً من مُغَلَّه أو جِهته : من الديوان أو القلاحين ؛ ولا يسلم له شىء إلا بشهادةٍ بحجج مكتوبة عليه ، تُخلَّد منها حجة الديوان المعمور بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحججُ حاصلة حتى إذا شكَا أحد إلينا وسيّرنا عرفناهم بمن يشكو من تأخر حقه ، يُطالعوننا بأمر ويكلمه وما قبض من حقه ، ويُسير الشهادة عليه طي مطالعته ، (ويُحترز من الشهادات) بما وصل لكل مُنقطع ، حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصّل المقطعين من البلاد والجهات مُفصّلاً وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأخر لكل منهم ، ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمقطعين وأحوالهم ، ويُزِيلُ شكوى من يجب إزالة شكواه ، وتُعلم أحوالهم على الجليّة .

فصل

تقرأ هذه التذاكر على المنابر فصلاً فصلاً ، ليسمعها القريبُ والبعيدُ ، ويُبلغها الحاضر والغائب ، ويعمل بمضمونها كل أحد . ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخبر بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا ، والسلام .

الضرب الثالث

(ما كان يُكتب لِنُواب القلاع وولّاتها : إما عند استقرار النائب بها ، وإما في خلال نيابته)

والعادة فيها أن يُكتب فيها باعتماد الكشف عن أحوال القلعة وأسوارها وعرض خواصها ، ومقدّمى رجالها ، وترتيب الرجال في مراكزهم ، وكشف مظالم الرعايا ، والنظر في الاحتراز على القلعة وعلى أبوابها ، والاحتفاظ بمقاتليها على العادة ، وتحصيل ما يحتاج إليه فيها من الزاد والخطب والملح والفحم وغير ذلك . والمطالعة بمتجددات الأخبار .



وهذه نسخة تذكرة كتب بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون بسبب قلعة صرخد من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسطى نائباً بها ، والأمير عز الدين والياً بها في سنة تسع وسبعين وستمائة ، من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية ، وهى :

تذكرة مباركة نافعة ، لكثير من المصالح جامعة ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين وعز الدين عند توجههما إلى قلعة صرخد المحروسة :

يعتمدان العدل فى الرعية ، وسلوك منجى الحق فى كل قضية ، واعتماد ما يرضى الله تعالى ويرضينا ، وليكن الإنصاف لهما عقيدة والتقوى ديناً ، ولا يتطاع أحدهما إلى ما فى يد أحد من مال ولا نسب ، ولا يعارض أحد أحداً بلا سبب ، وليتقوا الله ويخشوه ، ويتجنبوا الباطل ولا يغشوه ، ولا يظن أحد منهم أن قد بعد عنا فيطمح إلى الظلم أو يطمع ، فإننا منهم بمرأى ومسمع ، وليكونوا على المصالح متفقين ، وبأذيان الحق متعلقين ، وعلى الرعية مشفقين .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بِكُشْفِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَأَبْرَاجِهَا وَبَدَنَاتِهَا وَأَبْوَابِهَا ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ وَتَرْمِيمٍ وَعِمَارَةٍ ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ ذَلِكَ تَحْرِيراً ، وَيَجْتَمِعَانِ فِي إِصْلَاحِ مَا يَجِبُ إِصْلَاحُهُ وَتَرْمِيمِ مَا يَجِبُ تَرْمِيمُهُ ، وَالْمُطَالَعَةِ بِمَا كُشِفَاهُ وَمَا اعْتَمَدَاهُ .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرَضِ حَوَاصِلِ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ ، وَيَحْقُقُونَ مَا بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغِلَالِ وَالذِّخَائِرِ وَالْحَوَاصِلِ ، وَيَعْمَلُونَ بِذَلِكَ أَوْراًقاً مُحْتَرَةً ، وَيُسَيِّرُونَ نَسِخَتَهَا إِلَى الْبَابِ الشَّرِيفِ .

فصل

يَتَقَدَّمَانِ بَعَرَضِ مَقْدَمِ رِجَالِ الْقَلْعَةِ ، وَأَرْبابِ الْحَامِيَّاتِ وَالرَّوَاتِبِ بِهَا ، وَيُحَرِّرانَ أَمْرَ مَقَرَّرَاتِهِمْ : مِنْ جَامِكِيَّةٍ وَجِرَايَةٍ ، وَيُحَرِّيانَ فِي صَرْفِ ذَلِكَ نَلَى الْعُدَّةِ الْجَارِيَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ .

فصل

يَسْتَوْضَحَانِ مِنَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَالْأَمِيرِ عِلْمَ الدِّينِ الْمُنْصَرِفَيْنِ عَنِ الْمَصَالِحِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَذِهِ الْقَلْعَةِ وَعَنْ أُمُورِهَا ، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا ، فَإِنَّهُمَا قَدْ أَحْسَنَا فِي ذَلِكَ التَّدْبِيرَ ، وَأَجْمَلَا التَّأْيِيرَ ، وَسَلَكَا أَجْمَلَ مَسَلَكٍ ، وَيَهْتَدِيَانِ بِمَا يَوْضَحُّنَاهُ لَهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمُهَمَّاتِ لِيَكُونَ دُخُولُهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ عَلَى بَصِيرَةٍ .

فصل

يَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ وَالْحُكْمِ الْعَامِّ فِي الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ ، وَتَنْزِيلِ الرِّجَالِ وَاسْتِخْدَامِهِمْ وَصَرْفِهِ مِنْ يَجِبُ صَرْفُهُ - لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِأَسْطَى بِمُشَارَكَةِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ وَالْإِسْتِخْدَامِ وَالْمَرْفَعِ ، وَيَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ رَاجِعاً لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ

باسطى والحكم فيها له ، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عن الدين ، ويجريان في ذلك على عادة من تقدّمهما في هذه النيابة والولاية ، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كان يسكنها الأمير عن الدين ، وحكمه في النيابة حكمه ، ويسكن الأمير عن الدين في الدار التي كان يسكن فيها الأمير علم الدين ، وحكمه في الولاية حكمه . ولا يتعدى أحد طوره ، ولا يخرج عما قرّر فيه ، ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه ، ويتفقان على المصالح كلها ، ويكونان كروحين في جسد واحد .

فصل

يتقدّمان بأن يترتب الرجال في مراتبهم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار ، والحرسية على العادة في الليل والنهار . وإن كان ثم خلل في ذلك أو تفریط أو إهمال ، فليستدرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب .

فصل

ينتصبان في أوقات العادة في باب القلعة لكشف مظالم الرعية في القلعة والبر ، ويعتمدان إنصافهم ، وتلبية داعيهم ، وسماع كلمهم ، وكف ظالمهم وإعانة مظلومهم ، وأعتاد ما يجب من العدل وبسطه في الرعية ، وكف الأيدي العادية .

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تُبَيِّت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة ، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها على العادة .

فصل

الذخائر والغلال يُجْتَد في تحصيلها بالقلعة ، ولا تُخزَن غلة جديدة على غلة عتيقة . وكل هري يُخزَن فيه غلة يحرر أمرها وتُسَال عينتها في كيس وتجعل في الخزانة ويختم عليها ، ولا يُصرف من الحديد قبل نفاد العتيق ، ولا يُترك العتيق ويُصرف من الحديد . وكذلك بقية الحواصل يُسلَك فيها هذا المسلك .

فصل

مَهْمَا جرت العادةُ بِتَمَنِينِهِ عَلَى أَرْبابِ الْجَامِيَّاتِ وَالْمَقَرَّاتِ ، فَلْيَجْرُ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى الْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ ، وَلْيَدْخُلِ الدِّوَانُ وَالْمُبَاشِرُونَ فِي التَّمْنِينِ لثَلَا يُسَلِّكَ أَمْرُ التَّمْنِينِ عَلَى الرَّجَالَةِ وَالضُّعَفَاءِ مَعَ قَلَّةِ مَعْلُومِهِمْ وَيُوفَّرَ مِنْ ذَلِكَ أَرْبابُ الدَّوَاوِينِ مَعَ كَثَرَةِ مَعْلُومِهِمْ ، بَلْ يَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يُتَمَنَّ عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ : مِثْلُ رَاجِلٍ ضَعِيفٍ أَوْ رَبِّ مَعْلُومٍ قَلِيلٍ ، فَلْيَرَفَقْ بِهِ فِي ذَلِكَ ، نَظَرًا فِي حَقِّ الضُّعَفَاءِ .

فصل

يُكَثِّرُونَ مِنَ الْأَحْطَابِ وَمِنَ الْقَيْمِ وَالْمِلْحِ بِالذَّخَائِرِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ وَتَوْفِيرِهَا بِالْخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ : بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهَا شُغْلٌ يَشْغُلُهَا عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ يَصْرِفَانِ الْهَمَّةَ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهَا إِلَى الْفِكْرَةِ فِي مَالٍ يَحْصُلُونَهُ ، أَوْ صِنْفٍ يَدْنُرُونَهُ ، وَلَا يَهْمَلَانِ ذَلِكَ .

فصل

يُطَالِعَانِ الْأَبْوَابَ الْعَالِيَةَ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُمَا مِنَ الْمَصَالِحِ ، وَبِمَا يَتَمَيَّزُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَ[بِمَا] حُمِلَ إِلَى الْخِزَانِ وَإِلَى الْأَهْرَاءِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْغِلَالِ . وَكَذَلِكَ يُطَالِعَانِ نَائِبَ السَّلْطَنَةِ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَلْتَكُنْ مَطَالَعَتُهُمَا جَامِعَةً وَعَالِيَا خَطُّهُمَا . وَمَنْ لَاحَتْ لَهُ مَصْلَحَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَأَخْتَارَ أَنْ يَطَالِعَ بِانْفِرَادِهِ فَلْيُطَالِعْ .

فصل

لَا يَمْكُنُ أَحَدًا مِنَ الرِّجَالِ الْمُرْتَبِينَ بِالْقَلْعَةِ الْحَرُوسَةِ وَأَرْبابِ التَّنَوُّبِ أَنْ يُنْجَلَ بِنَوْبَتِهِ وَلَا يَفَارِقَهَا ، وَلَا يُنْجَرُجَ مِنَ الْقَلْعَةِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا بِدُسْتُورٍ وَيَعُودُ فِي يَوْمِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

قلت : وبالجملّة فالتذاكر مَنُوطَةٌ بحال المَكْتُوبِ له التذكرة، والمكتوبِ بسببه؛
فيختلفُ الحال باختلاف الأسباب، ويُؤْتَى لكل تذكرة بفُصُول تُناسِبُها بحسب
ما تدعو الحاجة إليه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّائِقَ بالتذاكر الخارجة من ديوان الإنشاء أن تكون في الفصاحة
والبلاغة على حدّ الرسائل، فيعلو شأنُ التذكرة باعتبار اشتغالها على الفصاحة والبلاغة،
وينحطّ بفواتهما؛ وأنظر إلى تذكرة القاضي الفاضل المبتدأ بها، وما اشتملت عليه
من الفصاحة والبلاغة، وأين هي من التذكرتين اللتين بعدها؛ فإنه قد أهمل فيهما
مراعاة الفصاحة والبلاغة جملةً، بل لم تُراع في الأخيرة منهما قوانين النحو، إذ يكون
يتكلم بصيغة التثنية على سياق ما عُدّت له التذكرة لا شتمالها على اثنين فإذا هو
قد عدل إلى لفظ الجمع، ثم يعود إلى لفظ التثنية، هذا، وهي منسوبة إلى القاضي
محيي الدين بن عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء يومئذ، وهو من بيت الكتابة
والبلاغة، إلا أنه قد يُريد بعددوله من التثنية إلى الجمع أن ينتقل إلى خطاب جمع
المتحدثين في القلعة فيما يتعلق بذلك الفصل الذي يكون فيه، وإلا فلا يجوز صدور
مثل ذلك عنه وتكراره المَرَّة بعد الأخرى .

المقالة السابعة

في الإقطاعات والقطائع ، وفيها بابان

الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر مقدماتٍ نتعلّق بالإقطاعات ، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأول

(في بيان معنى الإقطاعات وأصلها في الشرع)

أما الإقطاعاتُ فجمعُ إقطاع ، وهو مصدرُ أقطع ، يقال : أقطعه أرضاً كذا يقطعه إقطاعاً ، وأستقطعه إذا طابَّ منه أن يُقطعه ، والقِطِيعَةُ الطائفةُ من أرض الخراج .
وأما أصلُها في الشرع فإرواه الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخِ دِمَشقَ بسنده إلى ابنِ سِيرِينَ عن تميم الدارِيِّ أنه قال : « أَسْتَقْطَعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالشَّامِ قبل أن تُفْتَحَ فأعطانيها ، ففتَحها عمرُ بنُ الخطاب في زمانه فأثْبَتَهُ ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثُلْثَها لابنِ السَّبِيل ، وثُلْثَها لعمارتها ، وثُلْثَها لنا » .

وفي رواية : أَسْتَقْطَعْتُ أرضاً بالشَّامِ فأقْطَعْتِها ، ففتَحها عمرُ في زمانه فأثْبَتَهُ ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، فجعل عمرُ ثُلْثَها لابنِ السَّبِيل ، وثُلْثَها لعمارتها ، وترك لنا ثُلْثَها .

وذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" : أن أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع أرضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك ، وقال ألا تسمعون ما يقول ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك ، فكتب له بذلك كتابا .

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطع الزبير بن العوام ركض فرسه من موت البقيع فأجراه ورمى بسوطه رغبة في الزيادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطوه منتهى سوطه » .

وذكر أن الأبيض بن حمّال استقطع ملح مارب فأقطعته ، فأخبره الأفرع ابن حابس أنه كان في الجاهلية [وهو بأرض ليس فيها غيره من ورده أخذه ، وهو مثل الماء العذب بالأرض ، فاستقال الأبيض في قطيعة الملح فقال قد أقلتلك على أن تجعله مني صدقة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو منك صدقة ، وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه ^(١)] .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن أول من أقطع القضايع بالآرضين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه - ولا وجه له بعد ما تقدم ذكره ؛ اللهم إلا أن يريد أن عثمان أول من أقطع القضايع بعد الفتح ، فإن ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الفتح كما تقدم .

قال بعد ذلك : ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقطع قضايع فافتدى عثمان به في ذلك وأقطع حباب بن الارت وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

(١) ترك في الأصل بيضا في هذا الموضع وقد تداركناه من كتاب الأحكام السلطانية ص ١٧٤

(١) والزبير، وأقطع طلحة أجمّة الجُرف : وهو موضع النَّشَاسَج ، فكتب إلى سعيد ابن العاص وهو بالكوفة أن ينفذها له .

الطرف الثاني

(في بيان أول من وَضَعَ ديوان الجيش ، وكيفية ترتيب منازل الجُند فيه ، والمساواة والمفاضلة في الإعطاء)

ذكر أبو هلال العسكري في "الأوائل" والمأوردى في "الأحكام السلطانية" أن أول من وَضَعَ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال المأوردى : وأختلف [الناس] في سبب وضعه [له] : فقال قوم : سببه أن أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين ، فقال له عمر : ما جئت به ؟ قال خمسمائة ألف درهم ، فأستكثره عمر ، وقال : أتدري ما تقول ؟ قال نعم ! مائة ألف نخمس مرات ، فقال عمر : أطيب هو ؟ قال لا أدري . فصعد عمر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! قد جاءنا مال كثير ، فإن شئتم كلنا لكم كَيْلاً ، وإن شئتم عدّنا لكم عدّاً ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : رأيت الأعاجم يدوّنون ديواناً ، فدوّن أنت لنا ديواناً .

وذهب آخرون إلى أن سبب وَضَع الديوان أن عمر بعث بعثاً وعنده الهرمزان ، فقال لعمر : هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال ، فإن تخلف منهم رجل وأحلّ بمكانه ، فإن أين يعلم صاحبك به ؟ فأنبت لهم ديواناً ، فسأله عن الديوان ففسّره له .

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ ، فَقَالَ عَلَى
 ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : تَقْسِمُ كُلَّ سَنَةٍ مَا أَجْتَمَعَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَالِ ، وَلَا تُنْسِكَ
 مِنْهُ شَيْئًا . وَقَالَ عُمَانُ : أَرَى مَالًا كَثِيرًا يَسَّعُ النَّاسَ ، فَإِنْ لَمْ يُحْصَوْا حَتَّى يُعْلَمَ مِنْ
 أَخَذَ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ ، خَشِيتُ أَنْ يَنْتَشِرَ الْأَمْرُ — فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
 قَدْ كُنْتُ بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ مُلُوكَهَا دَوَّنُوا دِيْوَانًا وَجَنَّدُوا جُنُودًا ، فَدَوَّنَ دِيْوَانًا وَجَنَّدَ
 جُنُودًا ، فَأَخَذَ بِقَوْلِهِ وَدَعَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَخُرْمَةَ بْنَ نُوفَلٍ ، وَجُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ،
 (وَكَانُوا مِنْ شَبَابِ قُرَيْشٍ) فَقَالَ : آكْتُبُوا [النَّاسَ] عَلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَبَدَّءُوا بِبَنِي هَاشِمٍ
 فَكَتَبُوهُمْ ، ثُمَّ اتَّبَعُوهُمْ أَبَا بَكْرٍ وَقَوْمَهُ ، [ثُمَّ عَمَرَ وَقَوْمَهُ] وَكَتَبُوا الْقَبَائِلَ وَوَضَعُوها
 عَلَى الْخِلَافَةِ ، ثُمَّ رَفَعُوهُ إِلَى عَمَرَ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ ، قَالَ : لَا ! وَمَا وَدِدْتُ أَنَّهُ هَكَذَا ،
 وَلَكِنْ أَبَدَّوْا بِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَقْرَبُ بِالْأَقْرَبِ حَتَّى تَضَعُوا
 عَمَرَ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ . فَشَكَرَ الْعَبَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالَ : وَصَلَّتْكَ رَحْمَةُ .

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ بَنِي عَدِيٍّ جَاءُوا إِلَى عَمَرَ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ
 خَلِيفَةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَلَوْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ جَعَلْتَ هَؤُلَاءِ
 الْقَوْمُ الَّذِينَ كَتَبُوا ؟ فَقَالَ : بَخٍ بَخٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ ! ! إِنْ أَرَدْتُمْ إِلَّا الْأَكْلَ عَلَى ظَهْرِي ،
 وَأَنْ أَذْهَبَ حَسَنَاتِي لَكُمْ ، لَا وَاللَّهِ ! حَتَّى تَأْتِيَكُمْ الدَّعْوَةُ وَلَوْ أَنْطَبَقَ عَلَيْكُمْ الدَّفْتَرُ .
 يَعْنِي وَلَوْ أَنْ تُكْتُبُوا آخِرَ النَّاسِ . إِنَّ صَاحِبِي سَلَكَ طَرِيقًا ، فَإِنْ خَالَفَتْهُمَا خُولَفَ بِي ،
 وَاللَّهُ مَا أَدْرَكَا الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَا نَرْجُو الثَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى عَمَلِنَا إِلَّا بِمُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ أَشْرَفُنَا ، وَقَوْمُهُ أَشْرَفُ الْعَرَبِ ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ بِالْأَقْرَبِ ، وَوَاللَّهُ
 لَئِنْ جَاءَتِ الْأَعَاجِمُ بِعَمَلٍ وَجِئْنَا بِعَمَلٍ دُونَهُمْ ، لَهُمْ أَوَّلِي بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ : فَإِنْ مِنْ قَصَرٍ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبُهُ .

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرَادَ وَضَعَ الدِّيَّانَ، قَالَ: بَيْنَ أَبَدَأْ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَبَدَأْ بِنَفْسِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَذْكَرَ أَتَى حَضْرَتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْدَأُ بِنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَبَدَأَ بِهِمْ عُمَرُ، ثُمَّ بَيْنَ إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ، حَتَّى آسَتْ فِي جَمِيعِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَتَتْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَبَدَأُوا بِرَهْطِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنَ الْأَوْسِ، ثُمَّ بِالْأَقْرَبِ فَلَا أَقْرَبَ لِسَعْدٍ.



وَأَمَّا الْمُسَاوَاةُ وَالْمُفَاضَلَةُ فِي الْعَطَاءِ فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرَى التَّسْوِيَةَ [بَيْنَهُمْ] فِي الْعَطَاءِ [وَلَا يَرَى التَّفْضِيلَ بِالسَّابِقَةِ] كَمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْمَأْوَرْدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ".

قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي "الْأَوَائِلِ": وَقَدْ رَوَى عَنْ عَوَانَةَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ، وَقَالُوا لَهُ: فَضَّلْنَا، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ فَقَدْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا عَمِلْنَا إِلَّا لِلَّهِ! وَأَنْصَرَفُوا. فَفَرَّقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُنْبَرَّ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ شِئْتُمْ [أَنْ] تَقُولُوا: إِنَّا أَوْيَيْنَاكُمْ وَشَارَكْنَاكُمْ أَمْوَالَنَا وَنَعَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا لَقَاتَمْنَاكُمْ وَإِنَّا لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ، وَإِنْ طَالَ الْإِمْدُ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الْغَنَوِيُّ:

بَحَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَّتْ * بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتْ
أَبَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا * تُلَاقِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتْ
هُمْ أَكْسَنُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ * ظِلَالِ بَيْوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكْنَتِ

قال المساوردي : وإلى ما رأى أبو بكر رضى الله عنه ذهب على رضى الله عنه في خلافته ، وبه أخذ الشافعي ومالك .

وكان عمر رضى الله عنه يرى التفضيل بالسابقة في الدين ، حتى إنه ناظر أبا بكر رضى الله عنه في ذلك ، حين سوى بين الناس ، فقال : أئساوى بين من هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ ! - فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا [دار] [بلاغ] [للكب] ^(١) ، فقال له عمر : لا أجعل [من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ؛ فلما وضع الديوان ^(١) جرى] على التفضيل بالسابقة ؛ ففرض لكل رجلٍ شهيد بداراً من المهاجرين [الأولين] خمسة آلاف درهم كل سنة ، ولكل من شهيد بداراً من الأنصار أربعة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجلٍ هاجر بعد الفتح ألفين ؛ وفرض لثمانٍ أحداثٍ من أبناء المهاجرين والأنصار أسوة من أسلم بعد الفتح ؛ وفرض للناس على مآزهم ، وقراءتهم القرآن ، وجهادهم بالشام والعراق ؛ وفرض لأهل اليمن وقيس : لكل رجلٍ من ألقى درهم إلى ألف درهم ، إلى خمسمائة درهم ، إلى ثيمائة درهم ، ولم ينقص أحداً منها ، وقال : لئن كثُر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألفاً لفرسه ، وألفاً لسلاحه ، وألفاً لسفره ، وألفاً يُخففها في أهله ؛ وفرض للنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع فرض له مائتين ، فإذا بلغ زاده . وكان لا يفرض للولود شيئاً حتى يُفطم ، إلى أن سمع ليلة امرأة تكبره ولدها على الفطام ، وهو يبكي ، فسألها عنه - فقالت : إن عمر لا يفرض للولود حتى يُفطم فانا أكرهه على الفطام حتى يفرض له - فقال يا ويح عمر ! كم أحتمب من

وَزُرَّوهُو لَا يَدْرِى ، ثُمَّ أَمْرٌ مِّنَادِيَا فِينَادِي : أَلَا لَا تُعْجِلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْقِطَامِ ، فَإِنَا نَفْرَضُ لِكُلِّ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : ثُمَّ رُوِيَ فِي التَّفْضِيلِ عِنْدَ أَنْقَرَضَ أَهْلُ السَّوَابِقِ التَّقَدُّمُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَلَاءِ فِي الْجِهَادِ .



وَأَمَّا تَقْدِيرُ الْعَطَاءِ فَمُعْتَبَرٌ بِالْكَفَايَةِ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ بِهَا عَنِ الْتَمَاسِ مَادَّةً تَقْطَعُهُ عَنِ حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ . ثُمَّ الْكَفَايَةُ مُعْتَبَرَةٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : أَحَدُهَا عَدَدٌ مِنْ يُعُولُهُ مِنَ الدَّرَارِيِّ وَالْمَمَالِكِ - وَالثَّانِي عَدَدٌ مَا يَرْتَبِطُ مِنَ الْخَيْلِ وَالظَّهْرِ - وَالثَّالِثُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَحْكُمُهُ فِي الْغَلَاءِ وَالرُّخْصِ فَتَقْدَرُ [كِفَايَتُهُ فِي] نَفَقَتِهِ وَكُسُوتِهِ لِعَامِهِ كُلِّهِ . ثُمَّ تُعْتَبَرُ حَالُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، فَإِنْ زَادَتْ نَفَقَاتُهُ زَيْدٌ ، وَإِنْ نَقَصَتْ نُقِصَ ، فَلَوْ تَقَدَّرَ رِزْقُهُ بِالْكَفَايَةِ ، فَمُنِعَ الشَّافِعِيُّ مِنْ زِيَادَتِهِ عَلَى الْكَفَايَةِ وَإِنْ أَسْعَى الْمَالُ ، لِأَنَّ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ لَا تَوْضَعُ إِلَّا فِي الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ ، وَأَجَازَ أَبُو حَنِيفَةَ زِيَادَتَهُ حِينَئِذٍ .

الطرف الثالث

(فِي بَيَانِ مَنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَوَانِ ، وَكَيْفِيَّةَ تَرْتِيبِهِمْ فِيهِ)

فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَوَانِ ، فَمِنْهُ خَمْسَةُ أُمُورٍ :

أَحَدُهَا - الْبُلُوغُ . فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُ الصَّبِيِّ فِي الدِّيَوَانِ ، وَهُوَ رَأْيُ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبِهِ أَخَذَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْ يَكُونُ جَارِيًا فِي جُمْلَةِ عَطَاءِ الدَّرَارِيِّ .

الثَّانِي - الْحُرِّيَّةُ . فَلَا يُثَبَّتُ فِي الدِّيَوَانِ مَمْلُوكٌ ، بَلْ يَكُونُ تَابِعًا لِسَيِّدِهِ دَاخِلًا فِي عَطَائِهِ ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فَإِنَّهُ جَوَّزَ إِفْرَادَ الْمَمْلُوكِ بِالْعَطَاءِ ، وَهُوَ رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الثالث — الإسلام ، لِيُدْفَع عن المِلَّة باعتقاده ، حتَّى لو أُثبتَ فيهم ذمٌّ لم يحجز ، ولو آرتد منهم مُسلم سَقَط .

الرابع — السَّلامة من الآفاتِ الممانعة من القتال . فلا يجوز أن يكون زِمناً ولا أعمى ولا أَقْطَع ، ويجوز أن يكون أحرس أو أصم . أما الأعرج ، فإن كان فارساً جاز إثباته أو راجلاً فلا .

الخامس — أن يكون فيه إقدامٌ على الحرب ومَعْرِفَةٌ بالقتال ، فإن ضَعُفت هِمَّتُه عن الإقدام ، أو قَلَّت معرفتُه بالقتال لم يحجز إثباته .

فإذا وُجدتْ فيه هذه الشروط ، اعتُبر فيه خُلُوه عن عمل وطلُبَةُ الإثباتِ في الديوان ؛ فإذا طَلَبَ فعلى ولى الأمرِ الإجابة إذا دعتِ الحاجةُ إليه . ثم إن كان مشهورَ الاسم فذاك ، وإلا حُلِّ ونُعت ، بذكر سنَّه وقَدَّه ولَوْنِه وصفةِ وجهه ، ووُصِفَ بما يُمَيِّزُ به عن غيره ، كى لا تتفق الأسماءُ ، أو يدعى في وقت العطاء ، ثم يُضمُّ إلى تَقْيِيبٍ عليه أو عَرِيفٍ يكون مأخوذاً بذكره .



وأما ترتيبُهم في الديوان فقد جعلهم الماوردى في "الأحكام السلطانية" على ضربين :

الضرب الأول — الترتيبُ العام . وهو ترتيبُ القبائل والأجناس حتَّى تُتمَيِّزَ كُلُّ قبيلةٍ عن غيرها وكلُّ جنسٍ عمن يخالفه ، فلا يُجمَعُ بين المختلفين ، ولا يُفَرَّقُ بين المؤتلفين : لتكرَنَ دعوة الديوان على نَسَقٍ معروفٍ النسب يزول فيه التنازع والتجاذب . فإن كانوا عرباً رُوِيَ فيهم القُرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل عمرُ

رضى الله عنه : فُتَقَدَّمُ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ : وَهُمْ عَدَنَانُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
عَلَى الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ : وَهُمْ بَنُو حَطَّانَ عَرَبُ الْيَمَنِ : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
عَدَنَانَ . ثُمَّ عَدَنَانُ تَجْمَعُ رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، فَتَقْدَمُ مُضَرٌّ عَلَى رِبِيعَةٍ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِي مُضَرٍّ ،
وَمُضَرٌّ تَجْمَعُ قُرَيْشًا وَغَيْرُ قُرَيْشٍ ، فَتَقْدَمُ قُرَيْشٌ عَلَى غَيْرِهِمْ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِيهَا ، فَيَكُونُ
بَنُو هَاشِمٍ هُمْ قُطْبُ التَّرْتِيبِ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَقْرَبِ الْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
قُرَيْشًا ، ثُمَّ مَنْ يَلِيهِمْ فِي النَّسَبِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مُضَرٍّ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
جَمِيعَ عَدَنَانَ .

وإن كانوا عَجَا لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى سَبَبٍ ، فَاَلْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ : إِمَّا أُجْنَسُ
وإِمَّا بِلَادٍ ، فَالْمُمَيِّزُونَ بِالْأَجْنَسِ كَالْتَّرِكِ وَالْهِنْدِ ، ثُمَّ تَمَيِّزُ التَّرِكِ أَجْنَسًا ،
وَالْهِنْدُ أَجْنَسًا . وَالمُمَيِّزُونَ بِالْبِلَادِ : كَالدَّيْلَمِ وَالْجَبَلِ ، ثُمَّ تُمَيِّزُ الدَّيْلَمِ بِلْدَانًا ،
وَالْجَبَلِ بِلْدَانًا . فَإِذَا تَمَيَّزُوا بِالْأَجْنَسِ أَوِ الْبِلَادِ : فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا عَلَيْهَا
فِي الدِّيَوَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا
فَبِالسَّبْقِ إِلَى طَاعَتِهِ .

الضرب الثاني : التَّرتِيبُ الْخَاصُّ : وَهُوَ تَرْتِيبُ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ ، فَيَقْدَمُ
فِيهِ بِالسَّابِقَةِ بِالْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا تَرْتَّبُوا بِالْدِّينِ ، فَإِنْ
تَقَارَبُوا فِيهِ رُتَّبُوا بِالسَّنِّ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا بِالسَّنِّ رُتَّبُوا بِالشَّجَاعَةِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهَا ،
كَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ يَرْتَّبَهُمُ بِالْقُرْعَةِ أَوْ عَلَى رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السابعة

(في بيان حكم الإقطاع)

قال في "الأحكام السلطانية": وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه، ونفذت فيه أوامره، دون ماتعين ماله وتميز مستحقه.

ثم الإقطاع على ضربين :

الضرب الأول

(إقطاع التملك)

والأرض المقطعة بالتملك إما موات، وإما عامر، وإما مدين.

فإما الموات فإن كان لم يزل مواتاً على قديم الزمان، لم تجر فيه عمارة، ولم تثبت عليه ملك، فيجوز للسلطان أن يقطعه من يمينه ويعمره. ثم مذهب أبي حنيفة أن إذن الإمام شرط في إحياء الموات، وحينئذ فيقوم الإقطاع فيه مقام الإذن. ومذهب الشافعي أن الإقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره. وعلى كلا المذهبين يكون المقطع أحق بإحيائه من غيره.

وأما إن كان الموات عامراً فخرب وصار مواتاً عاطلاً، فإن كان جاهلياً: كأرض عاد وثمود، فهي كالموات الذي لم تثبت فيه عمارة في جواز إقطاعه. قال صلى الله عليه وسلم: «عادت الأرض لله ولرسوله، ثم هي لكم مني، يعني أرض عاد». وإن كان الموات إسلامياً جرى عليه ملك المسلمين، ثم خرب حتى صار مواتاً عاطلاً،

فمذهب الشافعي أنه لا يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب مالك أنه يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب أبي حنيفة أنه إن عُرِفَ أربابه لم يملك بالإحياء، وإلا مِلِك . ثم إذا لم يجز أن يملك بالإحياء على مذهب الشافعي، فإن عُرِفَ أربابه لم يجز إقطاعه، وإن لم يُعرفوا جاز إقطاعه وكان الإقطاع شرطاً في جواز إحيائه. فإذا صار الموات إقطاعاً لمن خصه الإمام به لم يستقر ملكه عليه حتى يُحييه ويكمل إحياءه، فإن أمسك عن إحيائه كان أحق به يداً وإن لم يصر له ملكاً .

وأما الغامر: فإن تعيّن مالكوه، فلا نظر للسلطان فيه إلا ما تعلّق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت لمسلم أو ذمّي، وإن كانت في دار الحرب التي لم يثبت عليها للمسلمين يد جاز للإمام أن يقطعها لملكها المقطوع عند الظفر بها، كما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تميمًا وأصحابه أرضاً بالشام قبل فتحه، على ما تقدم ذكره في أول الباب .

وإن لم يتعيّن مالكوه: فإن كان الإمام قد أصطفاه لبيت المال من فتوح البلاد: إما بحق الخمس، أو باستطابة نفوس الغائبين، لم يجز إقطاع رقبته: لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكاً لكافة المسلمين، فصار على رقبته حكم الوقف المؤبد؛ والسلطان فيه بالخيار بين أن يستغله لبيت المال وبين أن يتخير له من ذوى المكنة والعمل من يقوم بعمارة رقبته، ويأخذ نجاجه، ويكون الخراج أجرة عنه تُصرف في وجوه المصالح .

(١) عبارة الأحكام السلطانية «وان لم يجز على مذهبه أن يملك» الخ والضمير عائذ على أبي حنيفة، وحرر.

(٢) عبارة «الأحكام» السلطانية «بجزى على رقبته حكم الخ» وهي أوضح .

وإن كان العامر أرض خراج لم يُجزَ إقطاع رقابها تملكاً .

وأما إقطاع خراجها فسيأتى فى إقطاع الاستغلال فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وارث، صار لبيت المال ملكاً لعامة المسلمين . ثم قيل : تبصيرُ وقفها على المسلمين بمجرد الانتقال الى بيت المال، لا يجوز إقطاعها ولا بيعها . وقيل : لا تبصيرُ وقفها حتى ينفذها الإمام، ويجوز للإمام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها فى ذوى الحاجات . ثم قيل : يجوز إقطاعها كما يجوز بيعها، ويكون تملك رقبته بالإقطاع كتمليك ثمنها . وقيل : لا يجوز إقطاعها وإن جاز بيعها : لأن البيع معاوضة والإقطاع صلة .

الضرب الثانى

(من الإقطاع إقطاع الاستغلال)

وهو : إما خراج أو عشر .

فأما الخراج : فإن كان من يُقطعه الإمام من أهل الصدقات لم يجوز أن يُقطع مال الخراج : لأن الخراج فى الأصل لا يستحقه أهل الصدقة كما لا يستحق الصدقة أهل الفئ . وأجاز إقطاعه أبو حنيفة .

وإن كان من أهل المصالح فمن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يُقطعه على الإطلاق وإن جاز أن يُعطى من مال الخراج : لأنهم من نفل أهل الفئ لا من فرضه ، وما يُعطونه إنما هو من غلات المصالح ، فإن جعل لهم من مال الخراج شئ أجرى عليه حكم الحوالة لأحكام الإقطاع .

وإن كان من مُرْتَقَةٍ أَهْلِ النَّيِّ، وهم أَهْلُ الْجَيْشِ، فهم أَخَصُّ النَّاسِ بِجَوَازِ
الْإِقْطَاعِ : لأنَّ لَهُمْ أَرْزَاقًا مَقْدَرَةً تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ مَصْرُفُ الْأَسْتَحْقَاقِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا
أَعْرَاضٌ عَمَّا أَرْضَدُوا نَفْسَهُمْ لَهُ مِنْ حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرِيمِ .

ثم الْخَرَاجُ : إما جَزِيَّةٌ وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى الْجَمَاعِمِ، وإما أُجْرَةٌ وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى
رِقَابِ الْأَرْضِ . فَإِنْ كَانَ جَزِيَّةً لَمْ يَحْزِ إِقْطَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُوقٍ
بِاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسَلِّمَ الذَّمِّيُّ قَتْرَ وَلِ الْجَزِيَّةِ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ أُجْرَةً جَازَ
إِقْطَاعُهُ سَنِينَ لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ الْوَجُوبِ عَلَى التَّائِيدِ .

ثم له ثلاث أحوال :

إحداها — أَنْ يُقَدَّرَ بِسَنِينَ مَعْلُومَةٍ، كَمَا إِذَا أَقْطَعَهُ عَشْرَ سَنِينَ مِثْلًا، فَيَصِحُّ، بِشَرْطِ
أَنْ يَكُونَ رِزْقُ الْمُقْطَعِ مَعْلُومَ الْقَدْرِ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْرُ الْخَرَاجِ مَعْلُومًا عِنْدَ
الْإِمَامِ وَعِنْدَ الْمُقْطَعِ، حَتَّى لَوْ كَانَ مَجْهُولًا عَنْهُمَا أَوْ عِنْدَ أَحَدِهِمَا لَمْ يَصِحَّ . ثُمَّ بَعْدَ
صِحَّةِ الْإِقْطَاعِ يُرَاعَى حَالُ الْمُقْطَعِ فِي مُدَّةِ الْإِقْطَاعِ : فَإِنْ بَقِيَ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْإِقْطَاعِ
عَلَى حَالِ السَّلَامَةِ فَهُوَ عَلَى اسْتِحْقَاقِ الْإِقْطَاعِ إِلَى انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ
انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ بَطَلَ الْإِقْطَاعُ فِي الْمُدَّةِ الْبَاقِيَةِ، وَيَعُودُ الْإِقْطَاعُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ . وَإِنْ
كَانَ لَهُ ذَرِيَّةٌ دَخَلُوا فِي عِطَاءِ الذَّرَارِيِّ دُونَ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ، وَيَكُونُ مَا يُعْطَوْنَهُ
تَسْبِيًا لَا إِقْطَاعًا . وَإِنْ حَدَثَ بِالْمُقْطَعِ زَمَانَةٌ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ فَفِي بَقَاءِ الْإِقْطَاعِ قَوْلَانِ :
(أحدهما) أَنَّ إِقْطَاعَهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَى انْقِضَاءِ الْمُدَّةِ (والثاني) أَنَّهُ يُرْتَجِعُ مِنْهُ .

الثانية — أَنْ يُقْطَعَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ لَعَقِبَهُ وَوَرِثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَا يَصِحُّ : لِأَنَّهُ
يَخْرُجُ بِذَلِكَ عَنْ حَقِّقِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْأَمْلاكِ الْمَوْرُوثَةِ، فَلَوْ قَبِضَ مِنْهُ شَيْئًا بَرَى
أَهْلُ الْخَرَاجِ بَقْبُضِهِ : لِأَنَّهُ عَقْدٌ فَاسِدٌ مَأْذُونٌ فِيهِ وَيُحَاسَبُ بِهِ مِنْ جَمَلَةِ رِزْقِهِ : فَإِنْ

كان أكثر ردّ الزيادة، وإن كان أقل رجّع بالباقي، وعلى السلطان أن يظهر فساد الإقطاع حتّى يمتنع هو من القبض ويمتنع أهل الخراج من الدّفع ولم يبرءوا بما دفعوه إليه حينئذ .

الثالثة — أن يقطع مدّة حياته . ففي صحّة الإقطاع قولان للشافعي بالصحة والبطلان، ثم إذا صحّ الإقطاع فالسلطان استرجاعه منه فيما بعد السنة التي هو فيها، ويعود رزقه إلى ديوان العطاء . أما السنة التي هو فيها : فإن حلّ رزقه فيها قبل حلول خراجها لم يسترجع منه في سنته لاستحقاق خراجها في رزقه، وإن حل خراجها قبل حلول رزقه جاز استرجاعه منه : لأنّ تعجيل المؤجل وإن كان جائزا فليس بلام .

وأما العشر فلا يصحّ إقطاعه، لأنه زكاة الأصناف، فيعتبر وصف استحقاقهم عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يوجد فلا يجب .

قلت : هذا حكم الإقطاع في الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك في الزمن السالف، أما في زماننا فقد فسّد الحال وتغيّرت القوانين، وخرجت الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات تردّ من جهة الملوك على سائر الأموال : من خراج الأرضين، والحزبية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغير ذلك . ثم تفاحش الأمر وزاد حتّى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها، وعمّت بذلك البلوى، والله المستعان في الأمور كلّها ! .

الباب الثاني من المقالة السابعة

(فيما يُكْتَب في الإقطاعات في القديم والحديث ، وفيه فصلان)

الفصل الأول في أصل ذلك

والأصل فيه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تميمًا الدَّارِيَّ أرضًا بالشَّام وكَتَبَ له بها كِتَابًا .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دِمَشْق فيه طُرُقًا مُخْتَلِفَةً . فروى بسنده إلى زياد بن فائد ، عن أبيه فائد ، عن جدّه زياد بن أبي هند ، عن أبي هند الدارِيَّ أنه قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقَرُ : تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ ، وَنُعَيْمُ بْنُ أَوْسٍ أَخُوهُ ، وَيزِيدُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَبُو هِنْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ ، وَأَخُوهُ الطَّيِّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [كَانَ اسْمُهُ بَرًا] فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَفَاكُهُ بْنُ النِّعْمَانِ ، فَأَسْلَمْنَا وَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْطِعَنَا أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ » . فَقَالَ تَمِيمٌ : أَرَى أَنْ نَسْأَلَهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكَوْرَهَا ، فَقَالَ أَبُو هِنْدٍ : [هَذَا مَحَلُّ مُلْكِ الْعِجَمِ] وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا مُلْكُ الْعَرَبِ وَأَخَافُ أَنْ لَا يَتِمَّ لَنَا هَذَا ، فَقَالَ تَمِيمٌ : فَنَسْأَلُهُ

(١) في "سيرة ابن هشام" عدم ثمانية .

(٢) الزيادة من "سيرة ابن هشام" ج ٢ ص ١٩٥ وهي لازمة لصحة المقام .

(٣) في "سيرة ابن هشام" - عبدالله - وأن الذي سماه عبد الرحمن إنما هو عرفة بن مالك ولم يذكر هنا .

(٤) الزيادة من "السيرة الحلبية وتاريخ ابن عساكر المحفوظ بدار الكتب الأزهرية" .

بيت جبرين وكورتها ، فقال أبو هند : هذا أكبر وأكبر . فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبت ووقفت - قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم : « أتحب أن تُخبرني بما كنتم فيه أو أخبرك ؟ » - فقال تميم : بل تُخبرنا يا رسول الله نردادُ إيماناً - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أردتُم أمراً فأرَادَ هذا غيره » ونعم الرأي رأيي - قال : فداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة جلدٍ من آدم ، فكتب لنا فيها كتاباً نُسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« هذا [كتابٌ] ^(١) ذِكر [فيه] ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا »
« أعطاه الله الأرض . وهب لهم بيت عینون وحبزون ، وبيت إبراهيم »
« بمن فيهن لهم أبداً » .

« شهد عباس بن عبد المطلب ، وجهم بن قيس ، وشرحبيل بن »
« حسنة ، وكتب » .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرقعة وعشاه بشيء لا يعرف ، وعقده من خارج الرقعة بسير عقدين ، وخرج إلينا به مطوياً وهو يقول :
« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »

(١) الزيادة من "السيرة الحلبية" ج ٣ ص ٢٩٦ وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في "السيرة الحلبية" ص ٢٩٦ ج ٣ « ونخبة بن قيس » .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من تاريخ ابن عساكر .

ثم قال : أَنْصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا بِي قَدْ هَاجَرْتُ . قال أبو هند : فأنصرفنا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمْنَا عَلَيْهِ فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَنَا كِتَابًا ، فكَتَبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخَّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا مَا أَنْطَقَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ »
« وَأَصْحَابِهِ ، إِنِّي أَنْطَيْتُكُمْ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالرُّطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ »
« وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ نَطِئَةَ بَتٍّ ، وَنَفَذْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَأَعْقَابِهِمْ مِنْ »
« بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِ ، فَنُ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللَّهُ » .

« شَهِدَ أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي حُفَافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، »
« وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَتَبَ » .

فلما قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرٍ ، وَجَّهَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ ،
فَكَتَبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخَّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي »
« أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

« أَمَا بَعْدَ ، أَمْنَعُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْفَسَادِ »
« فِي قُرَى الدَّارِيِّينَ ؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا قَدْ جَلَوْا عَنْهَا وَأَرَادَ الدَّارِيُّونَ »

« أَنْ يَزْرَعُوهَا فَلْيَزْرَعُوهَا، فَإِذَا رَجَعَ أَهْلُهَا إِلَيْهَا فَهِيَ لَهُمْ وَأَحَقُّ بِهِمْ »
« وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

وروى بسنده أيضا إلى الزُّهْرِيِّ وَثُورِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَا: قَامَ تَمِيمٌ
الدَّارِيُّ وَهُوَ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ، رَجُلٍ مِنْ نَحْمٍ، فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي جِيرَةً مِنَ الرُّومِ
بِفِلَسْطِينَ لَهُمْ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا حَبْرَى، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا بَيْتُ عَيْنُونِ : فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكَ الشَّامَ فَهَبْهُمَا لِي، قَالَ : هُمَا لَكَ، قَالَ : فَارْكُتْ لِي بِذَلِكَ، فَكَتَبَ لَهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ »
« الدَّارِيِّ، إِنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ قَرِيبَتَهَا كُلُّهَا سَهْلُهَا وَجَبَلُهَا »
« وَمَاءُهَا وَحَرَّتُهَا وَأَنْبَاطُهَا وَبَقَرُهَا وَلَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ »
« وَلَا يُلَاجُهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بَظُلْمٍ . فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا »
« فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » وَكَتَبَ عَلَى .

فلما ولى أبو بكر كتب لهم كتابا نُسخته :

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي »
« أَسْتَخْلِفُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ، كَتَبَهُ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لَا تُفْسَدَ عَلَيْهِمْ مَأْثَرَتُهُمْ »
« قَرْيَةُ حَبْرَى وَبَيْتُ عَيْنُونِ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهَا شَيْئًا »
« وَلِيَقُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وروى ابن منده بسنده إلى عمرو بن حزم رضى الله عنه أنه قال : أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمماً الدارى ، وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا كتاب من محمد رسول الله لتيمم بن أوس الدارى، إن له صهيون»
«قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وأنباطها وورقها، ولعقبه من»
«بعده لا يحاقه فيها أحد، ولا يدخل عليه بظلم، فمن أراد ظلمهم»
«أو أخذهم منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن، وكلمنا نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليوقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرني برؤيتها غير واحد، والأديم التي هي فيه قد خالق لطول الأمد .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة السابعة

(في صورة ما يُكْتَب في الإقطاعات، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما كان يُكْتَب من ذلك في الزّمن القديم)

وكانت الإقطاعات في الزّمن الأول قليلةً، إنّما كانت تُجْبى الأموال إلى بيت المال ثم يُنْفَق منه على الجُند على ما تقدّم ذكره، وربما أقطَعُوا القرية ونحوها وقرّروا على مُقْطَعِهَا شيئاً يقوم به لبيت المال في كل سنة، ويسمّون ذلك المقاطعة .

ثم ما كان يُكْتَب في ذلك على ضربين، كلاهما مفتتح بلفظ «هذا» :

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب عن الخلفاء، ولهم فيه طريقتان)

الطريقة الأولى

(طريقة تُكَّاب الخلفاء العباسيين ببغداد)

وكان طريقتهم فيها أن يُكْتَب « هذا كتاب من فلان (بلقب الخليفة) إنك ذكرت من أمر ضيعتك الفلانية كذا وكذا، وسألت أمير المؤمنين في كذا وكذا، وقد أجابك أمير المؤمنين إلى سؤالك في ذلك ونحوه » .

وهذه نسخة مقاطعة، كُتِب بها عن المُطِيع لله الخليفة العباسي، من إنشاء أبي إسحاق الصابئي، وهي :

هذا كتاب من عبد الله الفضل، الإمام المطيع لله أمير المؤمنين، لفلان بن فلان .
 إنك رفعت قصتك تذكر حال ضيعتك المعروفة بكذا وكذا، من رستاق كذا وكذا،
 من طسوج كذا وكذا، وأنها أرض رقيقة قد توالى عليها الخراب، وأنغلق أكثرها
 بالسد والدغل، وأن مثلها لا تتسع يد الليالي للإنفاق عليه، وقلب بالاسله (؟) واستخراج
 سدوده وقفل أرضه، ولا يرغب الأكرة في ازدياعه والمعاملة فيه . وإن أمير المؤمنين
 مقاطعك عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الورق المرسى في كل سنة، على استقبال
 سنة كذا وكذا الخراجية، مقاطعة مؤبدة، ماضية مقررة نافذة، يُستخرج مالها
 في أول المحرم من كل سنة، ولا تُتبع بنقص ولا يتأول فيها متأول، ولا تُعترض
 في مستأنف الأيام، [إن] اجتهدت في عمارتها، وتكلفت الإنفاق عليها واستخراج
 سدودها، وقفل أراضيها واحتفار سواقيها، واجتلاب الأكرة إليها، وإطلاق البذور
 والتقوى فيها، وإرغاب المزارعين بتخفيف طسوقها بحق الرقة ومقاسماتها، وكان
 في ذلك توفير لحق بيت المال وصالح ظاهر لا يحتل .

وسألت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدم به والإسجال لك به، وإثباته في ديوان
 السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية، وتصديره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم،
 ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير ذلك
 من ضروب الانتقال .

وإن أمير المؤمنين بإيثاره الصلاح، وأعماده أسبابه، ورغبته فيما عاد بالتوفير على
 بيت المال، والعمارة والترفيه للرعية، أمرنا بالنظر فيما ذكرته، واستقصاء البحث عنه،
 ومعرفة وجه التدبير، وسبيل الحظ فيه، والعمل بما يوافق الرشد في جميعه . فرجع
 إلى الديوان في تعرف ماحكيته من أحوال هذه الضيعة، فأنفذ منه رجل مختار ثقة

مأمون، من أهل الخبرة بأمور السواد وأعمال الخراج: قد عرّف أمير المؤمنين أمانته وعلمه ومعرفته، وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها: من الأدلاء والأكرّة والمزارعين، وثقات الأمناء والمجاورين، والوقوف على هذه الأفرحه، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عامريها وغامريها، والمسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراج قراج منها، وما يوجب صواب التدبير فيما التمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته. وذكرت أنه زائد على الارتفاع، والكتاب بجميع ذلك إلى الديوان، ليوقف عليه وينهى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فاصحّ عنده منه أمضاه، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم ما يعمل عليه.

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أفرحتها وحدودها ونطاقها، بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها: من ثقات الأدلاء والمجاورين، والأكرّة والمزارعين، والأمناء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويعمل عليها، فوجد حاجة بطون الأفرحه المزدرة من جميعها، دون سواقيها وبرورها وتلالها وجنائها ومستنقعاتها، وما لا يعتمد من أرضها، بالحريب الهاشمي الذي تمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً: منها جميع القراج المعروف بكذا وكذا، ومنها قراج كذا وكذا، ومنها الحصن والبيوت، والساحات، والبقراحت، والخزانات، ووجد حالها في الخراب والآنسداد، وتعدّر العماره، والحاجة إلى عظيم المؤونة وفرط النفقة على ما حكته وشكوته، ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك ..

ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤمن المنفذ من الديوان، وأستظهر فيه بما
 رآه من الاستظهار، ووجب عنده من الاحتياط، فوجد ما رفعه صحيحاً صحة عرفها
 أمير المؤمنين وعلمها، وقامت في نفسه، وثبتت عنده، ورأى إيقاع المقاطعة التي
 آتستها على حق بيت المال في هذه الضيعة، فقاطعت عنه في كل سنة هلالية، على
 استقبال سنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا : درهماً صحاحاً رسالة بغير كسر
 ولا كعانه (?) ولا حق حرب ولا جهنزة، ولا محاسبة ولا زيادة، ولا نبي من جميع
 المؤمن وسابق التواقيع والرؤوم. تؤدى في أول الحرم من كل سنة، حسب ما تؤدى
 المقاطعة، مقاطعة ماضية مؤبدة، نافذة ثابتة، على مضي الأيام، ولزوم الأعوام،
 لا تنقض ولا تفسخ، ولا تتبع، ولا يتأول فيها، ولا تميز. على أن يكون هذا
 المال : وهو من الورق المرسل كذا وكذا في كل سنة مؤدى في بيت المال،
 ومصححاً عند من أورد عليه في هذه الناحية أموال خراجهم ومقاطعاتهم وجباياتهم،
 لا يعتل فيها بأفة تلتحق الغلات، سماوية ولا أرضية، ولا تعطّل أرض، ولا بقصور
 عمارة، ولا نقصان ربيع، ولا بانحطاط سعر، ولا بتأخر قطر، ولا بشرب غلة،
 ولا حرق ولا شرق، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه، ولا بسبب من
 الأسباب، ولا يمتنع في ذلك بحجة يمتنع بها التنا (?)، والمزارعون، وأرباب الخراج
 في الالتواء بما عليهم، وعلى أن لا يدخل عليك في هذه المقاطعة يد ماسح ولا منجن،
 ولا حازر، ولا مقدم، ولا أمين، ولا حاطر، ولا ناظر، ولا متبّع، ولا متعرف لحال
 زراعة وعمارة، ولا كاشف لأمر زرع وغلة، ماضياً ذلك لك ولعقبك من بعدك،
 وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، أبداً ما تناسلوا، ولن عسى أن تنقل هذه الأقرحة
 أو شيء منها إليه بإرث، أو بيع، أو هبة، أو نخل، أو صدقة، أو وقف، أو مناقلة،
 أو إجارة، أو هيازة، أو تملك، أو إقرار، أو بغير ذلك من الأسباب التي تنتقل بها

الأملاك من يد إلى يد، ولا يُنقض ذلك ولا شيء منه، ولا يغير ولا يفسخ، ولا يُزال ولا يبدل، ولا يعقب، ولا يعترض فيه بسبب زيادة عمارة، ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة، ولا زكاء ريع، ولا إحياء موات، ولا أعمال معطل، ولا عمارة نحراب، ولا استخراج غامر، ولا صلاح شرب، ولا استحداث غلات لم يتجر الرسم باستحداثها وزراعتها، ولا يعد ولا يمسخ ما عسى أن يفرس بهذه الأفرحة: من النخل وأصناف الشجر المعدود والكرم؛ ولا يتأول عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما تعممه وتستخرجه من الحبابين والمستنقعات، ومواضع المشارب المستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عرف جميع ذلك، وجعل ما يجب على شيء منه عند وجوبه داخلا في هذه المقاطعة، وجاريا معها.

على أنك إن فصأت شيئا من مال هذه المقاطعة على بعض هذه الأفرحة من جميع الضبيعة، وأفردت باقي مال المقاطعة بباقيها عند ملك ينتقل منها عن بدل، أو فعل ذلك غيرك ممن جعل له في هذه المقاطعة ما جعل لك من ورثتك وورثتهم، وعقبك وأعقابهم، ومن لعل هذه الضبيعة أو شيئا من هذه الأفرحة ينتقل إليه بضرب من ضروب الانتقال، قيل ذلك التفصيل منكم عند الرضا والاعتراف ممن تفصلون باسمه، ويحملون عليه، وعوملتم على ذلك، ولم يتأول عليكم في شيء منه.

وعلى أنك إن أتممت أو أتمست من يقوم مقامك ضرب منار على هذه الضبيعة، تعرف به حدودها ورسومها وطرقها، ضرب ذلك المنار أي وقت أتمسوه، ولم يمنعوا منه، وإن تأخر ضرب المنار لم يتأول عليكم به، ولم يجعل حلة في هذه المقاطعة، إذ كانت شهرة هذه الضبيعة وأقربيتها في أماكنها، ومعرفة مجاورها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، تُغنى عن تحديدها أو تحديد شيء منها، وتقوم مقام المنار

فى إيضاح معاملها ، والدلالة على حدودها وحقوقها ورسومها . وقد سَوَّكَ يافلانُ
أبن فلان أمير المؤمنين وعقبك من بعدك وأعقابهم ، وورثتك وورثتهم أبداً
ماتوا ، ومن تتقل هذه الأفرحة أو شئ منها إليه - جميع الفصل بين ما كان يلزم
هذه الضيعة وأقرحتها من حق بيت المال وتوايعه ، على الوضيعة التامة ، وعلى
الشروط القديمة ، وبين ما يلزمها على هذه المقاطعة ، وجعل ذلك خارجاً عن حاصل
طسوج كذا وكذا ، وعما يرفعه المؤمنون ، ويوافق عليه المتضمنون ، على غير الدهر
ومر السنين ، وتعاقب الأيام والشهور .

فلا تقبل فى ذلك سعاية ساع ، ولا قدح قادح ، ولا قرف قاريف ، ولا إغراء مغر ،
ولا قول معنف ، ولا يرجع عليك فيما سوغته ونظر لك به فى حال من الأحوال ،
ولا يرجع فى التقارير ، ولا تنقض بالمعاملات وردّها إلى قوام أصولها ، ولا ضرب
من ضروب الحجج والتاويلات ، التى يتكلم عليها أهل العدل على سبيل الحكم والنظر ،
وأهل الجور على سبيل المدون والظلم . ولا تكلف يافلان بن فلان ، ولا عقبك من
بعدك ، ولا ورثتك ، ولا أعقابهم ، ولا أحد من تخرج هذه الضيعة أو هذه الأفرحة
أو شئ منها إليه ، على الوجوه والأسباب كلها - إخراج توقيع ، ولا كتاب مجدد ،
ولا منشور بانفاذ شئ من ذلك ، ولا إحضار سجل به ، ولا إقامة حجة فيه فى وقت
من الأوقات .

وعلى أن لا يلزمك ولا أحدًا ممن يقوم مقامك فى هذه المقاطعة ، مشونة ، ولا كلفة ،
ولا ضريبة ، ولا زيادة ، ولا تقسيط كراء منه ، ولا مصلحة ، ولا عامل بريد ،
ولا نفقة ، ولا مشونة جماعة ، ولا خفارة ، ولا غير ذلك . ولا يلزم بوجه من الوجوه
فى هذه المقاطعة زيادة على المبلغ المذكور المؤدّى فى بيت المال فى كل سنة نجاجية ،

وهو من الورق المرسل كذا وكذا، ولا تمنع من رَوْز جهيد أو حجة كاتب أو عامل
بما لهذه المقاطعة إذا أدتته أو أدت شيئا منه أولا أولا، حتى يتكمل الأداء،
وتحصل في يدك البراءة في كل سنة بالوفاء بجميع المال بهذه المقاطعة .

وعلى أن تعاونوا على أحوال العارة ، وصلاح الشرب ، وتوقر عليكم الضيافة
والحمية ، والذب والرعاية .

ولا يتعقب ما أمر به أمير المؤمنين أحد من ولاية العهود والأمراء والوزراء
وأصحاب الدواوين ، والكُتاب والعمال والمُشرفين ، والضُمَماء والمؤتمنين ، وأصحاب
الخراج والمعاونين ، وجميع طبقات المعاملين ، وسائر صنوف المتصرفين - يُطلبه
أو يُزيله عن جهته ، أو يُنقضه ، أو يفسخه ، أو يغيره ، أو يبدله ، أو يوجب عليك
أو على عقبك من بعدك وأعقابهم وورثتهم أبدا ما تناسلوا ومن تخرج هذه الضيعة
أو شيء منها [إليه] حجة على سائر طرق التأويلات ، ولا يُلزمك شيئا فيه ، ولا يُكلفكم
عوضا عن إرضائه ، ولا ينظر في ذلك أحد منهم نظرا لتبع ولا كشف ، ولا بحث ،
ولا فحص . فإن خالف أحد منهم ما أمر به أمير المؤمنين ، أو تعرض لكشف
هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها أو اعتبارها والزيادة في مبلغ مالها ، أو ثبت
في الدواوين في وقت من الأوقات شيء يخالف ما رسمه أمير المؤمنين فيها : إما على
طريق السهو والغلط ، أو العدوان والظلم والعدا والقصد ، فذلك كله مردود ،
وباطل ، ومفسخ ، وغير جائز ، ولا سائغ ، ولا فادح في صحة هذه المقاطعة وثبوتها
ووجوبها ، ولا معطل لها ، ولا مانع من تلافى السهو واستدراك الغلط في ذلك ،
ولا مغير لشيء من شرائط هذه المقاطعة . ولا حجة تقوم عليك يا فلان بن فلان ،
ولا على من يقوم في هذه المقاطعة بشيء من ذلك : إذ كان ما أمر به أمير المؤمنين

من ذلك على وجه من وجوه الصلاح، وسبيل من سبله رأئها وأمضاها، وقطع بهما كل اعتراض ودعوى، واحتجاج وقذف، وأزال معهما كل بحث وخص، وتبعية وعلاقة، وإن كان من الشرائط فيما سلف من السنين وخلا من الأزمان ما هو أوكد وأنتم وأحكم وأحوط لك، ولعقبك وورثتك، وأعقابهم وورثتهم؛ ومن تنقل هذه الأفرحة أو شيء منها إليه مما شُرط في هذا الكتاب بحال، أوجبها لك الاحتياط على اختلاف مذاهب الفقهاء والكتاب وغيرهم مما للخلفاء أن يفعلوه وتنفذ فيه أمورهم، وحيات وحملوا عليه، وهو مضاف إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكر، ودخلت تحت الحصر، ولم يكلف أحد منكم إخراج أمر به .

وإن أتممت [أنت] أو أحد من ورثتك وأعقابك، ومن عسى أن تنقل هذه الضيعة والأفرحة أو شيء منها إليه في وقت من الأوقات تجديد كتاب بذلك، ومكتبة عامل أو مشرف، أو إخراج توقيع ومذشور إلى الديوان بمثل ما تضمنه هذا الكتاب، أجبتم إليه ولم تمنعوا منه .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في الدواوين، وإقراره في يدك، حجة لك ولعقبك من بعدك وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، ووثيقة في أيديكم، وفي يد من عسى أن تنقل هذه الضيعة أو الأفرحة أو شيء منها إليه، بضرب من ضروب الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأن لا تكلفوا إيراد [حجة] من بعده، ولا يتأول عليكم متأول فيه .

فمن وقف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه : من جميع الأمراء، وولاة العهود والوزراء، والعلماء، والمشرفين، والمتصرفين، والناظرين في أمور الخراج، وأصحاب السيوف على اختلاف طبقاتهم، وتباين منازلهم وأعمالهم . فليمتثل ما أمر به أمير

المؤمنين ولينفذ فلان بن فلان وورثته وورثتهم، وعقبه وأعقابهم، ولمن تنتقل هذه الأفرحة أو شئ منها إليه - هذه المقاطعة، من غير مراجعة فيها، ولا استئثار عليها، ولا تكليف [له] ولا لأحد ممن يقوم بأمرها إيراد حجة بعد هذا الكتاب بها .
وليعمل بمثل ذلك من وقف على نسخة من نسخ هذا الكتاب في ديوان من دواوين الحضرة، وأعمالها أو الناحية، وليقر في يد فلان بن فلان أو يد من يورده ويحتج به ممن يقوم مقامه، إن شاء الله تعالى .

الطريقة الثانية

(ما كان يكتب في الإقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

وهو على نحو مما كان يكتب عن خلفاء بني العباس .

قال في "مواد البيان" : والرسم فيها أن يكتب :

أمير المؤمنين بما وهبه الله تعالى : من شرف الأعراق، وكرم الأخلاق، ومنحه من علو الشأن، وارتفاع السلطان؛ يقتدى بإذن الله سبحانه في إفاضة إناعمه وبره، على الناهضين بحقوق شكره؛ ويوقع أياديّه عند من يقوم بحققها، ويتألفها بحمدها، وشكرها، ولا ينفقها ويوحشها بكفرها؛ ويحمدها؛ ويتحرى بعوارفه المغارس التي تُحب شجرتها، وتحلولى ثمرتها؛ والله تعالى نسأله أن يوفقه في مقاصده، ويريه مخايل الخير في مصادره وموارده؛ ويعينه على إحسان يفيضه ويسبغه، وأمتنان يضيفه ويفرغه .

ولما كان فلان بن فلان من غرس أمير المؤمنين [إحسانه] لديه فائمه، وأولاده طوله فشكره؛ وراه مستقيلاً بالصنيعه، حافظاً للوديعه، مقايلاً العارفة بالإخلاص في الطاعة، مستندراً بالانقياد والتباعه، أخلاف الفضل والنعمه (ويوصف الرجل

المقّطع بما تقتضيه منزلته) ثم يقال : رأى أمير المؤمنين مضاعفة أياديّه لديّه ، ومُواصلةً لإنعامه إليه ، وإجابةً سؤاله ، وإنالته أفاضى آماله ، وتنوّلته ما نحت إليه أمانته ، وطمّحت نحوه راحته ، وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ، أو تسويغ ما يجب عليه من نجاج ملكه ، وما يجرى هذا المجرى . ثم يقال : ثقةً بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرس وأزكاه ، وأحقّ منزّل بالتّوّل وأولاه . وخرج أمره بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطعه الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها ، وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ، (وينص على كلّ حق من حقوقها ، وحد من حدودها) فإذا استوفى القول عليه ، قال : إنعاماً عليه ، وبسّطاً لأمله ، وإبانةً عن خطره .

فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورسمه ، ليعملوا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوزه وتعديّه ، وليقرّ بيده بعد العمل بما نصّ فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : والتحقيق أنّ لهم في ذلك أساليب : منها ما يفتتح بلفظ « هذا » والمعروف أنه كان يسمى ما يكتب في الاقطاعات عندهم سِجّلات كالذى يكتب في الولايات .



وهذه نسخة منشور من مناشيرهم ، من إنشاء القاضي الفاضل لولده من أولاد الخليفة اسمه حسن ولقبه حسام الدين مفتّح بلفظ « هذا » وهى :

هذا كتاب من أمير المؤمنين لولده الذى جلّ قدره أن يُسمى ، وقرّ فى ناظر الإيمان نوراً وسلّته يد الله حساماً ، وحسن به الزمان فكان وجوده فى عطفه

حليّة والعزّة آيتساما، وأضاءت وجوه السعادة لمنحها بكرم اسمه آتساما، وتبيّات
 الأقدار لأن تجرى على نقش خاتم إرادته أمثالاً وآتساما - الأمير فلان، جرياً على عادة
 أمير المؤمنين التي أوضح الله فيها إشراق العوائد، وأتباعاً لسنة آتانه التي هي سنن المكارم
 والمرشد، وآرتقاداً مع آرتياح [إلى موارد] كرمه التي هي موارد لا يخلأ عنها وارد،
 واختصاصاً بفضل لمن كفاه من الشرف أنه له والد، وعموماً بما يسوقه الله على يده
 من أرزاق العباد، وإنعاماً جعل نجله طريقه إلى أن يفيض على كل حاضر وباد .
 وأمير المؤمنين بحر ينتشئ من آله السحاب المنزل، ويمتد بهم جواد العطاء الأجل .
 أمر بكتبه لما عرضت لمقامه رقة بكنا وكذا، وخرج أمر أمير المؤمنين إلى وليّه
 وناصره، وأمينه على ما آستأمنه الله عليه وموازيره؛ السيد الأجل الذي لم تزل آراؤه
 ضوياً للصالح كوافل، وشهب تدبيره من سماء التوفيق غير غارية ولا أوافل، وخدمته
 لأمر المؤمنين لا تقف عند الفرائض حتى تخطى إلى النوافل، وجاد فأخلف النعم
 به حوافل، وأقبل فأحزاب الخلف به جوافل، وأيقظ عيوناً من التدبير على الأيام
 لا تدعى الأيام أنها غوافل، بأن يؤعز إلى ديوان الإنشاء بإقطاع ناحية كذا بحدّها،
 والمعتاد من وصفها المعاد، وما يدل عليه الديوان من عبرتها، ويتحصّل له من عيناها
 وغلتها؛ إلى الديوان الفلاني: إقطاعاً لا يتقطع حكمه، وإحساناً لا يعفور رسمه، وتسويةً
 لا يطيش سهمه، وتكديلاً لا يُحىي سهمه، وتخويلاً لا يُثني عزّمه، يتصرف فيه
 هذا الديوان ويستبدّ به مالكا، ويُفاوض فيه مُشاركاً، ويزرعه متملاً ومضمناً،
 ويستثمره عادلاً في أهله محسناً، لا تتعقبه الدواوين بتأويل ما، ولا الأحوال بتحوّل ما،
 ولا الأيام بتقلّبها، ولا الأغراض بتعقّبها، ولا اختلاف الأيدي بتقلّبها، ولا تعترضه
 الأحكام بتأولها .

(١) في الأصول هكذا «بمها» باهمال نقط الكلمة بتمامها .

وقد أوجب أمير المؤمنين على كلِّ والٍ أن يتحاشى هذه الناحية بضرره، ويقصدها
بجميل أثره، ويحيطها بحسن نظره، ويتقن فيها ركوب عواقب غرره، ويحتنب فيها
مطالب ورده وصدره، ونزول مستقره؛ ولا يمكن منها مستخدما، ولا يكلف أهلها
مغرما، ويحرىها مجرى ما هو من الباطل حى؛ ما لم يقل فيها بميل، أو يخف من سبلها
سبيل، وله أن يتطلب الجاني بعينه، ويقتضيه بأداء ما استوجب من دينه، وأخذه
مسوقا بجرائم ذنبه إلى موقف حينه، فمن قرأه فليعمل به .



وهذه نسخة سبيل بإقطاع، عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين أيضا لبعض أمراء
الدولة، من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وهى :

أمير المؤمنين - وإن عمَّ جوده كما عمَّ فضل وجوده، وسار كثير إحسانه ويره
فى سهول المعمور ونجوده، ورحم الله الخلق بما استأثره دون الخلائق من قربه
فى نجوده - فإنه يخص بنى القرى من جدّه، والضاريين معه فى أنصاء بنجده؛ من
سلالته الزكية، وطينته المسكية؛ وأعرافه الشريفة، وأنسابه المنيفة؛ فكل غراء
لا تخفى أوضاعها، إلا إذا فاضت أنوارهم، وكل عدراء لا يعهد إسماعها، إلا إذا
راضت أخطارهم .

ولما عرّضت بحضرته ورقة من ولده الأمير فلان الذى أنز الله به عين الإسلام،
وأنجز به دين الأيام؛ وأطلعه بدرًا فى سماء الحسب، وجلا بأنواره ظلام النوب؛
وأمنح من منبع النبوة وآرتوى، وأستولى على خصائص الفضل الجلى وأحتوى،

وأعد الله لسعد الأئمة ذا مِرَّةٍ شديدة القوى ، وأدنى الاستحقاق من الغايات حتى تأهب لأن يكون بالوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوْىً ؛ وأضحت كافة المؤمنين مؤمنين على مكارمه ، وأمست كافة الحائفين خائفين من سَيْلِ أَنْفُسِهِمْ على صَوَارِمِهِ ؛ وآراؤه أعلى أن يُضَاهِيَهَا [رَأَى] وإن جَلَّ خَطَرُهُ ، وأعطيته أَرْقَى أن يُدَانِيَهَا عَطَاءً وإن حَسُنَ في الأحوال أثره ؛ وإنما يُنْبِغُ بِمُلْكِهِ مِنْهَا مَا رَاقَ بَعَيْنَ اخْتِيَارِهِ وإِثَارِهِ ، وسعد بالانتظام في سِلْكِ جُودِهِ الذى يعرضه أبداً لانتثاره ، وتضمنت هذه الرقعة الرغبة في كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

خرج أمرُ أمير المؤمنين إلى فتاه وناصيره ، ووزيره ومُظَاهِرِهِ ؛ السيد الأجل الذى انتصر الله به لأمر المؤمنين من أعدائه ، وحسم بحسامه ما أعضل من عارض الخطب ودائه ، ونطقت بفضله ألسُنُ حُسَّادِهِ فضلاً عن ألسنة أودائه ، وسخت الملوك بأنفسها أن تكون فداءً له إذا حوزها المجد في فدائه ؛ الذى ذخره الله لأمر المؤمنين من آدم ذخيرته ، وجمع له في طاعته بين إيقاظ البصيرة وإخلاص السريه ، وفضلت أيامه على أيام أوليائه بما حلاها من جميل الأحداث وحسن السيره ؛ وسهل عليه التتوى في المنافع والعكوف على المصالح ، وأجنى من أقلامه ورماحه ثمرات النصائح ، وفاز بما حاز من ذخائر العمل الصالح بالمتجر الرائج ؛ وألهمه من حراسة قانون الملك ما قضى بحفظ نظامه ، ولم ينصرف له عزم إلا إلى ما صُرف إليه رضا ربه ورضا إمامه .

ونفذت أوامره بأن يُوعَزَ إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل إلى الديوان الفلانى بإقطاعه الناحية وما معها منسوباً إليها وداخلاً فيها لاستقبال [سنة] كذا ، منحةً سائغة ، لا يعترضها التكدير ، ونعمةً سائغة ، لا ينقضها التغيير ؛ وحباءً موصول

الأسباب، وعطاءً بغير من ولا حساب ؛ يتحكم فيه على قضايا الاختيار ، وتنفذ فيه أوامره الميمونة الإراد والإصدار .

ومنها - أن يفتح السجل بلفظ : « إن أمير المؤمنين » ويذكر من وصفه ما سنج له ، ثم يذكر حكم الإقطاع ، وكيفية خروجه .

وهذه نسخة سجل من ذلك كتب به لبعض وزرائهم ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

إن أمير المؤمنين لما أطلق الله يد ربه من أميال تبدو على الأحوال شواهد آثارها ، وتروض الآمال سحائب مدارها ، وتنتزه مواعدها عن إنظارها ، ومواردها عن أن يؤتى بأنظارها ، ويقوم بناصرها فيكون أقوى أعوانها على الشكر وأنصارها ؛ وألهمه من مواصلة المن التي لا تنقطع روايتها ولا تنتهي مراتبها ، وموالاته المنح التي تهب على جنب الخير شمائلها وجنائها ، وتلتقي في مسارح المدايح غرائبها ورغائبها ؛ وحببه إليه من آتهاز فرص المكارم في الأكارم ، وأبتداء المعروف وأبتدار معانمه التي لا تعقبها مغارم - يولي آلاؤه من يجزي عن حسنتها عشرها ، ويعقل عقائلها عند من يسوق إليها من استحقاقها مهرا ، ويقابل بالإحسان إحسان أجل أوليائه قدرا ، ويضعف الأمتنان عند من لم يضعف في موازرتيه أزرا ؛ ويودع ودائع جوده في المغارس الجيدة بالزكاء والثناء ، ويؤتي أصول معروفة لمن يفتخر بالانضواء إلى موالاته والائتماء ، ويستكرم مستقر منته وآلائه ، ويحسن إلى الإحسان ثم يتجهج بموالاته لديه وإيلائه .

ولما كان السيد الأجل أمير الجيوش آية نصر أمير المؤمنين التي أنبرت فما تبارى ، ونعمة الله التي أشرقت أنوارها وأورت فما تتوارى ؛ وسيف حقه الذي

لا تَكِلْ مَقَاتِعَهُ ، وَبِحَرَ جُودِهِ الذِّى لَا تُكَدَّرُ مِشَارِعُهُ ؛ وَالْمُسْتَقَلُّ مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ حَوْزَتِهِ بِمَا تَجَزَّتْ عَنْهُ الْأُمَمُ ، وَالْعَلَى عَلَى مِقْدَارِ الْأَقْدَارِ إِذَا تَفَاوَتَتْ قِيَمُ الْهِمَمِ ، وَالْكَاشِفُ الْجُلِّيُّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَتْ مَظَالِمُ الظُّلْمِ ، وَالْجَامِعُ عَلَى الْمُبَارَاةِ وَالْمُؤَارَاةِ قَلْبَ الْمُؤَالَفِ وَالْمُخَالَفِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَالْمَتَّبِئُ مِنَ الْمُلْكِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْمُتَوَقِّلُ مِنَ الْفَخْرِ مَحَلًّا لَا يَطْمَعُ النَّجْمُ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَالْمُغِيرَ عَلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِقَبْلِيَّةِ الْبُكْرِ ، وَالْمَنْفَعِدَ بِمَبْتَدَعِ الْعَزَمَاتِ مَا لَوْلَا وَقُوعُهُ لَمَّا وَقَعَ [فِي] الْفِكَرِ ؛ وَالْقَاضِي لِلدِّينِ بِحَدِّ سَيْفِهِ مَطْلُوعَ حَقِّهِ وَمَمْطُوعَ دِينِهِ ، وَالْقَائِمُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامًا قَامَ بِهِ أَبُوهُ فِي نُصْرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا يَوْمَ بَدْرِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنِهِ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ آيَاتِ نَضَارَةِ نَظَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنْتْ ، وَأَبْتَدَتْ أَيْدِيهِ الْجَنَى فَتَظَاهَرَتْ أَدْلَتُهَا عَلَى دَوْلَتِهِ وَتَبَيَّنَتْ ؛ وَأَسْتَلَامَتِ الْمَمْلَكَةُ مِنْ تَدْبِيرِهِ بِجَنَّةِ تَحَامَاهَا الْأَقْدَارُ وَهِيَ سِهَامٌ ، وَوَثِقَتْ مِنْ عَنَائِيهِ إِلَى هَجْرِ الْخُطُوبِ بِمَا يُعِيدُ نَارَهَا وَهِيَ بَرْدٌ وَسَلَامٌ ؛ وَمَا ضَرَّهَا مَعَ تَيْقُظِ جَفْنِهِ أَنْ يَهْجَعَ فِي جَفْنِهِ طَرْفُ الْحُسَامِ ، وَلَا أَحْتَاجَتْ وَقْلُهُ يُسَاوِرُ جَسِيمَ أُمُورِهَا أَنْ تَتْعَبَ فِي وَادِّهَا الْأَجْسَامِ ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يُؤَلَّى - وَإِنْ عَظُمَ - يَنْهَاضُ أَسْتَحْقَاقَهُ ؟ وَأَيُّ غَايَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ تَرْوِمُ نَيْلِ مَدَى مَسْعَاهِ وَلِحَاقِهِ ؟ ؛ وَأَيُّ لَأَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَنْ تُهْدَى لِحَوْهَرِهِ عَرَضًا ، وَلَا تَبْلُغُ مَبَالِغِ النِّعَمِ الْجَلَائِلِ أَنْ تَعْتَدَّ الْيَوْمَ مِنْ مَسَاعِيهِ عَوَضًا ؟ ؛ وَهَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالٌ فِي مُجَازَاتِهِ عَنْ قِيَامِهِ بِعَمْدِ رَأْيِهِ وَبِحَرْدِ عَضْبِهِ ، وَدِفَاعِهِ عَنْ حَوْزَةِ عُدَّتِهِ وَذَبِّهِ ، وَكَرِّهِ فِي مُوَاقِفِ كَرِّهِ ، وَكِفَايَتِهِ لِلْأُمَّةِ فِي سِلْمِهِ وَحَرْبِهِ ، وَإِيَالَتِهِ الَّتِي خَصَّ الْأَرْضَ مِنْهَا فَضْلُ خِصْبِهِ ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ بِقَلْبِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحُجُبَ عِنْدَ كُلِّ سُؤَالٍ كَمَا يَرْفَعُ اللَّهُ عِنْدَ دَعَائِهِ مُسَدِّلٌ مُجِيبٌ ؟ .

وعُرِضَتْ بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين مطالعةً منه عن خَيْرِ بِاسْمِهِ الكريمِ مَقْصُورٍ عَلَى الرِّغْبَةِ فِي نُحُوجِ الْأَمْرِ بِتَمْلِيكِ جِهَتِهِ الَّتِي تَقُومُ عِنْدَهَا عِدَّةُ أَلْفٍ ، مُسْتَخْرِجًا بِهَا الْخَطَّ الشَّرِيفَ بِإِمضَاءِ التَّمْلِيكِ وَإِجَازَتِهِ ، وَتَسْلِيمِ الْمَلِكِ وَحِيزَتِهِ .

فَتَلَقَّى أمير المؤمنين هَذِهِ الرِّغْبَةَ بِإِفْرَازٍ جَرَى فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ عَلَى أَفْضَلِ سَنَنِ ، وَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ، وَتَهَلَّتْ عَلَيْهِ لِسْوَالُهُ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْيَشْرِ ، وَنَفَذَتْ ^(١) مَوَاقِعَ تَوْقِيعِهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ . وَشَمِلَهُ خَطُّهُ الشَّرِيفُ بِمَا نُسَخَتْهُ : خَرَجَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بِأَنْ يُوعَظَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَمْلِيكِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا بِجَمِيعِ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا ، وَظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا ، وَأَعَالِيهَا وَأَسَافِلِهَا ، وَكُلِّ حَقٍّ لَهَا ، دَاخِلٍ فِيهَا وَخَارِجٍ عَنْهَا ، وَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهَا وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ، بِتَمْلِيكَهَا عَالِدًا ، وَإِنْعَامًا مُؤَبَّدًا ، وَحَقًّا مُؤَكَّدًا ، يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ ، وَيُحْكَمُ أَحْكَامُ الْكَرَمِ وَالشَّرْعِ ، مَاضِيًّا لَا تُتَعَقَّبُ حُدُودُهُ بِنَسْخِ ، جَائِزًا لَا تُتَجَاوَزُ عَقُودُهُ بِنَسْخِ ، مَوْصُولَةً أَسْبَابُهُ فَلَا تَنْتَطِرُقُ أَسْبَابُ التَّغْيِيرِ إِلَيْهَا ، مُورُوثًا حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

فَلْيَعْتَمِدْ كَافَّةُ وُلاَةِ الدَّوَاوِينِ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ، حِمْلَ الْأَمْرِ عَلَى مُوجِبِهِ ، وَالْحَذَرَ مِنْ تَعَدِّيهِ وَتَعَقُّبِهِ ، وَآمْتِثَالَ مَا رَسَمَهُ أمير المؤمنين وَحَدَّهُ ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ أَمْرِهِ الَّذِي عَدَمَ مَنْ مَالَ فَرَدَّهُ ، وَلِيَقْتَرَفِ يَدَ الدِّيْوَانِ مُجَبَّةً لِمُودَعِهِ بَعْدَ نَسْخِهِ فِي الدَّوَاوِينِ بِالْحَضْرَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) لعله « وبلغت مَوَاقِعَ » الخ .

الضرب الثاني

(مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يُكتب
عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس)

وطريقتهم فيه أن يُكتب في الابتداء : « هذا كتاب » ونحو ذلك ، كما كان
يُكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ، ثم يُذكر عرض أمره على الخليفة ،
وأستكشاف خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين ، وموافقة قولهم بما ذكره
في رُقعته ، ويذكر أن أمير المؤمنين وذلك السلطان أمضياً أمر تلك المقاطعة وقرّاه .
ثم ربّما وقع تسويغ ما وجب لبيت المال لصاحب المقاطعة زيادةً عليها ليكون
في المعنى أنه بأمرها .

وهذه نسخة مقاطعة بضیعة كُتِب بها عن صمصام الدولة بن ركن الدولة بن
بويه ، وهي :

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، أبي كالجار ، بن عضد الدولة وتاج
المسلة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين ، لحمد بن عبد الله
ابن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسدولا والبدرية من طسوج نهر الملك ،
والحظائر والحصّة بنهر قلا من طسوج قُطربل ، وما لحقها : من اختلال الحال
ونقصان الإرتفاع ، وأندواب المشارب ، وأستئجام المزارع ، وطمع المجاورين ،
وضعف الأكرّة والمزارعين ، وظلم العمال والمتصرفين ، لتناول غيبتك عنها ،
وانقطاعك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها ، وإقامة عماراتها ، والإنفاق على

(١) كذا بالأصل ، ولا معنى لها ولعلها : « واندثار المشارب » .

مصلحتها، والأَنْتِصَافِ من المجاورين لها والمُعَامِلِينَ فيها، ووصفَتْ ما تحتاج إلى تكافئه من الجملة الوافرة: لِإِحْتِفَارِ أَنْهَارِهَا، وَإِحْيَاءِ مَوَاتِهَا، وَأَعْتِمَالِ مُتَعَطِّلِهَا، وَإِعَادَةِ رُسُومِهَا، وَإِطْلَاقِ الْبُدُورِ فِيهَا، وَابْتِغَاءِ الْعَوَامِلِ لَهَا، وَآخْتِلَافِ الْأَكْرَةِ إِلَيْهَا .

وسألت أن تُقَاطَعَ عن حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ فِيهَا وَجَمِيعِ تَوَابِعِهِ ، وَسَائِرِ لُزُومِهِ ، عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، مَعُونَةً لَكَ عَلَى عِمَارَتِهَا ، وَتَمَكِينًا مِنْ إِعَادَتِهَا إِلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا ، وَتَوْسِيعَةً عَلَيْكَ فِي الْمَعِيشَةِ مِنْهَا .

فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، وأفضنا بحضرته فيما أنت عليه من الخلاق الحميدة ، والطرائق الرشيدة ، وما لك من الخدومات القديمة والحديثة ، الموجبة لأن تُلْحَقَ بنظرائك من الخدم المختصين ، والحواشى المستخلصين ، بإجابتك إلى ما سألت ، وإسعافك بما أتمست . فخرج الأمر - لازال عالياً - بالرجوع في ذلك إلى كُتَّابِ الدَوَاوِينِ ، وَعُمَمَالِ هَذِهِ النَّوَاحِي ، وَتَعَرَّفَ مَا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِمَّا يَعُودُ بِالصَّلَاحِ ، وَيَدْعُو إِلَى الْإِحْتِيَاظِ . فَرُجِعَ إِلَيْهِمْ فِيمَا ذَكَرْتَهُ وَحَكَمَيْتَهُ ، فَصَدَّقُوكَ فِي جَمِيعِهِ ، وَشَهِدُوا لَكَ بِصِحَّتِهِ ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ خِطَابٌ فِي الْإِرْتِفَاعِ الْوَافِرِ الْقَدِيمِ ، وَمَا تُوجِبُهُ الْعِبَرُ لَعَدَّةِ سَنِينَ ، إِلَى أَنْ أَسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ تَوَقَّعْتَ عَلَى هَذِهِ الضِّيَاعِ الْمَسْمُورَةِ فِي هَذَا الْكَتَابِ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَرِقًّا مَرْسَلًا بِغَيْرِ كَسَرٍ ، وَلَا كِفَايَةٍ ، وَلَا حَقٍّ خَزَنَ ، وَلَا جَهْبَذَةً وَلَا مُحَاسَبَةً ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤَنِّ كَالْهَذَا .

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله ، فأمر - زاد الله أمره علواً - بِإِمْضَاءِ ذَلِكَ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَالُ ، وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ مُؤَدَّى فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَفْتَحُ فِيهِ الْمُقَاطَعَاتُ : وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْحَرَمِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، عَلَى أَسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْحَارِيَةِ ، سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ الْخَرَاجِيَّةِ ، عَنْ الْخَرَاجِ فِي الْعَلَّاتِ الشَّتْوِيَّةِ

والصَّيفِيَّة ، والمُحَدَّثَةُ والمُبَكَّرَةُ الجارية على المِسَاحَةِ ، والحاصِل من الغَلَّات الجارية على المُقاسِمة والجَوَالِي ، والمَرَاغِي ، والأُرْحَاء ، وسائر أبواب المِال ، ووُجُوه الجَبَايَات ، وتَقْسِيطُ المِصَالِح ، والحِمَايَةِ ، مع ما يلزم ذلك من التوابِع كُلِّهَا : قَلِيلُهَا وكَثِيرُهَا ، والرسوم الثابتة في الدواوين بِأَسْرِهَا ، وعن كُلِّ مَا أُحْدِثَ ويُحْدَثُ بعدها على زيادة الارتفاع وتُقْصَانِهِ ، وتَصَرُّف جميع حالاته : مقاطعةً مُقَرَّرَةً مُؤَبَّدَةً ، مُمَضَّةً مُخَلَّدَةً ، على مُرُور الليالي والأَيَّام ، وتَعاقِب السنين والأَعْوَام . لك ولولَدِكَ ، وَعَقَبِكَ من بعدك ، وَمَنْ عَسَى أَنْ تَنْتَقِلَ هذه الضياعُ إِلَيْهِ بِمِيراثٍ ، أَوْ يَبِيعَ ، أَوْ هِبَةً ، أَوْ تَمْلِكَ ، أَوْ مُنَاقَلَةً ، أَوْ وَقْفٍ ، أَوْ إِجَارَةٍ ، أَوْ مُبَادَرَةٍ ، أَوْ مِزَارَعَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ من جميع الوجوه التي تَنْتَقِلُ الأَمْلاكُ عَلَيْهَا ، وَتَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ المعاملاتُ فِيهَا ، لَا يُفْسَخُ ذَلِكَ وَلَا يَغْيَرُ ، وَلَا يُنْقَضُ وَلَا يَبْدَلُ ، وَلَا يُزَالُ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَلَا يُحَالُ عَنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يُعْتَرَضُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَا يَتَأَوَّلُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى غَيْرِكَ فِيهِ ، بِزِيَادَةِ عِمَارَةٍ ، وَلَا زَكَاةٍ رَيْعٍ ، وَلَا غُلُوسِ عَمْرٍ ، وَلَا إِصْلَاحِ شَرْبٍ ، وَلَا أَعْمَالِ نَحْرَابٍ ، وَلَا إحياءِ مَوَاتٍ ، وَلَا بغيرِ ذَلِكَ من سائر أسبابِ وُقُور الارتفاعِ ودُرُور الاستغلال .

وحظَرَ مولانا أمير المؤمنين الطائع لله ، وحظَرْنَا بحظَرِهِ على كُتَّاب الدَّوَاوِين : أَصُولُهَا وَأَزِمَّتُهَا ، وَتَحَمُّالُ النِّوَاحِي ، والمُشْرِفِينَ عَلَيْهَا ، وَجميع المتصَرِّفِينَ على آخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، الِاعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي هذه المقاطعة ، أَوْ إيقاعِ ثَمَنٍ أَوْ مِسَاحَةٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا جَارِيًا عَلَى الْخِرَاجِ ، أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ خَزِيرٍ ، أَوْ قِسْمَةٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْهَا جَارِيًا عَلَى الْمُقَاسِمَةِ ، أَوْ أَنْ تَدْخُلَهَا يَدٌ مَعَ يَدِكَ لِنَظَرٍ أَوْ حَاطِرٍ أَوْ مُسْتَظْهِرٍ أَوْ مُعْتَبِرٍ أَوْ مُتَصَفِّحٍ ، إِذْ كَانَ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى مُرُورِ السنينِ مَسَوًّا لَكَ ، لَا تُطَالِبُ بِهِ ، وَلَا بِمَرْقَاقٍ عَنْهُ ، وَلَا عَلَى مَا ظَهَرَ عَلَيْهِ وَعَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَا يُلْتَمَسُ مِنْكَ تَجْدِيدُ كِتَابٍ ،

ولا إحضار حجّة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب : إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة، وصار ما يجب من الفضل بين ما توجب المسائح والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه العمال، ويرفعه منهم المؤمنون، ويوافق عليه المتضمنون ؛ على مرور الأيام والشهور، وتعاقب السنين والدهور؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة ناصح، ولا توفير موفر، ولا سعاية ساع، ولا قذف قاذف، ولا طعن طاعين .

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مئونة، ولا كلفة، ولا مصانعة، ولا مصالحة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل بريد، ولا مصالحة من المصالح السلطانية، ولا حق حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك، ولا [على من] بعدك، لزيادة على مالها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حق خزن ولا جهبة، ولا محاسبة ولا مئونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسابك، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعنت لم يكن ذلك فاسخاً لعقدها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قادحاً في صحتها، وكان لك أن تطالب برّد المأخوذ زائداً على مالها، وكان على من ينظر في الأمور إنصافك في ذلك وردّه عليك، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إنّا رأينا بعد ما أمضاه مولانا أمير المؤمنين، وأمضيته لك من ذلك وتمايه وإحكامه ووجوبه وثبوته، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة عن هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية، تسويفاً مؤبداً، ماضياً على مرة السنين : ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياعك التي

فُيْضَتْ عَنْكَ ، وَبَعْضُ الْمَعُونَةِ فِيمَا أَنْتَ مَتَصَرِّفٌ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِنَا ، وَمَتَرَدَّدٌ فِيهِ مِنْ مَهْمَّاتِ أُمُورِنَا ؛ وَأَوْجَبْنَا لَكَ فِي هَذَا التَّسْوِيعِ جَمِيعَ الشَّرُوطِ الَّتِي تُشْتَرِطُ فِي مِثْلِهِ ؛ مِمَّا ثَبَتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمِمَّا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ : لِيُنْجِسَ عَنْكَ تَتَبُّعُ الْمُتَتَبِّعِينَ ، وَتَعَقُّبُ الْمُتَعَقَّبِينَ ، وَتَأَوُّلُ الْمُتَأَوِّلِينَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ .

وَأَمْرُنَا - مَتَى وَقَعَ عَلَى مَالِ هَذَا التَّسْوِيعِ (وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ) أَنْتَرَجَاعُ ، بِحَدَثٍ يَحْدُثُ عَلَيْكَ ، أَوْ بَتَعَوُّضٍ تَعَوُّضَ عَنْهُ ، أَوْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ أَنْتَرَجَاعَهُ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمُقَاطَعَةِ مَحْضًى لَكَ ، وَرُسْمُهَا بَاقِيًا عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَيْهِ بَعْدَكَ ، عَلَى مَا خَرَجَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ تَقْيُضٍ وَلَا تَأَوُّلٍ فِيهِ ، وَلَا تَغْيِيرٍ لِرُسْمٍ مِنْ رُسُومِهِ ، وَلَا تَجَاوُزٍ لِحَدِّ مِنْ حَدُودِهِ ، عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَسَبَبٍ .

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعَ لِلَّهِ وَأَمْرِيهِ ، وَمَنْ أَمْتَثَلَنَا وَإِمَاضَانَا ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ : مِنْ طَبَقَاتِ الْكُتَّابِ ، وَالْعَمَّالِ ، وَالْمُشْرِفِينَ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ الْخَرَاجِ وَالْحِمَايَةِ وَالْمَصَالِحِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مُخَالَفَتِهِ ، وَيُحْضُوا بِأَسْرِهِمْ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَامٍ وَمَنْ بَعْدَهُ جَمِيعَهُ ، وَلْيَحْمِلُوهُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ . وَلْيُقَرَّرْ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ بَعْدَهُ حِجَّةً لَهُ وَلَهُمْ ، وَلْيُنْسَخَ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(مما كان يُكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم - ما كان يُكتب
عن الملوك الأيوبيّة بالديار المصرية)

وكانوا يُسمّون ما يُكتب فيها توابع ، ولهم فيه أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله»)

وكان من عادة خطّهم أن يُؤتى فيها بعد التحميد بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم يُؤتى ببعديّة ، ثم يُذكر ماسنح من حال السلطان ، ثم يُوصف صاحب الإقطاع بما تقتضيه حاله من صفات المدح ، ويُرتب على ذلك استحقاقه للإقطاع . وقد كان من عادتهم أنهم يأتون بوصية على ذلك في آخره .

وهذه نسخة توقيع على هذا الأسلوب ، كتبت به عن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» رحمه الله ، لأخيه العادل «أبي بكر» بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ، بعد الانفصال من حرب الكفار بعلكا وعقد الهدنة معهم ، وهى :

الحمد لله الذى جعل أيماننا حسانا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ، وأطابّ محدنا أوراقا وأغصانا ، ورفع مجدنا لواءً ووجدنا برهاناً ، وحقّق فينا قوله : ﴿ سَنُشَدُّ دَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا ﴾ .

نحمده على سبوغ نعمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين فى رحمته .

ثم نُصلى على رسوله محمد الذى أيدّه بحمّته ، وعصمّه من الناس بعصمته ، وأخرج به كلّ قلب من ظلمته ، وعلى آله وأصحابه الذين خالفوه فأحسنوا الخلافة فى أمته .

أما بعد ، فإن فُرُوعَ الشَّجَرَةِ يَأْوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ لِمَكَانِ قُرْبِهِ ، وَيُؤَثِّرُ بَعْضُهَا
بَعْضًا مِنْ فَضْلِ شَرْبِهِ ؛ وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ عُرِفَ مِنَّا وَفَاقَ الْقُلُوبَ وَدَا ، وَإِثَارُ
الْأَيْدِي رِفْدًا ؛ وَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا إِثْبَاتُ الْأَقْلَامِ ، فَإِنَّهُ مِنْ
مَصَالِحِ الْمُلْكِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا تَجَارِبُ الْأَيَّامِ ؛ وَكَلَّا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَشْكُورَةٌ مَذَاهِبُهُ ،
مَحْمُودَةٌ عَوَاقِبُهُ ، مَرْفُوعَةٌ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مَنَاقِبُهُ ؛ وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَدَانِيْنَا
إِلَّا وَقَدْ وَسَّمتُهُ بِعَوَارِفٍ يَخْتَالُ فِي مَلَابِسِهَا ، وَيُسْرِفُ فِي كُلِّ حِينٍ بِزِفَافِ عَرَائِيسِهَا ،
وَلَمْ تَرْضَ فِي بَلِّ أَرْحَامِهِمْ بِمَوَاصِلَةٍ سَلَامٍهَا دُونَ مَوَاصِلَةِ رِيَّهَا وَإِدْنَاءِ مَجَالِسِهَا ؛
وَلِإِخْوَتِنَا مِنْ ذَلِكَ أَوْفَرُ الْأَقْسَامِ ، كَمَا أَنَّ لَهُمْ مِنَّا رَحِمًا هُوَ أَقْرَبُ الْأَرْحَامِ ؛ وَقَدْ أَمَرْنَا
بِتَجْدِيدِ الْعَارِفَةِ لِأَخِينَا الْمَلِكِ الْعَادِلِ ، الْأَجَلِّ ، السَّيِّدِ ، الْكَبِيرِ ، سَيِّفِ الدِّينِ ،
نَاصِرِ الْإِسْلَامِ « أَبِي بَكْرٍ » أَبْقَاهُ اللَّهُ . وَلَوْ لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ قَضَاءً لِحَقِّ إِخَائِهِ الَّذِي تَرَفُّ
عَلَيْهِ حَوَائِي الْأَضَالِعِ ، لَفَعَلْنَاهُ جَزَاءً لِدَائِعِ خِدْمَتِهِ الَّتِي هِيَ نِعَمُ الدَّرَائِعِ ؛ فَهُوَ فِي لُزُومِ
آدَابِ الْخِدْمَةِ بَعِيدٌ وَقَفَّ مِنْهَا عَلَى قَدَمِ الْأَجْتِهَادِ ، وَفِي لُحْمَةِ شَوَائِكِ النَّسَبِ قَرِيبٌ
وَصَلَ حُرْمَةُ نَسَبِهِ بِحُرْمَةِ الْوِدَادِ ؛ وَعِنْدَهُ مِنَ الْغَنَاءِ مَا يَحْكُمُ لَامَالِهِ بِسَّطَةِ الْخِيَارِ ،
وَيَرْفَعُ مَكَانَتَهُ عَنْ مَكَانَةِ الْأَنْشِبَاءِ وَالْأَنْظَارِ ، وَيَجْعَلُهُ شَرِيكًا فِي الْمُلْكِ وَالشَّرِيكَ
مَسَاوٍ فِي النُّقْضِ وَالْإِمْرَارِ ؛ فَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ وَقَفَّهِ فِي خِدْمَتِنَا بِفَعْلٍ وَعَرَهُ سَهْلًا ،
وَفَازَ فِيهِ بَارِضَانَا وَبِقَضِيْلَةِ التَّقَدُّمِ نَانَقَلَبَ بِالْمُحَبِّدِينَ إِرْضَاءً وَفَضْلًا ؛ وَيَكْفِي مِنْ
ذَلِكَ مَا أَبْلَاهُ فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ الْكَافِرِ الَّذِي اسْتَشْرَى فِي هِيَاجِهِ ، وَتَمَادَى فِي لِحَاجِهِ ،
وَنَزَلَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَأُطْلَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ أَمْوَاجِهِ ، وَقَالَ : لَا بَرَّاحَ ، دُونَ اسْتِفْتَاخِ ،
الْأَمْرِ الَّذِي عَسَرَتْ مَعَالِجُهُ رِتَاجَهُ ؛ وَتِلْكَ وَقَائِعُ اسْتِضْئَانِهَا بِرَأْيِهِ الَّذِي يَنْوِبُ
مَنَابِ الْكَمِينِ فِي مُضْمَرِهِ ، وَسَيْفِهِ الَّذِي يُنْسَبُ مِنَ الْأَسْمِ إِلَى أَبِيضِهِ وَمِنَ اللَّوْنِ إِلَى
أَخْضَرِهِ ؛ وَلَقَدْ اسْتَغْنَيْنَا عَنْهُمَا بِخُصْرَةٍ لَقَبِهِ الَّذِي تَوَلَّتْ يَدُ اللَّهِ طَبْعَ فَضْلِهِ ، وَعُنَيْتْ يَدُ

السَّيَادَةُ بَرَوْتَقِ صَقْلُهُ ؛ فَهُوَ يَقْرِى قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ ، وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَامِلٍ لِمَنَاطِ النَّجَادِ ، وَيَسْتَقْصِي فِي أَسْتِلَابِهِمْ حَتَّى يَنْتَرِعَ مِنْ عِيُونِهِمْ لَذَّةَ الرِّقَادِ ؛ وَلَيْسَ لِلْحَدِيدِ جَوْهَرٌ مَعْدِنُهُ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ زَكَاءِ الْحَسَبِ ، وَإِذَا أَسْتُنْجِدَ قِيلَ لَهُ : يَاذَا الْمَعَالِي ! كَمَا يُقَالُ لِسَمِيَّةَ : يَاذَا الشُّطْبِ ؛ وَلَوْ أَخَذْنَا فِي شَرْحِ مَنَاقِبِهِ لَظَلَّ الْقَلَمُ وَاقِفًا عَلَى أَعْوَادِ مِثْرِهِ ، وَآمَتَدَ شَأْوُ الْقَوْلِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَهَ مَوْرَدُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ ؛ فَهُمَا خَوْلَانَاهُ مِنَ الْعَطَايَا فَإِنَّهُ يَسِيرُ فِي جَنْبِ غَنَائِهِ ، وَمَهُمَا أَثْنَيْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَطُرٌ فِي كِتَابِ ثَنَائِهِ .

وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ مِنَ الْبِلَادِ مَا هُوَ مُقْتَسَمٌ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ ؛ وَبِلَادِ الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بَكْرٍ : لِيَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ مِنْهَا حِطٌّ تُفِيضُ يَدُهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَرْكَبُ فِي حَشْدٍ مِنْ رَجَالِهِ ؛ وَيُصْبِحُ وَهُوَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ مُلْكِنَا كَالطَّلِيعةِ فِي تَقَدُّمِ مَكَانِهَا ، وَكَالْرَبِيعَةِ فِي إِسْهَارِ أَجْفَانِهَا .

فَلْيَنْسَلِمَ ذَلِكَ بِيَدِ مَعْظَمِ قَدَرَاءِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرْ كَثْرَاءُ ، وَيَحْمِلُ مِنْهَا رِفْدَهَا غِيثًا أَوْ بَحْرًا ؛ وَكَذَلِكَ فَلْيَعْدِلْ فِي الرِّعِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ ، وَلْيَجَاوِزْ بِهِمْ دَرَجَةَ الْعَدْلِ إِلَى إِحْسَانِ الصَّنَائِعِ ؛ فَإِذَا أَسْنَدَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى وُلَاتِهِ فَلْيُكُونُوا ثِقَاةً لَا يَبْجِدُ الْهَوَى عَلَيْهِمْ سَيِّلًا ، وَلَا يَحْدُ الشَّيْطَانُ عِنْدَهُمْ مَقِيلًا ، وَإِذَا حُمِّلُوا ثِقَلًا لَا يَجِدُونَ حِمْلَهُ ثَقِيلًا .

وَقَدْ فَشَا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَخْذُ الرِّشْوَةِ وَهِيَ تُنَحَّتُ أَمْرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَبْذِهِ ، وَنَهَى عَنْ أَخْذِهِ ؛ وَعَنِ الرِّغْبَةِ فِي تَدَاوُلِهِ ، وَهُوَ كَأَخْذِ الرَّبَا الَّذِي قُرِنَتِ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَأَكْلِهِ .

وَأَمَّا الْقَضَاءُ الَّذِينَ هُمْ لِلشَّرِيعَةِ أَوْثَادُ ، وَلِلْإِمْرَاءِ أَحْكَامُهَا أَجْنَادُ ، وَلِحِفْظِ عُلُومِهَا كَنْوَزٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا النَّفَادُ ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُعَوَّلَ فِيهِمْ عَلَى الْوَاحِدِ دُونَ الْآخَرِينَ ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ مِنْهُمْ فِي الْفَصْلِ بِيَدِ الْأَيْدِي وَفِي الْيَقْظَةِ بِيَدِ الْيَدَيْنِ ، وَمَنْ رَامَ هَذَا

الْمُنْصَبَ سَائِلًا فَلْيَسَائِمُهُ وَلِيَعْلَظَ الْقَوْلَ فِي تَجْرِيعِ مَلَامِهِ ، وَلِيَعْرِفَ أَنَّهُ مِمَّنْ رَامَ
أَمْرًا فَأَخْطَأَ الطَّرِيقَ فِي اسْتِجْلَابِ مَرَامِهِ ؛ وَأَمْرُ الْحَكَّامِ لَا يَتَوَلَّاهُ مِنْ سَائِلِهِ ، وَإِنَّمَا
يَتَوَلَّاهُ مَنْ عَقَلَ عَنْهُ وَأَعْفَلَهُ .

وَإِذَا قَضَيْنَا حَقَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْوَصَايَا فَلْنَعْطِفْهَا عَلَى مَا يَكُونُ لَهَا تَابِعًا ، وَلِقَوَاعِدِ
الْمُلْكِ رَافِعًا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَضْفَعْنَاهَا إِلَيْكَ : فِيهَا مَدَنٌ ذَاتُ أَعْمَالٍ وَاسِعَةٍ ،
وَمَعَارِقُلُ [ذَاتِ] حَصَانَةٍ مَانِعَةٍ ؛ وَكُلُّهَا يَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْفِكْرِ فِي تَدْيِيرِهِ ، وَتَصْرِيفِ
الزَّمَانِ فِي تَعْمِيرِهِ ؛ فَوَلِّ وَجْهَكَ إِلَيْهَا غَيْرَ وَانٍ فِي تَكْثِيرِ قَلِيلِهَا ، وَتَرْوِضِ ضُحِيلِهَا ؛
وَبَثِّ الْأُمَمَةِ عَلَى أَوْسَاطِهَا ، وَإِهْدَاءِ الْغِبْطَةِ إِلَى أَفْنَدَةِ أَهْلِهَا حَتَّى تَسْمَعَ بِاِغْتِبَاطِهَا ؛
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَدَّثُ كُلُّ مِنْهُمْ بِلِسَانِ الشُّكُورِ ، وَيُمَثِّلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُجَاوِرُكَ فِي بَعْضِهَا جِيرَانُ دُوْ بِلَادٍ وَعَسَاكِرُ ، وَأَسِرَّةٌ وَمَنَابِرُ ، وَأَوَائِلُ
لِلْجُودِ وَأَوَانِحِرُ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَسَّكَ مَنَّا بَوْدٍ سَلِيمٍ ، وَعَهْدٍ قَدِيمٍ ، وَلَهُ مَسَاعِدَةٌ
نَعْرِفُ لَهُ حَقَّهَا (وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ) .

فَكُنْ لِهَؤُلَاءِ جَارًا يُوَدُّونَ جَوَارَهُ ، وَيَمْحَدُونَ آثَارَهُ ؛ وَإِنْ سَأَلُوكَ عَهْدًا نَابِذُهُ لَهُمْ
بَذْلَ وَفِيٍّ وَاقِفٍ عَلَى السُّنَنِ ، مَسَاوِينَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ ؛ وَلَا يَكُنْ وَفَاؤُكَ لَخُوفِ تَتَقَى
مَرَاصِدَهُ ، وَلَا لِرَجَاءِ تَرْقُبِ فَوَائِدِهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَغْنَاكَ أَنْ تَكُونَ إِلَى الْمُعَاهَدَةِ لَاجِيًا ،
وَجَعَلَكَ بَنَى مَخُوفًا وَمَرْجُوءًا لَآخَائِفًا وَلَا رَاجِيًا ؛ وَقَدْ زِدْنَاكَ فَضْلَةً فِي مَمْلَكَتِكَ تَكُونُ بِهَا
عَلَى غَيْرِكَ مُفَضَّلًا ، وَقَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهَا أَغْرَافُوقَتْ بِكَ أَغْرَافٌ مَحْجَلًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّا
جَعَلْنَاكَ عَلَى آيَةِ الْخَلِيلِ تَقُودُهُ إِلَى خَوْضِ الْغَارِ ، وَتُصَرِّفُهَا فِي مَنَازِلِ الْأَسْفَارِ ، وَتُرَتِّبُ
قُلُوبَهَا وَأَجْنِحَتَهَا عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْأَطْوَارِ ، فَتَحْنُ لَانَلْقَى عُدُوًّا وَلَا نَهْدَى إِلَى

بلدٍ إلا وأنت كوكبنا الذى نهدي بمطلعه، ومفتاحنا الذى نستفتح المعلق يمين موقعه، ونوقن بالنصر فى ذهابه وبالغنيمة فى مرجعه؛ والله يشرح لك صدرًا، وييسر لك منّا أمرًا، ويشد أزرك كما شد لموسى بأخيه أزرًا، والسلام .

الأسلوب الثانى

(أن يُفتح التوقيع بالإقطاع بلفظ : « أما بعد فإن كذا »)

ويذكر ما سنج له من أمر السلطان أو الإقطاع أو صاحبه، ثم يتعرض إلى أمر الإقطاع، وهو دون الأسلوب الذى قبله فى الرتبة .

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا الأسلوب، كتب بها لأمير قدم على الدولة فاستخدمته، وهى :

أما بعد، فإن لكل وسيلة جزاء على نسبة مكانها، وهى تتفاوت فى أوقات وجوبها ومثاقيل ميزانها؛ ومن أوجبها حقًا وسيلة الهجرة التى طوى لها الأمل من شقته ما طوى، وبعث بها على صدق النية «ولكل أمرى ما نوى»؛ فالأوطان إليها مودعه، والخطوات موسعه، والوجوه من برد الليل وحر النهار ملقعه؛ وقد توخاها قوم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطوا فى الدنيا باعتلاء المنازل، وفى الآخرة بعقبى الدار، وقدموا على من آوى ونصر فقال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ . ثم صارت هذه سنة فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام، واستبدل بأنام عن أنام؛ وكذلك فعلت أيها الأمير فلان - وفقك الله - وقد تلقيت هجرتك هذه بالكرامة، وزخرفت لها دار الإقامه؛ فاستغيت بها بغية إلا سهلت لك فاجها، أو عاج عليك معاجها، وحمد لديك تأويلها وإدلاجها؛ وأصبحت

وقد وجدتَ خَفْضاً غَبَّ السُّرَى، وَخِيطٌ مِنْكَ الْجُفُونُ عَلَى أَمْنِ الْكَرَى، وَتَبَوَّاتِ
كَتَفِ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الدُّوَلِ إِذْ صُرْتَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْقُرَى . وَنَحْنُ قَدْ
أَدْنَيْنَاكَ مِنَّا إِدْنَاءَ الْخَلِيطِ وَالْعَشِيرِ ، وَرَفَعْنَاكَ إِلَى مَحَلِّ الْأَخْتِصَاصِ الَّذِي هُوَ الْمَحَلُّ
الْأَثِيرُ ، وَآخَيْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَطَايَانَا كَمَا وَوَحَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ الْعَدِيرِ .

هَذَا وَلَكَ وَسِيلَةٌ أُخْرَى تُعَدُّ مِنْ حِسَانِ الْمَنَاقِبِ ، وَتُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الْأَطْيَابِ ؛
وَمَا يُقَالُ إِلَّا أَنَّهُمَا مِنَ الْأَطْوَادِ الرَّوَاسِ ، وَأَنَّهَا تَبْرُزُ فِي اللَّبَاسِ الْأَحْمَرِ وَغَيْرِهَا لَا يَبْرُزُ
فِي ذَلِكَ اللَّبَاسِ ؛ وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُكَ بِوَحْدَتِهَا فِي كَثَرِهِ ، وَتَتَأَمَّرُ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ ؛
وَطَالَمَا أَطَالَتْ يَدُكَ بِمَنَاطِ الْبَيْضِ الْحِدَادِ ، وَفَرَجَتْ لَكَ ضِيقَ الْكَرِّ وَقَدْ غَضَّ
بِهَوَادِي الْحِيَادِ ، وَحَسَنَتْكَ الْعُيُونُ وَقَدْ رُمِيَتْ مِنْكَ بِشَرِّ الْقَذَا وَنَبْوَ السَّهَادِ ؛
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْ الْعُدُوَّ يُحِبُّ الْعَدُوَّ مِنْ أَجْلِهِ ، وَيَضْطَرُّهُ إِلَى أَنْ يَقَرَّ بِقَضَلِهِ ؛
وَمَذْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وَصَلْنَاكَ بِأَمْرَانَا الَّذِينَ سَلَفَتْ أَيَّامُهُمْ ، وَثَبَتَتْ فِي مَقَامَاتِ الْغَنَاءِ
أَقْدَامُهُمْ ؛ وَتَوَسَّيْنَا أَنْكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَزُكُّ لَدَيْكَ الصَّنِيعُ ، وَأَنْكَ سَتَشْفَعُهُ بِحَقِّهِ
خِدْمَتِكَ الَّتِي هِيَ نِعَمُ الشَّفِيعِ .

وَقَدْ عَجَّلْنَا لَكَ مِنَ الْإِقْطَاعِ مَا لَا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ شَاكِراً ، وَجَعَلْنَاهُ لَكَ أَوَّلَا
وَأَنْ كَانَ لَغَيْرِكَ آخِراً ؛ وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ بِقَلَمِ الدِّيَوَانِ الَّذِي أُقِيمَ لِفَرَضِ
الْجُنْدِ كِتَاباً ، وَلِمَعْرِفَةِ أَرْزَاقِهِمْ حِسَاباً ، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا .

فَتَنَاوَلْ هَذَا التَّخْوِيلَ الَّذِي حُوِّلَتْهُ بِالْيَمِينِ ، وَأَسْتَمْسِكْ بِهِ أَسْتِمْسَاكَ الضَّمِينِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْخَوَاسِدُ لِمَا مَدَدْنَاهُ مِنْ صُنْعِكَ ، وَبَسَطْنَاهُ مِنْ ذَرْعِكَ ؛
فَأَشْجَحْ حُلُوقَهُمْ بِالسَّغَى لِأَسْتَحْقَاقِ الْمَزِيدِ ، وَآرَقْ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ وَأَلْزِمُهُمْ صَفْحَةَ
الصَّعِيدِ .

والذي تأمر بك به أن [تُعَدَّ] نَفْسَكَ لِلْخِدْمَةِ الَّتِي جُعِلَتْ لَهَا قِرْنَا وَأَنْتِ بِهَا أَغْنَى،
وَأَنْ نَتَهَيَّ فِيهَا إِلَى الْأَمْسَدِ الْأَقْصَى دُونَ الْأَدْنَى؛ فَلَا تَضْمُمُ جَنَاحَكَ إِلَّا عَلَى قَوَادِمَ
مِنَ الرِّجَالِ لَا عَلَى خَوَافٍ، وَإِذَا اسْتَنْفِرْتَ فَأَنْفِرْ بِثِقَالٍ مِنَ الْخَيْلِ وَخِفَافٍ؛ وَكُنْ
مُدْخُورًا لِوَاحِدَةٍ يُقَالُ فِيهَا: يَا عَزَائِمُ أَغْضَبِي، وَيَا خَيْلَ النَّصْرِ أَرْكَبِي؛ وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي
نَنْظُمُ بِهَا الْجَمَاجِمُ مِنَ الضَّرَابِ، وَتَلَاقِي فِيهَا عُصَبُ الْغُرَبَانِ وَالذُّبَابِ؛ وَلَا تَحْتَاجُ مَعَ
هَذِهِ إِلَى مَنْقَبَةٍ تَجْمَلُ بِتَفْوِيفِهَا، وَتُكْثَرُ بِتَعْرِيفِهَا، وَتَنْتَمِي إِلَى تَلِيدِهَا بِاسْتِحْدَاثِ
طَرِيفِهَا.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَشُدُّ بِكَ أَزْرًا، وَيَمْلَأُ بِكَ عَيْنًا وَصَدْرًا، وَيَجْعَلُ الْفَلَجَ مَقْرُونًا
بِرَأْيِكَ وَرَأْيِكَ حَتَّى يُقَالَ: «وَمَكَّرُوا مَكْرًا» وَجَرَدْنَا بِيضًا وَسُمْرًا، وَالسَّلَامُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الأسلوب الثالث

(أَنْ يَفْتَحَ التَّوْقِيعُ الْمَكْتَتَبَ بِالْإِقْطَاعِ بِمَا فِيهِ مَعْنَى الشَّجَاعَةِ وَالْقِتَالِ
وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَهُوَ أَدْنَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ رُتْبَةً)

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا النَّمَطِ، كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ الصَّغَارِ،
وهي:

الْقَلَمُ وَالرُّخَّ قَلَمَانِ كَلَاهُمَا أَسْمَرُ، وَكَمَا تَشَابَهَا فِي الْمَنْظَرِ فَكَذَلِكَ تَشَابَهَا فِي الْمَخْبَرِ،
غَيْرَ أَنَّ هَذَا يَرْكَبُ فِي عَسْكَرٍ مِنَ الْقَوْلِ وَهَذَا يَجْهَلُ فِي عَسْكَرٍ؛ وَقَدْ نَطَقَ أَحَدُهُمَا
بِالْتَّنَاءِ عَلَى أَخِيهِ فَأَحْسَنَ فِي نُطْقِهِ، وَأَقْرَبَ لَهُ بِالْفَضِيلَةِ وَمِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ يُقَرَّرَ
لِلَّذِي الْحَقُّ بِحَقِّهِ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ تُعْزَى إِلَى مَنْ يُقِيمُ أَوْدَ السَّاعِي بِتَقْوِيمِ

أوديه، ولا يرى لها سبيلاً قصداً إلا بالوطء على قصده، وهو أنت أيها الأمير فلان أيديك الله ! .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيره، وأجريناك من اعتنائنا على أكرم وتيره، ورفعنا درجتك فوق درجة المعلي لمن سبقك وإنما لكبيره .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو كشف الغطاء لم يجد اليقين من زياده؛ فطالما عجمت نبعتك، ويمننت طلعنتك، ولم تعرض سلعة الغناء إلا نفقت سلعتك؛ ومثلك من تباهى الرجال بمكانه، وتخلّى له فضلة عتانه ، ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ؛ وما يقال إلا أنك الرجل الذى تقذف الجانب المهمل بعزمك، وترمى برأيك قبل رماء سهمك ؛ وبك يحسر دبحى الحرب الذى أعوزه الصباح، ويحجى عقابها أن يحص له جناح؛ فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار إليه ولا تكثر إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون بيسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه كالغامة التى تأتى أولاً بالقطار ثم تأخذ فى الانسكاب ؛ وخير العطاء ما ربّ بعد ميلاده ، وأبلغ ثمره بعد جداده ؛ وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة كان لها قرانا، وصادف الإحسان منه إحسانا ؛ وقد ضمن الله تعالى للشاكر من عباده مزيدا ، ولم يرض له بأن يكون مبدئاً حتى يكون مبيدا ؛ وكذلك دأبه فىمن عرف مواقع نعمه، وعلم أن صحتها لا تفارقه ما لم يعدّها بسقمه .

ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم، وألزم نفسه أن نتحلّى بحُلّقه وإنه للخلق العظيم ؛ وعطاءنا المنعم به عليك لم يذكر فى هذا التوقيع على حكم الامتنان ،

بل إثباتاً لحساب الجُند الذين هم أعوانُ الدَّولة ولا بدَّ من إحصاءِ الأعوان ؛
وهوكذا وكذا .

فامدِّدْ له يدًا تجمع من الشُّكرِ مواظبه ، ^(١) ومن الطَّاعة مُراقبه ؛ وَكُنْ في النَّاهِبِ
لِلخدمة كالسَّهمِ الموضَّوعِ في وَتره ، وأصِحْ بِسَمْعِكَ وبصِرِّكَ إلى ما تُؤمَرُ به فلا آتِمَارَ
لِمَن لَمْ يُصْخَرْ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .

ومِلاكُ ذلكَ كُلِّه أنْ تكثرَ من فُرسانِ الغِوارِ ، وحِماةِ الدِّمارِ ، والذين هم زينةُ سِلْمٍ
ومَقَرُّ حِذارٍ ؛ ومثلُ هؤلاء لا يُضْمُّهُمْ جَيْشٌ إلا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ من الرُّعبِ ، ودَارَتْ
منه الحربُ على قُطْبِها ولا تُدورُ رَحَى إلا على قُطْبٍ ؛ وإذا ساروا خَلْفَ رَأْيِكَ
تُثِرَتْ ذِوائِبُها على غَايَةِ من الآسادِ ، وخَفَقَتْ على بَحْرٍ من الحديدِ لِيَسِيرُ به طَوْدٌ
من الحِيادِ .

ومن أَهمِّ الوصايا إِلَيْكَ أنْ تُضَيِّفَ إلى غَنائِهِم غِنَى يُرْزُهُم في زَهْرَةِ من اللِّباسِ ،
وَيُعِينُهُم على إِمْعَادِ القُوَّةِ ليومِ البَاسِ ، وَيَقْصِّرَ لَدَيْهِمْ شُقَّةَ الأَسْفارِ التي تَذْهَبُ بِتَرَقَاتِ
الشَّماسِ ، وَيَنْقَطِعَ دُونَ قَطْعِها طَوْلُ الأَنفاسِ ؛ وأَيُّ فائِدَةٍ في عَسْكَرٍ يأخُذُ بَعْدَ المَسَرَّى
في حَوْرِهِ ، ولا يَزِيدُ صَبْرَهُ بِزِيادَةِ سَفَرِهِ ، وَيَكُونُ حَافِزُهُ وَخُفَّهُ سِوَاءً في آتِسَابِ كُلِّ
مِنْهُما إلى شِدَّةِ حَجَرِهِ .

فانْظُرْ إلى هذه الوصية نَظَرَ من طَالَ على صَحْبِهِ بالكُفِّ الأَوْسَعِ ، وَعَلِمَ ما يَضُرُّ
فِيهِمْ وما يَنْفَعُ ؛ وَاللهُ يَمْنَحُكَ من لَدُنْهِ تَوْفِيقًا ، وَيَسْأَلُكَ بِكَ إلى الحُسْنِ طَرِيقًا ،
وَيَجْعَلُكَ خَلِيقًا بِمَا يُصْلِحُكَ وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ بِصَالِحِهِ خَلِيقًا ، وَالسَّلَامُ .

(١) لعله «مع» بدل «من» في الموضعين .

الطرف الثانى

(ما يُكْتَبُ فى الإقطاعات فى زماننا)

وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ قبل أن يُنْقَلَ إلى ديوان الإنشاء)

وفيه جملتان :

الجملة الأولى — فى ابتداء ما يُكْتَبُ فى ذلك من ديوان الجيش .

اعلم أنَّ مَظَنَّةَ الإقطاعات هو ديوان الجيش دُونَ ديوان الإنشاء ، وما يُكْتَبُ فيه من ديوان الإنشاء هو قَرَع ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش .

ثم أول ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش فى أمر الإقطاع إما مِثَالٌ ، وإما قِصَّةٌ ، وإما نزول ^(١) .

فأما المِثَالُ ، فإنه يُكْتَبُ ناظرُ الجيش فى نِصْفِ قائمةٍ شامى ، بعد ترك الثلاثين من أعلاها بياضا ، فى الجدول الأيمن من القائمة ما صورته :

«خُبْرُ فلان المتوفى إلى رحمة الله تعالى» أو «المرسوم أرجاعه» أو «المنتقل لغيره» ونحو ذلك . ويكون «خُبْرُ» سطرا ، وباقي الكلام تحته سطرا . وتحت ذلك ما صورته : «عبرة كذا وكذا ديناراً» بالقلم القبطى . وفى الجدول الأيسر ما صورته :

«بأسم فلان الفلانى» وإن كان زيادة عِيْن ، ثم يشمَلُه الخط الشريف السلطانى بما مثاله : «يُكْتَبُ» ثم يُكْتَبُ تحته ناظرُ الجيش ما مثاله : «يمثّل المرسوم

(١) أى إلهاد بنزول كما يؤخذ من التفصيل الآتى .

الشریف» ویُعینهُ علی مَنْ یُختاره من کُتّاب الجیش، ثم یتُرك بعد ذلك بديوان النظر؛ ویُکتب تاریخُه بخط کاتب ناظر الجیش بذیل المثال، ویُخلدُه الكاتب المعینُ علیه، ویُکتبُ بذلك مربعة، علی ما سیأتی ذکره .

وأما القصص فتختلف بحسب الحال : فتارة ینهی فیها وفاة من كان بيده الإقطاع، وتارة أنتقاله عنه، وتارة آرتجاعه، وتارة طلب إعادة ما خرج عنه، وتارة طلب تجديد، ونحو ذلك .

ویُکتب ناظر الجیش علی حاشيتها بالكشف . ویُکتب الكشف بذیل ظاهرها من ديوان الجیش بما مثاله :

« رافعها فلان أنهی ما هو كذا وكذا، وسأل كذا وكذا » ویدکر حال الإقطاع . ثم یسملها الخط الشریف الساطانی بما مثاله : « یکتب » وباقي الأمر علی ما تقدم فی ذکر المثال .

وأما الإشهادات فتكون تارة بالزول، وتارة بالمقايضة؛ وربما وقع ذلك بالشركة، ثم یُکتب ناظر الجیش علی ظاهر الإشهاد بالكشف، ویعمل فيه علی ما تقدم فی القصّة .

الجملة الثانية — فی صورة ما یُکتب فی المربعة الجیشية .

قد جرت عادة ديوان الجیش أنه إذا عین ناظر الجیش المثال أو القصّة أو الإشهاد علی أحد من کُتّاب ديوان الجیش، یخلد الكاتب ذلك عنده، ثم تُکتب به مربعة من ديوان الجیش وتُکمل بالخطوط علی ما تقدم، وتُجهز إلى ديوان الإنشاء، فیعینها كاتب السرّ علی من یُکتب بها منشوراً علی ما سیأتی .

وصورة المربعة أن يَكْتُبَ في ورقة مربعة، يجعلُ أعلى ظاهر الورقة الأولى منها بياضا، ويَكْتُبُ في ذيلها معترضا: آخذا من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرا قصيرة على قدر عرض ثلاثة أصابع ما صورته :

«مثال شريف — شرفه الله تعالى وعظمه — بما رُسم به الآن : من الإقطاع»
باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية ،
أو بالملكة الفلانية ، أو من الحلقة المصرية أو الشامية ، أو نحو ذلك «على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

وتحت ذلك كله ما صورته :

(١)
«يحتاج الشريف أعلاه الله تعالى» .

ثم يَكْتُبُ داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عرض إصبعين البسملة ،
وتحتها في سطر ملاصق لها : «المرسومُ بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى»
ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة ، ويكتب في السطر الثانى بعد البياض الذى تركه على
مسامطة السطر الأول : «الملكى الفلانى الفلانى» بلقب السلطنة : كالناصرى ، ولقب
السلطان الخاص كالزنى «أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أن يُقطع من
يذكر : من رجال الحلقة بالديار المصرية أو بالملكة الشامية أو نحو ذلك ، ما رُسم له به
الآن في الإقطاع ، حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

ثم يكتب في الصفحة الثانية مقابل البسملة : «فلان الدين فلان الفلانى ، المرسومُ
إثباته في جملة رجال الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو الشامية ، بتمتضى المثال

(١) بياض في الأصل ولعله «إلى الخط الشريف» .

الشَّريف أو المَرْبِعة الشريفة المشمولة بالخط الشريف» . ثم يكتب تحت السَّطر الأخير في الوسط ما صورته : « في السنه كربستا » إن كان جميع البلد أو البلاد المقطعة لا يُستثنى منها شيء ، أو يكتب : « خارجاً عن الملك والوقف » أو نحو ذلك « على ما يقتضيه الحق » .

ثم يكتب تحت ذلك على حِمال السُّطور ممتداً من أول السَّطر إلى آخره :
« خبر » .

ثم يكتب تحته : « فلان بن فلان الفلاني ، بحكم وفاته ، أو بحكم نزوله برضاه » ونحو ذلك على عادته - ناحية كذا . ناحية كذا . ناحية كذا .

وإن كان فيه نقد ونحوه ذكره ، ويستوفي ذلك إلى آخر : « بعد الخط الشريف — شرفه الله تعالى — إن شاء الله تعالى » .

ثم يُؤرَّخ في سَطْرَيْن قصيرين ويُحضر إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فيعيَّنه على مَنْ يكتبه من كُتَّاب الإنشاء ، على ما سياتي بيانه .

الضرب الثاني

(فيما يُكْتَبُ في الإقطاعات من ديوان الإنشاء ، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر أسم ما يُكْتَبُ في الإقطاعات من ديوان الإنشاء)

قد اصطلح كُتَّابُ الزمان على تسمية جميع ما يُكْتَبُ في الإقطاعات : من عاليها ودانيها ، للأمرء والجنود والعربان والترُكَّان وغيرهم - مناشير ، جمع منشور . والمنشور في أصل اللغة خلاف المطوي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ تَحْصِيصَ مَا يُكْتَبُ فِي الْإِقْطَاعَاتِ بِاسْمِ الْمَنَاشِيرِ مِمَّا حَدَثَ الْأَصْطِلَاحُ عَلَيْهِ فِي الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ .

أما في الزَّمنِ الْمُتَقَدِّمِ فَقَدْ كَانُوا يُطْلِقُونَ اسْمَ الْمَنَاشِيرِ عَلَى مَا هُوَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ : مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى خَتَمٍ : كَالْمَكْتُوبِ بِالْإِقْطَاعِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَالْمَكْتُوبِ بِالْوِلَايَةِ ، وَالْمَكْتُوبِ بِالْحِمَايَةِ ، وَمَا يَجْرَى بِجَرَى ذَلِكَ . وَرُبَّمَا سُمِّيَ مَا يُكْتَبُ فِي الْإِقْطَاعِ مُقَاطَعَةً ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ سِجِلًّا وَغَيْرَ ذَلِكَ .

أما الآنَ فَإِذَا أُطْلِقَتِ الْمَنَاشِيرُ لَا يُفْهَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا يُكْتَبُ فِي الْإِقْطَاعَاتِ خَاصَّةً ، وَخَصُّوا كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا عَدَّاهَا بِاسْمِهِ ، عَلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعِهِ دُونَ مَاعِدَّاهَا ، وَلَا مَشَاحَّةً فِي الْأَصْطِلَاحِ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعْنَى .

قَالَتْ : وَمِنْ خَاصَّةِ الْمَنَاشِيرِ أَنَّهَا لَا تُكْتَبُ إِلَّا عَنِ السُّلْطَانِ مَشْمُولَةً بِخَطِّهِ ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ الْآنَ فِيهَا تَصَرُّفٌ ، إِلَّا مَا يُكْتَبُ فِيهِ النَّائِبُ الْكَافِلُ أَبْتِدَاءً .

الجملة الثانية

(في بيان أصناف المناشير، وما يُخَصُّ كُلَّ صِنْفٍ منها : من مقادير قَطْع الورق ، وما يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها من طَبَقَاتِ الأُمَرَاءِ والجُنُودِ)

اعلم أنَّ المناشيرَ المصطَّاحَ عليها في زماننا على أربعةِ أصنافٍ : يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها مقدارٌ من مقادير قَطْع الورق .

الصَّنْفُ الأوَّلُ — ما يَكْتُبُ في قَطْعِ الثُّلُثَيْنِ وهو لأَعْلَى المراتبِ من الأُمَرَاءِ .

قال في ”التعريف“ : ومن كان مُؤَهَّلًا لأنَّ يُكْتُبَ له تَقْلِيدٌ كان منشورُهُ من نوعه ومن دُونِ ذلك إلى أدنى الرُّتَبِ .

قال في ”التثقيف“ : وفي قَطْعِ الثُّلُثَيْنِ يُكْتُبُ لمَقَدَّمِي الأُلُوفِ بالديارِ المِصرِيةِ ، سواءَ كان من أولادِ السلطانِ أو الخاصِكيَّةِ أو غيرهم ، وكذلك جميعُ النُّوَابِ الأكابرِ بالممالكِ الإسلاميةِ ، والمَقَدَّمُونَ بِدِمَشقَ . وكلُّ من له تَقْلِيدٌ في قَطْعِ الثُّلُثَيْنِ يكون منشورُهُ في قَطْعِ الثُّلُثَيْنِ .

الصَّنْفُ الثاني — ما يَكْتُبُ في قَطْعِ النِّصْفِ .

قال في ”التثقيف“ : وفيه يُكْتُبُ لأُمَرَاءِ الطَّبَائِخاناتِ بِمِصرَ والشَّامِ ، سواءَ في ذلك الخاصِكيَّةِ وغيرهم . وكذلك الأُمَرَاءُ المَقَدَّمُونَ من نُّوَابِ القِلاعِ الشَّامِيةِ . وفي معنائهم المَقَدَّمُونَ بِحَلَبَ وغيرها : من نُّوَابِ القِلاعِ وغيرهم .

الصَّنْفُ الثالث — ما يَكْتُبُ في قَطْعِ الثُلُثِ .

قال في ”التثقيف“ : وفيه يُكْتُبُ لأُمَرَاءِ العَشَرَاتِ مطلقًا بسائرِ الممالكِ ، يعني مِصرَ والمالِكِ الشَّامِيةِ بجمَلتها . قال : وكذلك الطَّبَائِخاناتُ من التُّرُكِّمانِ والأكرادِ بالممالكِ الإسلاميةِ .

الصنف الرابع — ما يكتب في قطع العادة المنصوري .

قال في "التتقيف" : وفيه يُكتب للممالك السلطانية، ومقدّم الحلقّة، ورجال الحلقّة . إلا أنه يختلف الحال بين الممالك السلطانية، ومقدّم الحلقّة، وبين رجال الحلقّة بزيادة أوصال الطّرة، والإتيان بالدّعاء المناسب : يعنى أنه يُترك في طّرة مناشير الممالك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، وفي مناشير رجال الحلقّة وصلان . قلت : ولا فرق في ذلك بين حلقّة مصر وغيرها من الممالك الشاميّة .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطّرة والمثن)

قال في "التتقيف" : إن كان المنشور في قطع الثّلثين، كُتب في طّره من يمين الورق بغير هامش ما صورته :

« منشور شريف بأن يجرى في إقطاعات المقرّ الكريم » أو « الجنب الكريم العالى الأميرى الكبيرى » وإن كان نائباً زيد بعدها : « الكافى الفلانى » يعنى بلقبه الخاص « فلان الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان : كالناصرى ونحوه . ثم الدّعاء بما جرت به عادته دعوّة واحدة « ما رسم له به الآن من الإقطاع » ويشرح ما تضمنته المربّعة إلى آخره، فمن ذلك جميعه سطران بقلم الثّلاث .

قال : والأحسن أن يكون آخر السطر الثّانى الدّعاء والتّمتة بالقلم الرّفّاع أسطراً قصاراً بهامش من الجانبين، ثم يكتب في الوسط سطرًا واحدًا بالقلم الغليظ : « والعدّة » وتحتّه بالقلم الدقيق « خاصته، ومائة طواشى أو تسعون طواشياً أو ثمانون طواشياً أو سبعون طواشياً » حسب ما يكون في المربّعة . ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بما فيه من وصل الطّرة؛ ثم تُكتب البسملة في أول الوصل الرابع، وبعدها

خُطْبَةٌ مَفْتَحَةٌ بِالْحَمْدِ، وَيَكْتَلِبُ بِهَا يَنَاسِبُهُ، ثُمَّ يَقَالُ: «أَمَّا بَعْدُ» وَيَذْكُرُ مَا يَنْبَغِي ذِكْرَهُ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ فِي التَّقَالِيدِ.

قال في "التعريف": إلا أن المناشير أخصر، ولا وصايا فيها.

قال في "التثقيف": ثم يذكر بعد ذلك اسمه بأن يقول: «ولمّا كان الجنب» وبقية الألقاب والنعوت والدعاء - ولا يُزَادُ عَلَى دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ «هو المراد بهذه المِدْح، والمخصوص بهذه المنح» أو نحو ذلك - «أقتضى حسنُ الرَّأْيِ الشريف أن تُحوَّلَهُ بمزيد النعم».

وإن كان المنشور في قِطْعِ النَّصْفِ كُتِبَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، إلا أنه لا يقال: «أن يُجْرَى في إقطاعات». بل إن كان مقدّماً بحلب أو غيرها أو طبلخاناه خاصّة، أو كان من أولاد السلطان، كُتِبَ: «أن يُجْرَى في إقطاع المجلس العالي أو السامي». وإن كان طبلخاناه ممن عدا هؤلاء، كُتِبَ «منشورٌ شريفٌ بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامي» والتّهمة على حكم ما تقدّم من غير فرق.

وأما ما يكتب في قطع الثلث فيكتب: «منشورٌ شريفٌ بما رُسم به من الإقطاع لمجلس الأمير».

وأما التجديدات فيكتب في طرّتها: «منشورٌ شريفٌ رُسمٌ بتجديده بأسم فلان بن فلان الفلاني، بما هو مُستَقَرٌّ بيده من الإقطاع الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت» ويُشْرَحُ حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ المَرْبَعَةُ، ثم يقال: «على ما شُرح فيه».

وأما الزيادات والتعويضات، فقال في "التعريف": إذا رُسم للأمر بزيادة أو تعويض: فإن كان من ذوى الألواف: كالنوّاب الأكابر، ومقدّمى الألواف بمصر والشام، كُتِبَ لَهُ فِي قِطْعِ الثَّلَاثِ الطَّرْزُ عَلَى الْعَادَةِ، وبعد البسملة: «خَرَجَ الْأَمْرُ

الشریف العالی، المولوی، السلطانی، المَلِکی، الفلانی، الفلانی، ویُدعی له بما یناسب الحال «أن یُجرى فی إقطاعات المقرّ الفلانیّ أو الجَناب الفلانی». وفى التَّیمّة نظیر ما تقدّم فی المناشیر المفتّحة بالخُطبة، على ما تقدّم بیانه .

والذى ذكره فی "التعریف" : أنه یُکتب فی ذلك لمقدّمی الاُتوف أو من قاربهم : «أما بعد حمد الله» .

وإن كان من أمراء الطبایخانة الصغار من دونهم حتّى جند الحلقة، كتب له فی قطع العادة : «خرج الأمر الشریف» .

قال فی "التثقیف" : وكذلك الزیادات والتعویض، سواء فی ذلك كبیرهم وصغیرهم . قال : ويمكن أن یمیز أميرال فضل فیُکتب له ذلك فی قطع الثالث . قال فی "التعریف" : أما إذا انتقل الأمير من إقطاع إلى غیره، فإنه یُکتب له كأنه مبتدأ على ما تقدّم أولاً .

وَأعلم أنه لم تجرِ العادة بأن تُکتب فی أعلى الطرة إشارة إلى العلامّة السلطانية، كما یُکتب فی الولايات الاسم الشریف فی أعلى الطرة . قال فی "التثقیف" : والسبب فیهِ أنَّ العلامّة لاتخرج عن أحد ثلاثة أمور : إما الاسم الشریف مفرداً، كما فی الأمثلة السلطانية إلى من جرت العادة أن تكون العلامّة له الاسم الشریف، وما یتعلّق بالتقالید والتواقیع والمراسیم الشریفّة، وأوراق الطریق . أو یضاف إلى الاسم الشریف والدّه، أو أخوه، وذلك ممّا یتعلّق بالأمثلة الشریفّة خاصّة (١) إلى من جرت عادته بأن تكون العلامّة إلیه كذلك . وذلك بخلاف المناشیر فإنّ العلامّة فیها على ما جرت به العوائد، أن یُکتب السلطان : «الله أملى» أو «الله ولیّ» أو «الله حسبی» أو «الملک لله» أو «المِنّة لله وحده» لا یختلف فی ذلك أعلى

(١) لعله « وذلك بما یتعلّق » الخ .

ولا أدنى، فلا يحتاج إلى إشارة بسببها ينبه عليها، لأن ترك الإشارة إليها دليلٌ عليها، وإشارةٌ إليها، كما ذكر النحاة علامات الاسم والفعل ولم يذكروا للحرف علامة، فصار ترك العلامة إليها علامة، بخلاف الأمثلة : فإنها تختلف : فتكون العلامة فيها تارةً الاسم، وتارةً أخوه، وتارةً والده .

الجملة الرابعة

(في الطُّغرى^(١) التي تكون بين الطُّرة المكتتة في أعلى المنشور وبين البسملة)

قال في "التعريف" : قد جرت العادة أن تكتب للناشير الجار كمقدمي الألوفا والطبلخانات طُغرى بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها وتحصيلها بالديوان . فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطُّغراوات واحدة، وألصقها فيما كتب به . قال في "التعريف" : وتكون فوق وصل بياض فوق البسملة . قال في "التشقيف" : فبعد وصلين أو ثلاثة من الطُّرة .

قلت : ولم تزل هذه الطُّغرى مستعملة في المناشير إلى آخر الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» ثم تركت بعد ذلك ورُفِضَ استعمالها وأُهْمِلَتْ . ولا يخفى أنه يرد عليها السؤال الوارد على الطُّغرى المكتتة في أول المكاتبات إلى سائر ملوك الكُفَر من تقديم اسم السلطان على البسملة، على ما تقدم بيانه في موضعه .

وقد تقدم الاحتجاج لذلك بقوله تعالى في قصة يَلْقِيسَ : ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . وأنه يحتمل أن يكون قوله :

(١) نص في النجاشي على أن الطُّغرى بضم الطاء وسكون الغين وفتح الراء مقصورة كلمة أجمية استعملتها العرب .

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ ﴾ حكاية عن قول يَلْقِيسَ ، ويكون ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ هو أوَّلُ الْكِتَابِ ، فلا يكون في ذلك حجة على تقدّم الأسم على البسملة . وأنه إنما يَنْجُو الاحتجاج بذلك على القول بأن قوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ ﴾ من كلام سليمان عليه السلام . وأنه إنما قدّم اسمه على البسملة وقايةً لأسم الله تعالى ، من حيث إنه كان عادة ملوك الكفر أنهم إذا لم يَرْضُوا كِتَابًا مَرَّ قَوْه أو تَقَلُّوا فِيهِ ، فجعل اسمه حالاً محلّ الوقاية . ولا شك أن مثل ذلك لا يَجِيءُ هُنَا ، لأن المحذور فيه مَقْقُودٌ ، من حيث إن هذه المناشير إنما تُلْقَى إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة والمؤفين لها حقها . وحينئذ فيكون لترك استعمالها وجه ظاهر من جهة الشرع ، بخلاف ما في المكاتبات إلى ملوك الكفر .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الطُّغَرَاوَاتِ تَخْتَلِفُ تَرْكِيبَاتُهَا بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ مُتَصِيبَاتِهَا مِنَ الْحُرُوفِ وَقِلَّتِهَا ، بِاعْتِبَارِ كَثْرَةِ آبَاءِ ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقِلَّتِهِمْ ، وَيَحْتَاجُ وَاضِعُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ قَلَّةِ مُتَصِيبَاتِ الْكَلَامِ وَكَثْرَتِهَا . فَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً أُتِيَ بِالْمُتَصِيبَاتِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ بِقَلَمٍ جَلِيلٍ مَبْسُوطٍ ، كَمَخْتَصَرِ الطُّومَارِ وَنَحْوِهِ ، لِمَلَأْ عَلَى قَلَّتِهَا فُضَاءَ الْوَرَقِ مِنْ قَطْعِ الثَّلَاثِينَ أَوْ النِّصْفِ . وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً أُتِيَ بِالْمُتَصِيبَاتِ بِقَلَمٍ أَدَقٍّ مِنْ ذَلِكَ ، بِكَلِيلِ الثَّلَاثِ وَنَحْوِهِ آكْتِفَاءً بِكَثْرَةِ الْمُتَصِيبَاتِ عَنْ بَسْطِهَا .

ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي طُولِ الْمُتَصِيبَاتِ وَقِصَرِهَا بِاعْتِبَارِ قَطْعِ الْوَرَقِ : فَتَكُونُ مُتَصِيبَاتُهَا فِي قَطْعِ النِّصْفِ دُونَ مُتَصِيبَاتِهَا فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ .

ثُمَّ قَدْ أَصْطَلَحَ وَاضِعُوهَا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهَا هَامِشًا أبيض من كلٍّ من الجانبين بِتَدْرِ إِصْبَعَيْنِ مَطْبُوقَيْنِ ، وَطَرَةً مِنْ أَعْلَى الْوَصْلِ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعَ مَطْبُوقَةٍ .

ثم إن كانت في قَطْع النصف جُعِلَتْ مُتَصِيبَاتُهَا مع تصوير الحروف بأسفلها
 في الطول بقدر ^(١) ذراع، وفي العَرْض بقَدْر ^(١) ذراع .

وإن كانت في قطع الثلثين جُعِلَ طَوْلُهَا مَقْدَار ^(١) ذراع، وعرضها
 مقدار ^(١) ذراع . ثم تارة تكون مُتَصِيبَاتٌ مُحْضَةٌ يَقْتَصِرُ فِيهَا مِنْ أَسْمِ السُّلْطَانِ
 عَلَى مَا هُوَ مَذْكُورٌ مِنْ أَسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ ، وَتَارَةً يَجْعَلُ أَسْمُ السُّلْطَانِ وَأَسْمُ أَبِيهِ بِأَعْلَى
 الْمُنْتَصِيبَاتِ فِي الْوَسْطِ بِقَلَمِ الطُّومَارِ قَاطِعًا وَمَقْطُوعًا ، بِحَيْثُ يَكُونُ مَا بَيْنَ أَعْلَى الْأَسْمِ
 وَآخِرِ أَعْلَى الْمُنْتَصِيبَاتِ قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَصَابِعَ أَوْ خَمْسَةِ أَصَابِعَ مَطْبُوقَةٍ . ثم إذا أُلْصِقَ
 الْكَاتِبُ الطُّغْرَى ، كَتَبَ بِأَسْفَلِهَا فِي بَقِيَّةِ وَصْلِهَا فِي الْوَسْطِ ، بَعْدَ إِخْلَاءِ قَدْرِ إِيْهِامٍ
 بِيَاضِهَا مَأْصُورَتُهُ : « خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ » .

وهذه صورة طُغْرَى مَنْشُورٍ بِأَلْقَابِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْنَاصِرِ « مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ »
 مَضْمُونِهَا .

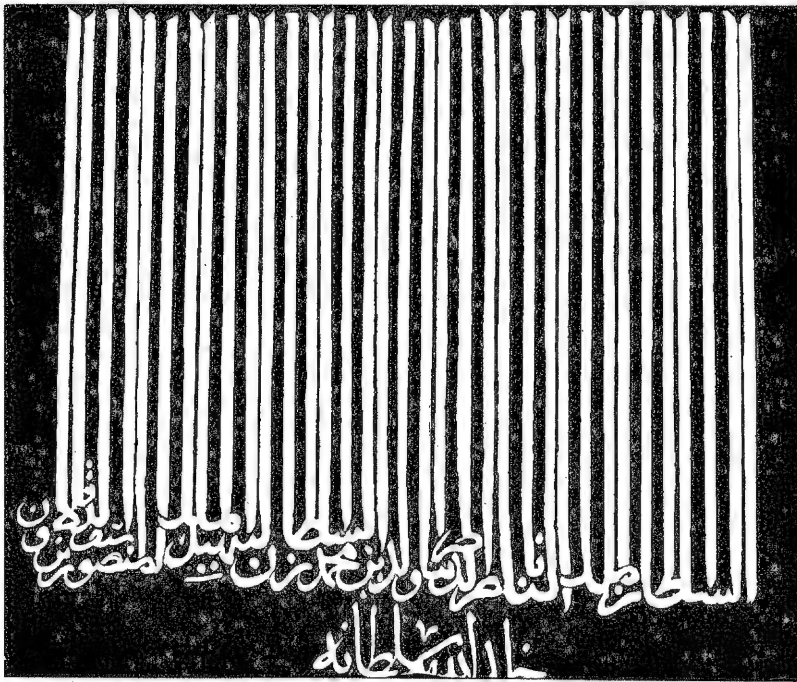
« السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْنَاصِرُ ، نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ الْمَلِكِ
 الْمَنْصُورِ ، سَيْفُ الدِّينِ قِلَاوُونَ » .

وعددُ مُتَصِيبَاتِهَا مِنَ الْأَلِفِّ وَمَا فِي مَعْنَاهَا خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ مُتَصِيبًا بِقَلَمِ النَّصْفِ ،
 وَهُوَ يَقْدَرُ قَلَمُ الثَّلَاثِ الثَّقِيلِ وَقَدْرُ نَصْفِهِ .

وترتيبُ مُتَصِيبَاتِهَا [مُتَصِيبَانِ] مُتَقَارِبَانِ بَيْنَهُمَا بِيَاضٌ لَطِيفٌ يَقْدَرُ مِرْوَدٌ دَقِيقٌ ،
 ثُمَّ مُتَصِيبٌ يَحْفُهُ بِيَاضَانِ ، كُلُّ مِنْهُمَا أَعْرَضُ مِنْ الْمُنْتَصِيبِ الْأَسْوَدِ بِلَيْسِيرٍ . وَبَعْدَ
 ذَلِكَ مُتَصِيبَانِ مُتَقَارِبَانِ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْمُنْتَصِيبَاتِ ، فَتُخْتَمَتِ

(١) بياض في الأصل في هذه المواضع .

بمئة صبين مُزدوجين ، كما أفتتحت بمئة صبين مُزدوجين ، على ما أقتضاه تحرير التقسيم ،
وهي في طول نصف ذراع بذراع القماش القاهري مع زيادة نحو نصف قيراط ،
وعرض مثل ذلك . وتحتها في الوسط بقلم الثلث الجليل بعد خوض عرض إصبع
ببياضاً ما صورته : « خلد الله سلطانه » وهي هذه :

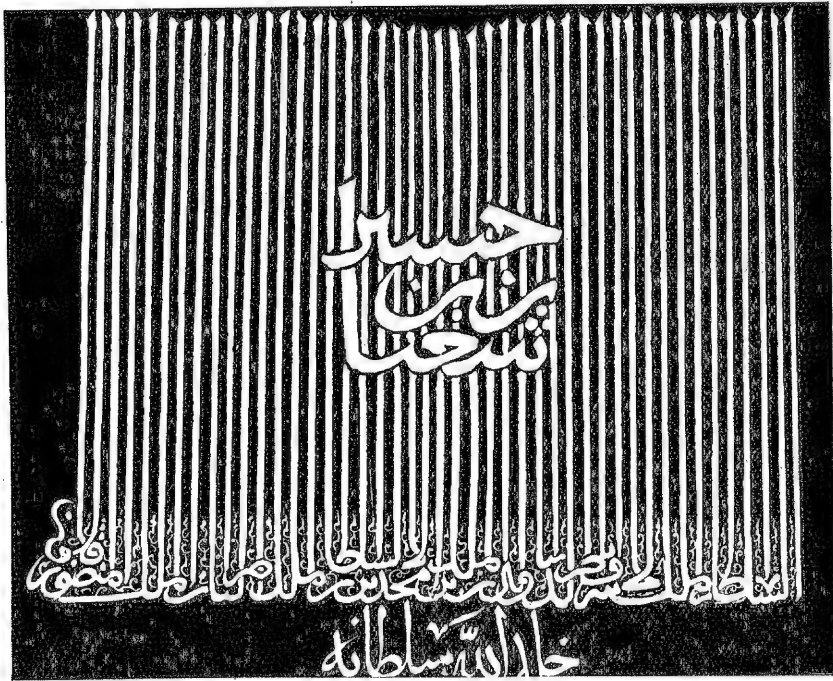


وهذه نسخة طغرئى منشور أيضاً بألقاب السلطان الملك الأشرف
شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، مضمونها .

« السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين آبن الملك الأجد آبن السلطان
الملك الناصر آبن الملك المنصور قلاوون » .

وعدد منتصباتها من الألفات وما في معناها خمسة وأربعون منتصبًا، بقلم جليل
الثُلث، بين كل مُنتصبين قدرُ منتصبٍ مرتين بياضًا، وطولها ثلث ذراع وربُع
ذراع بالذراع المقدم ذكره، وعرَضُها كذلك، وأسمُ الملطان بأعلىها بقلم الطُّومار
بالحبر قاطع ومقطوع كما أشار إليه في التعريف .

مثاله : شعبان بن حسين - الشين والعين والباء والألف سَطْر، والنون
من شعبان وآبن سَطْر مركب فوق الشين والعين، وحُسَيْن سَطْر مركب فوق ذلك؛
وطُول ألف شعبان تقديرُ سُدس ذراع، وقد قطعت النون الألف وخرجت عنها
بقدرٍ يسير، وأقولُ الاسم بعد المنتصب السادس عشر من المنتصبات، وآخرُ النون
من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحد عشر منتصبًا من
جهة اليسار، وهي هكذا :



الجملة الخامسة

(في ذكر طَرَف من نُسخ المناشير التي تُكْتَب في الإقطاعات في زماننا)

قد تقدّم الكلام في الجملة الثالثة على صورة ما يُكْتَب في المناشير وما تُفْتَح [به]
وذكر ترتيبها ، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صُوداً وهُبوطاً ،
فأغنى عن ذكر إعادته هنا .

وأعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ، ليراعى فيها حال المكتوب
له في براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات . فإن تعدّد ذلك فالأحسن
أن تكون براعة الاستهلال منقولة في الاسم والكُنية واللقب ونحوها ليكون ذلك
أقرب إلى الغرض المطلوب . فإن تعدّد ذلك فينبغي أن تكون براعة الاستهلال
قاصرة على معنى الإقطاع وما ينبئ إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى
أخصائه ، وما يتخبط في هذا السلك .

ثم نُسخ المناشير على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(ما يفتتح بـ «الحمد لله» ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(مناشير أولاد الملوك)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشورية ، كُتِب به عن الملك المنصور قلاوون لابنه الناصر محمد في سلطنة
أبيه المذكور ، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله الذى زينَ سماءَ المُلْكِ بأنورِ كوكبِ بَرَعِ ، وأعزَّ ملكِ نَبَعِ ، وأشرفَ سلطانِ بلغَ إلى ما بلغَ ذُووُ الأَكْتِهالِ من أختيارِ شرفِ الحِلالِ وما بلغَ .

نحمدُه حمداً تَزيدُ به النعماءُ وتُسمى ، وتَهْمِلُ به الآلاءُ وتَهْمِي ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهَ لا شريكَ له شهادةً خالصةً من كلِّ ريبٍ ، واقصةً كلِّ عيبٍ ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ الذى بعثه اللهُ تعالى بمكارِمِ الأخلاقِ ، ومُعَاداةِ ذَوِي النِّفاقِ ، وسأوى بين الصَّغيرِ والكبيرِ من أُولِي الاستِحقاقِ ، فى الإِرْفادِ والإِرْفاقِ . صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه مارقَ نَسِيمٍ وراقٍ ، وما خُصِفَتْ أوراقُ .

وبعدُ ، فإنَّ الهَوَاتِفَ أبينُ ما تشدُّو ، إذا حَفَّتِ الرِياضُ بها من كلِّ جانبٍ ، والسماءُ أحسنُ ما تبدُّو ، إذا تَريَّنتُ بالكوكبِ السَّيَّارةِ والشَّهْبِ التَّواقِبِ ، والسَّعادةُ أحمَدُ ما تحمُّدُ ، إذا خُصِّصَتْ بِمَنْ إِلَهٍ ، وإلاَّ ما تشدُّ الرُكائبُ ، وعليه ، وإلاَّ ما تُثْنِي الحَقائِقُ والحَقَائِبُ ، ومَنْ هوَ للملِكِ فِلْذةٌ كَيْدِهِ ، ونورٌ مُقْلتهُ وساعِدُ يَدِهِ ، ومَنْ نَتِمْنُ السَّلاطِنَةَ بمِلاحِظَةِ جَبِينِهِ الوَضَى ، وتَسْتَنِيرُ بالأَنُورِ المُضَى ، ومَنْ تَغَضَّبُ الدُّنيا لَغَضَبِهِ وتُزْهِى إذا رَضَى ، ومَنْ نَشَأُ فى رَوْضِ المُلْكِ من خَيْرِ أَصْلٍ زَكَى ، وفاحَتِ أَزْهارُهُ بأعْطَرِ أَرْجٍ وأطيبِ نَشِيدِ زَكَى ، وطلَعَ فى سماءِ السَّلاطِنَةِ نَجْماً ما لِلنَّيرِينِ ما لِه من الإِضاءِ ، ويزيدُ عليهما بِحُسْنِ الوَضَاءِ ، ومَنْ تَشَوَّفُ البَصْرُ لَهُ من مَهْدِهِ ، وتَشَوَّقُ الظُّفَرُ إلى أَنه يَكُونُ من جُنْدِهِ ، وأسْتَبْشَرَتِ السَّلاطِنَةُ بأنَّ صارَ لها مِنْهُ فَرْعٌ باسِقٌ ، وعَقْدٌ مَتَناسِقٌ ، وزَنْدٌ وارٍ وجَنَاحٌ وارِفٌ ، ونَفَّارٌ تَلِيدٌ وعَرٌّ طارفٌ ، وطَرْفانٌ مُعَلَّمانِ تُنْشَرُفيهما المَطَّارِفُ .

ولهذه المحاسِنِ التى تَشْرِبُ إلى قَصْدِها آمالُ الخِلاقِ المُتَجَمِّعة - آفَضْنِي حَسَنُ الْإِرْ الوُصُولِ ، وشَرُفُ الإِقْبالِ والقَبُولِ ، أنْ خَرَجَ الأَمْرُ العالى - لا بَرَحَتْ مَراسِمُهُ

مترينة زينة السماء بكوا كتبها، ومُزاجحة سَمَك السَّمَاء بِمَا كَبَّهَا - أن يُجْرَى في ديوان
الجناب العالى المرلوى، المَلِكِي، الناصري

قلت : كما أنَّ هذا المنشور منشور سلطان فهو في البلاغة لحسن إنشائه سلطان
المناشير .

الضرب الثاني

(من نسخ المناشير المفتحة بالحمد مناشير الأمراء مقدمي الألوف)

وهذه نسخ مناشير منها .

نُسخة منشور، كُتِبَ به للأمير بدر الدين بيدرا استادار الملك المنصور قلاوون،
من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذي جعل بدر الدين تمامًا على الذي أحسن، وإمامًا تقتدي النجوم
منه بالضياء الأبين والثور الأزين، ونظامًا يجمع من شمل الدرر ما يغدو به حماء
الأخمي وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تغدو وتبدو عند الذب وفي القاب مكانها الأمكن، ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله ونبيه الذي أوحى الله به نبأ الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ورضى عمن آمن به وعمن آمن .

وبعد، فإن خير النعماء ما أتى به على التدريج، وأتى كما يأتي الغيث بالقطر والقطر
لإنبات كل زوج بهيج، وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فيينا يقال : هذا خليج

يَمْدُهُ الْبَحْرُ إِذْ يُقَالُ : هَذَا بَحْرٌ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ كُلُّ خَالِيجٍ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمِيرُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا الْمُحِيرُ ، وَبَيْنَا يُقَالُ : هَذَا الْهَلَالُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا هُوَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِوَضْعِ الْغُرَّةِ مِنَ الْحَيَسِينَ ، وَمَكَانِ الرَّاحَةِ مِنَ الْيَمِينِ ، وَلَهُ سَوَابِقُ خِدْمَةٍ لَا يَزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي طُرُقِ طُرُوقِهَا ، وَلَا تُسْتَكْتَرَلُهُ زِيَادَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوجِبَاتِ حَقُوقِهَا ، وَهُوَ مِنَ التَّقْوَى بِالْحِمْلِ الْأَثْمَى ، عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّرَاقِ ، وَالْمَكَانِ الْأَخْمَى ، الَّذِي مَكَانُهُ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ - صَدْرُ الرُّوَقِ ، وَلَهُ الْكَرَامَاتُ الَّتِي تُرَى الْخُدُودُ لَهَا صُغُرٌ ، وَكَمْ سَقَتْ مِنْ سُمِّ الْعُدَاةِ دَافَقَةُ الدُّعْرِ ، وَكَمْ قَابِلُ نُورِهِ نَارًا فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمْ تَكَلَّمَ عَلَى خَاطِرٍ فَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْهُ شَيْخًا مِنْ حَيْثُ الشَّبِيهَةِ أَجَلَ اللَّهُ قُدْرَةَ غُلَامًا ، فَهُوَ الْمَجَاهِدُ لِلْكَفَّارِ ، وَهُوَ الْمُتَجَدِّدُ فِي الْأَشْخَارِ ، وَهُوَ حَاكِمُ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ جَعَلَهُ أَسْتَاذَ الدَّارِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعَصَا الَّتِي أَصْبَحَ بِمَجَالِهَا مِضَافَةً إِلَى السَّيْفِ يَتَشَرَّفُ ، وَمُعْجِزًا لَا يُسْتَكْتَرَلُهُ أَنَّهَا لِكُلِّ حَيَّةٍ تَلْقَفُ ، وَهُوَ الَّذِي تَجَدَّدُ الْكُشُوفُ وَالسِّيُوفُ فَتُوحَهُ وَفَتَحَهُ ، وَالَّذِي يُشْكِرُ يَدَهُ عِنانُ كُلِّ سَاحِجٍ وَزِمَامُ كُلِّ سُبُحَةٍ ، وَكَمْ أَسَالُ بِيَدِهِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ مَاءً بَحْرِيٍّ ، وَتَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ مَا بَحْرِيٍّ ، وَكَمْ وَلَّى اللَّهُ خَفِيَ شَخْصُهُ فَأَظْهَرَ مُحَضَّهُ فَقَالَ الْوَلِيُّ : وَمَا أَدْرَى دَرًا لَوْلَا بَيْسَدَرَا - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يَحْمِلَ إِحْسَانُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لَهُ عَمَلًا ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَهُ عَمَلًا وَنَهْلًا ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ إِذَا هُوَ صَاحِبُ الْعَصَا كَمَا اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَنُحْرِجُ الْأَمْرَ الْعَالِيَّ - لَا زَالَ ظِلُّهُ ظَلِيلًا ، بِامْتِدَادِ النَّيِّ بِعَدِ النَّيِّ ، وَعِطَاؤُهُ جَزِيلًا ، بِتَنْوِيلِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ - وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَصَاحِبُ الْعَصَا بِالْأَسْتَادَارَةِ وَلَا يُسْتَكْتَرَلُ لِمُصَاحِبِهَا سَحَرُ الْحَيَّاتِ .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه سيف الدين ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله لمزيد النعم متقاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه راضياً .

نحمد على نعمه التي تشر موالياً وتسوء معادياً ، وتقدم من أوليائنا من يقوم مقامنا إذا سمع منادياً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروّت في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورّت هادياً ، ورفعت من أعيان الأعلام هادياً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن بصفاته حالياً ، وأحلنا ببركة المشاركة في أسميه المحمدي مكاناً عالياً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يبرح كل لسان لها تالياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تجدد إنعاماً ، وتزيد إكراماً ، ونضايف لكل من أضحى ناصرنا بحقيقة ولائه إجلالاً وإعظاماً ؛ ليترقى إلى أعلى الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ؛ ومن رأى التقرب إلى الله تعالى بمراضينا الشريفة فتقرب إليها ؛ وأقبل بقلب مخلص عليها ؛ وأشبّه البدور في مواقفه توشماً ، وحكى السيف بارق نغره لما أومض في حومة الحرب متقسماً ، وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت أسننتها الكواكب بها درية ، والحمالات التي تقتر العدا لفعلاتها أنها بهادريه ؛ كم له من محاسن ، وكم عرفت له من مكامن ؛ وكم له من صفات كالعقود يصدق بها من قال : الرجال معادن ؛

كم له من همة تترقى به إلى المعالي ، كم له من عزيمة يروى حديثها المسند عن العوالي ؛
 كم به أمور تُنَاط ، وكم جُهور يُحاط ؛ كم له من احتفاء واحتفال ، وكم له من
 قبول وإقبال ، وكم له من وثبات وثبات ، وكم له من صفات وصفات ، وكم له
 إماتة كجاة ؛ كم له من مناقب تُصيح وتُسي ، وكم له من معارف لما علم بها مملكه
 - خلد الله ملكه - قال الملك : آتوني به أستخلصه لنفسي .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له في كل وقت رايه ، وتسعى به إلى أبعد غايه ،
 وتُتبع له عناية بعد عنايه ، حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور ، وعلم
 منشور ، وبطل لا يرد عن الصميم تصميم ، ولا تعدأ أكابر الأمراء إلا ويكون على
 العساكر مقدما وعلى الجيوش زعيما : ليعلم كل مأمور وأمير ، وكل مُمائل ونظير ،
 أن حسن نظرننا الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحسانا ، ويوجب على
 من وجد الميسور بهذا المنشور امتنانا : « لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ
 آمَنُوا إِيمَانًا » .

ولما كان فلان هو المعنى بهذه المقاصد ، والمخصوص بهذه المباح والمحامد ،
 والواحد الذي ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد .

فلذلك نخرج الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة الخلود ، موسومة بمزايا
 الجود - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه « شمس الدين » كُتب به في الدولة الناصرية
 « محمد بن قلاوون » وهي :

الحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مَطْلَعَ كُلِّ قَرِيرٍ مُنِيرٍ ، ومَجْمَعَ كُلِّ مَأْمُورٍ
وأَمِيرٍ ، ومَوْقِعَ كُلِّ سَحَابٍ يَظْهَرُ بِهِ الْبَرْقُ فى وَجْهِ السَّحَابِ الْمَطِيرِ ؛ الذى شَرَّفَ بِنَا
الْأَقْدَارَ ، وزَادَ الْاِقْتِدَارَ ، وجَمَلَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ سَمَاءً تُشْرِقُ فِيهَا الشُّمُوسُ
وَالْأَقْفَارُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تَخْتَالُ أَوْلِيَاؤُنَا بِهَا فى مَلَابِسِهَا ، وَتَخْتَصُّ بِنَفَائِسِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَجَرَّدُ سَيْفَ الدِّينِ لِإِقَامَتِهَا ، وَنُحَافِظُ بِوَقَائِعِهِ
فِي الْحَرْبِ عَلَى إِدَامَتِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي خَصَّهُ بِمِزْيَةِ التَّقَرُّيبِ ،
وَشَرَفَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْمَكَانِ الْقَرِيبِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَظَّمَهُمْ بِقُرْبِهِ ،
وَكَرَّمَهُمْ بِحُبِّهِ ، وَقَدَّمَهُمْ فِي السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا جَاءَ كُلُّ مَلِكٍ بِاتِّبَاعِهِ وَكُلُّ مَلِكٍ
بِصَحْبِهِ ، وَسَلَمَ .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوَّلَى الْأَوْلِيَاءُ أَنْ تَشْمَلَهُ صِدْقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ بِحَسَنِ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ ،
وَبَرَفْعَةِ قَدْرِهِ الْمُئَنِّفِ ؛ لِيَتِمَّ لَهُ إِحْسَانُهَا ، وَيَزِيدَ إِمْكَانُهَا ؛ حَتَّى يَنْتَقِلَ هَلَالُهُ إِلَى أَكْلِ
مَرَاتِبِ الْبُدُورِ ، وَيَتَنَدَّ بِحُصْنِهِ الْمُسْتَظِلِّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْجُمْهُورِ ؛ وَيَتَقَدَّمَ فِي أَيَّامِنَا
الشَّرِيفَةِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي يَرْجُوهَا ، وَيَقْدَمُ قَدَمُهُ إِلَى مَكَانَةِ أَمْثَالِهِ الَّتِي حَلَّوْهَا ، وَتُسَكَّلُ
بِنَا نِعْمَةُ اللَّهِ : ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ - النَّاصِرِيُّ بِحَقِيقَةِ وِلَايَتِهِ الْبَهَادِرِيِّ
شُجَاعَةً فِي لِقَائِهِ ؛ مَنْ تَكَفَّلَتْ صِدْقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ لَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي أَمَلِهِ ، وَجَحَلَتْ
حَايَتُنَا الشَّرِيفَةُ مَعَاطِفَهُ بِأَبْهَى مَا يَنْسِجُهُ الرَّبِيعُ مِنْ حُلِيِّهِ ، وَتَوَسَّمتْنَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ
تَقَرُّبٍ إِلَى مَرَاضِينَا الشَّرِيفَةِ بِهَا دَرِيًّا ، وَهَمَّةٍ جَرَدْنَا بِهَا مِنْهُ سَيْفًا بِهَا دَرِيًّا ، وَطَلَعَةٍ
أُطْلِعَتْ مِنْهُ بِالْبَهَاءِ كَوَكَبًا دَرِيًّا ؛ مَعَ مَا تَحْوِلُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ ، وَقَامَ بِهِ فِي أَبْوَابِنَا
الْعَالِيَةِ مِنْ أَحْسَنِ الْقِيَامِ فِي كُلِّ وَظِيفَةٍ .

ولما كان فلان هو الذى أشرنا إليه ، ونبئنا مقل النجوم عليه . فاقنصت آراؤنا الشريفة أن نبغّه أقصى رتب السعادة ، ونعجل له بحظّ الذين أحسنوا الحسنى وزيادته ؛ ليعدّ فى أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكرُوا ، والمقدّمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهمّ شريف أو ابتدروا ؛ ليعلم كلّ أحد كيف يجازى كلّ شكور ، وكيف يتحلّى بنعمنا الشريفة كلّ سيف مشهور ، وكيف نذكر واحدا منهم فيغدو فى زعماء العساكر المؤيَّدة وهو مذكور ؛ ليسئلوا فى خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم ، ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العجيبة التى تحقّق قصدهم .

فلذلك خرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور من ذلك ، كُتب به فى الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » لمن لقبه « بدر الدين » وهى :

الحمد لله الذى زين أفق هذه الدولة القاهرة ببدنها ، وسيره فى درج أوجها ونصرها ، ونقله فى بروج إشراقها ومنازل نقرها .

نحمده على نعمه المنهلة ببرها ، المتهدلة ببشرها ، المتريدة كلما زدنا فى حمدها وشكرها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق بها القلوب فى سرّها وجهرها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الأمم بأسرها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تملأ الوجود بأجرها ، وتضمن لأمتها النجاة يوم حشرها .

وبعد ، فإن أولى من تعمّت النعمى بتواليها عليه ومرّها ، وخير من استقرت الخيرات عنده فى مستقرّها ، وأعلى من عمّته السنة الأقلام ببدايع نظمها ونثرها ،

وخصَّصَتْهُ بِحَامِدَ تَنَارَاجِ الْمَنَاشِيرُ بَنَشَرَهَا - مِنْ كَانَ لِلدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ يَشْرَحُ صَدْرَهَا ،
بَتَيْسِيرِ أَمْرِهَا ، وَيُشَدُّ أَرْزَهَا ، بِحَمَلِ وَزْرِهَا ، وَيَتَكَفَّلُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ إِيْمَانِهَا
وَنَصْرِهَا ، وَيُوصِّلُ حِمْلَ مَا يَفْتَحُهُ مِنَ الْحَصُونِ الضَّيِّقَةِ إِلَى مَصْرِهَا .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ بِذَرِ هَذِهِ السَّمَاءِ وَمُنِيرَ زُهْرِهَا ، وَنِيرَ نَجْمِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ وَمُبْتَدَأَ
خَفَرِهَا ، وَفَرِيدَةَ عَقْدِ هَذِهِ الْقَلَائِدِ وَبَيْتِمَةَ دُرِّهَا ، وَصَاحِبَ هَذِهِ الْأَنْغَازِ وَمِفْتَاحَ
سِرِّهَا - أَفْتَضَتْ الْآرَاءُ الشَّرِيفَةُ أَنْ تُزَفَّ إِلَيْهِ عِرَائِسُ الْعَوَارِفِ ، مَا يَبِينُ عَوَانِهَا
وَيُكْرِهَا ، وَتُرَفَّ عَلَيْهِ نَفَائِسُ اللَّطَائِفِ ، مَا يَبِينُ شَفْعَهَا وَوَثَرِهَا ، وَتَهَادِي إِلَى هِدَايَا
مَا يَبِينُ صُفْرَهَا وَحُمْرَهَا ، وَتَتَوَالَى عَلَيْهِ الْآلَاءُ مَا يَبِينُ ثَمَرِهَا وَزَهْرَهَا ، وَأَنْ تَرَادَ عَدَّتُهُ
الْمُبَارَكَةُ فِي كَمِّيَّتِهَا وَقَدَرِهَا ، وَأَنْ تُكَمَّلَ عَشْرَاتُهُ التَّسْعَ بَعَثَرَهَا ، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَبْرَحُ
فِي خَلْدِهَا وَسِرِّهَا ، وَأَنَّهَا لَا تُخْلِيهِ سَاعَةً مِنْ سَعِيدٍ فِكْرِهَا .

فَلَذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الْعَالِي - لَا زَالَتِ الْأَفْدَارُ تُحْصِي دَوْلَتَهُ الْقَاهِرَةَ بِإِطَابَةِ ذِكْرِهَا ،
وَإِطَالَةِ عُمرِهَا ، وَلَا بَرِحَتِ الْأَمْلاَكُ كَفَيْلَةً بَنَصْرِهَا ، بِمَضَاءِ بَيْضِهَا وَإِعْمَالِ سُمْرِهَا -
أَنْ يَجْرَى



وهذه نُسخةٌ منشورةٌ من ذلك كُتِبَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ»
لِمَنْ لَقَبَهُ «صَلَاحُ الدِّينِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَثَخَفَ الْمَمَالِكَ الشَّرِيفَةَ مِنْ سَعِيدِ تَدْيِيرِنَا ، بِصَلَاحِهَا ، وَصَرَفَ
حَمِيدَ تَأْمِينِنَا ، بِإِنْجَابِ الْأَوْلِيَاءِ وَإِنْجَاحِهَا ، وَأَسْعَفَ طَرَاحِ أَمَانِيهِمْ : مِنْ أَقْتَرَابِهِمْ مِنْ
خَوَاطِرِنَا الشَّرِيفَةِ فِي بُعْدِهِمْ وَتَدَانِيهِمْ بِاجَابَةِ سُؤَالِنَا وَإِصَابَةِ أَفْتَرَاخِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ نَصْرَ دَوْلَتِنَا الْبَرِيَّةِ قَرِيبًا مِنْ نَصْرَاحِهَا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ
وَصَلَ أَرَاخِيهِمْ بِأَرْبَاحِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُحْسِنُ

المال والعاقبة لذوى الإخلاص كما أحسنّت في ابتدائها وافتتاحها، ويؤذن لحسن
اعتنائها لأحوال أولى الاختصاص بإصلاحها، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
الذى عمّت مواهبه، بإبراق سمائها وإغداق سمّاحها، وسمّت مناقبه، بأثلاق غررها
وإشراق أوضاحها، وأمّت مواكبها، ديار العدا فشدت عليهم مشهور قراعتها ومنصور
كفاحها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصابت أكتفهم في السلم بمسغفات
أقلامها وصالت أيديهم في الحرب بمزهرات رماحها، ما جرت الأقدار بمتاحها،
وسرت المبارز بمتاحها، وظهرت آثار الإقبال التام على من له بخدمة أتهام واحتفال
فلاح على مقاصده معهود فلاحها . وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من لمحّة نظرنا الشريف حيث كان، ورجحه فكرنا الحسن
الجميل فمنحه الإجمال والإحسان؛ من لم يزل شكره أرجا بكل مكان، وذكره بهجاء
تسرى به الركائب وتسير به الرُكبان، وصدره الرحيب مستودع الأسرار فلا تُصاب
إذ كانت فيه نُصان، وقدره عندنا المحفوظ المكانة، فإن بعد فهو قريب دان، وأمره
منا المالحوظ بالإعانة، فلا يزال نؤليه البر ونؤلى له الشان .

ولما كان فلان



وهذه نسخة منشور، كتب به للأب سعيد الدين مسعود بن الخطايري، من إنشاء
الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء، وهو :

الحمد لله على نعمة التي زادت سعودا، وضاعت صعودا، وكرمت في أيامنا من
لا حاجب له عن أن تمنحه من إنا منّا مزيدا، وقدمت بين أيدينا الشريفة من
أولائنا من غدا قدره عندنا خطيرا وحظه لدينا مسعودا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أُنْجِزَ لِأَصْفِيائِنَا مِنْ وَفَائِنَا وَعُودَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَحْمَدُ لِمُخْلِصِهَا صُدُورًا وَوُرُودًا، وَتَلْقَى مُؤْمِنَهَا بِالْبَشَرِ إِذَا جَمَعَ الْمَوْقِفُ وَفُودَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ بِإِنْجَاذِهِ مَطْرُودَا، وَأُرْدِفَ بِالْمَلَائِكَةِ جُنُودَا، وَأَوْصَلَ بِهِ حُقُوقًا وَأَقَامَ حُدُودَا، وَحَجَّبَ بِبَرَكَاتِهِ الْأَسْوَءَ فَعَدَا الْعَدْلُ مَوْجُودَا، وَأُصْحَى الْحَكْمُ مَقْصُودَا. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَعَلَى الْمَشْرِكِينَ شَدِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَنِعْمَنَا إِذَا أَوَّلَتْ وَلِيًّا، مَنَحَهَا وَالَّتْ، وَإِذَا قَدَّمَتْ صَفِيًّا، وَهَبَتْهُ مَنَزِيدَهَا وَأَنَالَتْ، وَإِذَا أَقْبَلَتْ بَوَاجِهُ إِقْبَالَهَا عَلَى مُخْلِصٍ تَتَابَعَتْ إِلَيْهِ الْمَسَرَّاتِ وَأَنَثَلَتْ، لَا سِيَّيَا مِنْ أَطَابَتِ الْأَلْسِنَةُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَأَطَالَتْ، وَجِيلَتْ سَجَايَاهُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ فَمَا حَافَتْ وَلَا مَالَتْ، وَأَوْصَلَتْ رَأْفَتَهُ مِنَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ وَعَلَى الْمَجْرُمِينَ سَطَوْتُهُ صَالَتْ، فَيُسَمِّنُ مَقَاصِدِهِ هَائِتِ الْخَطُوبُ وَإِنْ كَانَتْ فَتَكَاتُهُ فِي الْحُرُوبِ كَمْ هَائِتْ، وَهَمَمُهُ فِي السَّلَامِ قَدْ جَلَّتْ وَيَوْمَ الرَّوْعِ كَمْ جَالَتْ، وَعِزَائِمُهُ كَمْ غَارَتْ فَأَغَارَتْ وَلِلْعَتِيدِينَ كَمْ غَالَتْ، وَكَمْ سَبَقَ إِلَى خِدْمَتِنَا صَاحِبُ الشَّمْسِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْبَدْرُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَإِنْ هِيَ زَالَتْ.

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَقَلَّنَاهُ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمِ حَتَّى كَمَلَ بَدْرُهُ، وَوَقَلَّنَاهُ فِي مَرَاتِبِ التَّكْرِيمِ حَتَّى أَصْبَحَ وَهُوَ الْمَسْعُودُ حِظَّهُ الْحَمْدُ ذِكْرُهُ، وَخَوَّلْنَاهُ مَوَاهِبَ جُودِنَا الْعَمِيمَةِ فَاسْتَدَّ بَاعُهُ وَاشْتَدَّ أَرْزُهُ.

فَلِذَلِكَ نَخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا بَرَحَ إِنْعَامِهِ يَجِلُّ عَنِ الْحَضَرِ، وَدَوْلَتُهُ يُخْدِمُهَا الْعِزُّ وَالنَّصْرُ، وَإِكْرَامُهُ يَقْضِي بِمَسَرَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِالْجَمْعِ وَيُقْضَى إِلَى أَعْمَارِ الْأَعْدَاءِ بِالْقَضَرِ -



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به لعلاء الدين إيدغمش أمير اخور الناصري [كُتِبَ به في الدولة الناصرية] محمد بن قلاوون، من إنشاء الشريف، وهو :

الحمد لله الذي زادَ علاءَ دولتنا الشريفه ، وأفادَ النعماءَ التامةَ من قام بين أيدينا أتمَّ قيامٍ في أتمِّ وظيفه ، وأجادَ الآلاءَ المتواليةَ بمنَّ أعنةَ الجيادِ بإشارتهِ مُصرِّفةً ومِنَّةَ الجُودِ بسِفارتهِ مَصْرُوفه ، وأرادَ الأصطفاءَ لأعزِّ هَمَام : في قلوبِ الأولياءِ له محبةً وفي قلوبِ الأعداءِ منه خيفةً ، وأبادَ أولى العنادِ بفتكاته التي بها الغوائلُ مكفيةً والطَّوائِلُ مكفوفةً ، وشادَ الملكَ الأعزَّ بإرفادِ ولى له الشجاعةُ المشكورةُ والطاعةُ المعروفةُ .

نحمده على أن جعلَ اختياراتنا بالتسديدِ محفوظةً وبالتأييدِ محفوفةً ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً السرائرِ لإخلاصها ألوفه ، والضمائرِ على اختصاصها مخطوفةً ؛ ونشهدُ أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نسله من النبعةِ المنيهه ، وأرسله بالسرعةِ الحنيهه ، وفصله بالرِّفعةِ على طهرِ البراقِ إلى السبعِ الطِّباقِ وجنودِ الأملاكِ به مُطِيفه ، صلى الله عليه وعلى آله ذوى الهممِ العليةِ والشِّيمِ العفِيفه ، ورضى الله عن أصحابه الذين لو أنفقَ أحدٌ مثلَ أحدٍ ذهباً ما بلغَ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفه ، صلاةً تُبَيِّضُ بالأجورِ الصَّحيفه ، وتعوضُ بالوُفُورِ من مبرأتنا الجلييلةِ بفكرتنا الجميلةِ اللطيفةِ ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فكرمنا يُسَبِّغُ المواهبَ والمنائحَ ، ونعمنا تُبَلِّغُ المآربَ والمنائجَ ؛ فلا نَبْرَحَ نَنْقُلُ في درجاتِ الصُّعودِ من هو في خدمتنا لا يُأْرَحُ ، ويتكفَّلُ صالحُ نظرنا الشريفِ صلاحَ حالٍ من أجملِ النصائحِ وأنلِ المصالحِ ؛ فكم راضٍ لنا من جايحٍ ، وخاضِ بجرِّ الوغى على ظهرِ سايحٍ ، وحمى رواقَ الإسلامِ من رعبه بذبٍّ ورمى

أعناق الكفار من غضبه بذابح ، وأصمى المقاتل بكل نابيل يستجن في الجوانح ،
وأنتمى إلى سعادة سلطاننا الناصر الفاتح ، وسمّا عزّم إعلائه بتقريبه وإدناؤه إلى
السماء الراح . طاماً مسّ الكفار الضّر إذ مسّاهم بالعاديات الضّوايح ، وأحسّ كلّ
منهم بالدمار لما ظنّ أنه لحرّبه يكابد ولحرّبه يكافح ، وصبّحهم بإغاراته على الموريات
قدحاً فأغرى بهم الخطوب الفوادح ، وطرحهم بالفتكات إلى الهلكات فصاحت
[رقابهم] رقباب الصّفائح ، وأخلّى من أهل الشرك المسارب والمسارح ، وأجلى أهل
الإفك عن المطارد والمطارح .

ولما كان فلان هو الذى استثار إليه شأن هذه المدائح ، وسار بذكره وشكره كلّ
غادٍ ورائح .

خرج الأمر الشريف - لا يرح سبيل هداة الواضع ، وجزيل نداه يغدو كالغواذى
بالعائِد والبادى من فضله وهو الناصح ،



وهذه نسخة منشورة ، كتبت به للأمير شمس الدين سنقر البكتوقى الشهير
بالمسّاح ، وهى :

الحمد لله الذى أجزَلَ المواهب ، وجَدَد من النعم ما لا تَرَأى الألسنة تتحدّث
عن بحرّها بالعجائب ، وأطَلَع فى أفق الدولة الشريفة شمساً تستمدّ من أنوارها
الكواكب .

(١)
نحمده على نعم يتوالى درّها توالى السحاب ، ويُغالى درّها عن أن تطوق به الأذنان
والترائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تختصّ قائلها من

(١) المراد بالتطويق هنا مطلق التحلية وكان الأولى «أن تقرط به الأذنان وتطوق به الأعناق وتحلى به الترائب» .

درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسمى المراتب ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان بيعته الشريفة رداء الشك عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب ، وصير الإيمان بنور هدايته واضح السبل والمداهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضي جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود الفرض الراتب ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أحق من حلى من النعماء بأفضل العقود ، وخص بأضنى ملاس الإقبال وأضنى مناهل الإفضال : فاستعذب من هذه الورود ، واختال من هذه في أجمل البرود ، ومنع من الإقبال بكل غادية تحجل السحاب إذ يجود ، وإن رقت بها الأفلام سطورا في طروس أزرت بالزهر الينع والروض المجود ، ونقل قدره من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنقل في منازل الشرف والسعود . من ظهرت مكارم سماته ، واشتهرت محاسن صفاته ، وطلعت في سماء العجاج نجوم خرصانه ولمعت في دجى النقع بروق ظلماته ، وقدم على الجيوش والجحافل فظهرت نتائج التأيد والتسيد من تقدمه وتقدماته ، وهزم جيوش الأعداء ، في مواقف الهيجاء ، ببات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجرد في المهمات والمهمات تجرد الماضيين : من سيوفه وعزماته .

ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجميلة ، والمنعوت بهذه المحاسن الجميلة ، والمشار إليه بهذه الحمائد والمناقب التي ترهق على زهر الكواكب ، وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب - أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الامتنان بتخويله نعماً وتنويله منناً : تُضجى هذه عقداً في كل جيد ، وتسمى هذه مقربة له من

الآمال كل بعيد — واقتضى حسن الرأي الشريف أن يمنح بهذا المنشور : ليخص
من الأولياء بالسعد الجديد والحد السعيد .
فلذلك خرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور، كُتب به للأمر خاص ترك في الروك الناصري، وهي :
الحمد لله على نعمة التي سرت إلى الأولياء ركايتها ، وهمت على رياض الأصفياء
سحائبها ، وتوالت إلى من أخلص في الطاعة بغرائب الاحسان رغائبها ، وتكفلت لمن
خص بأسنى رتب البر الحسان مكارمها العقيمة ومواهبها ، وغمرت بحار كرمها الزاهرة
من يحدث عن شجاعته ولا حرج كما يحدث عن البحور التي لا تقف عجائبها .

نحمده على نعمه التي إذا أغبتنا سحاب الندى أعقبت سحاب ، وخصت الخواص
من درج الامتنان بمراتب تراجمها الكواكب على نهر المحررة بالناسك ، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال الجهاد يرفع ألويتها ، والجلاد يعمر
بوفود الإخلاص أنديتها ، والإيمان يسيد في الآفاق أركانها الموطدة وأبنتها ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره ، وخصه بمزية التقدم على الأنبياء مع
تأخر عصره ، وآتاه من المعجزات ما تكفل السنة الأعلام عن إحصائه وحضره .
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حاطوا دينه بالمحافظة على جهاد أعدائه ، وأيدوا
ملته بإعادة حكم الجلاد في سبيل الله وإبدائه ، صلاة لا يزال الإيمان يقيم فرضها ،
والإيقان يملأ بها طول البسيطة وعرضها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من ضوعفت له النعم ، ووطدت له الرتب التي لا تترك غايتها
إلا بسوايق الخدم ، وأشرقته به مطالع السعود ، وحققته له مطالب الاعتلاء

والصُّعُود؛ ورفَعته مَواقِعُ الإحسانِ إلى أسنى المراتب التي هو مَلِيٌّ بارتقائها، وتَوَلَّتْ له هَوَامِيعُ النَّيِّ والامْتِنانِ آتِقَاءَ فرائدِ النِّعمِ التي هو حَقِيقٌ باختيارها وانتقائها؛ وبلغته العِنايةُ بأجلِّ مما مَضَى قَدْرًا، وأستقبلته الرعايَةُ من أَفْقِ الإقبالِ بما إذا حَقَّقَ التَّامُّلُ وَجِدَ هِلالَهُ بَدْرًا - مَنْ رُبِّيَ في ظِلِّ خِدْمَتِنَا التي هي مَنَشَأُ الآسادِ، ومَرَبَى فُرْسَانِ الجِهادِ، وغَرِينُ لُيُوثِ الوَعْيِ التي آجَامُها عَوَالِي الصَّعَادِ؛ وَبَرَانِها مَوَاضِي السُّيُوفِ الحِدَادِ، وفَرَائِصُها نُجُومُ أَهْلِ الكُفْرِ وَحُمَاةُ أَرْبابِ العِنادِ؛ فَكَمَ لَهُ في الجِهادِ مِنْ مَوَاقِفٍ أَعَزَّتِ الدِّينَ، وَأَدَلَّتِ الْمُعْتَدِينَ؛ وَزَلَزَتِ أَقْدَامَ الأَبْطالِ، وَزَحْزَحَتْ ذَوِي الإِقْدَامِ عَنِ مَوَاقِفِ المَجَالِ؛ وَحَكَّمَتْ صَفَاتِهِ في القِيعِ، وَأَنْبَتَتْ صِفَاحَهُ في مَتَابِتِ الهِمَمِ؛ وَفَرَّقَتْ ما لِأَهْلِ الكُفْرِ مِنْ صُفُوفٍ، وَأَرَتَهُمْ كَيْفَ تُعَدُّ الأُلُوفُ بِالْأَحَادِ وَآحَادُها بِالْأُلُوفِ .

ولما كان فلان هو الذي أُشِيرَ إلى مناقبه، وَنَبَّهَ على شهرة إقدامه في كل مَوْقِفٍ يَمُنُّ عَوَاقِبُهُ، وَأَوْمِيَّ إلى خِصائصِ أوصافه التي ما زال النُصْرُ يَلْحَظُها في مَشاہِدِ الجِهادِ بَعِيْنٍ مُلَاحِظُهُ ومُراقِبُهُ - أَقْتَضَتْ أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُجَدِّدَ اَعْتِلَاءَ مَجْدِهِ، وَتَزِيدَ في أَفْقِ الارتفاعِ إِضاءَةَ إقباله وإِنارةِ سَعْدِهِ .

فلذلك نخرج الأمر الشريف لا زال :



وهذه نسخة منشور كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين أقوش الأشرفي، المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحب، وهي :

الحمد لله مفرّج القلوب، ومفرّج الكرب، ومبجج النفوس بذهاب غيَابِ
الخطوب، ومبلغ من تقادم عهده في حفظ ولائنا نهاية المرغوب، وغاية المطلوب؛
الذى أعاد إلى المخلصين في طاعتنا النعمة بعد سُرودها، وعوّضهم عن تقطيب الأيام
بابتسامها وعن نُحوْلِها بسُعودها، وألقى على الأول منهم جمالا لا يسع الأذهان أن
نتّصف بإنكار حقوقه ونُجوْدِها .

نحمده على ما وهبنا من الأناة والحلم، وخصّ به دولتنا من المهابة التي تُحشى يوم
الحرب والمواهب التي تُرجى يوم السلم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تكفّلت بالنجاة لقائلها، وأغنّت من حافظ عليها عن ضراعات النفوس
ووسائلها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث برعاية الدّم، والمنعوت بحسن
الرأفة التي هي شعار أهل الوفاء والكرم، [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه ما تلافت
الأقدار نفوسا من العدم، وتوافيت الأمانى والمناسج فأظفرت من أخاص نيتته الجميلة
برد ضالّة النعم، صلاة تُضفي على الأولياء حلل القبول والرضا، وتُصفي من الأكدار
مناهل سُورهم فكان الخطب أبرق وأومض فضى، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنّ أولى من انتظمت بعد الشّبات عقود مساره، وأبتسمت بعد
القطوب ثغور مبارزه، وأشتملت عواطفنا عليه بخلبت أسباب منافعه وسلبت جلاب
مضاره، وأحتفلت عوارفنا بالملاحظة لعهد الوثيق العرا، والمحافظة على سالف
خدمته التي ما كان صدق ولائها حديثا يُفترى؛ وسبق له من الاختصاص
في الإخلاص ما يرفعه من خاطرنّا مكانة عالية الدّرا - من أضحى من السابقين
الأولين في الطاعة، والباذلين في أداء الخدمة والنّصيحة لدولتنا جُهد الاستِطاعة،
والمالكين للماليك بحسن الخلة وجميل الاعتزام، والمحافظين على تشييد قواعد الملك

بآرائه وراياته التي لا تُسامى ولا تُسام ، وأمسى هو الولي الذي لا يُشاركه أحد
 في إخلاص الضمير في موالاتنا وصفاء النية ، ولا يُساهمه وليٌ فيما أشتمل عليه من
 صدق التعبد وجميل الطوية ، والمخلص الذي انفرد بخصائص الحقوق السابقة
 والآتية ، وأمتاز بموجبات خديم لا يُجحدُ محافظتها التالدة والطارفة ، وطلعت شمس
 سعادتة في سماء مملكتنا فلم يُسبها الغروب ، وأضاء بذره في أفق عزه فكان سراره
 مذهباً لأعين الخطوب .

ولما كان فلان

الضرب الثالث — مما يفتتح بالحمد مناشيرُ أمراء الطبليخانة .

وقد تقدم أنها كناشير مقدّمة الألو في الترتيب إلا أنها أخصّر منها .

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور كُتب به لبعض الأمراء ، وهي :

الحمد لله رافع الأقدار، ومُجزل المآثر، وجاعل يمين كرمنا مبسوطةً باليسار .

نحمده على غيث فضله الدار، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 سرت الأسرار، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرار، ونشهد أن محمدا عبده
 ورسوله الذي أنجد له في نصر الحق وأغار، وأرهف من سيف النصر الفرار .
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من كان ثاني اثنين في الغار، ومنهم من
 سبق له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار، ومنهم من كرم الله وجهه فكان له
 من أعظم الأنصار .

وبعد، فإنَّ العطايا أيسرُ ما يكونُ تنوِيلُها، وأسرُّ ما يُلْفَى تحوِيلُها، إذا وَجَدَتْ مَنْ هو لرايتها متلقِّيا، وفي ذُرَا الطاعة مترقِّيا، وَمَنْ إذا صدَحَتْ حمائمُ التأييدِ كانت رِماحُه الأغصانَ، وألويتهُ الأفنانَ، وَمَنْ تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمرا فما يَأْتِي لها الليلُ إلا وهى بالشهادة مُحَضَّرَةٌ من سُندُسِ الحنانِ، وإذا شَهِرَ عَضْبُه، أَرْضَى رَبَّه، وإذا هَزَّ رُجَحَه، حَمَى سَرَحَه؛ وإذا أَطْلَقَ سَهْمَا، قَتَلَ شَهْمَا؛ وإذا جَرَّدَ حُسَامَا، كَانَ حَسَامَا؛ وإذا سافَرَتْ عِزَّائِمُه لَتَطْلُبَ نَصْرَا، حَلَّتْ سُيُوفُه بِخِافَتِ بِالْأَوْجَالِ جَمْعَا وبِالْآجَالِ قَصْرَا .

ولما كان فلانٌ هو الذى جَمَعَ هذه المناقبَ الجمَّةَ، وأَمْتَازَ بالصَّرامةِ وعُلُوِّ الهِمَّةِ، اسْتَحَقَّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْه بِعَيْنِ العِنايةِ، وَأَنْ يُجْعَلَ آتِبادُؤُه فى الإِمْرَةِ دَأْلاً على أَسْعَدِ نِهَايَه .

فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ - لا زال يرفعُ الأقدارَ، ويُجْزِلُ المَبَارَّ، أَنْ يُجْرَى فى إِقْطَاعِ



وهذه نسخة منشور لمن لَقِبَه زَيْنُ الدينَ ، وهى :

الحمدُ لله الذى وهَبَ هذه الدولةَ من أوليائها أَحْسَنَ زَيْنَ، وَمَنَحَهَا مِنْهُمْ مَنْ يَشْكُرُ السِّيفَ وَالْعِنانَ مِنْهُ اليَدَيْنِ ، وَمَنْ يَمْلَأُ وَلَاؤُه القَلْبَ وَثَنًاؤُه السَّمْعَ وَبَهَآؤُه الغَيْنَ .

نَحْمَدُه على نِعَمِه التى نَفَتْ عن نُورِ المُلْكِ كُلِّ شَيْءٍ من شَيْنٍ، وَأَبْقَتْ له مِنْ كِبَائِه وَحِمَائِه مَنْ لَافِي إِخْلَاصِه رَيْبٌ وَلَا فى مَحَافِظَتِه مَيِّنٌ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً مَتَبَرِّئِي مِنَ اتِّخَاذِ الْهَسِينِ اثْنَيْنِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه شَهادَةً مَتَمَسِّكٍ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ بَعْرَتَيْنِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً

ما جَمَعَ المسافرُ من الصلوات بين الأختين ، وما جلس خطيبٌ بين خطبتين ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن خير من رَقَى خطيبُهُ إلى أرفع رُتبه ، وأنجح في تحويل النعم على كل طَلِبة ورَغبه ، لا بل أهدت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له في معروفٍ أصبح ببذله معروفًا ، وأعين على جودِ أمسى به موصوفًا ، وذُلت له فُطوف إحسانٍ كم ذلَّ الأولياء [من أجله] في مراضى الدولة ومحابها فُطوفًا فُطُوفًا - مَنْ خَلَفَ الْمَلِكَ أَحْسَنَ الْخَلَفَ ، وَمَنْ لَهُ بِفَعْلِ الْخَيْرِ أَعْظَمُ كَلَفَ ؛ وَمَنْ يَشْهَدُ لَهُ بِالشَّجَاعَةِ الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِدَاءُ ، وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْأَعْدَاءُ ، فَلَا غَرْوَ إِلَّا لَهُ فِيهَا تَأْثِيرٌ وَآثَرٌ ، وَلَا نَدْوَةٌ إِلَّا وَبِهَا مِنْ وَصْفِهِ بِالذِّكْرِ الْجَمِيلِ سَمَرٌ ، تَشْتَوِفُ إِلَى مِلَاحِظَةِ غُرَّتِهِ كُلِّ عَيْنٍ وَيَتَبَيَّنُ لِحَاظَتِهِ فِي الْوُجُودِ كُلِّ أَثَرٍ ، مَا أَنْارَ وَجْهَهُ فِي نَهَارٍ سَلَّمَ إِلَّا وَقِيلَ الشَّمْسُ وَلَا بَدَأَ فِي لَيْلٍ خَطِبَ إِلَّا وَقِيلَ الْقَمَرُ .

ولما كان فلان هو بدر هذه الهاله ، وجل هذه الحلاله ، ونور هذه المقله ، ولايس هذه الحله - اقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُكثَّرَ لديه النعم وأن يجرى بِنَمِيَةِ الْإِحْسَانِ هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا بَرَحَ يَجُودُ ، وبِالْخِيَرَاتِ يَعُودُ - أَنْ يُجْرَى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشور من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى أيد دولتنا القاهرة بكل راية تُعَقَّدُ ، وأمين يؤمّر وجنود يُجَنَّدُ ، وكلّ بطل إذا جردَ عزَمَه سُلِّمَ إليه المهند ، وأشتبه الرُحُّ بمعاطفه فلم يدر أيهما تأود .

نُحْمَدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُحْمَدَ ، وَنَمْدَحُهُ بِمَا لَا يُمَائِلُهُ الدُّرُّ الْمُنْصَدُّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَفْضَلَ مَا بِهِ نَشْهَدُ ؛ وَنُصَلِّيْ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ يَتَجَدَّدُ ، صَلَاةً فِيهَا الْأَقْلَامُ لَا تَتَرَدَّدُ فِيمَا تَتَرَدَّدُ ، وَرَضَى اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَّمْ وَكَرَّمَ وَجْهَهُ ، مَا غَرَبَ فَرَقْدٌ وَطَلَعَتْ شَمْسٌ ثُمَّ مَا غَرَبَتْ شَمْسٌ وَطَلَعَ فَرَقْدٌ .

وبعدُ ، فَإِنَّ لَارَأَيْنَا الْعَالِيَةَ الْمَزِيدَ فِي كُلِّ مَا تَهْتَضِيهِ ، وَفِي كُلِّ مَنْ تَرْتَضِيهِ ، مِنْ جَمِيعِ أَوْلِيَائِهَا ، لِجَمِيلِ آلَائِهَا ، مِمَّنْ فَاقَ أَبْنَاءَ جَنْسِهِ ، وَكَانَ فِي أَمْثَالِهِ وَحِيدًا لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَهُوَ كَثِيرٌ بِنَفْسِهِ ، وَتَسَابَقَتْ الْخَيْلُ إِلَى أَرْتِقَائِهِ عَلَى صَهَوَاتِهَا ، وَالتَّطَمَّتْ بِحَارِ الْوُغَى لَمَّا أُلْقِيَ لَهُ كُلُّ سَابِجٍ فِي غَمْرَاتِهَا ، وَأَفْتَحَتِ الْقَيْسَى بِمَدِّهِ الَّذِي لَا تَخْرُجُ بِهِ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا ، وَالسِّيُوفُ لِأَنَّهُ إِذَا أَشْرَكَتْ مَعَهُ فِي لَقَبٍ كَانَ أَسْمَى مَسْمِيَّاتِهَا ، وَالرَّمَاحُ لِأَنَّهُ كَمَّ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ مِثَّةٍ لَمَّا أَطْلَقَهَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ أَعْتِقَالِ رَايَاتِهَا ؛ وَتَجَدَّدَتِ الْأُسْنَةُ فِيمَا يَتَلَوُّهُ مِنْ سُورَاتِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ آيَاتِهَا ، وَهُوَ الَّذِي أُنْتَظِمَتْ بِهِ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي قَصْدُهَا الَّذِي بِهِ يَرَى غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ إِهَالَاتِهَا ^(١) ، مَعَ مَالِهِ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ سَوَائِقٍ لَا تُجَارَى فِي سَبِيلِ ، وَلَا يَلْحَقُ لَهَا شَأْوٌ أَشْهَبُ الصَّبْحِ وَلَا أَدْهَمُ اللَّيْلِ وَلَا أَشَقَرُ الْبَرْقِ وَلَا أَصْفَرُ الْأَصِيلِ . فَاقْتَضَتْ صِدْقَاتُنَا الشَّرِيفَةُ لَهُ الْإِحْسَانَ ، وَتَقَاضَتْ عَوَارِفُنَا الْحِسَانَ ، فَرَفَعَتْ لَهُ رَتَبَةً لَا يَبْلُغُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِاللِّسَانِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَ وَصَفَا ، وَشَكَرَتْ مَسَاعِيهِ سَبَّاحِيَاهُ وَهُوَ أَوْفَرُ وَأَوْفَى .

فلذلك نخرج الأمر الشريف

(١) يريد من هولها ولكن السجع أضطرها إلى أن يجارى العوام في لغتهم .



وهذه نسخة منشور، وهى :

الحمد لله على نعمه التى أسنت المواهب ، وأغنت الأولياء بالائها عن دؤم الدِّيم
وسخّ السحاب .

نحمده على غرائب الرغائب ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تتكفل لقائلها ببلوغ المآرب ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أفتخرت
باسمه المناقب ، وانتصرت بعزمه المقائب ، وقهر ببأسه كل جان وعمر بناسه كل
جانب ، وكشف الله ببركته اللأواء ، وغلب بفتكاته الأعداء ، وكيف لا وهو سيد
لؤى بن غالب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أذلّ بجهادهم المحارب ، وسلم
تسلما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أعدبنا نملّه ، وأنجحنا أملّه ، وأجرنا [له] من هبات
جودنا [وأغدقنا عليه من منن عطائنا ورفدنا - من نازل الأعداء يوم الوغى فراح]^(١)
إلى أعلامهم فنكسها وإلى أعناقهم فوقصها ، وحكم سيفه فى أشلائهم وأرواحهم :
فهذه آفتناها وهذه آقتنصها ، ما فوق يوم الرّوع سهمه إلا أصاب المقاتل ، ولا شهر
سيفه إلا قهر ببأسه كل باسل ، ولا سارت عقبان راياته إلى معترك الحرب ضحى إلا
ظلل بعقبان طير فى الدماء نواهل .

ولما كان فلان هو الذى يُشير إليه بنات هذا المدح ، ويسير إليه إحسان
هذا المنح .

(١) زدنا هذه الكلمات لاحتياج المقام إليها .

(٢) فى الأصل "فنكسها" وهو لا يفيد ما يريد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت ظلال كرمه وإرفه، وسحاب نعمة
واكفه - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه، وهى :

الحمد لله الذى جعل سماء كرمنا، على الأولياء هامية السحاب، وعوارف نعمنا،
جميلة العقبى للأعقاب، وعواطف أيماننا الشريفة تجزل العطاء وتجبر المصاب .

نحمد على نعمة التى ما سخنت العيون إلا أفرتها، ولا آكتابت النفوس بملمة إلا
سرتها؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربح الأئس بها
معمورا، وصدع النفس بها مجبورا؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أصبح
شعث الإيمان به مأموما، وحرب الطغيان به مهزوما، وداء البهتان بجسامه محسوما .
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان [هو] بذر السيادة وكانوا نجوما ، صلاة
لا يبرح ذكرها فى صحائف القبول مرقوما، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من درت أخلاف جودنا خلّقه، ورعى كرمنا خدام سلقه ،
ونقلنا هلاله من تقرينا إلى منازل شرفه، وأجراه إحساننا على جميل عوائده، وسوغه
نوالنا أعذب موارد، وجمع له إنعامنا بين طارفيه وتاليد، من آستمسك من سبب
إخلاصنا بأكده، وحدّا فى ولائنا أحسن حدو ولاغرو أن يحدو الفتى حدو والده،
وأشتهر بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوف ، وعُرف بالإقدام الذى طالما
فرّق الجموع وأخترق الصفوف، مادّا من الأعداء إلا دنت منهم الختوف، ولا أظلم
ليل النقع إلا جلت أنجم الصّعاد وأهله السيوف .

ولما كان فلان هو الممدوح بجليل هذه الشيم ، والمنوح جزيل هذه النعم ، والشبيهة في مولاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا برحت سحب كرمه هائلة الأنواء ، شاملة الآباء والأبناء - أن يُجرى في إقطاعه

النوع الثاني

(من المناشير ما يفتتح بـ «أما بعد» ويختص بأمراء العشرات ومن في معناهم :
كأمراء العشرينات ونحوهم ممن لم يبلغ شأواً الطبائعات)

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(في مناشير العشرات كائنًا ذلك الأمير من كان)

وهذه نسخُ مناشير من ذلك :

نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي يبديها ويعيدها ، ويُقيها ويُفيدها ، ويُديمها على من شكر ويزيدها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكة السماء وجنودها ، وأخذت على الإقرار بنبوته مواثيق الأملاك وعهودها ، وعلى آله وصحبه الذين هم أمانة هذه الأمة وشهودها - فإنَّ أحقَّ من تقلَّب في إناعمنا ، وتقدَّم في أيَّامنا ، وتوالَّت إليه الآؤنا تترى ، وتكرَّرت عليه نعاؤنا مرَّة بعد أخرى ، من ظهرت آثار خدمته ، وصحَّت أخبار تجدته ، وشكرت مساعيه الجليله ، وحديث

دَوَائِهِ الْجَمِيلَةِ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى ، مَا يُبَيِّنُهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَى وَمِنْ الْمَطَالِبِ الْأَسْنَى .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِّنْ زَانَتِهِ طَاعَتُهُ ، وَقَدَّمَهُ إِقْدَامُهُ وَشَجَاعَتُهُ ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَوَاقِفُ الْحُرُوبِ ، أَنَّهُ مُجَلِّي الْكُرُوبِ ، وَأَقْرَبُ لِهَ يَوْمِ الْوَعْدِ ، بِإِبَادَةِ مَنْ بَغَى ، وَكَانَ لَهُ مَعَ الشَّهَامَةِ الرَّأْيِ الثَّاقِبِ ، وَالسَّهْمِ الصَّائِبِ ، يُصِيبُ وَلَا يُصَابُ ، جَذَعُ الْقَرِيحَةِ ، رَابِطُ الْجَأَشِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَذْهَانِ الصَّحِيحَةِ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَتُهُ ، وَتُعْلَى رُتَبَتُهُ ، وَيُنْتَظَمَ فِي عَقُودِ الْأَمْرَاءِ ، وَيُسَلِّكَ بِهِ جَادَّةُ الْكِبَرَاءِ ، لَتَرْقِيَهُ فِي دَرَجِ السَّعَادَةِ ، وَتَبْلُغَ بِهِ رُتَبَةَ السِّيَادَةِ .

فَلِذَلِكَ نَحْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا بَرَحَتْ هَامِيَّةٌ غَوَادِي آلَائِهِ ، سَابِغَةٌ مَلَائِسُ نَعْمَائِهِ - أَنْ يُجْزَى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشورة من ذلك ، وهى :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي فَسَّحَتْ فِي كَرَمِهَا مَجَالَ الْمَطَالِبِ ، وَفَتَحَتْ لَخْدَمِهَا أَبْوَابَ مُنْجَحِ الْمَأْرَبِ ، وَحَقَّقَتْ فِي عَوَارِفِهَا آمَالَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهَا مِنَ الْخِدْمَةِ وَالطَّاعَةِ بِأَنْجَحِ مَا تَقَرَّبَ الرَّاعِبُ إِلَى الرَّغَائِبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ [الْأَرْضَ] لِيَرَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْكَوَاكِبُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْتَسْهَلُوا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمَصَاعِبِ ، وَرَمَى اللَّهُ مَنَ الْخُدَّ فِي دِينِهِ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ بِعَذَابٍ وَاصِبٍ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَلَقَّيْتَهُ وَجُوهَ النَّعْمِ السَّوَاغِرِ ، وَاسْتَقْبَلْتَهُ نِعَمَ الْعَوَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ نَوَافِرِ ، وَأَنْتَهُ السُّعُودُ الْمُقْبِلَةِ ، وَوَانْتَهُ الْآلَاءُ الْمُتَقِيْمَةُ وَالْمُسْتَقْبَلَةُ ، مَنْ صَحَّتْ شَجَاعَتُهُ فِي مَوَاقِفِ الْجِهَادِ الْمُدْهَمَّةِ ، وَتَمَحَّتْ شَهَامَتُهُ فِي الْوَعْدِ بِجَالِ السُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ

عن أحمد . وذهب أبو حنيفة إلى أنه الحلف على الماضي من غير قصد الكذب في يمينه ، مثل أن يظن شيئا فيحلف عليه ؛ وهو الرواية الثانية عن أحمد ، وحكى عن مالك أن هذه هي اليمين الغموس .

الطرف الثاني

(في التحذير من الوقوع في اليمين الغموس)

أما اليمين الغموس فإنها من أعظم الكبائر ، وناهيك أنها تغمس صاحبها في الإثم . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » . وقد قيل إن التوحيد (وهو : الذي لا إله إلا هو) إنما أوصّل في اليمين رفقا بالحالف كي لا يهلك لوقته ، فقد روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « إذا حلف الحالف بالله الذي لا إله إلا هو ، لم يعاجل لأنه قد وحد الله تعالى » .

ويروى أن جعفر بن محمد عليه السلام : أدعى عليه مدّج عند قاض ، فأحلفه جعفر بالله ، لم يزد على ذلك ، فهلك ذلك الحالف لوقته ، فقال القاضى ومن حضر : ما هذا ؟ فقال : إن يمينه بما فيه ثناء على الله ومدح يؤخر العقوبة كراماً منه عز وجل وتفضلاً . وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه برىء من حول الله وقوته ، فإنه إذا حلف بها كاذباً عوجل » .

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن عبد الله بن مضعب الزبيرى سعى ينجي بن عبد الله بن الحسن إلى الرشيد، بعد قيام يحيى بطلب الخلافة، بجمع بينهما وتوافقاً، ونسب يحيى إلى الزبيرى شعراً يقول منه :

قَوْمُوا بْبَيْعَتِكُمْ نَهَضْ بِطَاعَتِهَا * إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ يَا بَنِي حَسَنَ

فأنكر الزبيرى الشعر، فأحلفه يحيى، فقال : قل قد برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولى وقوتى، وتقلدت الحول والقوة من دون الله استجاراً على الله، واستغناءً عنه، واستعلاءً عليه، فامتنع . فغضب الرشيد وقال : إن كان صادقاً فليحلف، وكان للفضل بن الربيع فيه هوى، فرفسه برجله، وقال : ويحك احلف ! فحلف ووجهه متغير وهو يرعد، فابرح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات بعد ثلاثة أيام، ولما حُل إلى قبره ليوضع فيه انحسف به حتى غاب عن أعين الناس، وخرجت منه غبرة عظيمة، وجعلوا كلما هالوا عليه التراب انحسف، فسحقوه وأنصرفوا .

الباب الثانى

من المقالة الثامنة

(فى نُسْخِ الأَيْمَانِ المُلُوكِيَّةِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

فى نُسْخِ الأَيْمَانِ المتعلِّقة بالخُلَفَاءِ ، وهى على نوعين

النوع الأول

(فى الأَيْمَانِ التى يُخَلِّفُ بها على بيعة الخليفة عند مبايعته ،

وهى الأصل فى الأَيْمَانِ المُلُوكِيَّةِ بِأَسْرِهَا)

وَأَوَّلُ من رَتَّبَهَا الحِجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ حينَ أَخَذَهُ البيعةَ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ على أَهْلِ العِراقِ ، ثم زِيدَ فيها بعد ذلك ، وَتَنَقَّحَتْ فى الدَّولةِ العَبَّاسِيَّةِ وَتَنَضَّدَتْ . وكانَ عَادَتُهُمْ فيها أنَ يَجْرَى القَوْلُ فيها بِكَافِ الخُطابِ ، كما فى مَكاتِبَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، وَرَبَّما أَتَى فيها بَلَفْظُ المتكَلِّمِ .

وهذه نُسخةُ يَمِينٍ أوردَها أَبُو الحُسَيْنِ الصَّابِغِيُّ فى كُتَّابِهِ ”غُرَرُ البَلَاغَةِ“ وهى :

تُبَايِعُ عبدَ اللَّهِ أميرَ المؤمنينَ فلانًا : بِنِعْمَةِ طَوْعٍ وَاخْتِيَارٍ ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيثَارٍ ، وإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ ، وإِظْهَارٍ وَإِضْمَارٍ ، وَصِحَّةٍ مِنْ غَيْرِ نَغَلٍ ، وَسَلَامَةٍ مِنْ غَيْرِ دَغَلٍ ، وَثَبَاتٍ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ ، وَوَفَاءٍ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ ؛ وَاعْتِرَافٍ بِمَا فيها مِنْ أَجْتِمَاعِ الشَّمْلِ ، وَاتِّصَالِ الحَبْلِ ، وَانْتِظَامِ الأُمُورِ ، وَصِلَاحِ الجُمُهورِ ، وَحَقِّقِ الدِّمَاءَ ، وَسُكُونِ الدِّهْمَاءِ ، وَسَعَادَةِ الخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَحُسْنِ العائِدَةِ عَلَى أَهْلِ المِلَّةِ وَالِدِّمَّةِ - عَلَى أنَ عبدَ اللَّهِ فلانًا

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ ، وَأَمِينَهُ الَّذِي أَرْتَضَاهُ ، وَخَلِيفَتَهُ الَّذِي جَعَلَ طَاعَتَهُ جَارِيَةً بِالْحَقِّ ، وَمُوجِبَةً عَلَى الْخَلْقِ ، وَمُورِدَةً لَهُمْ مَوْرِدَ الْأَمْنِ ، وَعَاقِدَةً لَهُمْ مَعَاقِدَ الْإِيمَنِ ، وَوَلَايَتَهُ مُؤَدِّنَةً بِجَمِيلِ الصَّنْعِ ، وَمُؤَدِّيَةً لَهُمْ إِلَى جَزِيلِ النَّفْعِ ، وَإِمَامَتَهُ الَّتِي اقْتَرَنَ بِهَا الْخَيْرُ وَالْبَرَكَةُ ، وَالْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ الْمَشْتَرَكَةُ ، وَأَمَلٌ فِيهَا قَمْعُ الْمُلْحِدِ الْجَاهِدِ ، وَرَدُّ الْجَائِرِ الْحَائِدِ ، وَوَقْمُ الْعَاصِي الْخَالِعِ ، وَعَطْفُ الْغَاوِي الْمُنَازِعِ . وَعَلَى أَنْكَ وَلِيِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَعَدُوِّ أَعْدَائِهِ : مِنْ كُلِّ دَاخِلٍ فِي الْجُمْلَةِ ، وَخَارِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ ، وَعَائِدٍ بِالْحَوْزَةِ ، وَحَائِدٍ عَنِ الدَّعْوَةِ ، وَمَتَسِّكٍ بِمَا بَذَلْتَهُ عَنْ إِخْلَاصٍ مِنْ رَأْيِكَ ، وَحَقِيقَةٍ مِنْ وَقَائِكَ ، لَا تَنْقُضُ وَلَا تَنْكُثُ ، وَلَا تُخْلِفُ وَلَا تُؤَارِي وَلَا تُجَادِعُ ، وَلَا تُدَاجِي وَلَا تُحَاتِلُ ، عَلَانِيَتُكَ مِثْلُ نِيَّتِكَ ، وَقَوْلُكَ مِثْلُ طَوِيلِكَ . وَعَلَى أَنْ لَا تَرْجِعَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَقُوقِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَشَرَائِطِهَا عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ وَتَطَاوُلِهَا ، وَتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَتَقْيُّلِهَا ، وَآخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ وَتَقْلُّبِهَا . وَعَلَى أَنْكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَدُعَاتِهَا ، وَأَعْوَانِ الْمُلَاكَةِ الْعَبَاسِيَّةِ وَرُعَاتِهَا ، لَا يَتَدَاخَلُ قَوْلُكَ مَوَارِبَةً وَلَا مُدَاهِنَةً ، وَلَا يَعْتَرِضُهُ مَغَالِطَةٌ وَلَا يَتَعَقَّبُهُ مَخَالِفَةٌ ، وَلَا تُجْبَسُ بِهِ أَمَانُهُ ، وَلَا تَقْلُهُ خِيَانَتُهُ ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُقِيمًا عَلَى أَمْرِكَ ، وَوَفِيًّا بِعَهْدِكَ ، إِذْ كَانَ مُبَايَعُ وُلَاةِ الْأُمَرِ وَخُلَفَاءِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يَدِهِ فَسِيوَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الَّتِي أُعْطِيتَ بِهَا صَفَقَةً يَدِكَ ، وَأُصْفِيَتْ فِيهَا سِرِيرَةُ قَلْبِكَ ، وَالتَّزَمْتَ الْقِيَامَ بِهَا مَا طَالَ عُمرُكَ ، وَأَمْتَدَّ أَجْلُكَ - عَهْدُ اللَّهِ إِنْ عَاهَدَ اللَّهُ كَانَ مَسْئُولًا ، وَمَا اخَذَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ : مِنْ أَيْمَانٍ مَغْلَظَةٍ وَعَهْودٍ مُؤَكَّدَةٍ ، وَمَوَاقِفٍ مُشَدَّدَةٍ ، عَلَى أَنْكَ تَسْمَعُ وَتُصَفِّى ، وَتُطِيعُ وَلَا تَعْصِي ، وَتَعْتَدِلُ

ولا تَمِيدُ ، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَمِيلُ ؛ وَتَنِي وَلَا تَغْدُرُ ، وَتَثْبُتُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ؛ فَتَى زُلْتُ عَنْ
هَذِهِ الْحُجَّةِ خَافِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِدِيَانَتِكَ ؛ فَجَحَدْتَ اللَّهُ تَعَالَى رُبُوبِيَّتَهُ ، وَأَنْكَرْتَ
وَحْدَانِيَّتَهُ ، وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَجَدَدْتَهَا ، وَرَمَيْتَ طَاعَتَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ، وَلَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرِضُ عَلَيْهِ ، مَخَالِفًا لِأَمْرِهِ ،
وَنَاقِضًا لِعَهْدِهِ ، وَمَقِيمًا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ، وَمُضِرًّا عَلَى الْإِشْرَافِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ لَكَ
مَحْرَمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رَجُوعِكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَرْتَجِعُكَ مَا أَعْطَيْتَهُ فِي قَوْلِكَ :
مِنْ مَالٍ مَوْجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ، وَسَائِمٍ
وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَيْعَةٍ ، وَعَقَارٍ وَعُقْدَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةً عَلَى الْمَسَاكِينِ ،
مَحْرَمَةً عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ أَذَلِكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى تَتَرَوَّجُهَا مِنْ
بَعْدِهَا طَالِقٌ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَاقُ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ ، لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا مَشْنُوبَةَ ؛ وَعَلَيْكَ
الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ دَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًا ، وَرَاجِلًا مَاشِيًا ،
نَذْرًا لِأَزْمَا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ؛ لَا يُبْرَأُكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛ وَلَا قَبِيلَ
مِنْكَ تَوْبَةٍ وَلَا رَجْعَةٍ ، وَلَا أَقَالَكَ عَثْرَةٌ وَلَا صَرَعَةٌ ؛ وَخَذَلَكُ يَوْمَ الْأَسْتِنْصَارِ بِجَوْلِهِ ،
وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ الْإِعْتِصَامِ بِجَبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قَلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا
صَرِيحًا ؛ وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ بِهَا عَزْمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ
فِيهَا نِيَّةُ فُلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوِیَّةُ دُونَ طَوِیَّتِكَ ؛ وَأَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى
نَفْسِكَ بِذَلِكَ ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخة يمين بيعة أوردتها ابن حمدون في "تذكرته" وأبو الحسن بن سعد
في "ترسله"؛ تواردت مع البيعة السابقة وأيمانها في بعض الألفاظ ، وخالفت
في أكثرها ، وهي :

تُبايع الإمام أمير المؤمنين بِيَعَةِ طَوْعٍ وَإِثَارٍ، وَرِضًا وَاخْتِيَارًا، وَاعْتِقَادٍ وَإِضْمَارًا،
وإِعْلَانٍ وَإِسْرَارًا، وَإِخْلَاصٍ مِنْ طَوِيَّتِكَ، وَصِدْقٍ مِنْ نَيْتِكَ، وَأَنْشِرَاحِ صَدْرِكَ
وَصِحَّةِ عَزْمِيَّتِكَ، طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، وَمُسْتَقَادًا غَيْرَ مُجْبَرٍ، مُقْتَرًا بِفَضْلِهَا، مُدْعِنًا بِحَقِّهَا،
مُعْتَرِفًا بِبِرْكَتِهَا، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا، وَعَالِمًا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَلَاحِ
الْكَلَفَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَلَمْ الشَّعْثَ، وَأَمِنْ الْعَوَاقِبِ، وَسَكُونِ
الدَّهْمَاءِ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَفَّعِ الْأَعْدَاءِ - عَلَى أَنْ فَلَانًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، وَالْمُقْتَرَضُ
عَلَيْكَ طَاعَتُهُ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ، الْأَلَزِمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْوَفَاءُ
بِعَهْدِهِ، لَا تُشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ بِهِ، وَأَنْكَ وَلِيٌّ وَلِيَّهُ،
وَعَدُوٌّ عَدُوَّهُ : مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، مُتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ
بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ، سِرِّيَّتِكَ مِثْلَ عَلَانِيَّتِكَ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ مِثْلَ بَاطِنِكَ،
وَبَاطِنُكَ فِيهِ وَفَقَ ظَاهِرُكَ . عَلَى أَنْ إِعْطَاكَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَوَكَّدَكَ
إِيَّاهَا فِي عُنُقِكَ، لِفَلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَسْتِقَامَةٍ مِنْ عَزْمِكَ،
وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ . عَلَى أَنْ لَا تَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا، وَلَا تَسْعَى فِي تَقْضِ شَيْءٍ
مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ
وَحَادِثَةٍ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُوفِيًا بِهَا، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايَعُونَ
وَلَاةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿إِنَّمَا يَبَايَعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ
فَأِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي طَوَّقَهَا عُنُقُكَ، وَبَسَطَتْ لَهَا يَدُكَ، وَأَعْطَيْتَ بِهَا صَفَقَتَكَ،
وَمَا شَرِطَ فِيهَا مِنْ وَفَاءٍ وَمُؤَالَاةٍ، وَنُصْحٍ وَمُشَايَعَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمُؤَافَقَةٍ، وَاجْتِهَادٍ
وَمُبَالَغَةٍ - عَهْدُ اللَّهِ إِنْ عَهَدَ اللَّهُ كَانَ مَسْئُولًا، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ

السلام؛ وأخذَ على عباده من وكيدات مَوَائِقِهِ ، ومُحْكَمَاتِ عَهْدِهِ ؛ وعلى أن
نَتَمَسَّكَ بها ولا تُبَدِّلَ ، وتُسْتَقِيمَ ولا تَمِيلَ .

وإن نَكَثْتَ هذه البيعة ، أو بَدَّلْتَ شَرْطًا من شروطها ، أو عَفَيْتَ رَسْمًا من
رسومها ، أو غَيَّرْتَ حُكْمًا من أحكامها ، مُعْلِنًا أو مُسِرًّا ، أَوْ مُحْتَثًا أو مُتَوَلًّا ، أَوْ زَعَمْتَ
عن السبيل التي يَسْلُكُهَا من لا يَخْفَرُ الأمانه ، ولا يَسْتَحِلُّ الغَدْرَ والحِيَانَه ؛ ولا يَسْتَجِيزُ
حَلَّ العقود - فكلُّ ما تَمْلِكُهُ من عَيْنٍ أو وَرَقٍ أو آتِيَةٍ أو عَقَارٍ أو زَرْعٍ أو ضَرْعٍ
أو غير ذلك من صُنُوفِ الأَمْلاكِ الْمُعْتَقَدَةِ ، والأُمُورِ الْمُتَدَخِرَةِ ، صدقةٌ على المساكين ،
مَحْرَمَةٌ عَلَيْكَ أن ترجع من ذلك ، إلى شَيْءٍ من مالِكَ ، بِحِيلَةٍ من الحِيلِ ، على وجه
من الوجوه وَسَبَبٍ من الأسباب ، أو مَخْرَجٍ من مَخَارِجِ الأَيْمَانِ ؛ وكلُّ ما تُفِيدُهُ
في بَقِيَّةِ عَمْرِكَ : من مالٍ يَهْلُ خَطَرُهُ أو يَحِلُّ ، فَتِلْكَ سَبِيلُهُ إلى أن تَتَوَقَّأَكَ مَنِّيَّتُكَ ،
وَيَأْتِيَكَ أَجَلُكَ . وكلُّ مَمْلُوكٍ لَكَ اليومَ أو تَمْلِكُهُ إلى آخِرِ أَيَّامِكَ أحرارٌ سَائِبُونَ
لوجه الله تعالى ، ونَسْأُوكَ يومَ يَلْزِمُكَ الحِثُّ ، وَمَنْ تَتَرَوَّجُ بعدهنَّ مدَّةَ بَقَائِكَ
طَوَالِقٍ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقِ الحَرَجِ والسُّنَّةِ ، لا مَثْنَوِيَّةٍ فيها ولا رَجْعَةٍ ، وعَلَيْكَ المَشْيُ
إلى بَيْتِ الله الحَرَامِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَاقِبًا حَاسِرًا رَاجِلًا ، لا يَرْضَى اللهُ مِنْكَ إِلَّا
بِالْوَفَاءِ بها ، ولا يَقْبَلُ اللهُ مِنْكَ صَرْفًا ولا عَدْلًا ، وَخَذَلْكَ يومَ تَحْتَاجُ إليه ، وَبَرَّأكَ
اللهُ من حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَأَجْأَكَ إلى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، والله تعالى بِذلك شَهِيدٌ
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

(١) أى التى اعتقدها صاحبها ملكا ، انظر القاموس .

الضرب الثاني

(الأيمن التي يُحلفُ بها بالخلفاء)

وقلّ من تعرّض لها لِقَلَّةٍ وقوعها ، إذ الخليفة قلماً يُحلفُ : لعلو رتبته ، وارتفاع محله . ومدار تحليف الخلفاء بعد القسم بالله على التعليق بوقوع المحذور عليهم ، ولزومه لهم ، مثل البراءة من الخلافة والانحلاع منها ، وما يجري مجرى ذلك . ولم أقف على ذلك إلا في ترسل الصّابي ، وذلك حين كان الأمر معدّوقاً بالخلفاء .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثامنة

(في نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك ، وفيه خمسة مهاييع)

المهييع الأول

(في بيان الأيمان التي يُحلفُ بها المسلمون ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(من الأيمان التي يُحلفُ بها المسلمون أيمان أهل السنة)

وهي إيمان العامة التي يُحلفُ بها أهل الدولة : من الأمراء والوزراء والنواب ، ومن يجري مجراهم .

وهذه نسخة يمين أوردتها في "التعريف" وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم الذي لا إله إلا هو ، الباري الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر

والعلانية، وما تُخْفِي الصدور؛ القائم على كل نفس بما كَسَبَتْ، والمجازي لها بما عَمِلَتْ . وحق جلال الله، وقُدْرَة الله، وعَظْمَة الله، وكِبْرِيَاء الله، وسائر أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا إننى من وقْتِي هذا، وما مَدَّ الله في عُمرى، قد أَخْلَصْتُ نَبْئِي، ولا أزال مُجْتَهِداً في إِخْلَاصِها، وَأَصْفَيْتُ طَوْبِي، ولا أزال مُجْتَهِداً في إِصْفَائِها، في طاعة مولانا السلطان فلان الفلانى - خَلَّدَ الله مُلْكَه - وَخِدْمَتِه وَحَبَبَتِه، وَأَمْتِثَالِ مَراسِمِه، وَالْعَمَلِ بأوامره . وإننى والله العظيم [حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَه، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَه، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ . وإننى والله العظيم] لا أُضِيرُ لمولانا السلطان فلانٍ سُوءاً ولا غَدْرًا، ولا خَدِيعَةً ولا مَكْرًا، ولا خِيَانَةً في نَفْسٍ ولا مالٍ، ولا سُلْطَنَةٍ، ولا قِلَاعٍ ولا حُصُونٍ، [ولا بِلَادٍ ولا غَيْرَ ذَلِكَ] ولا أَسْعَى في تَفْرِيقِ كَلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْ أَمْرَائِهِ، ولا مَمَالِكِهِ، ولا عَسَاكِرِهِ، ولا أَجْنَادِهِ، ولا عُرَبَانِهِ ولا تُرْكُمَانِهِ ولا أَكَرَادِهِ، ولا أَسْتِمَالَةَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ لِغَيْرِهِ، ولا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ ولا فِعْلٍ ولا نِيَّةٍ ولا بِمَكَاتِبَةٍ [ولا مَراسِلَةٍ]، ولا إِشَارَةً ولا رَمْزٍ، ولا كِنَايَةٍ ولا تَصْرِيحٍ . وإن جَاءَنِي كِتَابٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مولانا السلطان أو أَهْلِ دَوْلَتِهِ لا أَعْمَلُ بِهِ، ولا أَصْغِي إِلَيْهِ، وَأَحْمِلُ الْكِتَابَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ هُوَ وَمَنْ أَحْضَرَهُ إِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِهِ .

وإننى والله العظيم أفى لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أَتَقْضُها ولا شَيْئًا مِنْهَا، ولا أَسْتَتْنِي فِيهَا ولا فى شَيْءٍ مِنْهَا، ولا أَخَالِفُ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا، ومتى خالفتها أو شَيْئًا مِنْهَا، أو تَقَضَّضْتُها أو شَيْئًا مِنْهَا، أو أَسْتَتْنَيْتُ فِيهَا أو فى شَيْءٍ مِنْهَا طَلَبًا لَتَقْضِهَا، فَكُلُّ مَا أَمْلِكُهُ : مِنْ صَامِتٍ وَنَاطِقٍ صَدَقَةٌ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ،

وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي عَقْدِ نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُّجُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ [ثَلَاثًا بَتَاتًا عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ] ^(١) ، وَكُلُّ عَبِيدِي وَإِمَائِي أَحْرَارٌ لَوَجْهَ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ثَلَاثِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَاتٍ مُتَابِعَاتٍ كَوَامِلٍ ، حَافِيًا مَاشِيًا ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ إِلَّا الْمُنْهَى عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَفُكَّ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ ، وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتُ هَذِهِ الْيَمِينَ أَوْ شَرَطًا مِنْ شُرُوطِهَا .

وهذه اليمينُ يميني وأنا فلان ، والنِّيةُ فيها بِأَسْرِهَا نِيَّةُ مُوَلَانَا السُّلْطَانِ فُلَانٍ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحْلِيٍّ لَهُ بِهَا ، لَا نِيَّةَ لِي فِي بَاطِنِي وَظَاهِرِي [سِوَاهَا] ، أَشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ بِذَلِكَ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

قلتُ : عجيبٌ من المقرِّ الشَّهَابِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَتَىٰ بِهِ فِي نُسخَةِ هَذِهِ الْيَمِينَ ، فَإِنَّهُ أَتَىٰ بِهَا بِلَفْظِ التَّكْلِيمِ إِلَى قَوْلِهِ : « وَكُلُّ زَوْجَةٍ » فَعَدَلَ عَنِ التَّكْلِيمِ إِلَى الْغَيْبَةِ ، وَقَالَ فِي نِكَاحِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ « مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنْ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ خَالَفتُ هَذِهِ الْيَمِينَ » وَأَتَىٰ بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . فَإِنْ كَانَ قَرَأَ فِي قَوْلِهِ : وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي نِكَاحِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ فِي نِكَاحِي فَتَنَطَّلَقَ زَوْجَتُهُ هُوَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ : لِأَنَّ الْحَاكِمِيَّ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَغَيْرِهِ .

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ : وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتُ ، بِجَمْعٍ بَيْنَ الْغَيْبَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ! ! . عَلَىٰ أَنْ مَا ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْغَيْبَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سَطَّرَهُ فِي النُّسخَةِ . أَمَا إِذَا كُتِبَتْ الْيَمِينُ

التي يُحَلِّفُ بها ، فإنها لا تكونُ في الجميع إلا بلفظ التكلم ، فما المعنى في أنه خاف من الوقوع في المحذور عند حكاية القول ، ولم يخف مثل ذلك فيما يكتبه في نفس أيمن ؟ .

وقد ذكر صاحب "التنقيف" جميع ذلك بلفظ التكلم ، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة ونقص فيها .

وهذه نسختها ، وهي :

أقول وأنا فلان بن فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله الذي لا إله إلا هو ، الباري الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر والعلانية ، وما تُخفى الصدور ، القائم على كل نفس بما كسبت ، والمجازي لها بما احتسبت . وحق جلال الله ، وعظمة الله ، وقُدرة الله ، وكبرياء الله ، وسائر أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا ، وحق هذا القرآن الكريم ومن أنزله ، ومن أنزل عليه - إنني من وقَّي هذا ، ومن ساعَى هذه ، وما مدَّ الله في عمري قد أخلصت نيتي ، ولا أزال مجتهداً في إخلاصها ، وأصفيت طويتي ، ولا أزال مجتهداً في إصفاها - في طاعة السلطان الملك الفلاني ، فلان الدنيا والدين فلان - خلد الله ملكه - وفي خدمته ومحَبته ونُصحه ، وأكون ولياً لمن والاه ، عدواً لمن عاداه ، سائماً لمن سالمه ، حرباً لمن حاربه : من سائر الناس أجمعين ، لا أضمر له سوءاً ولا مكرّاً ، ولا خديعة ولا خيانة في نفس ، ولا مال ، ولا مُلك ، ولا سُلطنة ، ولا عساً كراً ، ولا أجناد ، ولا عُربان ، ولا تُركُجان ، ولا أكراد ، ولا غير ذلك ، ولا أسعى في تفريق كلمة أحدٍ منهم عن طاعته الشريفة . وإِنِّي والله العظيم أَبذل جُهدِي وطاقتي في طاعة مولانا السلطان الملك الفلاني ، فلان الدنيا والدين المشار إليه . وإن كاتِبني أحدٌ من سائر الناس أجمعين بما فيه مَضَرَّةٌ على مُلكه لا أوافقُ على ذلك بقول

ولا فِعْلٍ ولا نِيَّةٍ ؛ وإن قدرتُ على إمساكِ الذي جاءني بِالكِتَابِ أَمْسَكْتُهُ ،
وأَحْضَرْتُهُ لمولانا السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، أو النَّائبِ القريب مِنِّي .
وإنني والله العظيم أفِي لمولانا السلطان المشار إليه بهذه اليمين من أولها إلى آخرها ،
لَا أَسْتَنْتِي فيها ولا في شَيْءٍ منها ، ولا أَسْتَفْتِي فيها ولا في شَيْءٍ منها . وإن خالفتُها
أو شَيْئًا منها ، أو أَسْتَنْتِيْتُ منها ، أو أَسْتَفْتَيْتُ طلبًا لِنَقْضِها أو نَقْضِ شَيْءٍ منها ،
فيكون كُلُّ ما أَمْلِكُهُ من صَامِتٍ ونَاطِقٍ صَدَقَةً على الْفُقَرَاءِ والمساكين من المسلمين ؛
وتكونُ كُلُّ زَوْجَةٍ في عَقْدِ نِكَاحِي أو أَتَزَوَّجُها في المُسْتَقْبَلِ طالقًا ثلاثًا بَتَانًا على سائر
المذاهب ، وتكونُ كُلُّ أُمَةٍ أو مَمْلُوكٍ في مِلْكِي الآنَ أو أَمْلِكُهُ في المُسْتَقْبَلِ أحرارًا
لوجه الله تعالى ؛ ويلزمني ثلاثون حَجَّةً متوالياتٍ متتابعاتٍ ، حافيا حاسرًا ؛ وعلى
صَوْمِ الدَّهْرِ بِجَمَلِيَّتِهِ إلا الأيامَ المنهيَّ عن صَوْمِها .

وهذه اليمينُ يميني ، وأنا فلانُ بنُ فلانٍ ، والنِّيَّةُ في هذه اليمينِ بِأسرها نِيَّةُ مولانا
السلطان الملك الفلاني المشار إليه ، ونِيَّةُ مُسْتَحْلِفِي له بها ، لا نِيَّةُ لي في غيرها ،
ولا قَصْدُ لي في بَاطِنِي وظَاهِرِي سِوَاها . أَشْهَدُ اللهَ علىّ بذلك ، وكَفَى باللهِ شَهِيدًا ،
واللهُ على ما أقولُ وَكِيلٌ .

قلتُ : وربِّما كان للسلطان وليُّ عهدٍ بالسَّطْنَةِ فَيَقَعُ التَّحْلِيفُ للسلطان ولولده
جميعًا ، وهي على نحو ما تقدّم ، لا يتغير فيها إلا نُقْلُ الضمير من الإفراد إلى التثنية .



وهذه نُسخةُ يمينٍ حُلِّفَ عليها العساكرُ للسلطان الملك المنصور "قلاوون" في سنة
ثمان وسبعين وستمائة له ولولده وليَّ عهده الملك الصالح علاء الدين "علي" ، أوردها
أَبْنُ المُكْرَمِ في تَذَكُّرَتِهِ ، وهي :

وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ ، وَبِاللّٰهِ وَبِاللّٰهِ وَبِاللّٰهِ ، وَتَاللّٰهِ وَتَاللّٰهِ وَتَاللّٰهُ ، وَاللّٰهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهِلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالسِّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا أَحْتَقَبَتْ . وَحَقُّ جَلَالِ اللَّهِ ، وَعِزَّةُ اللَّهِ ، وَعَظَمَةُ اللَّهِ ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ النَّيَّةَ ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا ، وَأَصْفَيْتُ طَوَيْتِي وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا ، فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَلَانٍ ، وَطَاعَةِ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ فَلَانٍ ، وَخِدْمَتِهِمَا وَمُؤَالَاتِهِمَا ، وَأَمْتِثَالِ مَرَاثِمِهِمَا ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِمَا . وَإِنِّي وَاللّٰهُ الْعَظِيمُ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمَا ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا ، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمَا . وَإِنِّي وَاللّٰهُ الْعَظِيمُ لَا أَسْعَى فِي أَمْرٍ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَلَا فِي مَضَرَّةٍ وَلَدِهِ ، فِي نَفْسٍ وَلَا سُلْطَنَةٍ ، وَلَا أَسْتِمَالَةٍ لِّغَيْرِهِمَا ، وَلَا أُوَافِقُ أَحَدًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَلَا مَكَاتَبَةٍ وَلَا مُشَافَهَةٍ ، وَلَا مُرَاسَلَةٍ ، وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنِّي وَاللّٰهُ الْعَظِيمُ لَا أَذْخِرُ عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا عَنْ وَلَدِهِ نَصِيحَةً فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ مُدْكِهِمَا الشَّرِيفِ ، وَلَا أَخْفِيهَا عَنْ أَحَدِهِمَا ، وَأَنْ أَعْلِمَهُ بِهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يُمْكِنُنِي الْإِعْلَامُ لَهُ بِهَا ، أَوْ أَعْلِمَ مَنْ يُعْلِمُهُ بِهَا ، وَأَنْ أَخْلُ ... (١)

(١) كذا في الأصل ولعله ترك الباقي اتكالا على ما سبق في الإيمان قبله .

النوع الثاني

(من الأيمان التي يُحَلِّفُ بها المسلمون أيمانُ أهلِ البِدْعِ .
والذين منهم بهذه المملكة ثلاث طوائف)

الطائفة الأولى

(الخوارجُ)

وَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ كَانُوا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَمَلُوهُ عَلَى أَنْ رَضِيَ بِالْتَّحْكِيمِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ ، وَأَشَارُوا بِإِقَامَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ حَكَمًا عَنْ عَلِيٍّ ، وَإِقَامَةِ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ حَكَمًا عَنْ مُعَاوِيَةَ ، نَخَدَعَ عُمَرُو أَبَا مُوسَى : بِأَنْ أَتَفَقَ مَعَهُ عَلَى أَنْ يَحْلُعَا عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ جَمِيعًا ، وَيُقِيمَ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ خَلِيفَةً يَخْتَارُونَهُ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى وَأَشْهَدَ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ خَلَعَهُمَا ، فَوَافَقَ عُمَرُو عَلَى خَلْعِ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَخْلَعْ مُعَاوِيَةَ ، وَبَقِيَ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ . فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ حِينَئِذٍ ، وَرَفَضُوا التَّحْكِيمَ ، وَمَنَعُوا حُكْمَهُ ، وَكَفَرُوا عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا بِصَفَيْنَ ، وَقَالُوا : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَخَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ ، فَسُمُّوا الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ فَارَقُوهُ وَذَهَبُوا إِلَى النَّهْرَوَانِ فَأَقَامُوا هُنَاكَ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ غَوَّاءَ لَا رَأْسَ لَهُمْ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَاتَلَهُمْ ، فَلَمْ يُقِلَّتْ سِوَى تِسْعَةِ أَنْفُسٍ : ذَهَبَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى عُثْمَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى كَرْمَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى بَيْحَسْتَانَ ، وَاثْنَانِ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْيَمَنِ ، فَظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَبَقِيَتْ بِهَا .

ثُمَّ مَنَ مَذْهَبُهُمْ مَنَعَ التَّحْكِيمَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَتَخَطَّطُ عَلِيٌّ وَأَصْحَابُهُ ، وَمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابُهُ بِصَفَيْنَ فِي اعْتِمَادِهِمْ إِيَّاهُ ، بَلْ تَكْفِيرُهُمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَمِنْهَا امْتِنَاعُ ذَلِكَ عَنْ رِضَا أَصْلًا (٩) وَأَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ التَّأْوِيلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ سُورَةَ

يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ، وَمَنْ أَدْخَلَهَا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ زَادَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ. وَيَقُولُونَ: إِنْ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةٍ كَانَتْ ظُلُمًا، وَإِنْ قَضَاءَهُمُ الَّذِي رَتَّبُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ بَاطِلٌ. وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَحْطِئَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِيمَا أَتَّفَقَا عَلَيْهِ عِنْدَ تَحْكِيمِهِمَا، وَيُسْنَعُونَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَيَقُولُونَ: اسْتَبَاحُوا الْفُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ بِغَيْرِ حَقٍّ.

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْكَبَائِرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ بِخِلَافِ الْكَبَائِرِ مِنْ غَيْرِ إِصْرَارٍ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ. وَيَصُوبُونَ فَعْلَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي قَتْلِهِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا مَنْ ذَهَبَ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى أَنْ ذَلِكَ كُفْرٌ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ وَلِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا * إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

إِنِّي لَا ذُكْرُهُ يَوْمًا فَأَحْسَبُهُ * أَوْفَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

وَكَذَلِكَ يَصُوبُونَ فِعْلَ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ الْخَارِجِيِّ فِي قَتْلِ خَارِجَةَ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ صَاحِبِ شُرْطَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمَضْرٍ، حِينَ قَتَلَهُ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، لَمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْإِحْنِ وَالضَّغَائِنِ. وَأَنْهُمْ يَصُوبُونَ فِعْلَ قَطَامِ زَوْجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي ... (٣) ... وَأَنْهُمْ يَسْتَعْظِمُونَ خَلْعَ طَاعَةِ رُءُوسِهِمْ، وَأَنْهُمْ يُجَوِّزُونَ كَوْنَ الْإِمَامِ غَيْرِ

(١) فِي الْمَلَلِ ص ٦٩ "مَنْ مَنِيْب" وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧١ «مَنْ شَقَّ».

(٢) فِي الْأَصْلِ حَنِيفَةٌ وَهُوَ تَصْجِيفٌ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧٠.

(٣) بَيَاضٌ بِالْأَصُولِ وَلَعَلَّهُ «فِي اشْتِرَاطِهَا عَلَى ابْنِ مُلْجَمٍ حِينَ خَطَبَهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقِيْنَةً وَقَتْلَ عَلِيٍّ»

أَنْظَرَ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٦٨ وَ ١٦٩.

قُرَشِيٍّ، بَلْ هُمْ يَحْوِزُونَ إِمَامَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ جَمِيعًا، وَيَنْسُبُونَ مِنْ خَالِفِهِمْ إِلَى الْخَطِإِ،
وَيَسْتَبِيحُونَ دِمَاءَهُمْ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ .

واعلم أن ما تقدم ذكره من معتقدات الخوارج هو مُقْتَضَى ما رتبته من يمينهم
في "التعريف" على ماسياتي ذكره . على أن بعض هذه المعتقدات يختص بها بعض
فرق الخوارج دون بعض على ماسياتي بيانه ، ولكل منهم معتقدات أخرى تزيد
على ما تقدم ذكره .

وهنا أذكر بعض فرقهم ، وبعض ما اختلفت [به] كل فرقة منهم ، لينبني على
ذلك من أراد ترتيب يمين لفرقة منهم :

فمنهم المحكمه - وهم الذين يمتنعون التحكيم .

ومنهم الأزارقة - وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم الذين خرجوا بفارس وكرمان
أيام ابن الزبير ، وقتلهم المهلب بن أبي صفرة ، وهم الذين يكفرون علياً مع جمع من
الصحابه ، ويصوبون فعل ابن ملجم ، ويكفرون القعدة عن القتال مع الإمام وإن
قاتل أهل دينه ، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، ويسقطون الرجم عن
الزاني المحصن ، وحدد القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة ،
ويخرجون أصحاب الكبائر عن الإسلام ، ويقولون : التقيّة غير جائزة .

ومنهم النجدات - وهم أصحاب نجدة بن عامر ، يكفرون بالإصرار على الصغائر
دون فعل الكبائر من غير إصرار ، ويستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم
في دار التقيّة ، ويتبرؤون ممن حرّمها .

ومنهم البيهسيّة - وهم أصحاب أبي يهس بن خالد، يرون أنه لأحرام إلا ما وقع عليه النص بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ الآية . ويكفرون الرعيّة بكفر الإمام .

ومنهم العجاردة - وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويقولون : إنما هي قصّة من القصص ، ويوجبون التبرّي من الطفل فإذا بلغ دعي إلى الإسلام .

ومنهم الميمونية - وهم فرقة يقولون : إن الله تعالى يريد الخير دون الشر ، ويجوزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الإخوة والأخوات .

ومنهم الإباضية - يرون أن مرتكب الكبيرة كافراً للنعمة لأمشرك ، ويرون أن دار مخالفهم من المسلمين دار توحيد ، ودار السلطان منهم دار بغي .

ومنهم الثعالبة - يرون ولاية الطفل حتى يظهر عليه إنكار الحق فيتبرءون منه .

ومنهم الصّغرية - يرون أن ما كان من الجائز فيه حد كالزنا لا يكفر به ، وما كان منها ليس فيه حد : كترك الصلاة يكفر به .

وكان الذي أورده في " التعريف " متفق عليه عندهم ، أو هو قول أكثرهم فاكتمى به .

وقد رتب في " التعريف " تخليفهم على مقتضى ما ذكره من اعتقادهم فقال :

وَأَيَّمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، ويزاد فيها : وَإِلَّا أَجَزْتُ التَّحَكِيمَ ، وصوّبت قول الفريقين في صيغتين ، وأطعت بالرضا مني حكم أهل الجور ، وقلت في كتاب الله

(١) كذا بالأصول ، والذي في " القاموس " و " الملل والنحل " للشهرستاني أن أبا يهس اسمه " الهيصم ابن جابر " ولعل ما في الأصول تصحيف .

بالتأويل : وأدخلت في القرآن ما ليس منه . وقلت : إن إمارة بنى أمية عدلٌ ، وإن قضاءهم حقٌ ، وإن عمرو بن العاص أصاب ، وإن أبا موسى ما أخطأ ، وأسبغت الأموال والفروج بغير حق ، وأجترحت الكبار والصغار ، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار ، وقلت : إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كافر ، [وإن قاتل خارجة آثم ، وبرئت من فعلة قطام ^(١) ، وخلعت طاعة الرؤوس ، وأنكرت أن تكون إخلافة إلا في قریش ، وإلا فلا رويت سنيي ورعي من دماء المخطئين .

الطائفة الثانية (الشَّيْمَةُ)

وهم الذين شايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته : نصاً ووصايةً : [إماماً] جليلاً أو خفياً ، وإن الامامة لا تخرج عنه وعن بيته إلا بظلم من غير ذلك الإمام ، أو ببقية منه لغيره . ^(٢)

قال الشهرستاني في " النحل والملل " : ويجمعهم القول بوجوب التعيين للأمام والتنصيب عليه ممن قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبار والصغار ، والقول بالتولي للأئمة والتبري من غيرهم .

وقال في " التعريف " يجمعهم حب علي رضي الله عنه ، وتختلف فرقهم فيمن سواه . فأما مع إجماعهم على حبه فهم مختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل غلو مفرط وعتو زائد : فقيهم من أدّى به الغلو إلى أن اتخذ علياً إلهاً وهم النصيرية . قال : ومنهم

(١) الزيادة من " التعريف " ص ١٦٢ .

(٢) عبارة الشهرستاني « بظلم يكون من غيره أو ببقية من عنده » وهي أوضح .

من قال : إنه النبي المرسل وإن جبريل غلط . ومنهم من قال : إنه شريك في النبوة والرسالة . ومنهم من قال : إنه وصي النبوة بالنص الحلي ، ثم تحالفوا في الإمامة بعده وأجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين . وقالت فرقة منهم : وبعدهما محمد بن الحنفية .

ثم قد ذكر في "التعريف" أن الموجود من الشيعة في هذه المملكة خمس فرق :

الفرقة الأولى

(الزيدية)

وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو الذي رأسه مدفون بالمشهد الذي بين كيان مصر ، جنوبي الجامع الطولوني ، المعروف بـمشهد الرأس ، فيما ذكره القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر في خطط القاهرة . قال في "التعريف" : وهم أقرب القوم إلى القصد الأمم . قال : ولهم إمام باق باليمن إلى الآن ، وصنعاء داره ، وأمرأه مكة المعظمة منهم . ثم قال : وحدثني مبارك بن عطيفة بن أبي نمي : أنهم لا يدينون إلا بطاعة ذلك الإمام ، ولا يرون إلا أنهم توابه ، وإنما يتقون صاحب مصر لحوفهم منه وللاقطاع ، وصاحب اليمن لمداراته لواصل الكارم ورُسوم الأنعام . ومن ثم عدّهم في جملة من بهذه المملكة من طوائف البدع .

وكان من مذهب زيد هذا جواز إمامة المفضل مع قيام الأفضل ، ويقول : إن علياً رضي الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم ، إلا أن الإمامة فوّضت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، مع تفضيل علي على الشيخين عندهم في أوانهم .

وأتباعه يعتقدون أنَّ هذا هو المعتقد الحق، ومن خالفه خرج عن طريق الحق،
وضل عن سواء السبيل .

وهم يقولون : إن نص الأذان بدل الحيعتين : «حى على خير العمل» يقولونها
في أذانهم مرتين بدل الحيعتين، وربما قالوا قبل ذلك : «مجدد على خير البشر،
وعترتهما خير العتر» ومن رأى أن هذا بدعة فقد حاد عن الجادة .

وهم يسوقون الإمامة في أولاد علي كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها،
ولا يجوزون ثبوت الإمامة في غير بنيهما، إلا أنهم جاوزوا أن يكون كل فاطمي
عالم زاهد شجاع خرج لطلب الإمامة إماماً معصوماً واجب الطاعة، سواء كان من
ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام، ومن خلع طاعته فقد ضل . وهم يرون أن
الإمام المهدي المنتظر من ولد الحسين رضى الله عنه دون ولد الحسن، ومن خالف
في ذلك فقد أخطأ . ومن قال : إن الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أفضل
من علي وبنيه فقد أخطأ عندهم وخالف زياداً في معتقده . ويقولون : إن تسليم
الحسن الأمر لمعاوية كان لمصلحة اقتضاها الحال، وإن كان الحق له .

قال في "التعريف" : وإيمانهم إيمان أهل السنة، يعنى فيحلفون كما تقدم،
ويزاد فيها : وإلا برئت من معتقد زيد بن علي، ورأيت أن قولي في الأذان : «حى
على خير العمل» بدعة، وخلعت طاعة الإمام المعصوم الواجب الطاعة، وأدعيت
أن المهدي المنتظر ليس من ولد الحسين بن علي، وقلت : بتفضيل الشيخين على
أمير المؤمنين علي وبنيه، وطعنت في رأى ابنه الحسن لما اقتضته المصلحة،
وطعنت عليه فيه .

الفرقة الثانية (من الشيعة الإمامية)

وهم القائلون بإمامة اثني عشر إماما : أولهم أمير المؤمنين علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبي ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضا وهو الذي عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون ، ثم ابنه محمد التقي ، ثم ابنه علي النقي ، ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري ، ثم ابنه محمد الحجة ، وهو المهدي المنتظر عندهم ، يقولون إنه دخل مع أمه صغيرا سردابا بالحلة على القرب من بغداد ففقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن ، ويقال : إنهم في كل ليلة يقفون عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ينادون : أيها الإمام ! قد كثر الظلم ! وظهر الجور فأخرج إلينا ! ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية أيضا ، لقولهم بإمامة اثني عشر إماما ، وبالموسوية لقولهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم المقدم ذكره دون أخيه إسماعيل إمام الإسماعيلية الآتي ذكره ، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل المذكور في حياة أبيه الصادق والقطع بانتقال الإمامة إلى موسى .

قال في "التعريف" : وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهم يقولون : بإمامة علي رضي الله عنه نصا ظاهرا ، وتعيينا صادقا ، احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من يبايعني على ماله ، فبايعه جماعة» ، ثم قال :

من يُبَايِعُنِي عَلَى رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيُّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَلَمْ يُبَايِعْهُ أَحَدٌ ،
حَتَّى مَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى رُوحِهِ وَوَفَّى بِذَلِكَ » .

قال في "العبر" : وهذه الوصية لا تُعرف عن أحدٍ من أهل الأثر ، بل هي من
موضوعاتهم ؛ ويُحْصِونه بوراثته علم النبي صلى الله عليه وسلم .

ويروون أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَاوَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَمَا ذَكَرَ » ويروون أنَّ
بَيْعَةَ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ السَّقِينَةِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ : حينَ اجتمع الأنصارُ بعد
مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِينَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِبَايَعُوهُ ،
وذهب إليهم أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَرَوَى لَهُمْ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ »
فَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ وَبَايَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى
مَبَايِعَاتِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَأَنَّ الْقَائِمَ فِيهَا مجتَرماً لَا سِيَّماً أَوَّلُ بَادٍ بِذَلِكَ .
ويقولون : إنَّ الْحَقَّ كَانَ فِي ذَلِكَ لِعَلِيِّ الْوَصِيَّةِ . ويقولون : إنَّ الْقِيَامَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَضَرَهُ فِي الدَّارِ كَانَ وَاجِباً لَاعْتِدَادِهِمْ عَدَمَ صِحَّةِ خِلَافَتِهِ
مَعَ وَجُودِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِنَّ الْمُتَأَخَّرَ عَنْ حَضَرِهِ كَانَ مُحْطِئاً . وَيَرَوْنَ جَوَازَ
التَّقِيَّةِ خَوْفاً عَلَى النَّفْسِ ، وَأَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا تَأَخَّرَ عَنْ طَلَبِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ
قِيَامِ مَنْ [كَانَ] قَبْلَهُ بِهَا تَقِيَّةً عَلَى نَفْسِهِ . وَيَرَوْنَ أَنَّ مَنْ أَعَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْخِلَافَةِ كَانَ مُحْطِئاً : لِإِطْلَاقِ خِلَافَتِهِ بِرَثْمِهَا عَلَى خِلَافَةِ
أَبِي بَكْرٍ وَوُجُودِ عَلِيٍّ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِهَا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَقَّقَهَا مِنْ إرْثِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْدِيّاً ، وَأَنَّ

مَنْ سَاعَدَ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ تَقْدِيمِ عَدِيٍّ بِخِلَافَةِ عُمَرَ ، أَوْ تَقْدِيمِ أُمَيَّةَ بِخِلَافَةِ عُثْمَانَ كَانَ مُحْطًا . وَيَزْعُمُونَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُصَبِّ فِي جَعْلِ الْأَمْرِ سُورَى بَيْنَ بَقِيَّةِ الْعَشِيرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَسْتَحْقَاقِ تَقَدُّمِ عَلِيٍّ عَلَى الْجَمِيعِ .

وَيَصَوِّبُونَ قَوْلَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ مُوَافَقَتِهِ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْذِيبَهُ فِي ذَلِكَ . وَيَرَوْنَ أَنَّ عَائِشَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُحْطَةً فِي قِيَامِهَا عَلَى يَوْمِ الْجَمَلِ ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ مَعَهَا كَانَ مُحْطًا لِلْوِاقِفَةِ عَلَى الْخَطِئِ .

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ قَامَ مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَلِيٍّ بِصِفِّينَ وَشَهَرِ السَّيْفِ مَعَهُ عَلَيْهِ فَقَدْ أَرْتَكَبَ مُحْظُورًا . وَيَنْكَرُونَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ مِنَ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَّزَ حَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَتَلُوا وَسَبُّوا وَبَايَعُوا مَنْ تَبِعَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْلٌ لِيَزِيدَ .

وَيَقُولُونَ : يُبْطِلَانِ حُكْمَ ابْنِ مَرْجَانَةَ . وَيُعَدُّونَ مِنَ الْعِظَائِمِ قِيَامَ عُمرِ بْنِ سَعْدٍ فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، وَحَقِيقُ أَنْ يُنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيُسْتَعْظَمُوهُ ! فَقَدْ قِيلَ : لَئِنْ بَعْدَ قَتْلِهِ أَمَرَ جَمَاعَةٌ فَوَطَّئُوا صَدْرَ الْحُسَيْنِ وَظَهَرَهُ بِالْحَيْلِ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَاتِلَهُ اللَّهُ قَدْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ مُسْتَوْدَعَةٌ لِمُسْتَقَرَّةٍ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَثْبُتْ فِي بَيْتِهِ . وَيُعَدُّونَ مِنَ الْعِظَائِمِ فِعْلَ شَيْبَرَ بْنِ [ذِي] الْجَوْشَنِ : وَهُوَ الَّذِي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، وَأَنَّ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مُرْتَكِبٌ أَعْظَمَ مُحْظُورَاتٍ بِأَشَدِّ بَلَاءَةٍ ، وَحَقِيقُ ذَلِكَ أَنْ يُسْتَعْظَمُوهُ ! فَأَيُّ جَرِيْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ سَيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وقد ذكر صاحب "نظم السمط في خبر السبط" : أنه وُجد في حجر مكتوب قبل البعثة بألف سنة ما صورته :

أَتَرْجُوا أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا * شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ ؟

ويقال : إنَّ الذي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ إنما هو سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ النَّخَعِيُّ . ويُعدُّون من العظام أيضا سَبِيَّ مُعَاوِيَةَ أَهْلَ الْبَيْتِ عِنْدَ غَلْبَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَفَيْنَ وَسَوْقَهُمْ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ سَوْقًا بِالْعِصِيِّ . وَيُرَوَّن أَنَّ خِلَافَةَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَايَا ، وَأَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخْطَأَ حَيْثُ أَشَارَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بِهَا . وَيَقُولُونَ بِالتَّبَرُّيِّ مِنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِاتِّمَاعِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَخَدِيعَتِهِ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ يَوْمَ الْحَكَمَيْنِ حَتَّى خَلَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ مِنْ ظَاهِرِهِ أَوْ عَاضِدِهِ كَانَ مُحْطًا .

وكذلك يَتَبَرَّءُونَ مِنْ بُسْرِ بْنِ [أَبِي] أَرْطَاةَ : لِأَنَّ مُعَاوِيَةَ بَعَثَهُ إِلَى الْحِجَازِ فِي عَسْكَرٍ فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَسَفَكَ بِهَا الدَّمَاءَ ، وَأَسْتَكْرَهَ النَّاسَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِمُعَاوِيَةَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْيَمَنِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدَ صَيِّدَيْنِ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَامِلَيْنِ عَلَى الْيَمَنِ فَقَتَلَهُمَا .^(١)

وَيُرَوَّن تَحْطِئَةُ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّي ، وَيَقْدَحُونُ فِي رَأْيِ الْخَوَارِجِ : وَهُمْ الَّذِينَ نَحَرُّوا عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ حَرْبِ صِفِّينَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ [فِي الْكَلَامِ] عَلَى أَيْمَانَ الْخَوَارِجِ : وَهُوَ مُفَارَقَتُهُمْ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَحْطِئَتُهُمْ لَهُ فِي الْغَنَائِمِ .

ويقولون : إنَّ الْإِمَامَةَ أَنْتَقَلَتْ بَعْدَ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَبْنَائِهِ إِلَى تَمَامِ الْأَمْنَى عَشْرَ . فَانْتَقَلَتْ بَعْدَ الْحُسَيْنِ إِلَى ابْنِهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ

(١) صوابه "عامل على علي اليمن" والصبيان هما قثم وعبد الرحمن أبنا عبيد الله انظر ج ٣ ص ١٦٦ من الكامل لابن الأثير .

الباقرة، ثم إلى أبيه جعفر الصادق، ثم إلى أبيه موسى الكاظم، ثم إلى أبيه علي الرضا، ثم إلى أبيه محمد الباقر، ثم إلى أبيه علي النقي، ثم إلى أبيه الحسن الرضا، ثم إلى أبيه محمد الحجة، وهو المهدي المنتظر عندهم، على ما تقدم ذكره في أول الكلام على هذه الفرقة، وإن من خالف ذلك فقد خالف الصواب.

ويستظمون دلالة من دلّ بني أمية وبني العباس على مقاتل أهل البيت. أما دلالة بني أمية، فبعد غلبة معاوية بصفيين. وأما دلالة بني العباس، فعند تنازع بني العباس وأهل البيت في طلب الخلافة، زمن أبي جعفر المنصور وما بعده.

ويقولون: ببقاء حكم المتعة: وهي النكاح المؤقت الذي كان في صدر الإسلام. ويسنعون على نجدة بن عامر الحنفي الخارجي حيث زاد في حد النجر، وغلظ فيه تغليظاً شديداً، كما حكاها الشهرستاني عنهم.

ويستعظمون البراءة من شيعة أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وأتباع أهوية أهل الشام من متابعي بني أمية والفرقاء القائمين بالنهر وان: وهم الخوارج الذين خالفوا علياً بعد قضية التحكيم بصفيين، وأقاموا بالنهر وان من العراق لقتال علي، ورئيسهم يومئذ عبد الله بن وهب، فسار اليهم علي وكانوا أربعة آلاف فقتلوا عن (١) آخرهم، ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفس.

ويرون أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أخطأ في موافقته عمرو بن العاص رضي الله عنه: حيث حكم بخلع علي ولم يخلع عمرو معاوية.

ويعتمدون في القرآن الكريم على مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، دون المصحف الذي أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، فلا يثبتون ما لم يثبت فيه قرأنا.

(١) أي ولم يبق منهم سوى تسعة تفرقوا في الجهات كما تقدم.

ويتبرعون من فعل ابن مُلْجَم في قتله أمير المؤمنين رضى الله عنه ، وحقَّ لهم التَّبرُّ من ذلك .

ويرون أن مَوْلَاهُ أَبْنُ مُلْجَم وإسماعيله في صدق زَوْجَتِهِ قَطَامَ بَجْرِيَّةَ .

ويرون محبة قبيلة هَمْدَانَ من المحبوب المطلوب : لمشايعتهم علياً رضى الله عنه ومحبتهم أهل البيت كما هو المشهور عنهم ؛ حتَّى يُحكى أن أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه صعد يوماً المنبر وقال : أَلَا لَا يُنْكِحَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مِطْلَاقٌ ، فَهَضَّ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ وقال : وَاللَّهِ لَنُنْكِحَنَّه ثُمَّ لَنُنْكِحَنَّه ! إِنْ أَمَّهَرُ أَمَّهَرُ كَثِيفًا ، وَإِنْ أَوْلَدَ أَوْلَدَ شَرِيفًا ! . فقال على رضى الله عنه حينئذ :

لَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ * لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلِي بِسَلَامٍ !

ويقولون باشتراط العِصْمَةِ فِي الْأَئِمَّةِ ، فَلَا يَكُونُ مِنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ عندهم إماماً .

وقد رَتَّبَ فِي "التعريف" يَمَيِّنُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ ، فَقَالَ : وَهَؤُلَاءِ يَمَيِّنُهُمْ هِيَ :
إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ الْعَظِيمُ ، الرَّبُّ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ، وَمَا أَعْتَقِدُهُ
مِنْ صِدْقِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَصَّهِ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي عَمِّهِ وَوَارِثِ عِلْمِهِ عَلَى بْنِ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ ، وَقَوْلِهِ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ
اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَآلَاهُ ! وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ! وَأَدِرِ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَهَا دَارًا ! » . وَإِلَّا كُنْتُ
مَعَ أَوَّلِ قَائِمٍ يَوْمَ السَّقِيفَةِ ، وَآخِرِ مُتَأَخِّرٍ يَوْمَ الدَّارِ ، وَلَمْ أَقُلْ بِجَوَازِ الثَّقِيَّةِ خَوْفًا عَلَى
النَّفْسِ ، وَأَعْنَتُ ابْنَ الْخَطَّابِ ، وَأَضْطَهَدْتُ فَاطِمَةَ ، وَمَنَعْتُهَا حَقَّهَا مِنَ الْإِثْرِ ،
وَسَاعَدْتُ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ وَعَدِيَّ وَأُمِيَّةَ ، وَرَضَيْتُ بِحُكْمِ الشُّورَى ، وَكَذَّبْتُ حَسَانَ بْنَ

ثابت يوم عائشة، وقت معها يوم الجمل، وشهرت السيف مع معاوية يوم صفين،
 وصدقت دعوى زياد، ونزلت على حكم ابن مرجانة، وكنت مع عمر بن سعد
 في قتال الحسين، وقلت: إن الأمر لم يصبر بعد الحسن إلى الحسين، وساعدت شمر
 ابن [ذى] الجوشن على فعل تلك البلية، وسبيت أهل البيت وسقتهم بالعصى إلى
 دمشق، ورصيت بإمرة يزيد، وأطعت المعيرة بن شعبة، وكنت ظهيرا لعمر بن
 العاص، ثم لبس بن [أبي] أرطاة، وفعلت فعل عقبة بن عبدالله [الثرى] (١) وصدقت رأي
 الخوارج، وقلت: إن الأمر لم ينتقل بعد الحسين بن علي في أبنائه إلى تمام الأئمة،
 إلى الإمام المهدي المنتظر، ودلت على مقاتل أهل البيت بني أمية وبني العباس،
 وأبطلت حكم التمتع، وزدت في حد النحر ما لم يكن، وحرمت بيع أمهات الأولاد،
 وقلت: برأي في الدين، وبرئت من شيعة أمير المؤمنين، وكنت مع هوى أهل الشام
 والقوغاء القائمة بالهروان، وأتبع خطأ أبي موسى، وأدخلت في القرآن ما لم يثبت
 ابن مسعود، وشركت ابن ملجم وأسعدته في صداق قطام، وبرئت من محبة
 همدان، ولم أقل باشرط العصمة في الإمام، ودخلت مع أهل النصب الظلام.
 قلت: قد ذكر في "التعريف" فرقة الإمامية هذه من الشيعة الذين بهذه المملكة،
 ولم أعلم أين مكانهم منها.

الفرقة الثالثة

(من الشيعة الإسماعيلية)

وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن الأمامة انتقلت إليه بعد
 أبيه دون أخيه موسى الكاظم المقدم ذكره في الكلام على فرقة الإمامية. وهم

(١) الزيادة من "التعريف" (ص ١٥٩).

يوافقون الإمامية المتقدم ذكرهم في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه إلى جعفر الصادق، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذى هو الامام عند الإمامية إلى إسماعيل هذا، ثم يسوقونها في بنيته، فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين على رضى الله عنه إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه على زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل - الذى تُنسب إليه هذه الفرقة - بالنص من أبيه. فمن قائل: إن أباه مات قبله، وانتقلت الإمامة إليه بموته. ومن قائل: إنه مات قبل أبيه. وفائدة النص ثبوتها في بنيته بعده. ثم يقولون: إنها انتقلت من إسماعيل المذكور إلى ابنه محمد المكتوم، ثم إلى ابنه جعفر الصديق، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى ابنه عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، وهو جد الخلفاء الفاطميين بمصر؛ ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد: ثاني خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل: ثالث خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم معتمد: أول خلفاء الفاطميين بمصر بعد قيامه ببلاد المغرب (وهو بابي القاهرة)؛ ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار: ثاني خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور: ثالث خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي: رابع خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم معتمد: خامس خلفائهم بمصر.

ثم من هاهنا أفرقت الإسماعيلية إلى فرقتين: مستعلوية ويزارية.

فأما المستعلوية فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله المتقدم ذكره إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد: سادس خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الأمير

(١) كذا في الأصول ووقع في الغر «الصادق».

بأحكام الله أبي علي المنصور : سابع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد الحميد بن أبي القاسم : ثامن خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل ، تاسع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى ابنه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر : عاشر خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ : حادي عشر خلفائهم بمصر ، وهو آخرهم حتى مات .

وأما الزارية فانهم يقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى ابنه زار بالنصب من أبيه دون ابنه المستعلي ؛ ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح كان من تلامذة أحمد بن غطاش صاحب قلعة أصبهان والموت ، وكان شهماً عالمياً بالتعاليم والتجور والسحر ، فاتهمه ابن غطاش بالدعوة للفاطمييين خلفاء مصر ، فخاف وهرب منه إلى مصر في خلافة المستنصر المتقدم ذكره ، فأكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته ، فقال له ابن الصباح : من الإمام بعدك ؟ فقال له : أبن زار ، فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والحزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ودخل نحرسان ، وعبر إلى ما وراء النهر ، وهو يدعو إلى إمامة المستنصر وأبنه زار بعده . قال الشهرستاني في "النحل والملل" : وصعد قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وأستظهر وتحصن .

ثم الزارية يزعمون أن زاراً المذكور خرج من الإسكندرية حجاجاً في بطن جارية ، تقيّة على نفسه ، وخاض بلاد الأعداء حتى صار إلى الموت . ورأيت في المغرب

(١) الصواب «ثم إلى الحافظ» وفي المقرئ ج ١ ص ٣٥٧ «ومن بعده الحافظ ... ابن الأمير أبي القاسم محمد» ووقع في ج ٣ ص ٤٣١ من هذا المطبوع «ثم ولي بعده ابن عمه الحافظ ... عبد الحميد بن الأمر أبي القاسم محمد الخ» وفيه بعض التصحيف فغلبه .

لَأَبْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ إِنَّمَا صَارَ مِنْ عَقِيهِ مَنْ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَصَارَتْ الْإِمَامَةُ فِي بَيْتِهِ هُنَاكَ .

والمستعلوية يُنكرون ذلك إنكاراً ، ويقولون : إِنَّهُ قُتِلَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ : سَارَ إِلَيْهِ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ وَزَيْرُ الْمُسْتَعْلِي وَحَاصَرَهُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، ثُمَّ ظَفِرَ بِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُسْتَعْلِي ، فَبَنَى عَلَيْهِ حَائِطَيْنِ فَيَاتَ ، ثُمَّ فَرَّبَهُ بَنِي نِزَارٍ إِلَى بِلَادِ الْمَشَارِقِ (٢) وَأَقَامَ بِالْمَغْرِبِ ، وَالْقَائِمُونَ بِهَا الْآنَ مِنْ وَلَدِهِ ، وَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ التَّوَارِيخِ : كَمُغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ .

ثُمَّ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي الْجُمْلَةِ : مِنَ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ وَالنَّزَارِيَّةِ يَسْمُونَ أَنْفُسَهُمْ أَصْحَابَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ ، تَبَعًا لِإِمَامِهِمْ إِسْمَاعِيلَ الْمَذْكُورِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى صَاحِبَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ .

قَالَ فِي "التعريف" : وَهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَقَالُوا بِقَوْلِ الْإِمَامِيَّةِ ، ثُمَّ خَالَفُوهُمْ فِي مُوسَى الْكَاطِمِ وَقَالُوا : إِنَّ الْإِمَامَةَ لَمْ تَصْرُ إِلَّا إِلَى أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّهُمْ طَائِفَةٌ كَافِرَةٌ يَعْتَقِدُونَ التَّنَاسُخَ وَالْحُلُولَ .

وَذَكَرَ فِي "مسالك الأبصار" : أَنَّ مُلَخَّصَ مُعْتَقَدِهِمُ التَّنَاسُخُ . ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ سَأَلْتُ الْمُقَدِّمَ عَلَيْهِمُ وَالْمُشَارَّ إِلَيْهِ فِيهِمْ : (وَهُوَ مُبَارَكُ بْنُ عَلْوَانَ) عَنْ مُعْتَقَدِهِمْ وَجَادِبَتِهِ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ مِرَآئًا ، فَظَهَرَ لِي مِنْهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَسْجُونَةٌ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمَكْثَفَةِ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ عَلَى زَعْمِهِمْ . فَإِذَا أُنْقَلَتْ عَلَى الطَّاعَةِ

(١) لعل الصواب «فرالى الاسكندرية» ليستقيم الكلام بعد وقد ذكر المقرئ خبره ج ١ ص ٢٣٤

على وجه الصحة فتنبه .

(٢) كذا بالأصل ولعل مراده بلاد مشارق أفريقيا كما سيأتى .

كَانَتْ قَدْ تَخَلَّصَتْ وَانْتَقَلَتْ لِلْأَنْوَارِ الْعُلُويَّةِ ، وَإِنْ أَنْتَقَلَتْ عَلَى الْعِصْيَانِ هَوَتْ فِي الظُّلُمَاتِ السُّفْلِيَّةِ .

وذكر في "العبر" : أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْوَهْيَةَ الْإِمَامِيَّةَ بَنُوَ الْحُلُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي رَجْعَةً مِنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بَنُوَ النَّاسِخِ وَالرَّجْعَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ نَجَىءَ مَنْ يَقْطَعُ بَمَوْتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ عَوْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ .

ثُمَّ الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ وَالنَّزَارِيَّةُ يَتَّفِقُونَ فِي بَعْضِ الْمَعْتَقَدَاتِ وَيُخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِهَا .

فَأَمَّا مَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْتِقَادِ ، فَهُمْ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ إِمَامٍ مَعْصُومٍ : ظَاهِرٍ أَوْ مُسْتَوْرٍ . فَالْأَئِمَّةُ الظَّاهِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِمْ ، وَالْمُسْتَوْرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَتِرُونَ وَيُظَاهِرُونَ دُعَاتِهِمْ . وَآخِرُ الظَّاهِرِينَ عِنْدَهُمْ إِسْمَاعِيلُ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ ، وَأَوَّلُ الْمُسْتَوْرِينَ أَبْنُهُ الْمَكْتُومُ . وَمَنْ مُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ إِمَامٍ ، مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً . وَيُرَوْنَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّعْلِيمِ مِنَ الْأَئِمَّةِ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمُ هُدَاةُ النَّاسِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ لِلْأَئِمَّةِ أَدْوَارًا فِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْهَا سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ : ظَاهِرِينَ أَوْ مُسْتَوْرِينَ . فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الدَّوْرِ ظَاهِرِينَ يَسْمَى ذَلِكَ الدَّوْرُ دَوْرَ الْكَشْفِ ، وَإِنْ كَانُوا مُسْتَوْرِينَ يَسْمَى دَوْرَ السَّتْرِ . وَيَقُولُونَ بِوُجُوبِ مَوَالَاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَتَبَرُّؤِ مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَيُنْسَبُونَهُمْ إِلَى الْأَخْذِ بِالْبَاطِلِ ، وَالْوُقُوعِ فِي الضَّلَالِ ، لَا سِيَّمَا النَّوَاصِبِ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالنَّاصِبِيَّةِ أَتْبَاعُ^(١) ، وَيُرْمَوْنَهُمْ بِالْعِظَائِمِ ، وَيُنْسَبُونَهُمْ إِلَى اعْتِمَادِ الْحَالِ وَالْأَخْذِ بِهِ . وَمَنْ نَحْرَجَ عَنْهُمْ عَنِ الْقَوْلِ بِاتِّقَالِ الْإِمَامَةِ بَعْدَ الْحَسَنِ

(١) بياض في الأصول .

السُّبُط عليه السلام ، ثم أخيه الحُسَيْن ، ثم في أئمتِّهم المتقدم ذكرهم ، إلى إمامهم
إسماعيل الذي يُنسَبون إليه بالنَّصِّ الجَلِّي ، فقد حادَّ عن الحقِّ . وهم يعظمون
ويستعظمون القَدَح فيه ، وأن من وقع في ذلك فقد ارتكب خطأً كبيراً .

ولدعاة الأئمة المستورين عندهم من المَكَاثِن وعلوِّ الرُّتَبَةِ الرُّتَبَةُ العُظْمَى ، لا سيَّما
الداعي القائمُ بذلك أوَّلاً : وهو الداعي إلى محمد المَكْتوم أَوِّ أئمتِّهم المستورين على
ما تقدَّم ذكره ، فإن له من الرُّتَبَةِ عندهم فوق ما لغيره من الدعاة القائمين بعده .

ومَّا اشتهر من أمرِ الدعاة لأئمتِّهم المستورين أنه كان مَن يُنسَب إلى التَّشيع
رجُلٌ اسمه رمضان ، ويقال : انه صاحب كتاب "الميزان" في نُصْرَةِ الزندقة ، فولد
له ولدٌ يقال له : مَيُّونٌ ، نشأ على أهبةٍ في التَّشيع والعلم بأسرار الدَّعاء لأهل البيت ،
ثم نشأ لمَيُّونٌ ولدٌ يقال له : عبد الله ، وكان يعالج العيون ويقدِّحها ، فُسمي القَدَّاح ،
وأُطْلِع على أسرار الدَّعوة من أبيه ، وسار من نواحي كَرْخ وأصهبان إلى الأهواز
والبَصْرَةِ وسامية من أرض الشام يدعُو الناس إلى أهل البيت ، ثم مات ونشأ له ولدٌ
يسمى أحمد فقام مقام أبيه عبد الله القَدَّاح في الدَّعوة ، وصحبه رجلٌ يقال له رستم
أَبْنُ الحُسَيْنِ بن حَوْشَب النِّجَّار من أهل الكوفة ، فأرسله أحمد إلى اليَمَنِ ، فدعا
الشَّيعة باليمن إلى عبد الله المَهْدِي فأجابوه ، وكان أبو عبد الله الشَّيْعِيُّ من أهل صَنْعَاء
من اليَمَنِ ، وقيل من أهل الكوفة ، يَصْحَبُ أَبْنُ حَوْشَب ، فَحُطِّي عنده وبعثه إلى
المغرب . ومن نسب أحدًا من هذه الدعاة إلى ارتكابِ مُحْظُورٍ أو احتيَابِ إثمٍ فقد
ضلَّ وخرج عن جادة الصواب عندهم . ويرون تحطُّئةً من مالا على الإمام عبيد الله
المَهْدِي : أوَّل أئمتِّهم القائمين ببلاد الغرب على ما تقدَّم ، وارتكابه المحظور وضلاله عن

(١) بياض في الأصول ولعله « إمامهم إسماعيل » .

طريق الحق؛ وكذلك من خذل الناس عن اتباع القائم بأمر الله بن عبيد الله المهديّ
ثاني خلفائهم ببلاد المغرب، أو نقض الدولة على المعزّ لدين الله : أول خلفائهم
بمصر؛ ويرون ذلك من أعظم العظام، وأكبر الكبائر.

ومن أعيادهم العظيمة الخطر عندهم يوم غدِير خُم (بفتح الغين المعجمة وكسر
الذال المهملة وسكون المثناة تحت وراء مُهملة في الآخر، ثم خاء معجمة مضمومة
بعدها ميم) : وهو غيضة بين مكة والمدينة على ثلاثة أيام من الجحفة . وسبب جعلهم
له عيداً أنهم يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعليّ
رضي الله عنه : « اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالٍ مِنْ وَآلَاهُ ، وَعَادَ
مَنْ عَادَاهُ ، وَأَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ ، وَأَخْذُلُ مَنْ خَذَلَهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ » على
ما تقدم نحوه في الكلام على يمين الإمامية .

وقد كان للخلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد اهتمام عظيم، ويكتبون بالبرشارة به
إلى أعمّاهم ، كما يكتبون بالبرشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما . ويعتقدون
في آئمتهم أنهم يعلمون ما يكون من الأمور الحادثة .

وقد ذكر المؤرخون عن عبيد الله المهديّ جدّ الخلفاء الفاطميين بمصر أنه
حين بنى المهديّة بمشارق أفريقيا من بلاد المغرب طلع على سورها ورعى بسهم
وقال إلى حدّ هذه الرمية ينتهي صاحب الحمار، نخرج بالمغرب خارجي يعرف بأبي
يزيد صاحب الحمار ، وقصد المهديّة حتى انتهى إلى حدّ تلك الرمية ؛ فرجع ولم
يصل المهديّة .

وكان الحاكم بأمر الله أحد خلفاء مصر من عقب المهديّ المذكور يدعى علم
الغيب على المنبر بالجامع المعروف به على القرب من باب الفتوح بالقاهرة، فكتبوا
له بطاقة فيها :

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا * وليس بالكُفْرِ وَالْمَقَاتِ

إِنْ كُنْتَ أَوْتَيْتَ عِلْمَ غَيْبٍ * بَيْنَ لَنَا كَاتِبِ الْبِطَاقَةِ

فَتَرَكْ مَا كَانَ يَقُولُهُ وَلَمْ يُعَدِّ إِلَيْهِ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ .

وَهُمْ يَقْدَحُونَ فِي عِيَّاشِ بْنِ أَبِي الْفُتُوحِ الصَّنَهَاجِيِّ وَزَيْرِ الظَّافِرِ : أَحَدِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمَضْرُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ حَسَنُ الصُّورَةِ اسْمُهُ نَصْرٌ ، فَأَحَبَّهُ الظَّافِرُ الْمَذْكُورُ حَتَّى كَانَ يَأْتِي إِلَيْهِ لَيْلًا إِلَى بَيْتِهِ ، فَرَمَى عِيَّاشُ الظَّافِرُ بَابْنَهُ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْتَدْعِيَهُ فَاسْتَدْعَاهُ ، فَأَتَى إِلَيْهِ لَيْلَةً عَلَى الْعَادَةِ ، فَاجْتَمَعَ عِيَّاشُ بْنُ السَّلَارِ هُوَ وَابْنُهُ نَصْرٌ عَلَى الظَّافِرِ وَقَتْلَاهُ ، وَهَرَبَا إِلَى الشَّامِ ، فَأَسْرَمَهُمَا الْفَرَنْجُ ، ثُمَّ فُيِدِيَ ابْنُهُ وَصُلِبَ عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ .

وَهُمْ يَقْدَحُونَ فِي عِيَّاشِ الْمَذْكُورِ وَيَرْمُونَهُ بِالنَّفَاقِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي حَقِّ الظَّافِرِ مِنْ رَمِيهِ بَابْنِهِ وَقَتْلِهِ لِإِيَّاهُ .

قُلْتُ : وَعِيَّاشُ هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فِي "التَّعْرِيفِ" فِي صُورَةِ يَمِينِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بَابْنِ السَّلَارِ . وَهُوَ وَهْمٌ مِنْهُ ، إِذْ لَيْسَ عِيَّاشُ بَابْنِ السَّلَارِ ، وَإِنَّمَا ابْنُ السَّلَارِ هُوَ زَوْجُ أُمِّ عِيَّاشِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانَ قَدْ وَزَرَ لِلظَّافِرِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ رَيْبِهِ عِيَّاشٌ وَتَلَقَّبَ بِالْعَادِلِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْرِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ لِلظَّافِرِ مَعَهُ كَلَامٌ ، ثُمَّ دَسَّ عَلَيْهِ رَيْبُهُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِالْمُنَاةِ التَّحْتِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَوَقَعَ فِي ابْنِ الْأَثِيرِ وَالْمَقْرِزِيِّ بِالْمَوْحِدَةِ وَالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ .

(٢) سِيَاقِي بَعْدَ اسْطِرَالَتِهِ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ .

(٣) عِبَارَةُ ابْنِ الْأَثِيرِ (ج ١١ ص ٧٩) بِاخْتِصَارٍ : فَقَتَلَ عِيَّاشُ الْفَرَنْجَ وَأَسْرَمُوا أَبْنَهُ ثُمَّ فَدَاهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ طَلَّاحُ بْنُ رَزِيكٍ مِنْهُمْ وَضَلَبَهُ عَلَى بَابِ زَوَيْلَةَ .

عَيَّاشٌ مَنْ قَتَلَهُ ، وَوَزَّرَ لِلظَّافِرِ بَعْدَهُ . فابنُ السَّلاَرِ هُوَ الْعَادِلُ وَزِيرُ الظَّافِرِ أَوَّلًا
لَا عَيَّاشٌ رَيْبُهُ .

ومن أكبر الكبائر عندهم وأعظم العظائم أن يُرمَى أحدٌ من آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم لاسِيَّ الأَئِمَّةُ بِكَبِيرَةٍ ، أَوْ يُنْسَبَها [أحد] إلیهم ، أَوْ يُوَالَى لَهُمْ عَدُوًّا
أَوْ يُعَادِيَ وَلِيًّا .



وأما ما يختص به المُسْتَعْلَوِيَّةُ ، فانهم يُنْكِرُونَ إِمَامَةَ نِزَارِ بْنِ المُسْتَنْصِرِ المُقَدِّمِ ذِكْرَهُ ،
وَيَكْذِبُونَ النَّزَارِيَّةَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنْ نِزَارًا خَرَجَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ جَارِيَةٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ
الشَّرْقِ . ويقولون : إِنَّهُ مَاتَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَيِّتَةً ظَاهِرَةً . ويقولون : إِنَّهُ نَازِعَ
الْحَقِّ أَهْلَهُ وَجَاذِبَ (١) مِنْ حَيْثُ إِنْ الْحَقُّ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ كَانَ لِإِمَامِهِمُ
المُسْتَعْلِي بِاللهِ فَادَّعَاهُ لِنَفْسِهِ . ويقولون : إِنْ شِيعَتُهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَمُوَافَقَتُهُمْ
فِي اعْتِقَادِهِمْ إِمَامَتَهُ خَطَأً . وَيُرَوْنَ مِنَ الضَّلَالِ أَتْبَاعَ الحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ دَاعِيَةِ نِزَارٍ
وَالنَّاقِلِ عَنِ المُسْتَنْصِرِ النَّصَّ عَلَى إِمَامَتِهِ ، وَيُرَوْنَ الْكُوفَ فِي جُمْلَةِ النَّزَارِيَّةِ مِنْ أَعْظَمِ
الْأَضَالِيلِ ، لَا سِيَّامَنْ كَانَ فِيهِمْ آخِرَ أَذْوَارِ الأَئِمَّةِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ دَوْرٍ سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ ،
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ عَلَى أَصْلٍ مُعْتَقَدٍ هَذِهِ الْفِرْقَةُ .

ثم هم يعظمون راشد الدين سنان : وهو رجلٌ كان بَقْلَاعَ الدَّعْوَةِ بِأَعْمَالِ طَرَابُلُسَ
مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ فِي زَمَنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَتَتْهُ
رِيَاسَتُهُمْ إِلَيْهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَكَانَ رَجُلًا صَاحِبَ سِيْمَا ، فَأَرَاهُمْ بِهَا
مَا أَضَلَّ بِهِ عُقُولَهُمْ : مِنْ تَحْيِيلِ أَشْخَاصٍ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى طَاعَةِ أُمَمَتِهِمْ فِي جَنَاتِ
النَّعِيمِ ، وَأَشْخَاصٍ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى عِصْيَانِ أُمَمَتِهِمْ فِي النَّارِ وَالْجَحِيمِ ، فَثَبَّتَ ذَلِكَ

(١) بياض بالأصول ولعله : الخلافة ربها ، كما سيأتي نقلا عن التعريف .

عندهم واعتقدوه حقًا . ومن قدح في ذلك فقد دَخَلَ في أَهْلِ الضلال . وَيَقْدَحُونَ في آبن السُّلارِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَيَسْفَهُونَ رَأْيَهُ ^(١) فَمَا كَانَ مِنْهُ : مِنْ إِزَالَةِ الْخُطْبَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ وَحَطِّ رَأْيَتِهِمُ الصَّفْرَاءَ وَالْخُطْبَةِ لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَرَفْعِ رَأْيَتِهِمُ السُّودَاءَ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْقَعْلَةِ الَّتِي أَسْتَوْلَى بِهَا عَلَى قَصْرِ الْفَاطِمِيِّينَ وَمَنْ فِيهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ .



وَأَمَّا مَا يَخْتَصُ بِهِ النَّزَارِيَّةُ ، فَانْهَم يَقُولُونَ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى نِزَارٍ بَعْدَ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَإِنْ مَنْ بَحَّدَ إِمَامَتَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ حَمَلًا فِي بَطْنِ أُمَةٍ وَخَاضَ بِلَادَ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ هُمُ الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ بِمِصْرَ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ . وَيَقُولُونَ : إِنْ الْأَسْمُ يَغْيِرُ الصُّورَةَ بِمَعْنَى ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ الطَّعْنَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهُ فَمَا نَقَلَهُ عَنِ الْمُسْتَنْصِرِ مِنْ قَوْلِهِ : الْإِمَامَةُ بَعْدِي فِي وَلَدِي نِزَارٍ مِنْ أَكْثَرِ الْأَثَامِ ، وَيَعْظُمُونَ دَلَاءَ الدِّينِ صَاحِبَ قَلْعَةِ الْمَوْتِ ، وَهِيَ قَلْعَةُ الْبَطَّالِقَانِ بِنَاهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ شَاهِ السَّاجُوقِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرْسَلَ عُقَابًا فَبَرَزَ فِي مَكَانِهَا ؛ فَلَمَّا وَافَى مَكَانَهَا بَنَى فِيهِ هَذِهِ الْقَلْعَةَ وَسَمَّاها الْمَوْتِ ، وَمَعْنَاهُ تَعْلِيمُ الْعُقَابِ .

وَعَلَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ آبنُ جَلَالِ الدِّينِ الْحَسَنِ الْمَلَقَّبِ بِالْكِيَا ، وَهُوَ مِنْ عَقَبِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ أَظْهَرَ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِالْعَجَمِ وَالشَّامِ فَأُقِيمَتْ فِيهَا ، ثُمَّ تَوَفَّى بِقَلْعَةِ الْمَوْتِ الْمَذْكُورَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتْمِائَةٍ ، فَاسْتَوْلَى أَبْنُهُ عَلَاءُ الدِّينِ هَذَا عَلَى قَلْعَةِ

(١) لعل الصواب « ويسفهون رأى صلاح الدين يوسف بن أيوب » فانه هو الذي عمل ذلك العمل كما يشير إلى ذلك في اليمين الآتى والا فابن السُّلارِ قتل في زمن الظاهر .

ألموت المذكورة، وخالف رأى أبيه المذكور إلى مذهب التزارية، وصار رأساً من رؤوسهم، والتبرى منه عندهم من أشد الخطأ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَصْلَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ كَانَتْ بِالْبَحْرَيْنِ فِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ وَمَا بَعْدَهَا ، وَمِنْهُمْ كَانَتْ الْقَرَامِطَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْبَحْرَيْنِ حِينَئِذٍ ، نِسْبَةً إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَسَمَهُ قَرْمُطٌ ، خَرَجَ فِيهِمْ وَادَّعَى النَّبُوَّةَ وَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ، ثُمَّ ظَهَرُوا بِالشَّرِيقِ "بَأَصْبَهَانَ" : فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ مَلِكِشَاهِ السَّلْجُوقِيِّ ، وَاشْتَهَرُوا هُنَاكَ بِالْبَاطِنِيَّةِ : لِأَنَّهُمْ يُبْطِنُونَ خِلَافَ مَا يُظْهِرُونَ ، وَبِالْمَلَا حِدَةٍ : لِأَنَّ مَذْهَبَهُمْ كُلَّهُ إِلْحَادٌ ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى الشَّامِ ، وَنَزَلُوا فِيهَا حَوْلَ طَرَابُلُسَ ، وَأَظْهَرُوا دَعْوَتَهُمْ هُنَاكَ ، وَإِلَيْهِمْ تُنْسَبُ قِلَاعُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمَعْرُوفَةُ بِقِلَاعِ الدَّعْوَةِ ، فِيهَا حَوْلَ طَرَابُلُسَ ، كَمُصَيَّافٍ ، وَخَلْوَانِي ، وَالْقَدَمُوسَ ، وَغَيْرَهَا .

وَلَمَّا أَفْتَرَقُوا إِلَى مُسْتَعْلَوِيَّةٍ وَنِزَارِيَّةٍ كَمَا تَقَدَّمَ ، أَخَذَ مِنْهُمْ بِلَادَ الشَّرِيقِ بِمَذْهَبِ النَّزَارِيَّةِ ، عَمَلًا بِدَعْوَةِ ابْنِ الصَّبَاحِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ بِالشَّامِ بِقِلَاعِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِمَذْهَبِ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ ، وَصَارُوا شِيعَةً لِمَنْ بَعْدَ الْمُسْتَعْلِيِّ مِنْ خُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ ، وَاشْتَهَرُوا بِاسْمِ الْفِدَاوِيَّةِ ، وَوَثَبُوا عَلَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بِالشَّامِ مَرَّاتٍ وَهُوَ رَاكِبٌ لِيَقْتُلُوهُ فَلَمْ يَتِمَّ كُنُؤُهُ مِنْهُ . ثُمَّ صَالَحَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى قِلَاعِهِمْ بِأَعْمَالِ طَرَابُلُسَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ انْتَمَوْا إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ بَيْبَاسَ ، وَاشْتَهَرُوا بِاسْمِ الْفِدَاوِيَّةِ لِمَقَادَاتِهِمْ بِالْمَالِ عَلَى مَنْ يَقْتُلُونَهُ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" تَقَالِيًا عَنْ مَقَدَّمِهِمْ : مُبَارَكُ بْنُ عَلْوَانَ : أَنَّ كُلَّ مَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَانَ مَظْهَرًا لَهُمْ . وَلِذَلِكَ يَرُونَ إِتْلَافَ نَفُوسِهِمْ فِي طَاعَتِهِ : لِمَا يَنْتَقِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْكَبِيرِ فِي رِزْقِهِمْ . وَرَأَيْتُ نَحْوَ ذَلِكَ فِي "أَسَاسِ السِّيَاسَةِ" لِابْنِ ظَافَرَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ مُلُوكَ مِصْرَ كَالنَّوَابِ لِأَتَمَّتِهِمْ : لِقِيَامِهِمْ مَقَامَهُمْ .

أما آيائهم التي يُحلفون بها فقد قال في "التعريف" جرياً على معتقدهم المتقدم :
 إن اليمين الجامعة لهم أن يقول : إني والله والله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ،
 القادر القاهر ، الذي لا إله إلا هو ، وحق أئمة الحق ، وهداة الخلق ، عليّ وبنه أئمة
 الظهور والخفاء ، وإلا برئت من صحيح الولاء ، وصدقت أهل الأباطيل ، وقُت
 مع فرقة الضلال ، وانتصبت مع النواصب في تقرير المحال ، ولم أقُل بانتقال الإمامة
 إلى السيد الحسين ، ثم إلى بنه بالنص الجليّ ، موصولة إلى جعفر الصادق ، ثم إلى
 ابنه إسماعيل صاحب الدعوة الهاديّة ، والآثرة الباقية ، وإلا قدحت في القداح ،
 وأئمت الداعي الأول ، وسعيت في اختلاف الناس عليه ، ومالأت على السيد
 المهديّ ، وخدلت الناس عن القائم ، ونقضت الدولة على المعزّ ، وأنكرت أن يوم
 غدٍ يرُحم لا يُعذّب في الأعياد ، وقلت : أن لا أعلم للأئمة بما يكون ، وخالف من ادعى
 لهم العلم بالحدثان ، ورميت آل بيت محمدٍ بالعظام ، وقلت فيهم بالكائر ، وواليت
 أعداءهم ، وعاديت أولياءهم .

قال : ثم من هنا تُزاد التزاريّة : وإلا بفحذت أن يكون الأمر صار إلى نزار ،
 وأنه أتى حملاً في بطن جاريةٍ تخوفه خوَص بلاد الأعداء ، وأن الأسم لم يُغيّر
 الصورة . وإلا طعنّت على الحسن بن الصباح ، وبرئت من المولى علاء الدين
 صاحب الأموت ، ومن ناصر الدين سنّان الملقّب براشد الدين ، وكنت أول
 المعتدين ، وقلت : إن مارووه كان من الأباطيل ، ودخلت في أهل الفرية
 والأضاليل .

قال : وأما من سواهم من الإسماعيلية المنكرين لإمامة نزار ، فيقال لهم عوض
 هذا : وإلا قلت : إن الأمر صار إلى نزار ، وصدقت القائلين أنه خرج حملاً في بطن

جارية، وأنكرت ميثته الظاهرة بالإسكندرية، وأدعت أنه لم يَنَازِع الحقَّ أهله،
ويجاذِب الخِلافةَ ربَّها، ووافقتُ شيعته، وتبعْتُ الحَسَنَ بنَ صَبَّاح، وكنتُ
في النَّزاريَّةِ آخرَ الأدوار.

قال : ثمَّ يجمعهم آخرُ اليمين أن يُقال : وإلا قلتُ مقالةَ ابنِ السَّلاح في النِّفاق
وسدَّدْتُ رَأْيَ ابنِ أَيُّوب، وألقيتُ بيدي الرّايةَ الصَّفراءَ، ورفعتُ السَّوداءَ، وفعلتُ
في أهلِ القُصْرِ تلكَ الفِعالَ، وتمحَّلتُ مثلَ ذلكَ المحالِّ.

قلتُ : ما ذكره في " التعريف " فيما تَزادُه النَّزاريَّة : « ومنَ ناصرِ الدِّينِ سَنانِ
المُلَقَّبِ براشدِ الدِّينِ » وهُم : فإنَّ سنانا المذكورَ إمَّا هو من إسماعيلية الشَّام الذين
هم شِيعَةُ المُستعلويَّةِ لامن الإسماعيلية النَّزاريَّة الذين هم ببلاد المَشْرِقِ ، على ما تقدَّم
بِسانه . فكان من حَقِّه أن يُلحِقَ ذلكَ بِيمينٍ من سواهم من الإسماعيلية الذين هم
المستعلوية . وكذلك قوله : ثمَّ يجمعهم آخرُ اليمين أن يُقال : « وإلا قلتُ مقالةَ
ابنِ السَّلاح في النِّفاق ، وسدَّدْتُ رَأْيَ ابنِ أَيُّوب » إلى آخره، فإنَّ ذلكَ مما يختص
بالمُستعلويَّةِ ، لأنَّ ابنَ السَّلاح كان وزيرَ الظافر كما تقدَّم، والظافر من جُملة الخلفاء
القائمين بمِصرَ بعد المُستعلي، الذين خالفتِ النَّزاريَّةُ في إمامتهم . وكذلك قِضيةُ ابنِ
أَيُّوبَ إمَّا كانت مع العاضِدِ آخرِ حُلَفائِهِم بمِصرَ، وكلُّ ذلكَ مختصٌّ بإسماعيلية الشَّام
الذين هم شِيعَةُ المُستعلوية دون النَّزاريَّة، وحينئذٍ فكان من حَقِّه أن يقتصرَ في زيادةِ
يمينِ النَّزاريَّةِ على آخر « وبرئتُ من المولى ملاءِ الدِّينِ صاحبِ الموت » ويزيدُ في يمينِ
من سواهم من الإسماعيلية بعد قوله آخرَ الأدوار : « وإلا برئتُ من ناصرِ الدِّينِ
سنانِ المُلَقَّبِ براشدِ الدِّينِ ، وكنتُ أوَّلَ المُعتدينَ، وقلتُ : إنَّ ماراه كان من
الأباطيل، ودخلتُ في أهلِ الفِرْيَةِ والأضاليل » ثمَّ يقول بعد ذلك : « وإلا قلتُ

مقالة آبن السّار في النّفاق ، وسدّدت رأى آبن أيّوب ، وألّقت بيدي الرّاية الصّفراء ، ورفعت السّوداء ، وفعلت في أهل القصر تلك الفعّال ، وتمحّلت مثل ذلك المحال .

الفرقة الرابعة

(من الشيعة الدرزية)

قال في ” التعريف “ : وهم أتباع أبي محمد الدرزي . قال في ” التعريف “ : وكان من أهل موالاة الحاكم أبي علي المنصور بن العزيز خليفة مصر . قال : وكانوا أولاً من الإسماعيلية ، ثم خرجوا عن كلّ ما تمحلّوه ، وهدموا كلّ ما أثّلوه ، وهم يقولون برّجة الحاكم ، وأن الألوهية انتهت إليه وتديرت ناسوته ، وهو يغيب ويظهر بهيئته ويقتل أعداءه قتل إبادة لا معاد بعده ، بل ينكرون المعاد من حيث هو ، ويقولون نحو قول الطبائعية : إن الطبائع هي المولّدة ، والموت بفناء الحرارة الغريزية ، كأنطفاء السراج بفناء الزيت إلا من أعطي ، ويقولون : دهر دائم ، وعالم قائم ؛ أرحام تدفع ، وأرض تبّلع ؛ بعد أن ذكر أنهم يستيحيون فروج المحارم وسائر الفروج المحرّمة ، وأنهم أشدّ كفراً ونفاقاً من النصيرية الآتي ذكرهم ، وأبعد من كلّ خير وأقرب إلى كلّ شر .

ثم قال : وأصل هذه الطائفة هم الذين زادوا في البسمة أيام الحاكم ، فكتبوا : باسم الحاكم الله الرحمن الرحيم ، فلما أنكر عليهم كتبوا : باسم الله الحاكم الرحمن الرحيم ، فجعلوا في الأول الله صفةً للحاكم ، وفي الثاني العكس . وذكر أن منهم أهل كسروان ومن جاورهم . ثم قال : وكان شيخنا آبن تيمية رحمه الله تعالى يرى

أَنَّ قِتَالَهُمْ وَقِتَالَ النَّصِيرِيَّةِ أَوَّلَى مِنْ قِتَالِ الْأَرَمِينَ : لِأَنَّهُمْ عَدُوٌّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَشَرٌّ بِقَائِهِمْ أَضَرُّ .

وقد رتب على هذا المعتقد أيمانهم في "التعريف" فقال : وهؤلاء أيمانهم .
إِنِّي وَاللَّهِ وَحَقُّ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ فِي مَوْلَايَ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ
الدَّرْزِيُّ الْجَمَّةُ الْوَاضِحُ ، وَرَأَى الدَّرْزِيُّ مِثْلَ الشَّمْسِ اللَّائِحَةِ ؛ وَإِلَّا قُلْتُ : إِنْ مَوْلَايَ
الْحَاكِمُ مَاتَ وَبَلَى ، وَتَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُ وَفَنِيَ ؛ وَأَعْتَقَدْتُ تَبْدِيلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،
وَعَوْدَ الرَّمِّ بَعْدَ الْفَنَاءِ ؛ وَتَبِعْتُ كُلَّ جَاهِلٍ ، وَحَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي مَا أُبَيِّحُ لِي ، وَعَمِلْتُ
بِيَدِي عَلَى مَا فِيهِ فَسَادٌ بَدَنِي ، وَكَفَرْتُ بِالْبَيْعَةِ الْمَأْخُودَةِ ، وَأَلْقَيْتُهَا وَرَأَيْتُ مِنْبُودَهُ .

الفَرْقَةُ الْخَامِسَةُ

(من الشيعة النصيرية بضم النون وفتح الصاد المهملة)

قال في "إرشاد القاصد" : وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وهم يدعون ألوهية علي رضي الله عنه مغالاة فيه . قال الشهرستاني :
[ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويؤوبون عن أصحاب مقالاتهم] ^(١) قال : وبينهم خلاف ^(٢)
في كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة [من أهل البيت] ^(١) واختلافهم راجع

(١) الزيادة من «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٩ .

(٢) بياض في الأصول مقدار ثلاثة أسطر .

ويزعمون أن مسكن على السحاب ، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق ضحكك ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ، ويقولون : إن سلمان الفارسي رسول الله ، وإن كشف الحجاب عما يقوله من أي كتاب بغير إذن ضلال ، ويحبون ابن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يلعنه .

قال في ” التعريف “ : ولهم خطاب بينهم ، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضرب عنقه . قال : وقد جرب هذا كثيرا ، وهم ينكرون إنكاره .

قال في ” إرشاد القاصد “ : وهم يخفون مقاتلتهم ، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق ، وأن مقاتلتهم مقالة أهل التحقيق ، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

قال في ” التعريف “ : ولهم [اعتقاد] في تعظيم النمر ، ويرون أنها من النور . ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل النمر حتى استعظموا قلعتها . ويزعمون أن الصديق وأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنهم تعدوا عليه ومنعوه حقه من الخلافة^(١) ، كما تعدى قابيل بن آدم عليه السلام على أخيه هابيل ، وكما اعتدى الثرود على الخليل عليه السلام ، وكما يقوم كل فرعون من الفراعنة على نبي من الأنبياء عليهم السلام .

قال في ” التعريف “ : وهي طائفة ملعونة مردولة مجوسية المعتقدين ، لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات . قال : ويحكى عنهم في هذا حكايات .

وقد رتب في ” التعريف “ حلقهم على مقتضى هذا المعتقد ، فقال : وإيمانهم : إننى وحق العلى الأعلى ، وما أعتقده في المظهر الأسنى ، وحق النور وما نشأ منه ،

(١) الضمير راجع الى ” على بن أبى طالب “ وان لم يذكر .

والسحاب وساكنه . وإلا برئت من مولاى على العلى العظيم ، ولأئى له ، ومظاهر الحق ، وكشفت حجاب سلمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجة نصير ، وخضت مع الخائضين فى لعنة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأذعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدى حتى أجتت أصولها وأمنع سبلها ، وكنت مع قابيل على هابيل ، ومع النمرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلى العظيم وهو على ساخط ، وأبرأ من قول قنبر ، وأقول : إنه بالنار ما تطهر .

الطائفة الثالثة

(من أهل البدع القدرية)

وهم القائلون بأن لا قدر سابق ، وأن الأمر أنف : يعنى مستأنفاً ، ولكنهم لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » قلبوا الدليل وقالوا بموجب الحديث ، وقالوا : القدرية اسم لمن يقول بسبق القدر . ثم غلب عليهم اسم المعتزلة بواسطة أن وأصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصرى فاعتزله بمسألة خالقه فيها . وهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد [وأهل العدل] ويعنون بالتوحيد نفى الصفات القديمة عن الله تعالى : كالحياة والعلم والإرادة والقدرة ؛ وأنه تعالى حتى بذاته ، [عالم بذاته] مرید بذاته ، قادر بذاته ، لا ب حياة وعلم وإرادة و قدرة ؛ ويعنون بالعدل أنهم يقولون : إن العبد إنما يستحق الثواب والعقاب بفعله الطاعة والعصيان ، باعتبار أنه الخالق لأفعال نفسه دون الله تعالى ، تزيهاً له تعالى عن أن يضاف إليه خلق الشر : من كفر ومعصية . وإذا كان العبد هو الخالق لأفعال نفسه الموجد لها فليس قدر سابق .

ولهم أئمة كثيرة ، لهم مصنفات في الأصول والفروع : منهم وأصل بن عطاء ، وأبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النخّام ، وإشهر بن المعتز ، ومعمّر بن عبّاد ، وأبو عثمان الجاحظ ، [وأبو عليّ الجبائي^(١) وابنه أبو هاشم ، وغيرهم . وعندهم أنه لا قدر سابق بل الأمر أنف ، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشية ، وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما تقدم .

ومن علّت رتبته فيهم الجعد بن درهم ، اجتمع على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وأخذ عنه مروان مذهبَه في القول بالقدّر وخلق القرآن ، وعلّت رتبته عنده ، وبه سُمّي مروان المذكور الجعدي . وكانت له واقعة مع هشام بن عبد الملك ابن مروان . ويستعظمون الإيمان بالقدّر : خيره وشره ، ويتبرعون منه ، وينكرون القول بأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . ويقولون : إذا كان أمر مفروغ منه فقيم يسدّد الإنسان ويُقارب ؟ . ويطعنون في رِوَاة حديث : « أَعْمَلُوا فكلّ ميسر لما خُلِقَ له » . ويتأولون قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ . ويستعظمون البراءة من اعتقادهم ، ولقاء الله تعالى على القول بأن الأمر غير أنف .

وقد رتب في "التعريف" أيماهم على هذا المعتقد ، فقال :

ويمينهم : والله والله العظيم ذي الأمر الأنف ، خالق الأفعال والمشية . وإلا قلت : بأن العبد غير مكتسب ، وأن الجعد بن درهم محقّب ، وقلت : إن هشام بن عبد الملك أصاب دماً حلالاً منه ، وإن مروان بن محمد كان ضالاً في أتباعه ، وآمنت بالقدّر خيره وشره ، وقلت : إن ما أصابني لم يكن ليخطئني

(١) الزيادة عن «خط المقرزي» ج ٢ ص ٣٤٨ .

وما أخطأني لم يكن ليصيبني ، ولم أفل : إنه إذا كان أمرٌ قد فرغ منه فقيم أسدّد وأقارب ، ولم أظعن في رُواةٍ حديث « آعملوا فكلُّ ميسرٍ لما خُلق له » ولم أتاوّل معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ . وبرئت مما أعتقد ، ولقيت الله وأنا أقول : إِنَّ الْأَمْرَ غَيْرُ أَنْفٍ . وبالله التوفيق والعصمة .

المهييع الثاني

(في الأيمان التي يُخلف بها أهل الكُفر ممن قد يُحتاج إلى تحليفه ،
وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من زعم منهم التمسك بشريعة نبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام ،
وهم أصحاب ثلاث ملل)

الملّة الأولى

(اليهود)

وَأَشْتَقُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ : هَادَ إِذَا رَجَعَ . وَلَزِمَهَا هَذَا الْأَسْمُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا ﴾ أَيْ رَجَعْنَا وَتَضَرَّعْنَا . وَمُتَحِلُّهَا الْيَهُودُ الْمُتَمَسِّكُونَ
بِشَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ السُّلْطَانُ عِمَادُ الدِّينِ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ :
وَهُمْ أَعَمُّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَجْنَاسِ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ قَدْ دَخَلُوا
فِي الْيَهُودِيَّةِ وَلَيْسُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَكِتَابُهُمُ الَّذِي يَتَمَسَّكُونَ بِهِ "التَّوْرَةُ" وَهُوَ
الْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال أبو جعفر النَّحَّاسُ ، في "صناعة الكتاب" : وهي مُشْتَقَّةٌ من قولهم : وَرَتْ نَارِي وَوَرَيْتَ ، وأوريتها إذا أَسْتَخْرَجْتَ ضَوْءَهَا : لأنه قد أَسْتَخْرَجَ بها أَحْكَامَ شَرْعَةِ موسى عليه السلام ، وكان النَّحَّاسُ يَمْنَحُ إلى أن لفظ التَّوراة عَرَبِيٌّ ، والذي يظهر أنه عِبْرَانِيٌّ مُعَرَّبٌ : لأن لغة موسى عليه السلام كانت العِبْرَانِيَّةُ ، فَنَاسَبَ أن تكون من لُغَتِهِ التي يفهمها قَوْمُهُ ، قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ في "النَّحْلِ وَالْمِلَلِ" : وهي أَوَّلُ مُتَرَجِّمٍ عَلَى بنى إِسْرَائِيلَ سُمِّيَ كِتَابًا ، إِذْ مَاقَبَلَهَا مِنَ الْمُتَرَجِّلِ إِنَّمَا كَانَ مَوَاعِظَ وَنَحْوَهَا . قال صَاحِبُ حَمَاة : وليس فيها ذِكْرُ الْقِيَامَةِ وَلَا الدَّارِ الْآخِرَةِ وَلَا بَعْثٍ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ ، وَكُلُّ وَعِيدٍ يَقَعُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ بِمَجَازَةِ دُنْيَوِيَّةٍ ، فَيُوعَدُونَ عَلَى مَجَازَةِ الطَّاعَةِ بِالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَطُولِ الْعُمُرِ ، وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَيُوعَدُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ بِالمَوْتِ وَمَنْعِ الْقَطْرِ وَالْحُمَيَّاتِ وَالْحَرْبِ ، وَأَن يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ بَدَلُ الْمَطَرِ الْغُبَارُ وَالظُّلْمَةُ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، يَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ تَعَالَى : ﴿ فَيُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ . الْآيَةُ ، بِفَعْلِ الظُّلْمِ سَبَبًا لِلتَّحْرِيمِ . قال : وليس فيها أَيْضًا ذِمُّ الدُّنْيَا ، وَلَا طَلَبُ الزُّهْدِ فِيهَا ، وَلَا وَظِيفَةُ صَلَوَاتٍ مَعْلُومَةٍ ، بَلْ فِي التَّورَةِ الْمَوْجُودَةِ بِأَيْدِيهِمُ الْآنَ نِسْبَةُ أُمُورٍ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْأَسْبَاطِ وَغَيْرِهِمْ لَا تَحِلُّ حِكَايَتُهَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّورَةَ عَلَى خَمْسَةِ أَصْفَارٍ :

أَوَّلُهَا — يَشْتَمِلُ عَلَى بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَالتَّارِيخِ مِنْ آدَمَ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وِثَانِيهَا — فِيهِ اسْتِخْدَامُ الْمُصْرِيِّينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَظُهُورُ موسى عليه السلام عَلَيْهِمْ ، وَهَلَاكُ فِرْعَوْنَ ، وَنَصْبُ قُبَّةِ الزَّمَانِ وَهِيَ قُبَّةُ [كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى فِيهَا الْوَحْيُ] وَأَحْوَالُ النَّبِيِّ ، وَإِمَامَةُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَنَزُولُ الْعَشْرِ كَلِمَاتٍ فِي الْأُولَاحِ ^(١)

(١) بياض في الأصل والنصح مما سيأتى قريبا . انظر ص ٢٥٨ من هذا الجزء .

على موسى عليه السلام ، وهى شبه مختصر مما فى التوراة يشتمل على أوامر ونواهٍ وسماعُ القوم كلام الله تعالى . وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : وكانت الألواح من زمردة خضراء ، وقال ابن جبير : من ياقوتة حمراء ، وقال أبو العالمة : من زبرجد ، وقال الحسن : من خشب نزلت من السماء ، ويقال : إنها كانت لوحين . وإنما جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الاثنين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والمراد آثان .

وثالثها — فيه كيفية تقريب القرابين على سبيل الإجمال .

ورابعها — فيه عددُ القوم ، وتقسيمُ الأرض بينهم ، وأحوالُ الرسل الذين بعثهم موسى عليه السلام من الشام ، وأخبارُ المن والسلوى والغمام .

وخامسها — فيه أحكامُ التوراة بتفصيل المُجمل ، وذكرُ وفاة هرون ثم موسى عليهما السلام ، وخلافةُ يوشع بن نون عليه السلام بعدهما .

ثم قد ذكر الشَّهرستاني وغيره أن فى التوراة البشارة بالمسيح عليه السلام ، ثم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ قد ورد ذكرُ المَشيحَا فى غير موضع ، وأنه يخرج واحدٌ فى آخر الزمان ، هو الكوكبُ المضيء الذى تُشرق الأرض بنوره . وغير خاف على ذى لُب أن المراد بالمَشيحَا المسيح عليه السلام ، وأنَّ المراد بالذى يخرج فى آخر الزمان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بل ربما وقعت البشارة بهما جميعاً فى موضع واحد ، كما فى قوله : إن الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر من ساعير وعان بفاران .

(١) كذا فى الشهرستاني أيضا وفى معجم البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير وأستعلن الخ .

وساعير هي جبال بيت المقدس حيث مظهر المسيح عليه السلام، وفاران جبال مكة حيث ظهر النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشهرستاني : وما كانت الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية ، في الوحي والتزيل ، [والمناجاة والتأويل] ^(١) على ثلاث مراتب : مبدئاً ووسط وكال ، وكان المحيى أشبه شئ بالمبدئ ، والظهور أشبه بالوسط ، والعلن أشبه بالكال ، عبر في التوراة عن ظهور صبح الشريعة ^(١) [والتزيل] ^(١) بالمحيى [على طور سيناء] ^(١) ، وعن طلوع شمسها بالظهور ^(١) [على ساعير] ، وعن بلوغ درجة الكمال [والأتواء] بالعلن ^(١) [على فاران] ، وقد عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه في التوراة حق المعرفة : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . وقد ذكر المفسرون عن ابن عباس رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ألقى الألواح عند رجوعه إلى قومه ، تكسرت فلم يبق منها إلا سُدسها . ويروى أن التوراة كانت سبعين وسق بعير ^(٢) وأنها رُفِعَ منها ستة أسباعها وبقي السبع ، ففي الذي بقي الهدى والرحمة ، وفي الذي رُفِعَ تفصيل كل شئ .

وليعلم أن اليهود قد آفروا على طوائف كثيرة ، المشهور منها طائفتان :

الطائفة الأولى

(المُتَّفِقُ عَلَى يَهُودِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ الْقَرَّاءُونَ)

^(٣) وهم وإن كانوا فرقتين ، فإنهم كالفرقة الواحدة ، إذ تورائهم واحدة ، ولا خلاف في أصل اليهودية بينهم . وقد اتفق الجميع على استخراج ستائة وثلاث عشرة

(١) الزيادة عن « الملل والنحل » للشهرستاني (ص ١٢٥) .

(٢) بياض بأصله .

(٣) أى قرائين وربانيين بدليل ما يأتى .

فَرِيضَةٌ مِنَ التَّوْرَةِ يَتَّبِعُونَ بِهَا . ثُمَّ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَهُوَ إِسْرَائِيلُ ، وَالْأَسْبَاطُ : وَهُمْ بَنُوهُ الْاِثْنَا عَشَرَ الْآتَى ذَكَرَهُمْ آخَرًا . وَهُمْ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ الْآتَى ذَكَرَهَا : وَهِيَ السَّامِرَةُ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَاءَ غَيْرِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَيَنْقَلِبُونَ عَنْ يُوشَعَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا زِيَادَةً عَلَى التَّوْرَةِ يَعْبَرُونَ عَنْهَا بِالنُّبَوَاتِ تَعْرِفُ بِالْأَوَّلِ .

ثُمَّ الرَّبَّانِيُّونَ يَنْفَرِدُونَ عَنِ الْقَرَّائِينَ بِشُرُوحِ مَوْضُوعَةٍ لِفَرَايِضِ التَّوْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، وَضَعَهَا أَحْبَابُهُمْ ، وَتَفْرِيعَاتٍ عَلَى التَّوْرَةِ يَنْقَلِبُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَيَتَّفِقُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْقَرَّاءُونَ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَيُوجِّهُونَ لَهَا مَوَاتِنَهُمْ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ : وَهُوَ جَبَلٌ فِي رَأْسِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةٍ فِي آخِرِهِ ، دَاخِلٌ بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ يَكْتَنِفَانِهِ .

وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا — الْقَوْلُ بِالظَّاهِرِ وَالْجُنُوحِ إِلَى التَّأْوِيلِ . فَالْقَرَّاءُونَ يَقِفُونَ مَعَ ظَوَاهِرِ نُصُوصِ التَّوْرَةِ ، فَيَحْمِلُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : مِنْ ذِكْرِ الصُّورَةِ ، وَالتَّكْلُمِ ، وَالْأَسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالتَّنْزِيلِ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ ، كَمَا تَقُولُهُ الظَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُنْجِرُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ ، وَالْقَوْلِ بِالْجِهَةِ . وَالرَّبَّانِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْعَرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الثاني — القول بالقدر . فالرَّبَّانِيُّونَ يقولون بأن لا قدرَ سابق وأن الأمرَ ^{أُنْفِ} كما تقوله القَدَرِيَّة من المسلمين . والقراءون يقولون بسابق القدر كما تقوله الأشعرية . أما ما عدا ذلك فكلّا الفريقين يقولون : إن الله تعالى قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَاحِدٌ قَادِرٌ ، وإنه تعالى بعث موسى بالحق ، وشَدَّ أزره بأخيه هرون . ويعظمون التوراة التي هي كتابهم أتمَّ التعظيم ، حتى إنهم يُقسِمون بها كما يُقسِم المسلمون بالقرآن ، وكذلك العشر كلمات التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح الجوهرية ، وقد تقدّم أنها مختصر ما في التوراة ، مشتملة على أوامر ونواهٍ وسماع كلام الله تعالى ، وهم يحلفون بها كما يحلفون بالتوراة ، ويعظمون قُبَّة الزَّمان وما حوته : وهي القبة التي كان ينزل على موسى فيها الوحي .

ومن أعظم أنواع الكُفر عندهم تَعَبُّدُ فرعون وهامان لغيرهما الله . (وكان اسم فرعون موسى فيما ذكره المفسرون الوليد بن مضعب ، وقيل : مضعب بن الريان . واختلف فيه : فقيل كان من العالقة . وقيل من النبط . وقال مجاهد : كان فارسياً وهامان وزيره) والتبري من إسرائيل (وهو يعقوب عليه السلام) ومعنى إسرائيل فيما ذكره المفسرون « عبد الله » كأن « إسرا » عبد ، و « إيل » اسم الله تعالى بالعبرانية . وقيل : إسرا من السر^(١) ، وكان إسرائيل هو الذي شدد الله وأتقن خلقه .

ومن أعظم العظام عندهم الأخذُ بدين النصرانية ، وتصديق مريم عليها السلام في دعواها أنها حملت من غير أن يمسها بشرٌ ، ويرمونها بأنها حملت من يوسف النجار ، وهو رجل من أقاربها كان يُخدم البيت المقدس معها ، ويرون تبرئتها من ذلك جريرةً تقترب .

ويستعظمون الوقوع في أمور :

(١) لعله من الأسر كما يفيد ما بعده .

منها - القول بإنكار خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

ومنها - تعمّد طور سيناء الذى كلم الله تعالى موسى عليه بالقادورات، ورعى صخرة بيت المقدس التى هى قبلتهم بالنجاسة، ومشاركة جحشصر فى هدم بيت المقدس وقتل بنى إسرائيل، وإلقاء العذرة على مظان أسفار التوراة .

ومنها - الشرب من النهر الذى ابتلي به قوم طالوت ملك بنى إسرائيل، والميل إلى جالوت ملك الكنعانيين : وهو الذى قتله داود عليه السلام، ومفارقة شيعة طالوت الذين قاموا معه على جالوت . وذلك أنه لما رفعت التوراة وتسلط على بنى إسرائيل عدوهم من الكنعانيين الذين ملكهم جالوت ، كانت النبوة حينئذ فيهم في شمعون، وقيل في شمويل، وقيل في يوشع بن نون، فقالوا له : إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، فقال لهم ما أخبر الله تعالى به : ((إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً)) ولم يكن من سبط الملك ، إذ كان الملك من سبط معروف عندهم ، فقيل : كان سقاءً ، وقيل : كان دباغاً ، فأنكروا ملكه عليهم ، وقالوا كما أخبر الله تعالى : ((أئى يكون له الملك علينا)) الآية ؛ فلما فصل طالوت بالجنود أراد الله تعالى أن يريه من يطيعه في القتال ممن يعصيه ، فسلط عليهم العطش وأبتلاهم بنهر من حولهم ، قيل : هو نهر فلسطين ، وقيل : نهر بين الأردن وفلسطين ، فقال لهم طالوت : ((إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى)) إلى قوله : ((وقتل داود جالوت)) .

ومنها - إنكار الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إليهم : وهم موسى وهرون ويوشع ومن بعدهم : من أنبيائهم عليهم السلام ، ومن قبلهم : من إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ، والأسباط الاثني عشر الآتى ذكرهم ، والدلالة على دانيال

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ ، وَإِخْبَارُ فِرْعَوْنَ بِمَصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عِنْدَ اخْتِفَائِهِ بِهَا ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْبَنِيِّ وَالْفَوَاحِشِ يَوْمَ يَحْيَىٰ بَنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ .

وَمِنْهَا - الْقَوْلُ أَنَّ النَّارَ الَّتِي أَضَاءَتْ لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَجَرَةِ الْعُودِ بِالطَّرِيقِ
عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ حَتَّى قَصَدَهَا وَكَانَتْ وَسِيلَةً إِلَىٰ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُ نَارُ إِفْكٍ
لَا وُجُودَ لَهَا ؛ وَكَذَلِكَ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَىٰ مَدْيَنَ فَارًا
مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَالْقَوْلُ فِي بَنَاتِ شُعَيْبٍ اللَّاتِي سَقَىٰ لَهْنُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِظَائِمِ
وَرَمَيْهِنَّ بِالْقَيْحِ .

وَمِنْهَا - الْإِجْلَابُ مَعَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقِيَامُ مَعَهُمْ فِي غَلَبَتِهِ ،
وَالْتَبَرُّ مِنَ آمَنَ مِنْهُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَمِنْهَا - يَقُولُ مَنْ قَالَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : الْحَقَّ الْحَقَّ : لَنُذْرِكَ مِنْ قَرَرٍ : مِنْ مُوسَىٰ
وَقَوْمِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ
فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ .

وَمِنْهَا - الْإِشَارَةُ بِتَخْلِيفِ تَابُوتٍ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِصْرَ حِينَ أَرَادَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ
السَّلَامُ نَقْلَهُ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَكَذَلِكَ أَنَّهُمْ
جَعَلُوا تَابُوتَهُ فِي أَحَدِ شِقَى النَّيْلِ فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْآخَرُ ، فَحَوَّلُوهُ إِلَى الْجَانِبِ
الْآخَرِ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ ، فَبَعَلُوهُ وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ
جَانِبَاهُ جَمِيعًا ، إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضُرِبَ النَّيْلَ بِعَصَاهُ فَأَنْفَلَقَ عَنِ
التَّابُوتِ . فَأَخَذَ فِي نَقْلِهِ إِلَى الشَّامِ لِيُدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ . فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِبَقَائِهِ بِمِصْرَ
فَوَقَعَ فِي مَحْطُورٍ لِمُخَالَفَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرِيدُهُ .

ومنها - التَّسْلِيمُ لِلسَّامِرِيِّ وَتَصْدِيقُهُ عَلَى الْحَوَادِثِ الَّتِي أَحْدَثَهَا فِي الْيَهُودِيَّةِ عَلَى مَا سَأَتَى ذَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّامِرَةِ فِي الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْيَهُودِ .

ومنها - نُزُولُ أَرِيحَا : مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ .

ومنها - الرِّضَا بِفِعْلِ سَكْنَةِ سَدُومَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ أَيْضًا وَهُمْ قَوْمُ لُوطٍ .

ومنها - مَخَالَفَةُ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِي وَرَدَ [الْحَثُّ] فِيهَا عَلَيْهَا .

ومنها - اسْتِبَاحَةُ السَّبْتِ بِالْعَمَلِ فِيهِ وَالْعَدْوِ فِيهِ : إِذَا اسْتَبَاحَتْهُ عَنْدهُمْ تَوْجِبُ هَدْرَدَمٍ مُسْتَبِيحِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُسِيخٌ مِنْ مُسِيخٍ بِاسْتِبَاحَتِهِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

ومنها - إِنْكَارُ عِيدِ الْمِظْلَةِ وَهُوَ [سَبْعَةُ أَيَّامٍ أَوَّلُهَا الْخَامِسُ عَشَرَ مِنْ تَشْرِى] وَعِيدُ الْحَنْكَةِ وَهُوَ [ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ يَوْقِدُونَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْ لَيْلِيهِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِمْ سَرَاجًا وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ سَرَاجِينَ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةِ ثَمَانِيَةُ سَرَاجٍ] وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَعْيَادِهِمْ .

ومنها - الْقَوْلُ بِالْبَدَاءِ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَهُوَ أَنْ يَخْطِرَ لَهُ غَيْرُ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ تَعَالَى مُتَرَهِّعٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَتَّبُوا عَلَيْهِ مَنَعَ نَسْخِ الشَّرَائِعِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّسْخَ يَسْتَلْزِمُ الْبَدَاءَ ، وَهُوَ مِمَّا اتَّفَقَ كَافَّةُ الْيَهُودِ عَلَى مَنَعِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا .

ومنها - اِعْتِقَادُ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الْمَذْكُورَ بِلَفْظِ الْمَسِيحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

ومنها - الْاِتِّتِقَالُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَدْيَانِ ، إِذْ عَنْدهُمْ أَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْاِبْتِدَاءُ ، وَبِهَا وَقَعَ الْاِخْتِمَامُ .

(١) بياض بالأصول والتصحيح من ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ من هذا المطبوع

(٢) هو عين ما بعده في المعنى .

ومنها - الانتقال من اليهودية إلى ما عداها من الأديان : كالإسلام والنصرانية وغيرهما ، فإنه يكون بمثابة المُرْتَدَّ عند المسلمين .

ومنها - استباحة لحم الجمل : فإنه محرَّم عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب محظوراً عظيماً عندهم ، وقد دخل ذلك في عموم قوله تعالى إخباراً بما حرَّم عليهم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . يعني ما ليس بمُفْرِج الأصابع كالإبل وما في معناها .

ومنها - استباحة أكل الشَّحْمِ خِلا شَحْمِ الظَّهْرِ ، وهو ما علا فإنه مُباح لهم ؛ وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

ومنها - استباحة أكل الحَوَايَا . قال ابن عباس وغيره : هي المَبَاعِرُ . وقال أبو عبيدة : هي ما تحوى من البطن أى استدار ، والمراد شَحْمُ الرَّبِّ . وكذلك استباحة ما اختلط من الشَّحْمِ بِعَظْمٍ وهو شَحْمُ الأَلْيَةِ ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ عطفًا على الشُّحُومِ الْحَرَمَةِ . على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ على المستثنى في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فحمله على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه الآول ، و يرون أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يحرم علينا شيء إنما حرَّم إسرائيل على نفسه الرِّبَّ وشَحْمُ الأَلْيَةِ فَنَجِّنْ حُرْمَهُ ، فنزلت . على أن اليهود القرائين والرَّبَّانِيَّين يَحْمِلُونَهَا فيديعونها ويأكلون ثَمَنَهَا ، ويتأولون أن أَكَلَ ثَمَنِهَا غير أَكَلِ مِنْهَا ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ ! حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا ثَمَنَهَا » والسامرة مخالفون في ذلك ، ويقولون بتحریم الثَّمنِ أيضًا ، على ما سيأتى ذكره .

وَلْيَعْلَمَ أَنَّ الْقَرَّائِينَ وَالرَّيَّانِينَ يُحْرَمُونَ مِنَ الذَّبِيحَةِ كُلِّ مَا كَانَتْ رِثَتُهُ مُلْتَصِقَةً بَقَلْبِهِ
أَوْ يَضْلَعُهُ ، وَالسَّامِرَةَ لَا يُحْرَمُونَ ذَلِكَ .

(١)

ومنها - مقالة أهل بابل في إبراهيم عليه السلام ، وهى قولهم

ومنها - أن يُحَرَّمَ الأخبار الذين هم علماءهم على الواحد منهم ، بمعنى أنهم يمنعونه
من مُباحاتهم فى المآكل والمشارب والنكاح وغير ذلك حُرمةً يُجْعَلُونَ عليها ، ونبأ كَدَّ
بَقَلْبِ حُصْرِ الكائس عليها ؛ إذ من عادتهم أنهم إذا حرّموا على شخص وأرادوا التّشديد
عليه قلبوا حُصْر الكائس عند ذلك التّحرّيم تَغْلِيظًا على المحرّم عليه .

ومنها - الرّجوع إلى التّيه بعد الخروج منه ، فإنهم إنمّا خرجوا إليه عند سُخْطِ
الله تعالى عليهم بخالفة موسى عليه السلام عند امتناعهم عما أمرُوا به من قتال
الجبّارين ، كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهِونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال المفسّرون : وكان تيههم
سِتَّةَ فَرَاسِخٍ فى أربعة فَرَاسِخٍ ، يمشون كلّ يومٍ وَيَبْتَئُونَ حَيْثُ يُصْبِحُونَ ، فأمر الله
تعالى موسى عليه السلام فضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا ،
وكانوا اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطًا . كُلُّ سَبْطٍ عَيْنٌ ، فإذا أخذوا حاجتهم من الماء آحَنَسَ
وَحَمَلُوا الْحَجَرَ مَعَهُمْ ، وكانت ثيابهم فيما يروى لا تُحَرِّقُ وَلَا تُتَدَسُّ ، وَتَطُولُ كَمَا
طَالَ الصَّيَّانُ .

ومنها - تحريم المَنِّ والسَّلَوى الذى آمَنَ الله تعالى عليهم به كما أخبر بذلك بقوله
تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴾ ويقال إنه التّرجيبين .
وقال ابن عَبَّاسٍ : والمراد بالمَنِّ الذى يسقط على الشّجر وهو معروف . قال قتادة :
كان المَنُّ يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس كسقوط الثلج ، فيأخذ

(١) بياض بالأصول ولعله « انه لمن الظالمين فى تكسير أصنامهم » .

الرجل منهم ما يكفيه ليومه، فإن أخذاً أكثر من ذلك فسَد . وأما السَّلَوَى، فقليل :
هى طائرٌ كَالسَّمَانَى، وقال الضَّحَّاك : هى السَّمَانَى نَفْسُهَا، وقال قتادة : هو طائرٌ إلى
الحمرة كانت تحشره عليهم الجنوب .

ومنها - التَّبَرُّؤُ من الأسباط : وهم أولادُ يَعْقُوبَ عليهم السلام، وعددهم اثنا عشر
سَبْطًا : وهم يُوسُفُ، وبَنِيَامِينُ، وَنَفْتَالِي، وَرُؤَيْسِلُ، وَيَهُوذَا، وَشَمْعُونُ، وَلَؤِي،
وَدَانُ، وَزَبُلُونُ، وَيَشِيجِرُ، وَجَادُ، وَأَشِرُ، ومنهم تفرَّع جميعُ بني إسرائيلَ وَلَدَ كُلِّ
منهم أُمَّةٌ من الناس . ومثوا أسباطا أخذًا من السَّبْطِ وهو التابع، إذ هم جماعةٌ
متتابعون . وقيل : من السَّبْطِ وهو الشَّجَرُ، فالسَّبْطُ الجماعةُ الراجعون إلى
أصلٍ واحدٍ .

ومنها - القعودُ عن حَرْبِ الجَبَّارين مع القُدرة على حَرْبِهِم : وذلك أنهم أُمرُوا
بدخول الأرض المقدَّسة : وهى بَيْتُ المَقْدِسِ فيما قاله ابن عباس والسُّدِّيُّ وغيرهما،
والشَّامُ فيما قاله قتادة، ودمشقُ وفلسطينُ وبعضُ الأُرْدُنِّ فيما قاله الزجاج، وأرضُ
الطُّورِ فيما قاله مجاهدٌ، وكان فيها قومٌ جَبَّارُونَ من العَالِقَةِ كما أخبر الله تعالى، والجَبَّارُ
هو المتعظَّمُ المتَّعِصُّ من الدُّلِّ والقَهْرُ أخذًا من الإِجْبَارِ : وهو الإِكرَاهُ كأنه يجبر غيره
على ما يريدُه .

قال ابن عباس : لما بعث موسى عليه السلام من قومه اثني عشر نقيباً ليُخبروه
خبرهم، رآهم رجلٌ من الجَبَّارين فأخذهم في كُفِّهِ مع فَاكِهَةٍ كان قد حملها من بُسْتَانِهِ
وجاء بهم إلى المَلِكِ فنثرهم بين يَدَيْهِ، وقال : إن هؤلاء يُريدون قتالنا، وكان من
أمرهم ما قصه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

(١) كذا في الكشاف للزمخشري (ج ١ ص ٣٨٠) وفي الأصل «نفتاى» .

(٢) في الأصل : ربولى، والتصحيح من الخطيب الشربيني (ج ٢ ص ٩١) .

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ لَنَا نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَنِّي فَاذْفَرُقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . فكان في قعودهم عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط مخالفة لما أمروا به .

وقد رتب في "التعريف" آيمان اليهود على هذا المقتضى ، فقال : وَيَمِينُهُمْ .

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ الْقَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الْمُدْرِكِ الْمُهِلِكِ ، بَاعِثُ مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَادَّ أَزْرَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَحَقَّ التَّوْرَةَ الْمَكْرَمَةَ وَمَا فِيهَا وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَحَقَّ الْعَشْرَ كَلِمَاتِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى فِي الصُّحُفِ الْجَوْهَرِ ، وَمَا حَوَتْهُ قُبَّةُ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا تَعَبَّدْتُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَبَرَّيْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدِنْتُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَصَدَّقْتُ مَرْيَمَ فِي دَعْوَاهَا ، وَبَرَّأْتُ يُوسُفَ النَّجَّارَ ، وَأَنْكَرْتُ الْخِطَابَ ، وَتَعَمَّدْتُ الطُّورَ بِالْقَادُورَاتِ ، وَرَمَيْتُ الصَّخْرَةَ بِالنَّجَاسَةِ ، وَشَرَكْتُ بِخُتْنَصَرَ فِي هَدْمِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَلْقَيْتُ الْعَذِرَةَ عَلَى مَظَانِّ الْأَسْفَارِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَمَالَ إِلَى جَالُوتَ ، وَفَارَقْتُ شِيعَةَ طَالُوتَ ، وَأَنْكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ ، وَدَلَلْتُ عَلَى دَانِيَالٍ ، وَأَعْلَمْتُ جَبَّارَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِدْرِيَاءَ ، وَكُنْتُ مَعَ الْبَغِيِّ وَالْفَوَاحِشِ يَوْمَ يَحْيَى ، وَقُلْتُ : إِنْ النَّارُ الْمُضِيئَةُ مِنْ شَجَرَةِ الْعَوْسَجِ نَارُ إِفْكٍ ، وَأَخَذْتُ الطَّرِيقَ عَلَى مَدْيَنَ ، وَقُلْتُ بِالْعِظَائِمِ فِي بَنَاتِ شُعَيْبٍ ، وَأَجْلَبْتُ مَعَ السَّحَرَةِ عَلَى مُوسَى ، ثُمَّ بَرَّيْتُ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَ مَنْ قَالَ : الْحَقُّ لِلْحَقِّ

لندرك من فرّ، وأشرت بتخليف تابوت يوسف في مصر، وسلمت إلى السامريّ، ونزلت أريحا مدينة الجبّارين، ورضيت بفعل سكرة سدوم، وخالفت أحكام التّوراة، وأستبخت السبت وعدوت فيه، وقلت إن المظلة ضالّ، وإن الحنكة محال، وقلت بالبداء على الله تعالى في الأحكام، وأجرت نسخ الشرائع، واعتقدت أن عيسى بن مريم المسيح الموعود به على لسان موسى بن عمران، وأنتقلت عن اليهودية إلى سواها من الأديان، وأستبخت لحم الجمل والشحم والحوايا أو ما آخلط بعظم، وتأولت أن أكل ثمنه غير آكله، وقلت مقالة أهل بابل في إبراهيم، وإلا أكون محرماً حرمة تجمع عليها الأخبار، وتقلب عليها حصر الكنائس، ورددت إلى الله، وحرمت المن والسلوى، وبرئت من كل الأسباط، وقعدت عن حرب الجبّارين مع القدرة والنشاط.

قلت : قوله في هذه اليمين في حرمة الشحم وما في معناه : وتأولت أن أكل ثمنه غير آكله، بمعنى أنه يستعظم الوقوع في تأول ذلك، وهو خلاف معتقدهم : لأنهم يتأولون أن أكل ثمنه غير آكله كما تقدم عنهم، وإنما تمنع ذلك السامرة، فكان من حقه أن يورد ذلك في يمين السامرة وأن يقول هنا : ولم أتأول أن أكل ثمنه غير آكله فتنبه لذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا اسْتُحْدِثَتْ هَذِهِ الْإِيمَانُ لِأَهْلِ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ فِي كِتَابِ " الْقَلَمِ وَالذَّوَاةِ " فِي زَمَنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ وَزَيْرِ الرَّشِيدِ ، أَحَدَهُمَا كَاتِبٌ لَهُ قَالَ لَهُ : كَيْفَ تُحَلِّفُ الْيَهُودِيَّ قَالَ : أَقُولُ لَهُ : وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ إِلَهِكَ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَرَغِبْتَ عَنْ دِينِكَ الَّذِي آرْتَضِيْتَهُ ، وَجَحَدْتَ التَّوْرَةَ وَقُلْتَ : إِنَّ حِمَارَ الْعَزِيرِ رَاكِبٌ بِحَمَلِ مُوسَى ، وَلَعَنَكَ ثَمَانُمَاةٌ

حَبْرٍ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَسَخَكَ اللَّهُ كُلَّ مَسَخٍ أَصْحَابَ السَّبْتِ ،
فَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ، وَخَالَفْتَ مَا دَقَّوْهُ دَانِيَالُ وَأَشْلُومَا وَيُوحَنَّا ،
وَلَقِيتَ اللَّهَ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَدَمْتَ الطُّورَ صَخْرَةً صَخْرَةً ، وَضَرَبْتَ بِالنَّاقُوسِ
فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَتَبَرَأَ مِنْكَ الْأَسْبَاطُ وَأَبَاؤُهُمْ : إِسْرَائِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ،
وَعَمَسْتَ حَيَاةَ الْجَانِّ فِي مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى ، وَأَنْقَلَبْتَ عَنِ السَّبْتِ إِلَى الْإِحْدَ ،
وَالْأَقْدَرُ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَلْقَى الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَصَيَّرَ اللَّهُ طَعَامَكَ لَحْمَ
الْخَنَازِيرِ وَكُرُوشَ الْجَمَالِ وَمِعْدَ الْخَنَازِيرِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ بُخْتَنَصْرَ ثَانِيَةً
يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَيَسْبِي الذَّرِّيَّةَ وَيُحَرِّبُ الْمَدَائِنَ ، وَأَرَاكَ اللَّهُ الْإِيدَى الَّتِي تَبُلُ الرُّكْبَ
مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَاطِ ، وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ بَحَدَثِهِ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَقَهَا ، وَقَلْتَ
فِي مُوسَى الزُّورَ ، وَإِنَّهُ فِي مَحَلِّ ثُبُورٍ ، وَفِي دَارِ غُرُورٍ ، وَبَحَدَثَ إِهْيَا أَشْرَ إِهْيَا^(١)
أَصْبَعْتُ آلَ شَدَّاءَ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلِبَنِيكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْتُ : هَذِهِ الْيَمِينُ فِي غَايَةِ الْإِثْقَانِ وَالْتِّشْدِيدِ ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ : وَآخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ
لِسَانٍ بَحَدَثِهِ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَقَهَا غَيْرُ مَنَاسِبٍ لِتَحْلِيلِهِمْ : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ
فِي الْجَمْدِ وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِالتَّحْرِيفِ بَلْ يُنْكِرُونَهُ . عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهَا غَيْرُ مُتَوَارِدٍ عَلَى الْيَمِينِ
الَّتِي أَوْرَدَهَا فِي "التَّعْرِيفِ" : فَلَوْ أَلْحَقَهَا بِهَا مُلْحَقٌ فِي آخِرِهَا عَلَى صِغَةِ الْيَمِينِ الْأُولَى
مِنْ إِيْرَادِهَا بِصِغَةِ التَّكْلِمْ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَإِلَّا بَرَّتُ مِنْ إِلَهِي الَّذِي لَا أَعْبُدُ
غَيْرَهُ وَلَا أَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا رَغِبْتُ عَنْ دِينِي الَّذِي آرْتَضِيْتُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِي ،
لَكَانَ حَسَنًا .

(١) هَكَذَا ضَبَطَهَا فِي الْقَامُوسِ ، ثُمَّ قَالَ : وَيَقُولُونَ أَهْيَا شَرَاهِيَا وَهُوَ خَطَأٌ ، عَلَى مَا يَزَعُمُهُ أَحْبَارُ الْيَهُودِ .

الطائفة الثانية

(من اليهود السامرة)

وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأعراف :
 ﴿وَأَضْلَاهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ . قال بعض المفسرين : وأسمه موسى بن ظفر، وكان أصله
 من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى راكباً على
 قرس الحياة ، فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه . وكان بنو إسرائيل
 قد خرجوا معهم حلي [استعاروه] من القبط ، فأمرهم هرون أن يحفروا حفرة
 ويلقوا فيها ذلك الحلي حتى يأتي موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلي كله
 وألقوه في تلك الحفرة ، فجاء السامري فألقى ذلك التراب عليه ، وقال له : كن عجلاً
 جسداً له خوار ، فصارك ذلك . قال الحسن : صار حيواناً لحماً ودماً . وقيل :
 بل صار يحور ولم تنقلب عينه . فقال لهم السامري : هذا إلهكم وإله موسى ،
 فعكفوا على عبادته ، ونهاهم هرون فلم ينتهوا ^(١) . وحرق العجل وذراه في اليم
 كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً
 لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :
 ﴿فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية . فقتل منهم سبعون ألفاً ثم رفع عنهم
 القتل بعد ذلك .

وقد اختلف في السامرة : هل هم من اليهود أم لا؟ والقرءون والربانيون
 ينكرون كون السامرة من اليهود . وقد قال أصحابنا الشافعية رحمهم الله : إنهم إن
 وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤوا بالحزبية وإلا فلا .

(١) بياض بالأصل ولعله "بغاء موسى وحرق الخ" .

ثم السامرة لهم توراۃ تخصهم غير التوراة التي بيد القرائين والربانيين ، والتوراة التي بيد النصاري ؛ وهم ينفردون عن القرائين والربانيين بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هرون ويوشع عليهما السلام ، ويخالفونهم أيضا في استقبال صخرة بيت المقدس ، ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم ، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويعزمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه ، يخالف وبناه بالقدس : قاتلهم الله أنى يؤفكون . وهم قائلون أيضا : إن الله تعالى هو خالق الخلق البارئ لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلي . ويوافقون على نبوة موسى وهرون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، إلا أن لهم توراۃ تخصهم تخالف توراۃ القرائين والربانيين المتقدمة الذكر ، وأنه أنزل عليه أيضا الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات المتقدمة الذكر ، ويقولون أن الله تعالى هو الذي أنقذ بني إسرائيل من فرعون ونجّاهم من الغرق ، ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للتعبد .

ويستعظمون الكفر بالتوراة التي هم يعترفون بها ، والتبري من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل ، ويعظمون طورهم طور نابلس المقدم ذكره ؛ ويستعظمون دكه وقلع آثار البيت الذي عمر به ؛ ويستعظمون استباحة السبب كغيرهم من اليهود ؛ ويوافقون القرائين في الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة ؛ ويمنعون القول بالتأويل الداهب إليه الربانيون من اليهود ؛ وينكرون صحة توراۃ القرائين والربانيين ، ويجعلون الاعتماد على توراتهم ؛ ويقولون : لا مساس : بمعنى أنه لا يمس أحدا ولا يمس . قال في "الكشاف" : كان إذا مس أحدا أو مسه أحد حصلت الحمى للأس والمسوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للسامري ﴿ أَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾

(١) وَيُحَرِّمُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ ، وَيُحَرِّمُونَ أَكْلَ اللَّحْمِ مُخْتَلَطًا بِلَبَنٍ ، زَاعِمِينَ أَنَّ
فِي تَوَارِيثِهِمُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنٍ أُمِّهِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ السَّعْيَ إِلَى الْخُرُوجِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ سُكُوتُهَا وَهِيَ مَدِينَةُ أَرِيحَا .

وَمَنْ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ عِنْدَهُمْ وَطُءُ الْمَرْأَةِ الْحَائِضِ ، وَالنَّوْمُ مَعَهَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ،
لَا سِيَّامًا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَبِيحًا لَهُ . وَمَنْ أَعْظَمَ الْعِظَامِ عِنْدَهُمْ إِنْكَارُ خِلَافَةِ هَرُونَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَنْفَةُ مِنْ كَوْنِهَا .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التعريف" : يَمَيِّنُهُمْ عَلَى مَقْتَضَى ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ يَمَيِّنُهُمْ :

إِنِّي وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، الْبَارِيُّ ، الْقَادِرُ ، الْقَاهِرُ ، الْقَدِيمُ ، الْأَزَلِيُّ ، رَبُّ
مُوسَى وَهَارُونَ ، مُنْزِلُ التَّوْرَةِ وَالْأَلْوَابِ الْخَوْصَرِ ، مُنْقِذُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَنَاصِبِ الطُّورِ
قَبْلَةَ الْمُتَعَبِّدِينَ . وَإِلَّا كَفَرْتُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَرِئْتُ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ
الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ بَنِي هَرُونَ ، وَدَكَّيْتُ الطُّورَ ، وَقُلَعْتُ بِيَدِي أَثَرُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ،
وَأَسْتَبَحْتُ حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وَقُلْتُ بِالتَّأْوِيلِ فِي الدِّينِ ، وَأَقْرَرْتُ بِصِحَّةِ تَوْرَةِ الْيَهُودِ ،
وَأَنْكَرْتُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لَا مَسَاسَ ، وَلَمْ أَتَجَنَّبْ شَيْئًا مِنَ الذَّبَائِحِ ، وَأَكَلْتُ الْجَدْيَ بِلَبَنٍ
أُمِّهِ ، وَسَعَيْتُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُحْطُورِ عَلَى سَكْنِهَا ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ الْحَيْضَ
زَمَانَ الطَّمْثِ مُسْتَبِيحًا لَهُنَّ ، وَبِتُّ مَعَهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ كَافِرٍ بِخِلَافَةِ
هَرُونَ ، وَأَنْفَتُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ .

الفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ

(مَنْ تَدْعُو الضَّرُورَةَ إِلَى تَخْلِيفِهِ - النَّصْرَانِيَّةُ)

وقد اختلف في اشتقاقها، ف قيل : أخذًا من قول المسيح للحواريين : ((مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)) وقول الحواريين : ((نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)) . وقيل : من نُزُولِهِ هُوَ وأمه - بعد عودها به من مصر - بالناصرة : وهى قرية من بلاد فلسطين من الشام : وقيل غير ذلك .

والنصارى - هم أمة عيسى عليه السلام ، وكَلَّهم الإنجيل . وقد اختلف في اشتقاقه على ثلاثة مذاهب حكاه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" :

أحدها - أنه مأخوذ من قولهم : نَجَلْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَخْرَجْتَهُ ، بمعنى أنه خرج به دَارِسٌ من الحق .

والثانى - أنه مأخوذ من قولهم : تَنَاجَلَ الْقَوْمُ إِذَا تَنَازَعُوا ، لأنه لم يقع في كتاب من الكتب المتزلة [مثل] التنازع الواقع فيه . قاله أبو عمرو الشيباني .

والثالث - أنه مأخوذ من التجل بمعنى الأصل : لأنه أصل العلم الذى أطلع الله تعالى فيه خَلِيقَتَهُ عليه ، ومنه قيل للوالد تَجَلُّلٌ : لأنه أصل لولده .

ثم ذكر هذه الاشتقاقات جنوح من قائلها إلى أن لفظ الإنجيل عبري ، والذي يظهر أنه عبراني : لأن لغة عيسى عليه السلام كانت العبرانية ، وقد قال صاحب "إرشاد القاصد" : إن معنى الإنجيل عندهم البشارة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى بُجِّلَتْهُمْ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ مَرْيَمَ حَمَلَتْ بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَلَدَتْهُ بَيْتِ لَحْمٍ مِنْ بِلَادِ الْقُدْسِ مِنَ الشَّامِ ، وَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَأَنَّ الْيَهُودَ حِينَ

أنكروا على مريم عليها السلام ذلك فَرَّتْ بالمسيح عليه السلام إلى مصر، ثم عادت به إلى الشام، وعمره اثنتا عشرة سنة، فنزلت به القرية المسماة ناصرة المقدم ذكرها، وأنه في آخر أمره قبض عليه اليهود وسعوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام، فقتله وصلبه يوم الجمعة، وأقام على الحشبة ثلاث ساعات، ثم استوهبه رجل من أقارب مريم اسمه يوسف النجار من عامل قيصر، ودفنه في قبر كان أعدّه لنفسه في مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقمامة بالقدس، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد، ثم قام من صبيحة يوم الأحد، ثم رآه بطرس الحواري وأوصى إليه؛ وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رسلاً إلى الأقطار للدعاية إلى دينه، وهم في الأصل اثنا عشر حوارياً: بطرس ويقال له: سمعان، وشمعون الصفا أيضاً. وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا الإنجيلي، وهو أخو أندراوس، وفيلبس، وبرثلوماوس، وتوما؛ ويعرف بتوما الرسول، ومتى ويعرف بمتى العشار، ويعقوب بن حلفا، وسمعان القناني ويقال له شمعون أيضاً، وبولس ويقال له تداوس، وكان اسمه في اليهودية شاول، ويهوذا الاسخريوطي (وهو الذي دلّ يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) وقام مقامه بنيامين، ويقولون: إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء. وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدوا لكتابة الإنجيل: وهم بطرس، ومتى، ولوقا، ويوحنا. فكتبوا فيه سيرة المسيح من حين ولادته إلى حين رفيعه، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغة من اللغات.

(١) سيأتي قريباً كما في "العبر" (ج ٢ ص ١٤٧) أن يوحنا الإنجيلي أخو يعقوب بن زبدي وكذلك في "المقرزي" ج ٢ ص ٤٨٣.

(٢) كذا في "الملل والنحل" أيضاً ولكن لم يرد في الحوارين المذكورين قبل هذا الاسم.

فكتب بطرس إنجيله باللغة الرومية في مدينة رومية قاعدة بلاد الروم، ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، ولذلك يعرف بمرقس الإنجيلي، وقيل: إن الذي كتبه مرقس نفسه. وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس، ونقله بعد ذلك يوحنا بن زبدي إلى اللغة الرومية. وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم، وقيل: بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية. وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس، وقيل مدينة رومية.

قال الشهرستاني: وخاتمة إنجيل متى: «إني أرسلكم إلى الأمم كما أرسلني أبي إليكم فاذهبوا وأدعوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس» ثم اجتمع برومية من توجه إليها من الحواريين ودعوا قوانين دين النصرانية على يد أقليمس تلميذ بطرس الحواري، وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها، وهي عدة كتب: منها الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر، والتوراة التي بأيديهم، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبل المسيح عليه السلام، كيوشع بن نون، وأيوب، وداود، وسليمان عليهم السلام، وغيرهم.

ثم لما مات الحواريون أقام النصارى لهم خلايف، عبر عنهم بالبطاركة جمع بطرك، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين، أحدهما بطر ومعناه، والثانية يرك ومعناه، ورأيت في ترسل العلاء بن موصلايا: كاتب القائم بأمر الله العباسي "فطرك" ببدال الباء فاء، والعامة يقولون: "بترك" ببدال الطاء تاء، وهو عندهم خليفة المسيح، والقائم بالدين فيهم.

(١) في المقرئ ص ٤٨٣ ج ٢ "قليموس" وفي العبرج ٢ ص ١٤٨ "أفليمس".

(٢) بياض الأصول، وكذلك بيض له فيما تقدم عند الكلام على ألقاب وظائف النصارى انظر (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع.

وقد كان لبطاركتهم في القديم ^(١)خمسة كراسي، لكل كرسي منها بطرك. الأول منها بمدينة رومية، والقائم به خليفة بطرس الحواري المتوجه إليها بالبيشارة. والثاني بمدينة الإسكندرية. والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواري المتقدم ذكره وخليفته بها. والثالث بمدينة زنطية: وهي القسطنطينية. والرابع بمدينة أنطاكية من العواصم التي هي في مقابلة حلب الآن. والخامس بالقدس. وكان أكبر هذه الكراسي الخمسة كرسي رومية لكونه محل خلافة بطرس الحواري، ثم كرسي الإسكندرية، لكونه كرسي مرقس خليفة.

ثم أصطلحوا بعد ذلك على أسماء وضعوها على أرباب وظائف دياناتهم، فعبروا عن صاحب المذهب بالطريق، وعن نائب البطريرك بالأسقف، وقيل الأسقف عندهم بمنزلة المفتي، وعن القاضي بالمطران، وعن القارئ بالقسيس، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالحنليق، وعن قيم الكنيسة بالشماس، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب.

وكانت الأساقفة يسمون البطريرك أباً، والقسوس يسمون الأسقف أباً، فوقع الاشتراك عندهم في اسم الأب، فوقع اللبس عليهم، فاخترعوا لبطرك الإسكندرية اسم الباب، ويقال فيه البابا بزيادة ألف، والبابه بإبدال الألف هاء، ومعناه عندهم أبو الآباء: لتمييز البطريرك عن الأسقف، فاشتهر بهذا الاسم، ثم نقل اسم الباب إلى بطرك رومية لكونه خليفة بطرس الحواري، وبقي اسم البطريرك على بطرك الإسكندرية وغيره من أصحاب الكراسي.

(١) تقدم في (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع أنها أربعة ولم يذكر كرسي زنطية.

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى جُمِعُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ بِالْجَوْهَرِ ثَلَاثَةً بِالْأَقْنُومِيَّةِ ؛
وَيُقَسَّرُونَ الْجَوْهَرَ بِالذَّاتِ وَالْأَقْنُومِيَّةَ بِالصِّفَاتِ : كَالْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ؛
وَيَعْبُرُونَ عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْوُجُودِ بِالْأَبِ ، وَعَنِ الذَّاتِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْأَبْنِ ؛ وَيَعْبُرُونَ
عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْحَيَاةِ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الْإِلَهِ بِاللَّاهُوتِ ، وَعَنِ الْإِنْسَانِ
بِالنَّاسُوتِ ؛ وَيُطْلِقُونَ الْعِلْمَ عَلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَحَمَلَتْ
مِنْهَا بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُحْصُونَهُ بِالْإِتِّحَادِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقَانِيمِ .

وَأَجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ ، وَقِيلَ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ أُسْقِفًا مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ بِمَدِينَةِ
نِيقِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ بِحَضْرَةِ قُسْطَنْطِينَ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ ظَهْوَرِ أَرِيُوشِ الْأُسْقُفِ
وَقَوْلِهِ : إِنَّ الْمَسِيحَ مَخْلُوقٌ ، وَإِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَلْفُوا عَقِيدَةً اسْتَخْرِجُوهَا
مِنْ أَنْجِلِيهِمْ لِقَبُولِهَا بِالْأَمَانَةِ ، مِنْ خَرَجَ عَنْهَا خَرَجَ عَنِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ وَنَصَّهَا عَلَى
مَا ذَكَرَهُ الشَّهْرَسْتَانِي فِي "النَّحْلِ وَالْمِلَلِ" وَأَبْنُ الْعَمِيدِ مُؤَرِّخُ النَّصَارَى فِي تَارِيخِهِ
مَا صَوَّرْتُهُ .

نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَبِ ، مَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَصَانِعِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ، وَبِالْأَبْنِ
الْوَاحِدِ أَتَشُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ ؛ بِكْرِ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ، وَلَيْسَ بِمَصْنُوعٍ ؛ إِلَهُ حَقٌّ مِنْ
[إِلَهٍ حَقٍّ مِنْ] جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِي بِيَدِهِ أُتْقِنَتِ الْعَوَالِمُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، الَّذِي مِنْ أَجْلِنَا
و [مِنْ] أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَجَسَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ
الْبَتُولِ ، وَصَلَبَ أَيَّامَ فِيلَاطُوسَ ، وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ،
وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْجِيءِ تَارَةً أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ

(١) الَّذِي فِي "الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ" لِلشَّهْرَسْتَانِي (ص ١٣٢) وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا . وَفِي "الْعِبَرِ"

ج ٢ ص ١٥٠ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِينَ أُسْقِفًا وَاتَّفَقُوا مِنْهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْعِبَرِ (ج ٢ ص ١٥٠) .

والأحياء . وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الْوَاحِدِ الْحَيِّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبِيهِ ، وَبِمَعْمُودِيَّةٍ
وَاحِدَةٍ لَغُفْرَانِ الْخَطَايَا ، وَبِجَمَاعَةٍ [وَاحِدَةٍ] قُدْسِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ جَانَلِيْقِيَّةٍ ، وَبِقِيَامِ
أَبْدَانِنَا ، وَبِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ أَبَدَ الْآبِدِينَ .

وَوَضَعُوا مَعَهَا قَوَانِينَ لِشَرَائِعِهِمْ سَمَّوْهَا الْهَيَانُوتُ ^(١) . ثُمَّ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ جَمْعٌ
بُقُسْطَنْطِينِيَّةٍ عِنْدَ دَعْوَى مَقْدُونِيُوسِ الْمَعْرُوفِ بِعَدُوِّ رُوحِ الْقُدُسِ ، وَقَوْلُهُ : إِنْ رُوحُ
الْقُدُسِ مَخْلُوقٌ ، وَزَادُوا فِي الْأَمَانَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرَ مَانَصُهُ : ”وَتُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
الْحَيِّ الْمُنْبَتِّقِ مِنَ الْآبِ“ وَلَعَنُوا مَنْ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ الْأَمَانَةِ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهَا .
وَأَقْتَرَقَ النَّصَارَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِرْقٍ كَثِيرَةٍ ، الْمَشْهُورِ مِنْهَا ثَلَاثُ فِرَقٍ :

الفِرْقَةُ الْأُولَى (الْمَلَكَانِيَّةُ)

قَالَ الشَّهْرَسْتَايُ : وَهْمُ أَتْبَاعِ مَلَكَانَ الَّذِي ظَهَرَ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ
مَنْسُوبُونَ إِلَى مَلَكَانَ صَاحِبِ مَذْهَبِهِمْ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَصْتَفَاتِ أَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ
إِلَى مَرَكَانَ قَيْصَرَ أَحَدِ قِيَاصِرَةِ الرُّومِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِعُسْرَةِ مَذْهَبِهِمْ ، فَقِيلَ
لَهُمْ مَرَكَانِيَّةٌ ، ثُمَّ عُرِبَ مَلَكَانِيَّةٌ ، وَمُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ جُزْءًا مِنَ اللَّاهُوتِ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ ،
ذَاهِبِينَ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ وَهِيَ أَقْنُومُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ آتَّحَدَتْ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ وَتَدَرَّعَتْ بِنَاسُوتِهِ
وَمَازَجَتْهُ مُمَازَجَةً الْخَمْرِ [اللَّبَنِ] أَوْ الْمَاءِ اللَّبَنِ ، وَلَا يَسْمُونُ الْعِلْمَ قَبْلَ تَدَرُّعِهِ أَبْنَاءً ،
بَلِ الْمَسِيحُ وَمَا تَدَرَّعَ بِهِ هُوَ الْآبْنُ ، وَيَقُولُونَ : إِنْ الْجَوْهَرُ غَيْرُ الْأَقَانِيمِ كَمَا فِي الْمُوصُوفِ
وَالصِّفَةِ ، مَصْرَحِينَ بِالتَّثْلِيثِ ، قَائِلِينَ بِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْآبِ وَالْآبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ ،
وَالْيَهُمِ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ) .

(١) فِي ”الْعَبْر“ : الْهَيَايُونَ .

وهم يقولون : إن المسيح قديم أزلي من قديم أزلي ، وإن مريم ولدت إلهًا أزليًا ، فيطلقون الأبوة والبُنة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة ، متمسكين بظاهر ما يزعمون أنه وقع في الإنجيل من ذكر الأب والابن : « تكادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا » .

ثم هم يقولون : إن المسيح ناسوت كُلِّ لاجزئي ، وإن القتل والصَّلب وقعا على الناسوت والآهوت معا كما نقله الشَّهرستاني في « النحل والمِلل » وإن كان الشيخ شمس الدين بن الأکفاني في كتابه « إرشاد القاصد » قد وهم فنقل عنهم القول بأن الصَّلب وقع على الناسوت دون الآهوت .

ومن مُعتقدهم أيضا أن المَعَاد والحشريكون بالأبدان والأرواح جميعا ، كما تضمنته الأمانة المتقدمة ، وأن في الآخرة التلذذات الجسمانية بالأكل والشرب والنكاح وغير ذلك كما يقوله المسلمون .

ومن فروعهم أنهم لا يَحْتَنُونَ ، وربما أكل بعضهم الميتة . ومن تَمَذَّهَبَ بمذهب الملكانية الروم والفرنجية ومن والاهم .

والملكانية يَدِينُونَ بطاعة الباب : وهو بطرك رومية المقسم ذكره ، قال في «الروض المعطار» : من قاعدة الباب أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك النصارى ينطح على بطنه بين يديه ، ولا يزال يقبل رجله حتى يكون هو الذي يأمره بالقيام .

الفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ (الْيَعْقُوبِيَّةُ)

وهم أَتْبَاعُ دِيَسْقَرَسَ بَطْرِكِ الإسْكَندَرِيَّةِ فِي الْقَدِيمِ : وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ بَطَارِكَيْهَا مِنْ حِينَ بَطْرِكِيَّةِ مُرْقُسِ الْإِنْجِيلِيِّ نَائِبِ بَطْرُسِ الْحَوَارِيِّ بِهَا . قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ فِي تَارِيخِهِ : وَسَمِيَ أَهْلُ مَذْهَبِهِ يَعْقُوبِيَّةَ : لِأَنَّهُ اسْمُهُ كَانَ فِي الْغَلْمَانِيَّةِ يَعْقُوبَ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ لَهُ تَلْمِيزٌ لاسْمِهِ يَعْقُوبُ فَنُسِبُوا إِلَيْهِ . وَقِيلَ : بَلْ كَانَ شَاوِيرُشُ بَطْرِكُ أَنْطَاكِيَّةِ عَلَى رَأْيِ دِيَسْقَرَسَ ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ اسْمُهُ يَعْقُوبُ فَكَانَ يَبْعَثُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ : أَنْ أَثْبَتُوا عَلَى أَمَانَةِ دِيَسْقَرَسَ فَنُسِبُوا إِلَيْهِ . وَقِيلَ : بَلْ نُسِبُوا إِلَى يَعْقُوبَ الْبَرْدَغَانِيِّ تَلْمِيزًا لِسُورِسَ بَطْرِكِ أَنْطَاكِيَّةِ ، وَكَانَ رَاهِبًا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فَكَانَ يَطُوفُ فِي الْبِلَادِ وَيَدْعُو إِلَى مَذْهَبِ دِيَسْقَرَسَ . قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ : وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْيَعْقُوبِيَّةَ يُنْسَبُونَ إِلَى دِيَسْقَرَسَ قَبْلَ ذَلِكَ بكَثِيرٍ ، وَمُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ الْكَلِمَةَ انْقَلَبَتْ لَحْمًا وَدَمًا فَصَارَ الْإِلَهُ هُوَ الْمَسِيحَ .

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةَ : وَيَقُولُونَ مَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ قُتِلَ وَصُلِبَ وَمَاتَ وَبَقِيَ الْعَالَمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَا مُدَبِّرٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : ظَهَرَ اللَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ ، فَصَارَ نَاسُوتُ الْمَسِيحِ مَظْهَرُ الْحَقِّ لَاعِلَى طَرِيقِ حُلُولِ جُزْءٍ فِيهِ ، وَلَا عَلَى سَبِيلِ اتِّحَادِ الْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ فِي حُكْمِ الصِّفَةِ ، بَلْ صَارَ هُوَ هُوَ ، كَمَا يَقَالُ : ظَهَرَ الْمَلَكُ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ ، وَظَهَرَ الشَّيْطَانُ بِصُورَةِ حَيَوَانٍ ، وَكَمَا أَخْبَرَ التَّنْزِيلُ عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَتَمَثَلْ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

وَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ : إِنَّ الْمَسِيحَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ جَوْهَرَيْنِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ طَبِيعَتَيْنِ . جَوْهَرُ الْإِلَهِ الْقَدِيمِ وَجَوْهَرُ الْإِنْسَانِ الْمُحْدَثِ تَرَجُّبًا تَرَكَّبَ

النَّفْسَ وَالْبَدَنَ فَصَارَا جَوْهَرًا وَاحِدًا أَقْنُومًا وَاحِدًا وَهُوَ إِنْسَانٌ كُلُّهُ وَإِلَهُ كُلُّهُ، فيقال :
 الإنسانُ صارَ إلهًا ولا ينعكسُ ، فلا يقال : الإلهُ صارَ إنسانًا ، كالفَحْمَةِ تُطْرَحُ
 في النار فيقال : صارت الفَحْمَةُ نارا، ولا يقال : صارت النارُ فَحْمَةً ، وهى في الحقيقة
 لا نارٌ مطلقة ولا فَحْمَةٌ مطلقة ، بل هى جمرة .

ويقولون : إِنَّ الكلمةَ اتَّحدَتْ بالإنسان الجزئى لا الكلى ، وربما عبروا عن
 الاتحاد بالامتزاج والأدراع والحلول ، كحلول صورة الإنسان فى المرأة .

ومنهم من يقول : إن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئًا لكنها مرت بها كمرور
 الماء بالميزاب ، وإنَّ ما ظهر من شخص المسيح عليه السلام فى الأعين هو كالحيال
 والصورة فى المرأة ، وإن القتل والصلب إنما وقعا على الحيال .

وزعم آخرون منهم أنَّ الكلمة كانت تُدْخِلُ جَسَدَ الْمَسِيحِ أحيانًا فتصدر عنه
 الآيات : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وتغاريقه فى بعض الأوقات
 فتدُّ عليه الآلام والأوجاع . ثم هم يقولون : إن المعاد إنما هو روحانيٌّ فيه لذة
 وراحة وسرور ، ولا أكل ولا شرب ولا نكاح .

ومن فروعهم أنهم يَحْتَنِنُونَ ، ولا يأكلون الحيوان إلا بعد التذكية . وقد حكى
 ابنُ العميد مؤرخُ النصارى أن ديسقُرسَ صاحبَ مذهبِ اليعقوبية حين ذهبَ
 إلى ما ذهب : من مذهبه المقدم ذكره ، رُفِعَ أمره إلى مَرَكَنَ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ
 يومئذ ، فطلبه إلى مدينة خالقدونية من بلاد الرُّوم ، وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين
 أسقفًا ، وناظره بحضور الملك فسقط فى المناظرة ، فكلمته زوجة الملك فأساء الردَّ
 فاطمته بيدها ، وتناوله الحاضرون بالضرب ، وأُمِرَ بإخراجه ؛ فسار إلى القدس ،

(١) كذا فى "العبر" أيضا باثبات مشاة تحتية بعد النون والذى فى معجم ياقوت بجذفها .

فأقام به واتبعه أهل القدس وفلسطين ومصر والإسكندرية ، وقد آتبعه على ذلك أيضا النبوة والحبشة ، وهم على ذلك إلى الآن .

الفِرقة الثالثة

(النُسْطُورِيَّة)

ومقتضى كلام ابن العميد أنهم أتباع نُسْطُور يوس بطرك القُسْطَنْطِينِيَّة . ويحكى عنه أن من مذهبه أن مريم عليها السلام لم تلد إلهًا ، وإنما ولدت إنسانًا ، وإنما اتَّحد في المِشِيَّة لا في الذَّات ، وأنه ليس إلهًا حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون بجَوْهَرَيْنِ وأَقْنُومَيْنِ ، وإن كرلس بطرك الإسكندرية وبطرك رومية خالفاه في ذلك ، فجمع لهم مائتي أسقف بمدينة أفسس وأبطلوا مقالة نُسْطُور يوس وصرحوا بكفره ، فنفي إلى إناخيم من صعيد مصر ومات بها ، فظهر مذهبه في نصارى المشرق : من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس .

والذي ذكره الشهرستاني في "النحل والملل" أنهم منسوبون إلى نُسْطُور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ؛ وإن هذه الأقانيم ليست بزائدة على الذَّات ولا هي هي ، وإن الكلمة اتَّحدت بحسد المسيح عليه السلام لا على طريق الأمتزاج ، كما ذهب إليه الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالتها اليعقوبية ،

(١) عبارة ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٥٢) وبلغت مقالة نُسْطُور يوس إلى كرلس بطرك الإسكندرية ، فكتب إلى بطرك رومية وهو كليمس ، وإلى يوحنا وهو بطرك أنطاكية ، وإلى يوناوس أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نُسْطُور يوس ليدفعوه عن ذلك بالجة فلم يرتجع ولم يلتفت إلى قولهم ، فاجتمعوا في مدينة أفسس في مائتين أسقفًا انخ .

ولكن كاشراق الشمس في كوة ، أو كظهور النقش في الخاتم : قال الشهرستاني :
 ويعنى بقوله إنه واحد بالجوهر أنه ليس مركباً من جنس بل هو بسيط واحد .
 ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين أى أصليين مبدئين للعالم . قال : ومنهم من
 يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوهما .
 ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقسام الثلاثة حتى ناطق إله . ومنهم من
 يقول : إن الاله واحد ، وإن المسيح ابتداء من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح
 مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه ابناً على التبنى لا على الولادة والاتحاد . ثم هم يخالفون
 في القتل والصلب مذهب الملكانية واليعقوبية جميعاً ، فيقولون : القتل والصلب
 وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته : لأن الإله لا تحله الآلام .
 قال صاحب حماة : وهم عند النصارى كالمسترلة عندنا .

ويعلم أن للنصارى أشياء يعظمونها و [أشياء] يستعظمون الوقوع فيها .

فأما التي يعظمونها فإنهم يعظمون المسيح عليه السلام حتى انتهوا فيه إلى ما انتهوا :
 من دعوى الألوهية والبنوة لله سبحانه ، تعالى الله عما يشركون ، وأسمه عندهم
 أيسوع فخر عيسى . وإنما سمي المسيح لكونه ممسوح القدمين لا أنحص له .
 ويعظمون مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها
 بالسيدة ، وبالتول ، وبالعدراء .

ويعظمون مريمنا الممعدان ، وهو عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى
 مريم السيد ، ويحنأ يعنى يحيى ، ويسمونه الممعدان لأنهم يزعمون أن مريم عليها
 السلام حين عودها من مصر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحيى عليه السلام
 فعمده في نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى غمسه فيه ، ويعملون ذلك أصلاً

لِلْمَعْمُودِيَّةِ : وهو الماء الذي يُغْمَسُونَ فيه عند تَتَضَرُّعِهِمْ ، ويقولون : إنه لا يصح
تَتَضَرُّعُ نَصْرَانِيٍّ دُونَ تَعَمُّدٍ . وَلَمَّا المعمودية بذلك عندهم من التعظيم مالا فوقه .
وبعضهم يقول : إن المراد بِمَرِيحُنَا المَعْمَدَانِ غَيْرُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليهما السلام .

ويعظمون الحَوَارِيَّينَ : وهم أصحاب المَسِيحِ عليه السلام . وقد تقدّم أن عِدَّتَهُم
أَشْأَا عَشْرَ حَوَارِيَّا ، ومعنى الحَوَارِيَّ الخَاصُّ ، ومنه قيل للدَّقِيقِ النَّاصِعِ البَيَاضِ دَقِيقٌ
حَوَارِيٌّ ، سُمُّوا بذلك لِأَنَّ المَسِيحَ عليه السلام آسْتَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ .

ويعظّمون البَطَارِكَةَ لِأَنَّهُمْ خُلَفَاءُ الدِّينِ عندهم ، وَيَرَوْنَ لَهُمْ مِنَ الحُرْمَةِ مَا لِلدِّينِ
النَّصْرَانِيَّةِ عندهم من الحُرْمَةِ ، بل يجعلون أَمْرَ التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ مُنَوِّطًا بِهِمْ ، حَتَّى
لَوْ حَرَّمَ البَطْرِكُ عَلَى أَحَدِهِمْ زَوْجَتَهُ لَمْ يَقْرَبْهَا حَتَّى يُجَلِّهَا لَهُ . ^(١) وسيأتى مَالِ البَطْرِكِ
اليَعْقُوبِيَّةِ عند صاحب الحَبَشَةِ من الحُرْمَةِ عند ذكر المَكَاتِبَةِ إِلَيْهِ فيما بعدُ ، إن شاء
الله تعالى .

وكذلك يعظّمون أَرْبَابَ الوُظَائِفِ الدِّينِيَّةِ عندهم : من البَطْرِيْقِ ، والأُسْقُفِّ ،
والمِطْرَانِ ، والقِسِّيسِ ، والشَّامِسِ ، والراهبِ ، وقد تقدّم تَفْسِيرُهُمْ فيما مرَّ .

ويعظّمون يُوسُفَ النَّجَّارَ : وهو قَرِيبٌ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، يَقَالُ : إنه ابْنُ عَمَّتِهَا ،
كَانَ مَعَهَا فِي خِدْمَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وهو الذي آسْتَوْهَبَ المَسِيحَ بعد الصَّلْبِ بِرَحْمَتِهِمْ
حَتَّى دَفَنَهُ . واليَهُودُ يَرْمُونِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَعَهُ بِالْفُجُورِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

ويعظّمون مَرْيَمَ المَجْدَلَانِيَّةَ المَقْدَمَ ذِكْرُهَا ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا ^(٢) أُنْخِرَ مِنْهَا
سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَنْ رَأَى المَسِيحَ حِينَ قَامَ مِنْ قَبْرِهِ .

(١) سبق الكلام على المَكَاتِبَةِ إِلَيْهِ فِي ج ٨ ص ٣٩ فهذا الوعد سهو عما سبق .

(٢) بياض بالأصول .

ومن عادتهم أنه إذا مات منهم أحدٌ ممن يعتقدون صلاحه صوروا صورته في حيطان كنائسهم ودياراتهم يتبركون بها .

ويعظمون قُسطنطين بن قُسطنطين ملك الروم ، وذلك أنه أول من أخذ بدين النصرانية من الملوك وحمل على الأخذ به . وقد اختلف في سبب ذلك فقييل : إنه كان يحارب أمة البرجان بجواريه وقد أعجزه أمرهم ، فرأى في المنام كأن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها صليبان ، فعمل أعلاماً على مثاليها وحاربهم بها فظهر عليهم . وقيل : بل رأى صورة صليب في السماء . وقيل : بل حملته أمه هيلاني على ذلك .

ويعظمون هيلاني أم قُسطنطين المقدم ذكره ، ويقولون : إنها رحلت من قُسطنطينية إلى القدس ، وأتت إلى محل الصليب بزعمهم ، فوقفت وبكت ، ثم سألت عن خشبة الصليب ، فأخبرت أن اليهود دفنوها وجعلوا فوقها القمامات والنجاسات ، فاستعظمت ذلك ، وأستخرجتها وغسلتها وطيبتها وغششتها بالذهب ، وألبستها الحرير ، وحملتها معها إلى القُسطنطينية للتبرك ، وبنت مكانها كنيسة ، وهي المسماة الآن بالقمامة ، أخذوا من أسم القمامة التي كانت موضوعة هناك .

ويعظمون من الأمكنة بنت لحم حيث مولد المسيح عليه السلام ، وكنيسة قمامة حيث قبره ، وموضع خشبة الصليب التي أستخرجتها هيلاني أم قُسطنطين بزعمهم . وكذلك يعظمون سائر الكنائس : وهي أمكنة عباداتهم كالمساجد للمسلمين . وأصلها في اللغة مأخوذ من قولهم : كنَّاس الظُّي : وهو المكان الذي يستتر فيه ، سُميت بذلك لاستتارهم فيها حال عبادتهم عن أعين الناس . وكذلك يعظمون الديارات : وهي أمكنة التخلّي والاعتزال كالزوايا للمسلمين .

ويعظمون المذبح : وهو مكان يكون في الكنيسة يقرَّبون عنده القرايين
ويذبحون الذبائح، ويعتقدون أن كل ما ذبح عليه من قربان صار لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه حقيقة .

ويعظمون من الأزمينة أعيادهم الآتى ذكرها عند ذكر أعياد الأمم : كعيد
الغطاس من أعيادهم الجكار، وموقعه في الحادى عشر من طوبه من شهر القبط .
وعيد السيدة من أعيادهم الصغار . وموقعه في الحادى والعشرين من بثونة منها .
وعيد الصليب . وموقعه عندهم في السابع عشر من ثوت ، إلى غير ذلك من الأعياد
الآتى ذكرها مع أعياد الأمم ، في الكلام على الأزمينة من هذه المقالة ، إن شاء
الله تعالى .

وأما الأشياء التى [يتعبدون] بها ، فإنهم يصلون سبع صلوات فى اليوم والليلة ،
وهى : الفجر، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ونصف الليل ؛
ويقراءون فى صلاتهم بزمير داود عليه السلام كما تفعل اليهود . والسجود فى صلاتهم
غير محدود العدد ، بل قد يسجدون فى الركعة الواحدة خمسين سجدة . وهم
لا يتوضئون للصلاة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينكرون الظهر للصلاة على المسلمين
وعلى اليهود ، ويقولون : الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا
بالنَّاقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بخشبة لطيفة فيجتمعون .
وهم يستقبلون فى صلاتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتاهم . قال الزنجبرى :
ولعلَّ ذهابهم إلى ذلك لأخذ مريم عليها السلام عنهم مكاناً شرقياً كما أخبر تعالى
بقوله : ﴿ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ .

(١) لم يذكر شيئاً من الأعياد فى هذه المقالة وقد سبق ذكر ذلك فى الفصل الثالث من المقالة الأولى
فها هنا سهو .

ولهم صِيَامَاتٌ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ .

منها - صَوْمُهُمُ الْكَبِيرُ : وَهُوَ سِتُّونَ يَوْمًا أَوْ لَهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ . وَمَوْقِعُ اَوَّلِهِ فِي شَبَاطٍ أَوْ اَذَارَ مِنْ شُهُورِ السَّرْيَانِ ، بِحَسَبِ مَا يَتَضَمُّهُ حِسَابُهُمْ ، يُفْطِرُونَ فِي خِلَالِهَا يَوْمَ الْاَحَدِ ، تَبْقَى مَدَّةُ صِيَامِهِمْ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا .

ومنها - [صَوْمُهُمُ الصَّغِيرُ] : وَهُوَ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا يَصُومُونَهَا بَعْدَ الْفَصْحِ الْكَبِيرِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، أَوْ لَهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ اَيْضًا ، وَعِنْدَهُمْ فِيهِ خِلَافٌ .

ومنها - صَوْمُ الْعَذَارَى : وَهُوَ ثَلَاثَةُ اَيَّامٍ ، أَوْ لَهَا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْكَائِنِ بَعْدَ كَانُونِ الثَّانِي ، فِي صِيَامَاتٍ اُخْرَى يَطُولُ ذِكْرُهَا ، وَلَكثْرَةُ صِيَامِهِمْ قِيلَ : اِذَا حَدَّثَتْ اَنْ نَصْرَانِيًّا مَاتَ مِنَ الْجُوعِ فَصَدَّقَ .

وَأَمَّا مَا يَحَرِّمُونَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَحْرِيمِ لَحْمِ الْجَمَلِ وَلَبَنِهِ كَمَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ ، وَيَقُولُونَ : بِحَلِّ لَحْمِ الْخَنَازِيرِ خِلَافًا لِلْيَهُودِ ، وَهُوَ مِمَّا يُنْكِرُهُ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَالَفَةِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ .

وَيَحَرِّمُونَ صَوْمَ يَوْمِ الْفِصْحِ الْأَكْبَرِ ، وَهُوَ يَوْمُ فِطْرِهِمْ مِنْ صَوْمِهِمُ الْأَكْبَرِ .

وَيَحَرِّمُونَ عَلَى الرَّجُلِ اَنْ يَتَزَوَّجَ أَمْرًا ثَنِيْنًا فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ .

وَيَحَرِّمُونَ طَلَاقَ الزَّوْجَةِ بَلْ اِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُهُمْ أَمْرًا لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا فِرَاقٌ إِلَّا بِالْمَوْتِ .

وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَسْتَغْظَمُونَ الْوُقُوعَ فِيهَا :

فَمِنْهَا - جَحُودُ كَوْنِ الْمَسِيحِ هُوَ الْمُبَشِّرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومنها - اِنْكَارُ قَتْلِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلْبِهِ ، فَإِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ اَنْ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لَخِلَاصِ الْاَلْهَوَاتِ مِنَ النَّاسُوتِ ، فَمَنْ اَنْكَرَ عِنْدَهُمْ وَقُوعَ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ عَلَى الْمَسِيحِ

خرج عن دين النصرانية ، بل إنكار رؤيته مصلوباً عندهم ارتكابٌ محظور . على أنهم يُنكرون على اليهود ارتكابهم ذلك ، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك ، فيألفا من عقوق أضلها بارئها ! .

ومنها - كسر صليب الصلوات ، وهو الخشبة التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب عليها . وقد تقدم أن هيلاني أم قسطنطين استخرجتها من القمامة وغسلتها وطيبتها وغشّتها بالذهب وألبستها الحرير وحملتها معها للتبرك .

ومنها - الرجوع عن متابعة الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام .
ومنها - الخروج عن دين النصرانية أو التبري منه ، والقول بدين التوحيد أو دين اليهودية .

ومنها - الوقوع في حق قسطنطين وأمه هيلاني : لقيامهما في إقامة دين النصرانية أولاً على ما تقدم ذكره . وكذلك الاستهانة بالبطارقة أو أحد من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم ممن تقدم ذكره .

ومنها - القعود عن أهل الشعانين : وهم أهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الحمار بالقدس ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقددونه .

ومنها - صوم يوم الفصح الأكبر ، وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق ، واستقبال صحرة بيت المقدس موافقة لليهود .

ومنها - هدم كنيسة قمامة : لكونها عندهم في محل القبر بزعمهم . وكذلك غيرها من الكائس والديرة .

ومنها - تكذيب أحد من نقلة الإنجيل الأربعة الذين كتبوه كمتى وغيره ،
أو تكذيب أحد من القسوس : وهم الذين يقرءون الإنجيل والمزامير ، وتكذيب مريم
المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِنَ فيه برغمهم ،
فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه .

ومنها - القول بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى يتغمسون فيه عند
تنصيرهم .

ومنها - عدم اعتقاد أن القربان الذى يُذبح فى المذبح لا يصير لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه ، ولعمري إن هذه لعقول ذاهبة .

ومنها - استباحة دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قتل الشمامسة الذين هم
خدام الكنائس .

ومنها - خيانه المسيح فى وديعته . وذلك أنهم يزعمون أن كل ما خالفت فيه فرقة
من الفرق الثلاث الفرقة الأخرى كقول الملكانية بأن المعاد جسماني ، وقول
اليعقوبية : إن المعاد روحاني ، فإن الفرقة الأخرى يستعظمون الوقوع فيما ذهب
إليه محالفها ؛ وكذلك كل ما جرى هذا المجرى .

وقد رتب الكتاب أيمان النصارى على هذه المعتقدات . قال محمد بن عمر المدائني
فى كتاب "القلم والدواة" : وقد يذهب على كثير من الكتاب ما يستحلف به اليهود
والنصارى عند الحاجة إلى ذلك منهم ، فيستحلفون بأيمان الإسلام وهم مستحلون
للحرام ، ومجترون على الآثام ، ويتأمنون من أيمانهم ، والاستقسام بأديانهم .
ثم أشار إلى أن أول ما رتب الأيمان التى يحلف بها النصارى على هذه الطريقة
فى زمن الفضل بن الربيع ، فحكى عن بعض كتاب العراق أنه قال : أراد الفضل

أَبْنُ الرَّبِّ : يعنى وَزِيرَ الرَّشِيدِ أَنْ يَسْتَحْلِفَ كَاتِبَهُ ”عَوْنَا النَّصْرَانِي“ فلم يَدْرِ
 كَيْفَ يَسْتَحْلِفُهُ ، فَقُلْتُ : وَلْتِىَ اسْتَحْلَفَهُ ، قَالَ : دُونِكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : اِحْلِفْ
 بِالْهِكِ الذِّى لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا خُلِعْتَ النَّصْرَانِيَّةَ ، وَبَرِئْتَ مِنَ
 الْمَعْمُودِيَّةِ ، وَطَرَحْتَ عَلَى الْمَذْبَحِ خِرْقَةَ حِيْضَةٍ يَهُودِيَّةٍ ، وَقُلْتُ فِي الْمَسِيحِ مَا يَقُولُهُ
 الْمَسَامُونُ ﴿ إِنْ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . وَإِلَّا فَلَعَنَكَ
 الْبَطْرِيكَ الْأَكْبَرُ ، وَالْمَطَارَنَةُ ، وَالشَّامِيسَةُ ، وَالْقَمَامَسَةُ ، وَالْدِيرَانِيُّونَ ، وَأَصْحَابُ
 الصَّوَامِعِ عِنْدَ مَجْتَمَعِ الْخَنَازِيرِ وَتَقْرِيبِ الْقُرْبَانِ ؛ وَبِمَا اسْتَغَاثَتْ بِهِ النَّصْرَانِيُّ لِيَسُوعَ ،
 وَإِلَّا فَعَلَيْكَ جُرْمٌ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ عَشْرُ أَسْفُفًا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نِيَقِيَّةَ حَتَّى أَقَامُوا عُمُودَ
 النَّصْرَانِيَّةِ ، وَإِلَّا فَشَقَّقْتَ النَّاقُوسَ وَطَبَخْتَ بِهِ لَحْمَ جَمَلٍ وَأَكَلْتَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَدْخَلَ
 الصَّوْمِ وَأَحْمَمْتَ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ يَوْمًا (؟) وَرَمَيْتَ الشَّاهِدَ بَعَشْرِينَ حَجْرًا جَاحِدًا بِهَا ،
 وَهَدَمْتَ كَنِيسَةً لَدُنَّ ، وَبَنَيْتَ بِهَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، وَخَرَقْتَ غِفَارَةَ مَرْيَمَ وَكَهَنُونَ دَاوُدَ ،
 وَأَنْتَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلِعَقَبِكَ مِنْ بَعْدِكَ . قَالَ فَقَالَ عَوْنٌ :
 أَنَا لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَسْمَعَ هَذِهِ فَكَيْفَ أَقُولُهَا ! وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَا طَالَبَهُ بِهِ الْفَضْلُ ،
 فَأَمَرَ بِهَا الْفَضْلُ فَكُتِبَتْ نُسْخًا وَفُرِّقَتْ عَلَى الْكُتَّابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِهَا وَتَحْلِيفِ
 النَّصْرَانِيِّ [بِهَا] .

قُلْتُ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تَرْتِيبِ نُسْخِ الْإِيمَانِ لِتَحْلِيفِ النَّصْرَانِيِّ ، فَمِنْ
 مُطَنِّبٍ وَمِنْ مُوَحِّزٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِدِهِمْ فِيمَا يَقَعُ بِهِ التَّحْلِيفُ وَيُؤَافِقُ آرَاءَهُمْ
 فِيهِ . وَقَدْ رَتَّبَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ أَبْنَ فَضْلٍ اللَّهِ فِي ”التَّعْرِيفِ“ لَهُمْ أَيْمَانًا عَلَى مُقْتَضَى
 آرَاءِ فِرْقَتِهِمُ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ : مِنَ الْمَلَكَانِيَّةِ ، وَالْعَقُوبِيَّةِ ، وَالنَّسَاطِرَةِ .

فأما الملكانية، فقال : إِنَّ يَمِينَهُم : وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، وَحَقُّ الْمَسِيحِ عِيسَى
 ابْن مَرْيَمَ ، وَأُمُّهُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ ، وَمَا أَعْتَقَدَهُ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَالْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ .
 وَإِلَّا أَبْرَأُ مِنَ الْمَعْمُودِيَّةِ ، وَأَقُولُ : إِنْ مَاءُهَا نَجَسَ ، وَإِنْ الْقَرَايِينَ رَجَسَ ، وَبَرِئْتُ
 مِنْ مَرْيَحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَالْأَنَاجِيلِ الْأَرْبَعَةِ ، وَقُلْتُ : إِنْ مَتَّى كَذُوبٌ ، وَإِنْ مَرْيَمُ
 الْمَجْدَلَانِيَّةُ بَاطِلَةٌ الدَّعْوَى فِي إِخْبَارِهَا عَنِ السَّيِّدِ الْيَسُوعِ الْمَسِيحِ ، وَقُلْتُ فِي السَّيِّدَةِ
 مَرْيَمَ قَوْلَ الْيَهُودِ ، وَدِنْتُ بِدِينِهِمْ فِي الْمَجُودِ ، وَأُنْكِرْتُ اتِّحَادَ اللَّاهُوتِ بِالنَّاسُوتِ ،
 وَبَرِئْتُ مِنَ الْأَبِ وَالْإِبْنِ وَرُوحِ الْقُدُّسِ ، وَكَذَّبْتُ الْقُسُوسَ ، وَشَارَكْتُ فِي ذَبْحِ
 الشَّمَامِسِ ، وَهَدَمْتُ الدِّيَارَاتِ وَالْكَنَائِسَ ، وَكُنْتُ مِّنْ مَّالِ عَلَى قُسْطَنْطِينَ بْنِ
 هِيلَانِي ، وَتَعَمَّدَ أُمَّهُ بِالْعِظَائِمِ ، وَخَالَفْتُ الْمَجَامِعَ الَّتِي أَجْمَعَتِ الْأَسَاقِفَةُ بِرُومِيَّةَ
 وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَوَافَقْتُ الْبَرْدَعَانِيَّ بِأَنْطَاكِيَّةَ ، وَجَحَدْتُ مَذْهَبَ الْمَلَكَانِيَّةِ ،
 وَسَفَهْتُ رَأْيَ الرُّهْبَانِ ، وَأُنْكِرْتُ وَقُوعَ الصَّلْبِ عَلَى السَّيِّدِ الْيَسُوعِ ، وَكُنْتُ مَعَ الْيَهُودِ
 حِينَ صَلَبُوهُ ، وَحَدَّثْتُ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ ، وَأَسْتَبَحْتُ دِمَاءَ الدِّيْرَانِيِّينَ ، وَجَذَبْتُ رِدَاءَ
 الْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْبَطْرِيَرِكِ ، وَخَرَجْتُ عَنْ طَاعَةِ الْبَابِ ، وَصُمْتُ يَوْمَ الْفِصْحِ الْأَكْبَرِ ،
 وَقَعَدْتُ عَنْ أَهْلِ الشَّعَائِنِ ، وَأَبَيْتُ عِيدَ الصَّلِيبِ وَالْفِطَاسِ ، وَلَمْ أَحْفَلْ بِعِيدِ
 السَّيِّدَةِ ، وَأَكَلْتُ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَدِنْتُ بِدِينِ الْيَهُودِ ، وَأَبْجَحْتُ حُرْمَةَ الطَّلَاقِ ، وَخَنْتُ
 الْمَسِيحَ فِي دَيْعَتِهِ ، وَتَزَوَّجْتُ فِي قَرْنِ بَامْرَاتَيْنِ ، وَهَدَمْتُ بَيْدِي كَنِيسَةَ قُسَامَةَ ،
 وَكَسَرْتُ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ ، وَقُلْتُ فِي الْبُتُوَّةِ مَقَالَ سُطُورِسَ ، وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ
 وَجْهِي ، وَصَدَّيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَظْهَرُ الْكَرِيمُ ، وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ
 النُّورَانِيِّينَ وَالشَّعْشَعَانِيِّينَ ، وَدِنْتُ غَيْرَ دِينِ النَّصَارَى ، وَأُنْكِرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ أَحْيَا
 الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَقُلْتُ بِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ مَصْلُوبٌ ،
 وَأُنْكِرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَا صَارَ لَحْمَ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَةً ، وَخَرَجْتُ

في النصرانية عن لاجِبِ الطريقة ، وإلا قلتُ بدينِ التَّوْحِيدِ ، وتعبدتُ غيرَ الأربابِ ، وقصّدتُ بالمطانياتِ غيرَ طريقِ الإخلاصِ ، وقلتُ : إنّ المَعَادَ غيرُ رُوحانيّ ، وإنّ بَنِي المعمودية لا تَنسِيحُ في فِسيحِ السماء ، وأُثبِتُ وجودَ الحُورِ العِينِ في المَعَادِ ، وأنّ في الدارِ الآخرةِ التَّلَذُّذاتِ الجُسَمانيّةِ ؛ وخرجتُ خروجَ الشَّعْرةِ من العَجِينِ من دينِ النّصرانيّةِ ، وأكونُ من ديني محروماً ، وقلتُ إنّ جرجس لم يُقتلَ مظلوماً .

وأما اليعاقبة ، فقال : إنه يُبدَلُ قوله : اتّحادُ اللاّهوتِ بالنَّسُوتِ بقوله : مُمَاسَّةُ اللاّهوتِ للنَّاسُوتِ . ويُبطلُ قوله : ووافقتُ البردّعانيّ بأنطاكية ، ومجدتُ مذهبَ المَلَكانيّةِ ويبدّلُ بقوله : وكذبتُ يعقوبَ البردّعانيّ ، وقلتُ : إنه غيرُ نصرانيّ ، ومجدتُ اليعقوبية ، وقلتُ إنّ الحقّ مع المَلَكانيّة . ويُبطلُ قوله : وخرجتُ عن طاعة الباب ، ويبدّلُ بقوله : وقاتلتُ بيدي عمداً ، وخرّبتُ كنيسةً قُمامةً وكنتُ أوّلُ مفتون .

وإن كان من النساورة أبدل القولين وأبقى ما سواهما ، وقال عوض مُماسّةِ اللاّهوتِ للنَّاسُوتِ : إشراقُ اللاّهوتِ على النَّاسُوتِ ، ويزاد بعد ما يُحذفُ : وقالتُ بالبراءة من نُسْطُورس وما تَضَمَّنَه الإنجيلُ المقدّس .



وهذه نُسخة يَمِينٍ حُلِّفَ عليها مَلِكُ النُّوبَةِ لِلسُّلطانِ المَلِكِ المَنْصُورِ « قُلاوون » عند استقراره نائباً عنه في بلاد النُّوبَةِ ، وهي :

واللهِ واللهِ واللهِ ، وَحَقَّ النَّالُوثِ المقدّسِ ، والإنجيلِ الطَّاهِرِ ، والسيدةِ الطَّاهِرةِ العِذراءِ أُمِّ النُّورِ ، والمعمودية ، والأنبياءِ ، والرُّسُلِ ، والحواريّين ، والقديسين ،

والشهداء الأبرار، وإلا أبحد المسيح كما بحده بودس؛ وأقول فيه ما يقول اليهود، وأعتقد ما يعتقدونه؛ وإلا أكون بودس الذى طعن المسيح بالخربة - إني أخلصت يدي وطوييت من وقتي هذا وساعتي هذه للسلطان الملك فلان، وإني أبذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني ما دمت نائبه لا أقطع المقرر على في كل سنة تمضي: وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق، والنصف الآخر مرصداً لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون على في كل سنة كذا وكذا. وإني أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عينا. وإني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررت أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه كله، كنت بريئاً من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين النصرانية، وأصلي إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقد اليهود. وإني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته، ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان وعدو من عاداه، والله على ما نقول وكيل.

قلت: وسأني ذكر أيمان الفرنج على الهدنة عند ذكر ما أهمله في "التعريف":

من تسخ الأيمان في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

المسألة الثالثة

(المَجُوسِيَّةُ : وهى المِلَّةُ التى كان عليها الفُرسُ وَمَن دَانَ بدينهم)

وهم ثلاثُ فِرَقٍ :

الفرقة الأولى - الكُيُومَرِيَّةُ - نسبةٌ إلى كُيُومَرْت ، ويقال : كُيُومَرْت بالجيم بدل الكاف . وهو مَبْدَأُ النَّسْلِ عندهم كَادَم عليه السلام عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، وربما قِيلَ : إن كُيُومَرْت هو آدَم عليه السلام . وهؤلاء أثبتوا إلهًا قَدِيمًا وَسَمَّوه يزدان ، ومعناه النُّور ، يعنُون به الله تعالى ، وإلهًا مَخْلُوقًا سَمَّوه أَهْرَمَن ، ومعناه الظُّلْمَةُ ، يعنُون به إبليس . ويزعمون أن سَبَبَ وُجُود أَهْرَمَن أنَّ يزدان فَكَّرَ فى نَفْسِهِ أَنَّهُ لو كان له مُنَازِعٌ كيف يكون ، فحدث من هذه الفكرة الرَّدِيَّة أَهْرَمَن ، مَطْبُوعًا على الشَّرِّ والفِتْنَةِ والفسادِ والضَّرَرِ والإضرار ، فخرج على يزدان وخَالَفَ طَبِيعَتَهُ ، فَحَرَّتْ بينهما مُحَارَبَةٌ كان آخر الأمر فيها على أن أَصْطَلَحَا أن يكون العالمُ السُّفْلَى لِأَهْرَمَن سبعةَ آلاف سنة ، ثم يَحُلِّيَ العالمَ وَيُسَامِّه ليزدان . ثم إنه أباد الذين كانوا فى الدُّنْيَا قبل الصُّلْحِ وأهلكهم ، وبدأ بِرَجُلٍ يُقال له كُيُومَرْت ، وَحَيَوَانٍ يُقال له الثَّور ، فكان من كُيُومَرْت البَشَرُ ومن الثَّور البَقَرُ وسائرُ الحَيَوَانِ .

وقاعدة مذهبهم تَعْظِيمُ النُّورِ ، والتَّحَرُّزُ مِنَ الظُّلْمَةِ ، ومن هنا انْجَرَّوا إلى النار فَعَبَدُوهَا : لما أَشْتَمَلَتْ عليه من النور . ولَمَّا كان الثَّورُ هو أَصْلُ الحَيَوَانِ عندهم المُصَادِفِ لوجود كُيُومَرْت ، عَظَّمُوا البَقَرَ حَتَّى تَعَبَّدُوا بِأَبْوَالِهَا .

الفرقةُ الثانية - الشَّوِيَّةُ - وهم على رَأْيِ الكُيُومَرِيَّةِ فى تَفْضِيلِ النُّورِ والتَّحَرُّزِ مِنَ الظُّلْمَةِ ، إلا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إنَّ الاثْنَيْنِ اللَّذِينَ هما النور والظلمة قَدِيمَانِ .

الفِرْقَةُ الثالثة - الزَّرادشتية الدائِنُون بدينِ المَجُوسِيَّة - وهم أَتباعُ زرادشت الذى ظهر فى زَمَنِ كِيسْتاسِف السَّابِع من مُلُوكِ الكِيانِيَّة ، وهم الطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ من ملوكِ الفُرس ، وأَدَّعَى النُّبُوَّةَ وقال بوحْدانيَّةِ الله تعالى ، وأَنَّهُ واحدٌ لا شريكَ له ولا ضِدَّ ولا نِدَّ ، وأَنَّهُ خالقُ النُّورِ والطُّلَمَةِ ومُبدِعُهُما ، وأنَّ الخَيْرَ والشرَّ والصَّلاحَ والفَسَادَ إِنما حصل من آمِترَاجِهِما ، وأنَّ الله تعالى هو الذى منجَّهِما لحُكْمَةٍ [رأها] فى التَّركيب ، وأنهما لو لم يَمِترِجا لما كان وُجُودٌ للعالم ، وأَنَّهُ لا يَنالُ الأَمِترَاجُ حتَّى يَغلبَ النُّورُ الطُّلَمَةَ ، ثم يَخْلُصُ الخَيْرُ فى عَالِمِهِ وَيَحْطُ الشَّرُّ إلى عَالِمِهِ ، وحينئذٍ تَكُونُ القِيامَةُ . وقال باستقبالِ المشرقِ حيثُ مَطْلَعُ الأنوارِ ، والأَمْرِ بالمعروفِ ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ ، واجْتِنابِ الخِبايِثِ . وأتى بِكِتَابٍ قِيلَ صَنَّفَهُ ، وقِيلَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ . قال الشَّهْرَسْتَانِي : أسمه ”زندوستا“ . وقال المسعوديَّ فى ”التنبيه والإشراف“ : وأسم هذا الكتاب ”الإيسِتا“ وإذا عُرِّبَ أثبتت فيه قافٌ فُقيِلَ : ”الإيسِتا“ وعدد سورِهِ إحدى وعِشرون سُوْرَةً ، تقع كلُّ سورة فى مائتى وَرَقَةٍ ، وعددُ حروفِهِ سِتُّونَ حَرْفاً ، لكلِّ حَرْفٍ سُوْرَةٌ مفردة ، فيها حروفٌ تَتَكَرَّرُ وفيها حُرُوفٌ تَسْقُطُ . قال : وزرادشت هو الذى أحدث هذا الخَطَّ والمجوسُ تسميه : دين تهره ، أى كُتابِ الدين .

وذكر أنه كُتِبَ باللغة الفارِسيَّةِ الأولى فى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ جِلْدٍ ثَوْرٍ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ حَفْراً ، وأن أحداً اليومَ لا يَعْرِفُ مَعْنَى تلكِ اللغةِ ، وإِنما تَقَلُّ لهم إلى هذه الفارسية شَيْءٌ من السُّورِ فى أيديهم يَقْرَءونها فى صَلَواتِهِم : فى بَعْضِها الخَبَرُ عن مُبْتَدِ العالمِ ومُنْتَهاهُ ، وفى بَعْضِها مَواعِظُ . قال : وعَمِلَ زرادشت لكتاب ”الإيسِتا“ شرحاً سماه ”الزند“ ومعناه عندهم : ترجمةُ كلامِ الرَّبِّ ، ثم عَمِلَ لكتاب ”الزند“ شرحاً سماه : ”بادزنده“ وعملت علماءُهم لذلك الشَّرحَ شرحاً سموه : ”يازده“ .

ومن حيث اختلاف الناس في كتاب زرادشت المقدم ذكره هذا : نُزِّلَ عليه
أو صَنَّفَهُ قال الفقهاء : إنَّ لِلْمَجُوسِ شُبُهَةَ كِتَابٍ : لأنه غيرُ مقطوعٍ بكونه
كتاباً مُنَزَّلاً .

وأُتِيَ زرادشت كيستاسف المَلِكُ بِمُعْجَزَاتٍ .

منها - أنه أتى بِدَائِرَةٍ صَحِيحَةٍ بِغَيْرِ آلَةٍ ، وهو ممتنع عند أهل الهندسة .

ومنها - أنه مرَّ على أعمى ، فأمرهم أن يأخذوا حَشِيشَةً سَمَّاها وَيَعْصُرُوها
في عَيْنِهِ ، فأبصر . قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ : وليس ذلك من المُعْجِزَةِ في شيءٍ ، إذ يحتملُ
أنه كان يعرف خاصَّةَ الحَشِيشَةِ .

وهم يقولون : إن الله تعالى خلق في الأوَّلِ خَلْقاً رُوحَانِيّاً ، فلبا مَضَتْ ثلاثة
آلافِ سَنَةٍ أنفذ الله تعالى مَشِئَتَهُ في صورة من نور متلاليٍّ على [تركيب] صورة
الإنسان ، وخلق الشَّمْسَ والقَمَرَ والكواكب والأرض (وبنو آدم حينئذٍ غيرُ
مُتَحَرِّكِين) في ثلاثة آلاف سَنَةٍ .

ثم المَجُوسُ يَفْضُلُونَ الفُرسَ على العَرَبِ وسائر الأُمَمِ ، ويفضُّلون ما لهم : من مُدُنٍ
وأبْنِيَةٍ على غيرها من الأبنية ، فيفضُّلون إقليم بَابِلَ على غيره من الأقاليم ، ومَدِينَتَهُ على
سائر المُدُنِ ، من حيثُ إنَّ أوشهَنجَ أوَّلَ طبَقَةِ الْيَكَّانِيَةِ من مُلُوكِ الفُرسِ هو الذي
بناها ؛ ويقولون : إنه أوَّلُ من جَلَسَ على السَّرِيرِ ، وَلَيْسَ النَّاجِ ، ورفع الأعمال ،
ورَتَّبَ الخراج ؛ وكان مُلْكُهُ بعد الطُّوفانِ بِمِائَتِي سَنَةٍ ، وقيل : بل كان قبل
الطُّوفانِ .

ويفضُّلون الكِتَابَةَ الفَهْلَوِيَّةَ وهي الفارسية الأولى على غيرها من الخُطُوطِ ، ويزعمون
أن أوَّلَ مَنْ وضعها طهمورث : وهو الذي مَلَكَ بعد أوشهَنجَ المُقَدِّمِ ذَكَرَهُ .

ويجحدون سياسة بني ساسان ، وهم الطبقة الثالثة^(١) من ملوك الفرس منسوبون إلى ساسان . ويسخطون [على] الروم ، لغزوهم الفرس وتسلطهم عليهم ببلاد بابل . ويعبدون النار ، ويرون أن الأفلاك فاعلة بنفسها ، ويستبيحون فروج المحارم من البنات والأمهات ، ويرون جواز الجمع بين الأختين إلى غير ذلك من عقائدهم .

ويعظمون النيروز : وهو أول يوم من سنتهم وعيدهم الأكبر . وأول من رتبته جمشيد أخو ظههورث . ويعظمون أيضا المهرجان : وهو عيد مشهور من أعيادهم .

ويسخطون [على] بيوراسب : وهو رابع ملوكهم : وهو الضحاك يقال له بالفارسية : الدهاش ، ومعناه عشر آفات . وكان ظلوما غشوما ، سار فيهم بالجور والعسف ، وبسط يده بالقتل ، وسن العشور والمكوس واتخذ المغنين والملاهي ، وكان على كفيه ساعتان مستورتان بثيابه يحركهما إذا شاء ، فكان يدعي أنهما حيتان ، تهويان على ضعفاء العقول ، ويزعم أن ما يأخذه من الرعية يطعمه لهما ليكفهما عن الناس ، وأنهما لا يشبعان إلا بأدمغة بني آدم ، فكان يقتل في كل يوم عددا كثيرا من الخلق بهذه الحجة . ويقال : إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان في آخر أيامه .

وكان من شأنه أنه لما كثر جوره وظلمه على الناس ، ظهر بأصهبان رجل اسمه كاي ، ويقال : كايان من سفلة الناس ، قيل حداد ، كان الضحاك قد قتل له ابنين فأخذ كاي المذكور ذرفسا وهو الحربة وعلق بأعلاها قطعة نطع كان يتقي بها النار ،

(١) في "العبر" ج ٢ ص ١٦٩ أنها الرابعة .

ونادى فى الناس بمحاربة الضحّاك ، فأجابه خلق كثير ، واستفحل أمره ، وقصد الضحّاك بمن معه ، فهرب الضحّاك منه ، فسأله الناس أن يملك عليهم ، فامتنع لكونه من غير بيت الملك ، وأشار بتولية إفريدون من عقب جمشيد المقدم ذكره ، فولّوه ، فتبع الضحّاك فقبض عليه وقتله ، وسار فيهم بسيرة العدل وردّ ما اعتصبه الضحّاك إلى أهله ، فصار لكاي المذكور عندهم المقام الأعلى ، وعظّموا درّفسه الذى علق به تلك القطعة من النّطع ، وكلّوه بالجواهر ، ورصّعوه باليواقيت ، ولم يزل عند ملوكهم يستفتّحون به فى الحروب العظيمة حتّى كان معهم أيام يزدرج آخر ملوكهم عند محاربة المسلمين لهم فى زمن عثمان ، فغلّبهم المسلمون وأقتلوه منهم .

وهم يعظمون إفريدون ملكهم المقدم ذكره ، لقيامه فى هلاك الضحّاك وقتله . وفى أول ملك إفريدون هذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقال : إنه ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم .

وهم يعظمون أيضا من ملوكهم سابور الملّقب بذي الأكّاف ، لأخذه بثار العجم من العرب . وذلك أنه كان يتبع العرب بالجزيرة الفراتية وما جاورها ، وسار فى طلبهم حتّى بلغ البحرين ، ليهلكهم قتلا ، لا يقبل من أحد منهم فداءً ، ثم أخذ فى خلج أكّافهم ، فلذلك سُمى ذا الأكّاف .

ويعظمون ماني بن فائق^(١) : وهو رجل ظهر فى زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام ، وأدعى النبوة وأحدث ديناً بين المجوسية والنّصرانية . وكان يقول : نبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وقال : إنّ العالم

(١) فى "الملل" ابن فائق بالكاف .

مَصْنُوعٌ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَزَلَا قَدِيمَيْنِ حَسَّاسَيْنِ سَمِيعَيْنِ بَصِيرَيْنِ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَعْرِفُونَ بِالْمَانَوِيَّةِ .

وَيَتَبَرُّونَ مِنْ مَزْدَك : وَهُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ مَنْسُوبٌ عَنْدهُمْ إِلَى الزَّنْدَقَةِ أَيْضًا ، ظَهَرَ فِي زَمَنِ قُبَادَ أَحَدِ مُلُوكِ الْفُرسِ مِنَ الْأَكَّاسَةِ ، وَأَدَّعَى النَّبُوَّةَ وَنَهَى عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْمُبَاغَضَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ ، فَأَمَرَ بِالْأَشْتِرَاكِ وَالْمَسَاوَةِ فِيهِمَا ، وَتَبِعَهُ قُبَادَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَوَصَّلَتْ سِفْلَةُ الرِّجَالِ إِلَى أَشْرَافِ النِّسَاءِ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ النُّورَ عَالِمٌ حَسَّاسٌ ، وَالظُّلَامَ جَاهِلٌ أَعْمَى ، وَالنُّورُ يَفْعَلُ بِالْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَالظُّلْمَةُ تَفْعَلُ عَلَى الْخَبْطِ وَالْإِتْفَاقِ ، وَإِنَّ أَمْتَرَجَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ كَانَ بِالْإِتْفَاقِ وَالْخَبْطِ دُونَ الْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ الْخِلَاصُ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَقَالُ لَهُمُ الْمَزْدَكِيَّةُ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ شَرْوَانُ بْنُ قُبَادَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُمُ الْمَانَوِيَّةَ أَتْبَاعَ مَانِي الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَعَادَتْ الْفُرسُ إِلَى الْمَجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التَّعْرِيفِ" لِلْمَجُوسِ يَمِينًا عَلَى مَقْتَضَى مَا عَلَيْهِ عَقِيدَةُ الْمَجُوسِ أَتْبَاعَ زَرَادُشْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَهِيَ :

إِنِّى وَاللَّهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ ، النُّورِ ، الْأَقَلِّ ، رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَإِلَهُ الْإِلَهِاتِ ، مَا حِىَّ آيَةُ الظُّلَمِ ، وَالْمُوجِدِ مِنَ الْعَدَمِ ، مُقَدِّرِ الْأَفْلاكِ وَمُسَيِّرِهَا ، وَمُنَوِّرِ الشُّهُبِ وَمُصَوِّرِهَا ، خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُنْبِتِ النُّجُومِ وَالشَّجَرِ ، وَالنَّارِ وَالنُّورِ ، وَالظِّلِّ وَالْحَرُورِ ، وَحَقِّ جُيُومَرْتِ وَمَا أَوْلَدَ مِنْ كِرَائِمِ النَّسْلِ ، وَزَرَادُشْتِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ الْفَصْلِ ، وَالزَّنْدِ وَمَا تَضَمَّنَهُ ، وَالْخَطِّ الْمُسْتَدِيرِ وَمَا بَيْنَ . وَإِلَّا أَنْكَرْتُ أَنَّ زَرَادُشْتِ لَمْ يَأْتِ بِالْدَائِرَةِ الصَّحِيحَةِ بغيرِ آلِهِ ، وَأَنَّ مَمْلَكَةَ إِفَرِيدُونِ كَانَتْ ضَلَالَةً ، وَأَكُونُ

قد شاركت بيوراسب فيما سَفَكَ طُعْمًا لِحَيَّتَيْهِ ، وقلتُ إن كايان لم يُسَلِّطْ عليه ؛
 وحرقتُ بيدي الدِّرْفَسَ ، وأنكرتُ ما عليه من الوَضْعِ الذي أشرقت عليه أجرام
 الكواكب ، وتمازجت فيه القُوى الأرضية بالقُوى السَّماوية ، وكذبتُ ماني وصدقتُ
 مزدك ، وأسْتَبَحْتُ فُضُولَ القُروج والأموال ، وقلتُ بانكار الترتيب في طبقات
 العالم ، وأنه لا مَرَجِعُ في الأَبْوَءَ إِلَّا إلى آدَمَ ، وفضَّلتُ العَرَبَ على العَجَمِ ، وجعلتُ
 الفُرسَ كسائر الأمم ، ومسحتُ بيدي خطوطَ الفَهْلَوِيَّةِ ، وجمدتُ السِّيَاسَةَ
 السَّاسَانِيَّةَ ، وكنْتُ مَن غزا الفُرسَ مع الرُّومِ ، ومن خَطَأَ سابورَ في خَلْعِ أَكْثافِ
 العَرَبِ ، وجلبتُ البلاءَ إلى بابل ، ودينْتُ بنيردين الأوائِلَ ؛ وإِلَّا أَطْفَأْتُ النارَ ،
 وأنكرتُ فِعْلَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ ، ومالأتُ فاعِلَ الليلِ على فاعِلِ النَّهارِ ، وأبطلتُ حُكْمَ
 النَّيروزِ والمهرجان ، وأَطْفَأْتُ لَيْلَةَ الصَّدَقِ مَصَابِيحَ النَّيرانِ ؛ وإِلَّا أَكُونُ مَن حَرَّمَ
 قُروجَ الأمهات ، وقالَ بأنَّه لا يجوزُ الجَمْعُ بين الأخواتِ ؛ وأَكُونُ مَن أنكَرَ صَوَابَ
 فِعْلِ أردشير ، وكنْتُ لِقَوْمِي بئسَ المَوْلَى وبئسَ العَشِيرَ .

المهييع الثالث

(في الأيمان التي يُخَلِّفُ بها الحُكَّاء)

وهم المعبر عنهم بالفلاسفة ، جَمْعُ فَيْلسُوفٍ : ومعناه باليونانية مُحِبُّ الحِكْمَةِ .
 وأصله فيلاسوف ، فقيلَ معناه مُحِبٌّ ، وسُوفَ معناه الحِكْمَةُ ، وهم أصحاب الحكم
 الغريزية والأحكام السماوية ، فمنهم مَن وقفَ عند هذا الحدِّ ، ومنهم من عَرَفَ اللهَ
 تعالى وعَبَدَهُ بِأَدَبِ النَّفْسِ .

قال الشَّهْرَسْتَانِي : وهم على ثلاثة أصناف :

الصِّنف الأول — البراهمة ، وهم لا يُقِرُّون بالنبوءات أصلاً ، ولا يقولون بها .

[الصِّنفُ الثَّانِي — حِكْمَاءُ الْعَرَبِ^(١) ، وَهُمْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وَأَكْثَرُ حِكْمَتِهِمْ
فَلَتَاتُ الطَّعْنِ ، وَخَطَرَاتُ الْفِكْرِ ، وَهَؤُلَاءِ رَبَّمَا قَالُوا بِالنَّبَوَاتِ .

[الصِّنفُ الثَّالِثُ — حِكْمَاءُ الرُّومِ^(١) ، وَهُمْ عَلَى ضَرَبَيْنِ :

الضرب الأول

(الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِينَ هُمْ أَسَاطِينُ الْحِكْمَةِ)

وَهُمْ سَبْعَةٌ حِكْمَاءُ : ثَالِيسُ الْمَلَطِي ، وَانْكِسَاغُورَس ، وَانْكِسِمَانِس ، وَانْبَادِيْقَلَس^(٢) ،
وَفِيثَاغُورَس ، وَسُقْرَاطُ ، وَأَفْلَاطُون . وَمَذَاهِبُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَبَعْضُهُمْ عَاصِرُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ
عَالِمُهُمُ السَّلَامُ ، وَتَلَقَّفَ مِنْهُ ، كَانْبَادِيْقَلَس : كَانَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَضَى
إِلَيْهِ وَتَلَقَّى عَنْهُ ، وَاخْتَلَفَ إِلَى ثُمَّانٍ وَأَقْتَبَسَ مِنْهُ الْحِكْمَةَ . وَكَذَلِكَ فِيثَاغُورَس : كَانَ
فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخَذَ الْحِكْمَةَ مِنْ مَعْدِنِ النُّبُوَّةِ .

الضرب الثاني

(الْمُنَاحِرُونَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ أَصْحَابُ أَرَسْطَاطَالِيْس ، وَهُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ)

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُعْرَفُ بِالْمَشَائِينِ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَمَشُّونَ فِي رِكَابِهِ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ
الْحِكْمَةَ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِب . وَطَائِفَةٌ تُعْرَفُ بِالرُّوَاقِيِّينَ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانَ يَجْلِسُ
لِتَعْلِيمِهِمُ بِالرُّوَاقِ . وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ فَلَاسِقَةُ الْإِسْلَامِ : وَهُمْ حِكْمَاءُ الْعَجَمِ . أَمَّا قَبْلَ
الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ الْعَجَمِ مَقَالَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ ، بَلْ حِكْمُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ مُسْتَفَادَةً

(١) الزيادة عن الشهرستاني بالمعنى ليستقيم الكلام .

(٢) في الملل والنحل : انبذقلس .

من التنبؤات : إماما من الملة القديمة ، وإماما من غيرها من الملل . ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته ، وأنه ليس بجوهر ولا عرض ، وأن ما سواه صادر عنه على ترتيب ، وأنه تعالى واحد قود ، ليس له شريك ولا نظير ، باق أبدي سرمدي ، وأنه الذي أوجد الأشياء وكونها ، ويعبرون عنه بعلّة العلل ، وأنه قادر ، يفعل إن شاء ولا يفعل إن لم يشأ ، فاعل بالذات ليس له صفة زائدة على ذاته ، مريد له إرادة وعناية لا تزيد على ذاته ، وأنه أول لا بداية له ، آخر لا نهاية له ، وأنه يستحيل أن يتغير ، منزّه عن أن يكون حادثا أو عارضا للحوادث ، حتى متصف بصفات البقاء السرمديّة ، وأنه حكيم بمعنى أنه جامع لكل كمال وجلال ، وأنه خالق الأفلاك بقدرته ، ومدبرها بحكمته ، ويقولون : إن الأرض ثابتة لا تتحرك ، والماء مُحيط بها من سائر جهاتها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ، وكشف بعض أعلاها لسكنى الخلق فيه ، فهي كبطيخة مُلقاة في بركة ماء ، ويحيط بالماء الهواء ، ويحيط بالهواء النار ، ويحيط بالنار فلک القمر وهو الأول ، ويحيط بفلك القمر فلک عطارد وهو الثاني ، ويحيط بفلك عطارد فلک الزهرة وهو الثالث ، ويحيط بفلك الزهرة فلک الشمس وهو الرابع ، ويحيط بفلك الشمس فلک المريخ وهو الخامس ، ويحيط بفلك المريخ فلک المشترى وهو السادس ، ويحيط بفلك المشترى فلک زحل وهو السابع ، ويحيط بفلك زحل فلک الكواكب وهو الثامن ، وهو الذي فيه الكواكب الثابتة بأسرها ، وهي ما عدا الكواكب السبعة التي في الأفلاك السبعة المقدم ذكرها : من البروج الاثني عشر ومنازل القمر الثمانية والعشرين وغيرها . ويحيط بالكواكب الفلك الأطلس وهو الفلك التاسع ، والأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب ، بحيث تقطع في اليوم والليلة دورة كاملة ، والكواكب السبعة

التي في الأفلاك السبعة الأولى ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ،
والزهرة ، وعطارد ، والقمر ، متحركة بالسير إلى جهات مخصوصة : الشمس والقمر
يسيران بين المشرق والمغرب وبقية الكواكب يختلف سيرها استقامة ورجوعاً ،
والكواكب التي في الفلك الثامن ثابتة لا تتحرك ، والله تعالى هو الذي يسير هذه
الأفلاك والكواكب ويفيض القوى عليها .

ويقولون : إن الشمس إذا سخنت الأرض بواسطة الضوء صعد من الرطب
منها بخار ، ومن البارد الياس دخان . ثم بعضه يخرج من مسام الأرض فيرتفع
إلى الجو ، وبعضه يحتبس في الأرض بوجود ما يمنعه من الخروج منها : من جبل
ونحوه .

فأما ما يخرج من مسام الأرض ، فإن كان من البخار ، فما تصاعد منه في الهواء
يكون منه المطر والتلج والبرد وقوس قزح والهالة ؛ ثم ما ارتفع من الطبقة الحارة من
الهواء إلى الباردة تكاثف بالبرد وأنعقد غيماً ، وإن كان ضعيفاً أثرت فيه حرارة
الشمس فاستحال هواءً ، ومهما انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف وعاد وتقاطر وهو
المطر . فإن أدركها برد شديد قبل أن تجتمع ، جمدت ونزلت كالقطن المندوف وهو
التلج ، وإن لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات من الجوانب أذهبت برودتها ،
أنعقدت برداً ، وإذا صار الهواء رطباً بالمطر مع أدنى صقالة ، صار كالمرآة فيتولد من
ضوء الشمس الواقع في قفاه قوس قزح ، فإن كان قبل الزوال رؤى في المغرب ،
وإن كان بعد الزوال رؤى في المشرق ، وإن كانت الشمس في وسط السماء لم يمكن
أن يرى إلا قوساً صغيراً إن اتفق . وفي معنى ذلك الهالة المحيطة بالقمر ، إلا أن
الهالة إنما تحصل من مجرد برودة الهواء وإن لم يكن مطر .

وإن كان ما يخرج من مَسَامِ الأرض دُخَانًا : فإن تصاعدَ وارتفع في وَسَطِ البُخَارِ وضربه الرِّيحُ في ارتفاعه ، تَقُلُّ وَاَنْتَكَسَ فحركه الهواءُ فحصل الرِّيحُ . وإن لم يَضْرِبْهُ الرِّيحُ ، تصاعد إلى عُنْصُرِ النارِ واشتعلت النارُ فيه فصار منه نارٌ تشاهد ، وربما استطال بحسب طُولِ الدُّخَانِ فيسمى كوكبا منقُضًا . وإن كان الدُّخَانُ كَثِيفًا واشتعل بالنار ولكنه لم يَسْتَحِلْ على القُربِ ، بل بقي زمانا ، رُؤِيَ كأنه كوكبٌ ذو ذَنَبٍ . وإن بقي شيءٌ من الدخان في تضاعيف الغيمِ وبردَ ، صار رِيحًا في وَسَطِ الغيمِ فيتحركُ فيه بشدة فيحصل منه صَوْتٌ وهو الرِّعدُ ، فإن قَوِيَتْ حركته اشتعل من حرارة الحركة الهواءُ والدُّخَانُ فصار نارًا مُضِيئَةً وهو البرق . وإن كان المُشْتَعِلُ كَثِيفًا ثَقِيلًا مُحْرِقًا ، آندفع بمصادفة الغيمِ إلى جِهَةِ الأرضِ وهى الصاعقة :

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

وَيَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُكَوِّنُ الْأَكْوَانِ ، وَمُمَيِّعُ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ .

فأما المعادنُ — فهى التى تتكوَّنُ فيها جواهرُ الأرضِ : من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وغيرهما . وذلك أَنَّ البُخَارَ والدُّخَانَ فى الأرضِ فإنها [ان] تجتمعُ وتمتدِّجُ ، فإن غلب الدخانُ كان الحاصلُ منه مثلُ النُّوْشَادِرِ والكِبْرِيتِ ، وربما تغلبَ البخارُ فى بعضه فيصيرُ كالماءِ الصَّافِىِ المنعقدِ المتحجِّجِ ، فيكونُ منه الياقوتُ والبِلُّورُ ونحوه ممَّا لا يتطرَّقُ تَحْتَ المَطَارِقِ . وإن استحكمتْ أمْتزاجُ الدخانِ منه بالبُخَارِ وَقَلَّتْ الحرارةُ المحققة فى جواهرها ، آنعقد منه الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ والنُّحاسُ والرَّصَاصُ ونحوها ممَّا يتطرَّقُ بالمِطْرَقَةِ .

وأما النبات — فانهم يقولون : إن العنَاصِرَ قد يقعُ بها أمْتزاجٌ واختِلَاطٌ أتمُّ من أمْتزاجِ البُخَارِ والدُّخَانِ المقدم ذكره ، وأحسنُ وأقربُ إلى الاعتدالِ ، فيحصلُ من ذلك الثَّمَرُ الذى لا يكون فى الجمادات .

وينشأ عن ذلك ثلاثة أمور :

أحدها — التغذية بقوة مغذية : وهى قوة حيلة للغذاء تتخلع عنها صورتها وتكسوها صورة المتغذى ، فتنتشر فى أجزائه وتلتصق به وتسد مسد ما تحلل من أجزائه .

وثانيها — التنمية بقوة مُمِية ، بأن يزيد الجسم بالغذاء فى أقطاره على التناسب اللائق بالنامى حتى ينتهى إلى مُنتهى ذلك الشئ .

وثالثها — التوليد بقوة مولدة : وهى التى تفصل جسماً من جسم شبيه به .

وأما الحيوان — فإنهم يقولون إن تكوّنه من مزاج أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله ، من حيث إن فيه قوة النباتية وزيادة قوتين ، وهما المدركة والمتحركة ، ومهما حصل من الإدراك أنبعثت الشهوة والتزوع ، وهو إما لطلب ما يحتاج إليه فى طلب الملائم الذى به بقاء الشخص : كالغذاء ، أو بقاء النوع : كالجماع ، ويسمى قوة شهوانية . وإما للهرب ودفع المُناني ، وهى قوة غضبية ، فإن ضعفت القوة الشهوانية فهو الكراهة ، وإن ضعفت القوة الغضبية فهو الخوف .

والقوة المدركة تنقسم إلى باطنة : كالحالية والمتوهمّة والذاكرة والمفكرّة ، وإلى ظاهرة : كالسمع والبصر والدّوق والشمّ واللمس . فالألس قوة منبهة فى جميع البشرة ، تدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والصلابة واللين والخشونة والملامسة والحلقة والثقل . والشمّ فى زائدتى الدماغ الشببيتين بحلقتى الندى . والسمع فى عصبية فى أقصى الصّماخ . والدّوق فى عصبية مفروشة على ظاهر اللسان بواسطة الرطوبة العذبة التى لا تطعم لها ، المنبسطة على ظاهر اللسان . والإبصار يحصل عن انطباع مثل صورة المدرك فى الرطوبة الجليدية التى تُشبه البرد والجهد فإنها كالمرآة ، فاذا قابلها يكون انطبع فيها مثل صورته فتحصل الرؤية .

وَيَرَوْنَ أَنَّ النَّفْسَ مَحَلُّهَا الْعُلُو . وَيَقُولُونَ : إِنْ النَّفْسَ فِي أَوَّلِ الصَّبَا تَكُونُ عَالِمَةً
بِالْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَالْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ بِالْقُوَّةِ ، ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَالِمَةً بِالْفِعْلِ .

ثُمَّ إِنْ سَعِدَتْ بِالْإِسْتِعْدَادِ لِلْقَبُولِ ، انْقَطَعَتْ حَاجَتُهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَدَنِ
وَمُقْتَضَى الْخَوَاسِّ ، إِلَّا أَنَّ الْبَدَنَ لَا يَزَالُ يَحَازِبُهَا وَيَشْغَلُهَا وَيَمْنَعُهَا مِنْ تَمَامِ الْإِتِّصَالِ
بِالْعُلُويَّاتِ ، فَذَا انْخَطَطَ عَنْهَا شُغْلُ الْبَدَنِ بِالْمَوْتِ أَرْتَفَعَ عَنْهَا الْحِجَابُ ، وَزَالَ الْمَانِعُ ،
وَدَامَ الْإِتِّصَالُ ، وَكَمَلَ حَالُهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وَالتَّذَنَّتْ بِهِ لَذَّةً لَا يُدْرِكُ الْوَصْفُ
كُنْهَهَا . وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ مَحْجُوبَةً عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ فَقَدْ شَقِيَتْ .

وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِذَا تَحَجَّبُ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَصُرَ الْهَمَّةُ عَلَى مُقْتَضَى الطَّبْعِ ،
وَبَاقَامَتِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْخَاسِيسِ الْفَانِي ، فَتَرَسَّخَ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعَادَةُ وَيَتَأَكَّدُ شَوْقُهُ
إِلَيْهَا ، فَتَقْوَتْ بِالْمَوْتِ آلَةُ دَرْكِ ذَلِكَ الشَّوْقِ وَيَبْقَى التَّشَوُّقُ وَهُوَ الْأَلَمُ الْعَظِيمُ الَّذِي
لَا حَدَّ لَهُ ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنَ الْوَصَالِ وَالْإِتِّصَالِ . وَهَذِهِ النَّفْسُ نَاقِصَةٌ بِفَقْدِ الْعِلْمِ ،
مَلْطَاطَةً بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، بِخِلَافِ النَّفْسِ السَّابِقَةِ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ الْهَيُولَى قَابِلَةٌ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَيُخَالِفُونَ أَهْلَ الطَّبِيعَةِ فِي قَوْلِهِمْ :
بِانْكَارِ الْمَعَادِ وَفَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ وَأَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّهْيِيجَ رَاجِعَانِ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الشَّرْعِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ
الْمُعْتَزِّلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَيَقُولُونَ : إِنْ إِلَهِهُ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالذَّاتِ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ ، عَالِمٌ
بِذَاتِهِ وَبَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَجْنَاسِهَا ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ
الْمَحْكَاتِ الْخَادِثَةَ .

ويقولون بأشبات النبوات لأن العالم لا ينتظم إلا بقانون متبوع بين كافة [الناس] يحكمون به بالعدل ، وإلا تقاتلوا وهلك العالم ، إذ النبي هو خليفة الله في أرضه ، بواسطته تنتهى إلى الخلق الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة ، من حيث إنه يتلقى عن الملك والملك يتلقى عن الله تعالى ، إلا أنهم يقولون : إن النبوات غير متناهية وإنما مكتسبة ينالها العبد بالرياضات . وهاتان المقاتلتان من جملة ما كفروا به : بتجويز النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخبر تعالى أنه خاتم النبيين ، وقولهم إنها تنال بالكسب .

وقد حكى الصلاح الصفدي في "شرح لامية العجم" أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة اليمنى الشاعر ، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد انقراضها ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية ، مستنداً في ذلك إلى بَيِّت نُسِب إليه من قصيدة ، وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيّد الأمم

بفعل النبوة مكتسبة ^(١) على أن الله تعالى ليس بجسم ولا جسماني ، وأنه ليس في جهة ولا يدخل تحت الحد والماهية .



وهذه نسخة يمين رتبها لهم في "التعريف" وهي :

إني والله والله العظيم ^(٢) [العظيم] ، الذى لا إله إلا هو ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأبدى ، السرمدي ، الأزلي ، الذى لم يزل علة العلل ، ربُّ الأرباب ،

(١) بياض في الأصل ، ولعله « وهم مجمعون على أن » الخ .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٦٢ .

وَمُدَبِّرُ الْكُلِّ [الْقَدِيرُ] الْقَدِيمُ ؛ الْأَوَّلُ بِلاَ بَدَايَةٍ ، وَالْآخِرُ بِلاَ نِهَايَةٍ ، الْمُنْتَزَعُ عَنْ
 أَنْ يَكُونَ حَدَثًا أَوْ عَرَضًا لِلْحَوَادِثِ ، الْحَيُّ الَّذِي آتَتْصَفُ بِصِفَاتِ الْبَقَاءِ وَالسَّرْمَدِيَّةِ
 وَالْكَامِلِ ، وَالْمُتَرَدِّى بِرَدَاءِ الْكِبَرِيَاءِ وَالْجَلَالِ ؛ مُدَبِّرُ الْأَفْلَاقِ وَمُسِيرُ الشُّهُبِ ، مُفِضُ
 الْقُوَى عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَبَاطُّ الْأَرْوَاحِ فِي الصُّوَرِ ، مَكُونُ الْكَائِنَاتِ ، وَمُمَيِّ
 الْحَيَوَانَ وَالْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ . وَإِلَّا فَلَا رَقِيتُ رُوحِي إِلَى مَكَانِهَا ، وَلَا أَتَّصَلْتُ نَفْسِي
 بِعَالِمِهَا ، وَبَقِيتُ فِي ظُلْمِ الْجَهَالَةِ وَحُجْبِ الضَّلَالَةِ ، وَفَارَقْتُ نَفْسِي غَيْرَ مُرْتَسِمَةٍ
 بِالْمَعَارِفِ وَلَا مُكَمَّلَةٍ بِالْعِلْمِ ، وَبَقِيتُ فِي عَوَزِ النِّقْصِ وَتَحْتَ إِمْرَةِ الْغَيِّ ، وَأَخَذْتُ
 بِنَصِيبٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَعَادَ ، وَقُلْتُ بِنَاءَ الْأَرْوَاحِ ، وَرَضِيتُ فِي هَذَا بِمَقَالَةٍ
 أَهْلِ الطَّبِيعَةِ ، وَدُمْتُ فِي قَيْدِ الْمَرْجَاتِ وَشَوَاغِلِ الْحَسِّ ، وَلَمْ أُدْرِكِ الْحَقَائِقَ عَلَى
 مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ وَإِلَّا فَقُلْتُ : إِنْ الْهَيُولَى غَيْرُ قَابِلَةٍ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَادَّةَ
 وَالصُّورَةَ ، وَخَرَقْتُ النَّوَامِيسَ ، وَقُلْتُ : إِنْ التَّحْسِينِ وَالتَّقْيِيقِ إِلَى غَيْرِ الْعَقْلِ ،
 وَخَلَدْتُ مَعَ النُّفُوسِ الشَّرِّيرَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَى النَّجَاةِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْإِلَهِ لَيْسَ
 فَاعِلًا بِالذَّاتِ ، وَلَا عَالِمًا بِالْكُلِّيَّاتِ ، وَدِنْتُ بِأَنَّ النَّبَوَاتِ مُتَنَاهِيَةٌ وَأَنَّهَا غَيْرُ كَسْبِيَّةٍ ،
 وَحَدَّثْتُ عَنْ طَرَائِقِ الْحِكْمَاءِ ، وَنَقَضْتُ تَقْرِيرَ الْقَدَمَاءِ ، وَخَالَفْتُ الْفَلَّاسِفَةَ ،
 وَوَافَقْتُ عَلَى إِفْسَادِ الصُّوَرِ لِلْعَبَثِ ، وَحَيَّزْتُ الرَّبَّ فِي جِهَةٍ ، وَأَثَبْتُ أَنَّهُ جِسْمٌ ،
 وَجَعَلْتُهُ فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَدِّ وَالْمَاهِيَةِ [وَرَضِيتُ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْأُولَهِيَّةِ] ^(١) .

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٦٣ .

المهييع الرابع

(في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته)

اعلم أن المحلوف عليه في الأيمان الملوكية تارة يشترك فيه جميع من يحلف من أهل الدولة ، وتارة يختلف باختلاف ما يمتاز به بعضهم عن بعض مما لا تقع الشركة بينهم فيه .

فأما ما يقع فيه الاشتراك ، كطاعة السلطان وما في معناها : من إخلاص النية وإصفاء الطوية ، وما يجري مجرى ذلك ، فذلك مما يشترك فيه كل حالف يحلف للسلطان على اختلاف عقائدهم : من مسلم : سني أو بدعي ، وكافر : يهودي أو نصراني ، أو غيرهما . فكل أحد يحلف بما تقتضيه عقيدته في التعظيم ، على ما تقدم بيانه في أيمان الطوائف كلها .

فاذا انتهى إلى المحلوف عليه ، قال : إني من وقى هذا ومن ساعى هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهدا في إخلاصها ، وأصفيت طوييتي ولا أزال مجتهدا في إصفائها ، في طاعة مولانا السلطان المالك الملك الفلاني فلان الدين والدين فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد المالك فلان الدنيا والدين فلان خلد الله تعالى ملكه ، وفي خدمته ومحبته ونصحه ، وأكون وليا لمن وآله ، عدوا لمن عاداه ، سائما لمن ساله ، حربا لمن حاربه من سائر الناس أجمعين ، لا أضمر له سوءا ولا مكروها ولا خديعة ولا خيانة ، في نفس ولا مال ولا ملك ولا سلطنة ولا عساکر ولا جنود ولا عربان ولا تركمان ولا أكراد ولا غير ذلك ، ولا أسعى في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة . واني والله العظيم أبذل جهدي

وَطَاقَتِي فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ الْمَشَارِإِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ بِي أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مُلْكِهِ لَا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا نِيَّةٍ ، وَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِ الَّذِي جَاءَنِي بِالْكِتَابِ أَمْسَكْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ أَوْ لِنَائِبِهِ الْقَرِيبِ مِنِّي .

وَأَمَّا مَا يَقَعُ فِيهِ الْإِخْتِلَافُ فَمَا يَتَبَيَّنُ الْحَالُ فِيهِ بِإِخْتِصَاصِ رَبِّ كُلِّ وَظِيفَةٍ بِمَا لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ . وَقَدْ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى بُدْءِهِ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ :
وَقَدْ يُزَادُ ثَوَابُ الْقِلَاعِ وَتُقَبَّأُهَا وَالْوُزَرَاءُ وَأَرْبَابُ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُوالِ وَالِدَوَادَارِيَةِ وَكُتَّابُ السَّرَرِيزَادَاتِ ، يَعْنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

فَأَمَّا ثَوَابُ الْقِلَاعِ وَتُقَبَّأُهَا فَيُزَادُ فِي تَحْلِيفِهِمْ : وَإِنِّي أَجْمَعُ رِجَالَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَخِدْمَتِهِ فِي حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَحِمَايَتِهَا وَتَحْصِينِهَا ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْجِهَادِ دُونَهَا ، وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ . وَإِنِّي أَحْفَظُ حَوَاصِلَهَا وَذَخَائِرَهَا وَسِلَاحَ خَانَاتِهَا عَلَى إِخْتِلَافِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ . وَإِنِّي لَا أُخْرِجُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ الْمُتَعَيِّنِ فِيهَا تَقْرِيقُ الْأَقْوَاتِ وَالسِّلَاحِ ، عَلَى قَدَرِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ . وَإِنِّي أَكُونُ فِي ذَلِكَ كَوَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُنِي كَوَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، لَا أَحْصِي وَلَا أَمَكِّنُ مِنَ التَّخْصِيسِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَفْتَحُ أَبْوَابَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْجَارِيَةِ بِهَا عَادَةُ فَتْحِ أَبْوَابِ الْحُصُونِ ، وَأُغْلِقُهَا فِي الْوَقْتِ الْجَارِيِ بِهِ الْعَادَةُ ، وَلَا أَفْتَحُهَا إِلَّا بِسَمْسِ ، وَلَا أَغْلِقُهَا إِلَّا بِسَمْسِ . وَإِنِّي أَطَالِبُ الْحُرَّاسَ وَالِدِرَاجَةَ وَأَرْبَابَ الثُّوبِ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ الْإِزْمَةُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مِمَّا فِي ذَلِكَ جَمِيعُهُ مَصْلَحَةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ . وَإِنِّي لَا أَسْلَمُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ إِلَّا

لمولانا السلطان فلان، أو بمرسومه الشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة .
 وإنني لا أستخدم في هذه القلعة إلا من فيه نفعها وأهلية الخدمة، لا أعمل في ذلك
 بغرض نفسي، [ولا أرخص فيه لمن يعمل بغرض نفسه له ^(١)] ، وإنني أبذل
 في ذلك كله الجهد، وأشتر فيه عن ساعد الحد، قال : ويسمى القلعة التي هو فيها .
 وأما الوزراء وأرباب التصرف [في الأموال] فما يزداد في تخليفهم : وإنني أحفظ
 أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير والضَّياع ، والحوثة
 وتفريط أهل العجز ، ولا أستخدم في ذلك ولا في شيء منه إلا أهل الكفاية
 والأمانة ، ولا أضمن جهة من الجهات الديوانية إلا من الأمانة الأتقياء القادرين ،
 أو من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات ، ولا أؤثر مطالبة أحد بما يتعين
 عليه بوجه حق من حقوق الديوان المعمور والموجبات السلطانية على اختلافها .
 وإنني والله العظيم لا أرخص في تسجيل ولا قياس ، ولا أسأخ أحدًا بموجب
 يجب عليه ، ولا أخرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ولدولته ،
 ولا أخلي كل ديوان يرجع إلى أمره ، ويعتدق بي أمر مباشرته من نصقح
 لأحواله ، وأجتهد في تثير أمواله ، وكف أيدي الحوثة عنه ، وغل أيديهم أن تصل
 إلى شيء منه ، ولا أدع حاضرًا ولا غائبًا من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه ،
 وأبذل الجهد الكلي في إجراء أموره على السداد وحسن الاعتماد . وإنني لا أستجد
 على المستقر إطلاقه ما لم يرسم لي به إلا ما كان فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة
 القاهرة ، ونفع بين هذه الأيام الشريفة . وإنني والله أؤدى الأمانة في كل ما عِدق بي
 ووليت : من القبض والصرف ، والولاية والعزل ، والتأخير والتقديم ، والتقليل
 والتكثير ، وفي كل جليل وحقيق ، وقليل وكثير .

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٩ .

وأما الدَّوَادِرِيَّةُ وَكُتَّابُ السَّرِّ فِيزَادُ فِيهِمَا : وَإِنِّي مَهْمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ
 مولانا السلطان فلانٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَنَصَائِحِهِ ، وَأَمْرِ دَانِي مُلْكِهِ وَنَازِحِهِ ، أَوْصَلَهُ
 إِلَيْهِ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَخْفِيهِ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ ، وَلَا أَكْتُمُهُ وَلَوْ خِفْتُ
 وَصُولَ ضَرَرِهِ إِلَيَّ .

ويفرد الدَّوَادَارُ : بِأَنِّي لَا أُؤَدِّي عَنْ مولانا السلطان رِسَالَةً فِي إِطْلَاقِ مَالٍ ، وَلَا
 اسْتِخْدَامِ مُسْتَحْدَمٍ ، وَلَا إِقْطَاعِ إِقْطَاعٍ ، وَلَا تَرْتِيبِ مُرْتَبٍ ، وَلَا تَجْدِيدِ مُسْتَجِدٍّ ،
 وَلَا شَادٍّ شَاغِرٍ ، وَلَا فَصْلٍ مُنَازَعَةٍ ، وَلَا كِتَابَةِ تَوْقِيعٍ وَلَا مَرْسُومٍ ، وَلَا كِتَابِ
 صَغِيرٍ كَانَ أَوْ كَبِيرًا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَيَّ مولانا السلطان فلانٍ وَمُشَاوَرَتِهِ ، وَمَعَاوِدَةِ
 أَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَمُرَاجَعَتِهِ .

ويفرد كاتب السر : بِأَنَّهُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ قِرَاءَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَيَّ مولانا
 السلطان فلانٍ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، يَعَاوِدُهُ فِيهِ فِي وَقْتٍ آخَرٍ ، فَإِنْ لَمْ يَعَاوِدْهُ فِيهِ بِجَمْعٍ
 لَفْظِهِ ، لَطَوَّلَهُ الطُّوْلَ الْمُلَّ ، عَاوَدَهُ فِيهِ بِمَعْنَاهُ فِي الْمَلَخَّصَاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجَاوِبُهُ بِشَيْءٍ لَمْ
 يَنْصُ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِيهِ بَنْصَ خَاصٍّ ، وَمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِالنَّصِّ فِيهِ لَا يُجَاوِبُ
 فِيهِ إِلَّا بِأَكْلٍ مَا يَرَى أَنْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ مولانا السلطان فلانٍ وَمَصْلَحَةٌ دَوْلَتِهِ بِأَسَدٍ
 جَوَابٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَصِلُ أَجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا أُمَكَّنَهُ الْمَرَاجَعَةُ فِيهِ لمولانا
 السلطان فلانٍ رَاجَعَهُ فِيهِ وَعَمِلَ بَنْصَ مَا يَرْسُمُ لَهُ بِهِ فِيهِ . هَذَا مَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ كَلَامُهُ .

قال في "التثقيف" : ويزاد النُّوَابُ مِثْلَ قَوْلِهِ : وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةِ أَحَدٍ
 مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلَى أَنْ أَبْذُلَ جُهْدِي وَطَاقِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي حَقِّظِ
 الْمَمْلُوكَةِ الَّتِي أَسْتَنْابَنِي فِيهَا ، وَصِيَّائِهَا وَحِمَائِهَا ، وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالثُّغُورِ وَالسَّوَاوِلِ .
 ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ : وَإِنْ كَاتِبَنِي أَحَدٌ ائِلَ .

قلتُ : والمراد أنه يُؤتى باليمين العامة التي يحلف عليها كلُّ أحدٍ، ثم يزداد لكلِّ واحدٍ من أرباب الوظائف ما يُناسبه مما تقدّم ، ثم يؤتى على بقية اليمين من عند قوله : وإِنِّي أَفِي لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِهِذِهِ الْيَمِينِ ، إلى آخرها أو ما في معنى ذلك من أيمان أهل البدع وأصحاب الملل على ما تقدّم ذكره .

ثم قال في "التثقيف" : وقد تتجدد وقائع وأُمُورٌ تحتاج إلى التَّحْلِيفِ ، بسببها تتغيَّرُ صِغَةُ المحلوف عليه بالنسبة إلى ما رُسِمَ به فيها . ثم أشار إلى أنه لم يَرَمْدَ مباشرة بديوان الإنشاء أحدًا ممن ذكره في "التعريف" : من أرباب الوظائف حُلِّفَ ، وإنما ذكرها لاحتمال أن تدعو الحاجة إليها في وقت من الأوقات ، أو أنها كانت مستعملة في المتقدم ، فيكون في تركها إهمالٌ لبعض المصطلح .

قلت : وقد أهملنا في "التعريف" و "التثقيف" : ذكرَ يمينين مما رتبته الكُتَّابُ وحافّوا به في الزمن المتقدم مما لا غنى بالكاتب عنه .

الأولى — اليمين على الهدنة التي تتعقد بين ملّكين أو نائبيهما ، أو ملكٍ ونائبٍ ملكٍ آخر ، على ما سيأتى ذكره في المقالة التاسعة ، إن شاء الله تعالى .

وتقع اليمين فيها على ما فيه تأكيدُ عقْدِ الهدنة والتزامُ شروطها والبقاء عليها وعدمُ الخروج عنها أو عن شيءٍ من ملتمزاتها ، وغير ذلك مما يدخل به التطرق إلى النقض والتوصل إلى الفسخ .



وهذه نسخةٌ يمينٍ حُلِّفَ عليها السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ «قلاوون» على الهدنة الواقعة بينه وبين الحُكَّامِ بِمَمْلَكَةِ عَكَّا وَصَيْدَا وَعَثْلَيْثَ وَبِلَادِهَا ، من الفرج الاستبارية ،

فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة، فى مباشرة القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر كتابه السّر، على ما أورده ابن مكرم فى تذكرته، وهى :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم ، الطالب ، الغالب ، الضار ، النافع ، المدرك ، المهلك ، عالم ما بدا وما خفى ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه ، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؛ وما يقال فيه من سورة سورة ، وآية آية ، وحق شهر رمضان ، إننى أفى بحفظ هذه الهدنة المباركة التى استقرت بينى وبين مملكة عكا والمتقدمين بها على عكا وعثليت وصيدا وبلادها ، التى تضمنتها هذه الهدنة ، التى مدتها عشر سنين كوامل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألترم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ولا أتاؤل فيها ولا فى شئ منها ، ولا استفتى فيها طلباً لنقضها مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليت - وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الروم ، ومقدم بيت الاستبار ، ونائب مقدم بيت الاستبار إلى الآن ، ومن تولى بعدهم فى كفالة مملكة ، أو مقدم بيت بهذه المملكة المذكورة - وافين باليمين التى يخلقون عليها (فى ولدى الملك الصالح ، ولأولاده ، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن) عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ، ملتزمين أحكامها ، وإن نكثت فى هذه اليمين فيلزمى الحجاج إلى بيت الله الحرام بمكة حافياً حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهية عنها .

ويذكر بقية اليمين إلى آخرها ، ثم يقول : والله على ما نقول وكيل .



وهذه نسخة يمينٍ حُلفَ عليها الفَرَجُ المعافدون على هذه الهدنة أيضا، في التاريخ
المقدم ذكره على ما أورده ابن مكرم أيضا، وهي :

والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، وحق المسيح وحق
المسيح ، وحق الصليب وحق الصليب ، وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد
المكثى بها عن الأب والابن وروح القدس إله واحد، وحق الصليب المكرم الحال
في الناسوت ، وحق الإنجيل المطهر وما فيه ، وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى
ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق صلواتهم وتقديساتهم ، وحق التلامذة الاثني عشر،
والاثني وسبعين ، والثمانمائة وثمانية عشر المجتمعين للبيعة ، وحق الصوت الذي
نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم
روح الله وكلمته ، وحق السيدة مارية أم النور (ومارية مريم) ويوحنا المعمودى
ومرثان ومرثاني ، وحق الصوم الكبير، وحق ديني ومعبودى وما اعتقده من
النصرانية ، وما تلقينته عن الآباء والأقساء المعمودية - إبنى من وقتي هذا وساعتي
هذه ، قد أخلصت نيتي ، وأصفيت طوبتي في الوفاء للسلطان الملك المنصور ولولده
الملك الصالح ولأولادهما ، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التي انعقد الصلح
عليها ، على مملكة عكا وصيدا وعثليت وبلادها الداخلة في هذه الهدنة ، المسماة فيها ،
التي مدتها عشر سنين كوايل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها
يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين للإسكندر بن فيلبس
اليوناني ، وأعمل بجميع شروطها شرطا شرطا ، وألتزم الوفاء بكل فصل في هذه الهدنة
المذكورة إلى انقضاء مدتها . وإبنى والله والله وحق المسيح ، وحق الصليب ،

وَحَقَّ دِينِي لَا أُتَعَرَّضُ إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ ، وَلَا إِلَى مَنْ حَوَّثَهُ وَتَحَوَّيَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْدَاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ بِأَذِيَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ فِي نَفْسٍ وَلَا فِي مَالٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَحَقَّ دِينِي وَمَعْبُودِي أَسْلُكُ فِي الْمَعَاهِدَةِ وَالْمُهَاذَنَةِ وَالْمُصَافَاةِ وَالْمُصَادَقَةِ وَحِفْظِ الرَّعِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمُتَرَدِّدِينَ فِي الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالصَّادِرِينَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا - طَرِيقَ الْمَعَاهِدِينَ الْمُتَصَادِقِينَ الْمُتَمَرِّمِينَ كَفَّ الْأَذِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ عَنِ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَلْزَمُ الْوَفَاءَ بِمَجْمِيعِ شُرُوطِ هَذِهِ الْهُدْنَةِ إِلَى أَنْقِضَائِهَا ، مَا دَامَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَافِيًا بِالْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا عَلَى الْهُدْنَةِ ، وَلَا أَنْقُضُ هَذِهِ الْيَمِينَ وَلَا شَيْئًا مِنْهَا ، وَلَا أَسْتَنْتِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلِبًا لِنَقِضِهَا ، وَمَتَى خَالَفْتُهَا وَنَقَضْتُهَا فَأَكُونُ بَرِيئًا مِنْ دِينِي وَاعْتِقَادِي وَمَعْبُودِي ، وَأَكُونُ مُخَالِفًا لِلْكَنِيسَةِ ، وَيَكُونُ عَلَيَّ الْحُجُّ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ثَلَاثِينَ حَجَّةً حَافِيًا حَاسِرًا ، وَيَكُونُ عَلَيَّ فَكُّ أَلْفِ أَسِيرٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَسْرِ الْفَرَنْجِ وَإِطْلَاقُهُمْ ، وَأَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْأَلَاهُوتِ الْحَالِّ فِي النَّاسُوتِ ، وَالْيَمِينَ يَمِينِي وَأَنَا فَلَانٌ ، وَالنِّيَّةُ فِيهَا بِأَسْرِهَا نِيَّةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَنِيَّةُ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحْلَفِي لَهَا بِهَا عَلَى الْإِنْجِيلِ الْكَرِيمِ ، لَا نِيَّةَ لِي غَيْرُهَا ، وَاللَّهُ وَالْمَسِيحُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٍ .

وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ الْيَمِينَ ، مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْرُسَ ، وَيَمِينَ صَاحِبِ بَيْرُوتَ وَحِصْنِ الْأَكْرَادِ وَالْمَرْقَبِ مِنَ الْفَرَنْجِ الْإِسْتَبَارِيَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ نَحْمِيسَ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ .

قُلْتُ : وَمَقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْمُكَرَّمِ فِي إِيرَادِ هَذِهِ الْإِيمَانِ أَنْ نُسَخَّةَ الْيَمِينَ تَكُونُ مُنْفَصِلَةً عَنِ نَسْخَةِ الْهُدْنَةِ كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يُسْتَحْلَفُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّ مَقْتَضَى كَلَامِ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : أَنَّ الْيَمِينَ تَكُونُ مُتَّصِلَةً بِالْهُدْنَةِ . وَالَّذِي يَنْجِيهِ أَنَّهُ

إن تيسر الحلف عقيب الهدنة - لوجود المتحالفين - كتب في نفس الهدنة متصلاً بها ، وإلا أفرد كل واحد من الجانبين بنسخة يمين ، كما في غيرها من الأيمان . وربما جردت الهدنة عن الأيمان ، كما وقع في الهدنة الجارية بين الظاهر بيبرس وبين دون حاكم الريدأرغون ، صاحب برشلونه من بلاد الأندلس ، في شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة على مقتضى ما أورده ابن المكرم في تذكرته .

وأعلم أنه قد يكتفى باليمين عن الهدنة [باليمين] في عقد الصلح .

وقد ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش في "التتيف" : أنه رتب يميناً حلف عليها الفرنج بالأبواب السلطانية بالديار المصرية عند عقد الصلح معهم ، في سنة اثنتين وسبعين وسبعائة ، فيها زيادات على ما ذكره المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" وهي :

والله والله والله العظيم ، إله إبراهيم ، مالك الكُل ، خالق ما يرى وما لا يرى ، صانع كل شيء ومُتقنه ، الرب الذي لا يُعبد سواه ، وحق المسيح ، وحق المسيح ، وحق السيدة مريم ، وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الإنجيل ، وحق الإنجيل ، وحق الأب والابن وروح القدس إله واحد من جوهر واحد ، وحق اللاهوت المكرم ، الحال في الناسوت المعظم ، وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق اللاهوت والناسوت وصليب الصلبوت ، وحق التلاميذ الاثني عشر ، والاثني وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة ، وحق الصوت الذي نزل على نهر الأردن فزجره ، وحق السيدة مارية أم النور ، وحق بيعة وقديس وثالوث ، وما يقوله في صلاته كل معبداني ، وحق ما اعتقده من ديز النصرانية ، والملة المسيحية - إني أفعل كذا وكذا ، ومتى

خالفت هذه اليمين التي في عُنُقِي ، أو تقضتها أو نكثتها ، أو سَعَيْتُ في إبطي لها بوجهه من الوجوه ، أو طَرِيق من الطُّرُق - برئت من المعمودية ، وقلتُ : إن ماءها نجس ، وإن القَرَّايين رجس ، وبرئت من مَرِيحَتَا المعمدان ، والأناجيل الأربعة ، وقلتُ : إِنَّ مَتَّى كَذُوبٌ ، وإن مَرِيَمَ المَجْدَلَانِيَّةَ باطلةُ الدَّعْوَى في إخبارها عن السَّيِّدِ اليَسُوعَ المَسِيحِ ، وقلتُ في السيدة مَرِيَمَ قَوْلَ اليهود ، وِدَنْتُ بدينهم في الجُحود ، وبرئت من الثالوث ، وجمدتُ الأب ، وكذبتُ الابن ، وكفرتُ بروح القدس ، وخلعتُ دين النصرانية ، ولزمتُ دين الحَنيفِيَّةَ ، ولطختُ الهيكلَ بِحِيضَةٍ يَهُودِيَّةٍ ، ورفضتُ مَرِيَمَ ، وقلتُ : إنها قُورِنَتْ مع الأَسْخَرِيوطى في جَهَنَّمَ ، وأنكرتُ آحادَ الألهوتِ والنَّاسوتِ ، وكذبتُ القُسُوسَ ، وشاركتُ في ذَنْعِ الشَّامِسِ ، وهدمتُ الدياراتِ والحَنَائِسَ ، وكنتُ ممن مالَ على قُسْطَنْطِينَ بنِ هِيلَانِي ، وتعمدتُ أمهَ بالمَظَامِ ، وخالفتُ المجامعَ التي اجتمعتَ عليها الأَسَاقِفُ بَرُومِيَّةَ والقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وجمدتُ مَذْهَبَ المَلَكَايَةِ ، وسَفَّهْتُ رَأْيَ الرُّهْبَانِ ، وأنكرتُ وَقُوعَ الصَّلْبِ على السَّيِّدِ اليَسُوعَ ، وكنتُ مع اليهود حينَ صلبوه ، وحَدِثُ عن الحَوَارِيِّينَ ، وأسْتَبَحْتُ دِمَاءَ الدَّيرَانِيِّينَ ، وجَدَّبْتُ رِداءَ الكِبَرِيَاءِ عن البَطْرِيَرِكِ ، وخرجتُ عن طاعة البابِ ، وصُفِّتُ يومَ الفِصْحِ الأكبرِ ، وقعدتُ عن أَهْلِ الشَّعْمانينَ ، وأبَيْتُ عِيدَ الصَّلِيبِ والفِطاسَ ، ولم أحِفِلْ بعِيدِ السَّيِّدَةِ ، وأَكَلْتُ لَحْمَ الجَمَلِ ، وِدَنْتُ بدين اليهود ، وأبَحْتُ حُرْمَةَ الطَّلَاقِ ، وهدمتُ بِيَدِي كَنِيسَةَ قُسَامَةَ ، وَخُنْتُ المَسِيحَ في وديعته ، وتَرَوَّجْتُ في قَرْنٍ بامرأتين ، وقلتُ : إن المَسِيحَ كَادَمَ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ تُرَابٍ ، وكفرتُ بِإِحْيَاءِ العَيَّازَةِ ، وحجىء الفَارِقْلِيْطَ الآخرَ ، وبرئتُ من التلامذة الاثني عشرَ ، وحرَّم على الثَّلَاثَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشَرَ ، وكسرتُ الصُّلْبَانَ ، ودُسْتُ بِرَجُلِ القُرْبَانِ ، وبَصَقْتُ في وجوه الرُّهْبَانِ عند قولهم : كَثِيرُ اليَصُونِ ، وأَعْتَقَدْتُ أَنَّ نَعْسَهُ كَفَرُ الجُونِ (؟)

وَأَنَّ يَوْسُفَ النَّجَّارَ زَنَى بِأُمِّ الْيَسُوعَ وَعَهَرَ ، وَعَطَّلْتُ النَّاقُوسَ ، وَمِلْتُ إِلَى مِلَّةِ
الْجُوسِ ، وَكَسَرْتُ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ ، وَطَبِخْتُ بِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَأَكَلْتُهُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ
مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، تَحْتَ الْهَيْكَلِ بِحَضْرَةِ الْآبَاءِ ، وَقُلْتُ فِي الْبَنُوَّةِ مَقَالَ تُسْطُورَسَ ،
وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجْهِي ، وَصَدَّيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَظْهَرُ
الْكَرِيمُ . وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنَ الثُّورَانِيِّينَ وَالشَّعْشَعَانِيِّينَ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ
أَحْيَا الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ مَرْبُوبٌ ، وَإِنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ
مَصْلُوبٌ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَاصِرَ لَحْمِ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَهُ ،
وَنَحَرَجْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ عَنْ لَاحِبِ الطَّرِيقَةِ . وَإِلَّا قُلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وَتَعَبَّدْتُ
غَيْرَ الْأَرْبَابِ ، وَقَصَدْتُ بِالْمُظَانِّيَّاتِ غَيْرَ طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْمَعَادَ غَيْرُ
رُوحَانِيٍّ ، وَإِنْ بَنَى الْمَعْمُودِيَّةُ لَا تَسِيحُ فِي فَسِيحِ السَّمَاءِ ، وَأَثْبَتُ وُجُودَ الْخُورِ الْعَيْنِ
فِي الْمَعَادِ ، وَأَنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ التَّلَذُّذَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ ، وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الشَّعْصَعَةِ مِنَ
الْعَيْنِ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مُحْرُومًا ، وَأَقُولُ : إِنْ جَرَجِسٌ لَمْ يُقْتَلْ
مَظْلُومًا ، وَخَرَقَتْ غَفَارَةُ الرَّبِّ ، وَشَارَكَتُ الشَّرَّ [يَر] فِي سَلْبِ ثِيَابِهِ ، وَأُحْدِثْتُ تَحْتَ
صَلَابِيهِ ، وَتَجَمَّرْتُ بِجَسَدِيهِ ، وَصَفَعْتُ الْجَائِلِيْنَ . وَهَذِهِ ائِمِّينُ يَمِينِي وَأَنَا فُلَانٌ ، وَالنِّيَّةُ
[فِيهَا] بِأَسْرِهَا نِيَّةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ «شُعْبَان» وَنِيَّةُ
مُسْتَحْلِفِي ، وَالْإِلَهِ وَالْمَسِيحِ عَلَى مَا أَقُولُ وَكَيْلُ .

قُلْتُ : خَلَطْتُ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ بَعْضَ يَمِينِ الْيَعَاقِبَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ مُعْتَقِدِ الْفَرَجِ الَّذِينَ
حَلَفَهُمْ مِنْ مَذْهَبِ الْمَلَكَانِيَّةِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مُعْتَقَدَاتِ
النَّصْرَانِيَّةِ قَبْلَ تَرْتِيبِ ائِمَّانِهِمْ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَتَى فِيهَا بِأَكْثَرِ مَارْتَبَةِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ
فَضْلِ اللَّهِ فِي تَحْلِيفِهِمْ عَلَى صِدَاقَتِهِ ، وَزَادَ مَا زَادَ مِنَ الْيَمِينِ الْمُرْتَبَةِ فِي التَّحْلِيفِ عَلَى
الْهُدْنَةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا .

اليمن الثانية — مما أهمله في "التعريف" يمين أمير مكة .

والقاعدة فيها أن يحلف على طاعة السلطان، والقيام في خدمة أمير الركب،
والوصية بالحجاج، والاحتفاظ بهم .

وهذه نسخة يمين حلف بها الأمير نجم الدين أبو نعيم أمير مكة المشرفة، في الدولة
المنصورية قلاوون الصالحى، في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ونُسختها على ما ذكره ابن المكرم في تذكرته بعد استيفاء الأقسام :

إِنِّى أَخْلَصْتُ نِيَّتِي، وَأَصْفَيْتُ طَوْبِي، وَسَاوَيْتُ بَيْنَ بَاطِنِي وَظَاهِرِي فِي طَاعَةِ
مَوْلَانَا السَّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَلَوْلَاهِ السَّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَطَاعَةِ أَوْلَادِهِمَا
وَارِثِي مُدَيْكِهِمَا، لَا أَضْمُرُ لَهُمْ سُوءًا وَلَا عَدْرًا فِي نَفْسٍ وَلَا مُلْكٍ وَلَا سُلْطَنَةٍ . وَإِنِّى
عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، صَدِيقٌ لِمَنْ صَادَقَهُمْ، حَرَبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، سَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ . وَإِنِّى
لَا يُخْرِجُنِي عَنْ طَاعَتِهِمَا طَاعَةُ أَحَدٍ غَيْرِهِمَا، وَلَا أَتَلَفْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى جِهَةٍ غَيْرِ
جِهَتِهِمَا، وَلَا أَفْعَلُ أَمْرًا مُخَالِفًا لِمَا اسْتَقَرَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا أَشْرِكُ فِي تَحْكُمِهِمَا
عَلَى وَلَا عَلَى مَكَّةَ وَحَرَمِهَا وَمَوْقِفِ جَبَلِهَا زَيْدًا وَلَا عَمْرًا . وَإِنِّى أَلْتَزِمُ مَا اشْتَرَطْتُهُ
لِمَوْلَانَا السَّلْطَانِ وَلَوْلَاهِ فِي أَمْرِ الْكُسُوفَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَنْصُورِيَةِ الْوَاصِلَةِ مِنْ مِصْرَ
الْمَحْرُوسَةِ وَتَعْلِيْقِهَا عَلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، وَأَنْ لَا يَعْلُوَهَا كُسُوفَةٌ غَيْرُهَا،
وَأَنْ أَقْدِمَ عَالِمَهُ الْمَنْصُورَ عَلَى كُلِّ عَالِمٍ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، وَأَنْ لَا يَتَقَدَّمَهُ عَالِمٌ غَيْرُهُ .
وَإِنِّى أَسْهَلُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَيَّامَ مَوَاسِمِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا لِلزَّائِرِينَ وَالطَّائِفِينَ وَالْبَادِينَ
وَالْعَاكِفِينَ، وَالْآمِينَ لِحَرَمِهِ وَالْحَاجِّينَ وَالوَاقِفِينَ . وَإِنِّى أَجْتَهِدُ فِي حِرَاسَتِهِمْ مِنْ
كُلِّ عَادٍ بَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، وَمُتَخَطِّفٍ لِلنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ . وَإِنِّى أَوْمَنْهُمْ فِي سِرِّيهِمْ،
وَأَعِذُّهُمْ لِمَنْ هَلَّ شُرِّيهِمْ، وَإِنِّى وَاللَّهِ أَسْتَمِرُّ بِتَفَرُّدِ الْخُطْبَةِ وَالسَّكَّةِ بِالْأَسْمِ الشَّرِيفِ

المنصوري، وأَفْعَلُ في الخِدْمَةِ فَعَلَ المَخْلِصَ الوَلِيَّ . وإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ أَمْتَلُ مَراسيمه
أَمْتَلُ النَّائِبِ لِلِاسْتِنَابِ ، وَأَكُونُ لِدَاعِي أَمْرِهِ أَوَّلَ سَامِعٍ مُجِيبٍ . وإِنِّي أَلْتَزِمُ
بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها لا أَنْقُضُهَا .

المهيع الخامس

(في صورة كتابة نُسخ الأيمان التي يحلف بها)

وقد جرت العادة أنه إذا أَسْتَقَرَّ مَلِكٌ في المُلْكِ يُحْلَفُ له جميعُ الأُمراءِ والنَوَّابِ
في المملكة، وإذا أَسْتَقَرَّ نَائِبٌ من النَوَّابِ في نِيَابَةِ حُلَفَ ذلك النَائِبُ عندَ أَسْتِقْرَارِهِ،
وربما أَقْتَضَتْ الحَالُ التَّحْلِيفَ في غير هذه الأوقات .

ثم الأيمان التي يُحْلَفُ بها على ضربين :

الضرب الأول

(الأيمان التي يحلف بها الأُمراءُ بالديار المصرية)

وقد جرت العادة أن تُكَّابَ دِيوانُ الإنشاءِ يَجْتَمِعُ من يَجْتَمِعُ منهم بِالْقَلْعَةِ ،
وَيَتَصَدَّقُ كُلُّ وَاحِدٍ منهم لَتَحْلِيفِ جَمَاعَةٍ من الأُمراءِ والمماليك السلطانية وغيرهم ،
وَيُنَصَّبُ الْمُصَحِّفُ الشَّرِيفُ عَلَى كُرْسِيِّ أَمَامَ الحَافِلِينَ ، وَيُحْلَفُ كُلُّ كَاتِبٍ من
كُتَّابِ الإنشاءِ من يُحْلَفُهُ نُجَاهَ المصحفِ بِالْفَاظِ اليمينِ المُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي
يُرْسَمُ تَحْلِيفُهُمْ عَلَيْهِ ، وَيَكْتُبُ كُلُّ وَاحِدٍ من أولئك الكُتَّابِ أَسْمَاءَ الَّذِينَ حَلَفَهُمْ
فِي وَرَقَةٍ وَيُورِّخُهَا وَيَجْمَعُهَا إِلَى دِيوانِ الإنشاءِ فَتُخَلَّدُ فِيهِ .

الضرب الثاني

(الأيمان التي يحلف بها تواب السلطنة والأمراء بالمالك الشامية وما أنضم إليها)

وقد جرت العادة أنه إذا أريد تحليف نائب من تواب الممالك الخارجة عن الحضرة بالديار المصرية أو أمير من أمرائها أن تكتب نسخة يمين من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وتجهز إلى النائب أو الأمير الذي يقصد تحليفه فيحلف على حكمها متلفظا بألفاظها جميعها . قال في "التثقيف" : وصفة ما يكتب في النسخة بعد البسملة من يمين الورق « أقول وأنا » ثم يخل بياضا قليلا بقدر أصبعين لموضع كتابة الخالف اسمه ، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جدا « والله والله والله » وتكمل تيممة النسخة على ما تقدم ذكره . وتكون سطورها متلاصقة سطرًا إلى سطرٍ إلى عند قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » فيخل بعد ذلك بياضا قليلا لموضع كتابة اسم الخالف أيضا ، ثم يكتب من يمين الورق : « والنية في هذه اليمين بأسرها » إلى آخر النسخة .

قلت : وكذلك نسخ الأيمان التي تكتب ليحلف بها في الهدن التي تُفرد الأيمان فيها عن الهدن ، يخل فيها بياض لكتابة الاسم بعد قوله « أقول وأنا »

وبعد قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » سواء في ذلك اليمين التي يحلف بها السلطان أو الملك الذي تقع معه المهادنة : من ملوك الإسلام أو ملوك الكفر .

وقد جرت العادة أن يكون الورق الذي تكتب فيه نسخ الأيمان التي يحلف بها التواب وغيرهم من الأمراء الخارجين عن الحضرة في قطع العادة . أما ما يحلف به على الهدن فلم أقف فيه على مقدار قطع الورق . والذي يظهر أن كل يمين تكون في قطع الورق الذي يكتب بها ذلك الملك الذي يحلف .

المقالة التاسعة

في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب^(١)

الباب الأول

في الأمانات، وفيه فصلان

الفصل الأول

في عقد الأمان لأهل الكفر

قال في "التعريف": وهو أقوى أمور الصلح دلالة على اشتداد السلطان، إذ كان يؤمن الخائف أمناً لا عوض عنه في عاجل ولا آجل، وفيه طرفان:

الطرف الأول

(في ذكر أصله وشرطه وحكمه)

علم أن الأمان هو الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي يُرفع بها القتل عن الكفار. قال العلماء: وهو من مكاييد القتال ومصالحه وإن كان فيه ترك القتال: لأن الحاجة [داعية] إليه. والأصل فيه من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾. ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ».

(١) كذا وقع أيضاً في فهرست المؤلف ج ١ ص ٢٩ من هذا المطبوع ولكن سيد ذكر آخر المقالة باباً سادساً في الفسوخ.

وقد ذكر الفقهاء له أركاناً وشرائط وأحكاماً .

فأما أركانه ، فثلاثة :

الأول — العاقد للأمان من المسلمين . ولْيُعْلَمَ أَنَّ الأمانَ على ضربين : عامٍّ وخاصٍّ . فالعامُّ هو عَقْدُهُ للعَدَدِ الذي لَا يُحْصَرُ كأهل ناحية ؛ ولا يَصِحُّ عَقْدُ الأمانِ فيه إلا من الإمام أو نائبه كما في الهدنة . والخاصُّ هو عَقْدُهُ للواحد أو العَدَدِ المحصور ؛ ويصحُّ من كلِّ مُسْلِمٍ مكلفٍ [وإن لم تكن] له أهلية القتال ، فيصح من العبد والمرأة والشَّيْخِ الحَرَمِ والسَّفِيهِ والمُفْلِسِ ، بخلاف أمانِ الصَّبِيِّ والمجنون .

الثاني — المعقود له ، ويصح عَقْدُهُ للواحد والعَدَدِ من ذكور الكُفَّار وإناهم . نَعَمْ في تَأْمِينِ المرأة عن الاسترقاق خلاف .

الثالث — صيغة العَقْد . وهي كُلُّ لَفْظٍ يُفْهَمُ الأمانَ كنايةً كان أوصريجاً ، وفي معنى ذلك الإشارةُ الْمُفْهِمَةُ . ويعتبرُ فيه قَبُولُ الكافر ، فلا بدَّ منه حتى لو رَدَّ الأمانَ لم ينعقد ، وفيما إذا سكت خلافٌ . نَعَمْ لو دخل للسفارة بين المسلمين والكُفَّار في تبليغ رسالة ونحوها ، أو لسماع كلام الله تعالى لم يُعتبر فيه عَقْدُ الأمانِ ، بل يكون آمناً بمجرد ذلك ، أما لو دخل لقصد التجارة بغير أمانٍ فإنه لا يكون آمناً إلا أن يقول الإمام أو نائبه : من دخل تاجراً فهو آمنٌ .

وأما شرطه ، فإن لا يكونَ على المسلمين ضررٌ في المُسْتَأْمِنِ : بأن يكون طليعةً أو جاسوساً ، فإنه يقتل ولا يُبَالَى بأمانه ، ويعتبر أن لا تزيد مدَّةُ الأمانِ ^(١)

(١) عبارة ”المنهاج“ ويجب أن لا تزيد مدته على أربعة أشهر ”وفي قول يجوز ما لم تبلغ سنة“ قال

صاحب التحفة : فإن بلغت امتنع قطعاً .

على سَنَةِ بخلاف الهدنة ، فقد تقدم أنها تجوزُ عند ضَعْفِ المسلمين إلى عَشْرِ سنين .

وأما حكمه ، فإذا عُقِدَ الأمانُ لزم المَشْرُوط ، فلو قتلَه مسلمٌ وجبت الدِّيَّةُ . ثم هو جائزٌ من جهة الكُفَّار ، فيجوزُ للكافر نَبْذُهُ متى شاء ، ولازِمٌ من جهة المسلمين ، فلا يجوزُ النَّبْذُ إلا أن يُتَوَقَّعَ من المُسْتَأْمِنِ الشرُّ ، فإذا تَوَقَّعَ منه ذلك جاز نَبْذُ العَهْدِ إليه ويلحقُ بِأَمْنِهِ ، وَبَقِيَّةُ فَفَقِهِ الفَصْلُ مستوفى في كُتُبِ الفِقْهِ .

الطرف الثاني

(في صورة ما يكتب فيه)

والأصل ما رواه ابن إسحق أن رِفَاعَةَ بنَ زَيْدٍ الخِزَاعِيَّ قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَّةِ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُلَامًا ، وأسلم وحَسَنَ إسلامُهُ ؛ وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا إلى قومه فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ : إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ .
« عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ؛ فَمَنْ أَقْبَلَ »
« مِنْهُمْ فَفِي حَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .
فلما قدم رِفَاعَةُ على قومه أجابوا وأسلموا .

(١) في الأصل الجذامى والتصحيح من السيرة النبوية ص ٣٣ ج ٣ وقد ضبطها بالعبارة .

ثم للكتاب فيه مذهبان :

المذهب الأول — أن يُفْتَحَ الأمانُ بلفظ : « هذا كتابُ أمانٍ » أو « هذا أمانٌ » وما أشبه ذلك ، كما أفتَحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ما كَتَبَ به لرفاعة بن زيد على ما تقدّم .

وعلى ذلك كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمان الذي كتب به لأهل مِصرَ عند فتحها ، ونَصَّه بعد البسملة :

”هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مِصرَ من الأمان على أنفسهم ومليهم وأموالهم وكنائسهم وصلبيهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيءٌ من ذلك ولا يُنْتَقَصُ ، ولا تُسَاكِنُهُمِ التوبة . وعلى أهل مِصرَ أن يعطوا الحزبية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم — خمسين ألف ألف . وعليه ممن جنى نصرتهم ، فإن أبى أحدٌ منهم أن يُجيب رفع عنهم من الحزبي بقدر [هم وذمتنا ممن أبى بريّة ، وإن نقص نهرهم عن غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر] ذلك ؛ ومن دخل في صلحهم : من الروم والتوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم ؛ ومن أبى وأختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمته أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله [وذمته] وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين [وذمة المؤمنين] . وعلى التوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً ، على أن لا يغزوا ولا يمتنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناءه ، وكتب وردان وحضر .“

(١) في العبر ص ١١٥ بقية الجزء الثاني « وذمهم » وفيه بعض التغير من زيادة ونقص .

(٢) الزيادة من العبر ص ١١٥ بقية ج ٢ .

وعلى ذلك كتب الحافظ لدين الله أحد خلفاء الفاطميين الأمان لبهرام الأرمني، حين صُرف من وزارته وهرب عنه إلى بلاد الأرمن، وكتب إلى الحافظ يظهر الطاعة ويسأل تسيير أقاربه، فكتب له بالأمان له ولأقاربه .

فأما ما كُتب له هو فنصّه بعد البسملة .

هذا أمانٌ أمر بكتبه عبد الله ووليه عبد المجيد أبو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، للأمير المقدم، المؤيد، المنصور، عن الخلافة وشمسها، وتاج المملكة ونظامها، نخب الأمراء، شيخ الدولة وعمادها، ذي المجدين، مصطفى أمير المؤمنين بهرام الحافظي : فإنك آمن بأمان الله تعالى، وأمان جدنا محمد رسوله، وأبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلي الله عليهما، وأمان أمير المؤمنين، على نفسك ومالك، وأهلك وجميع حالك، لا ينالك سوء، ولا يصل إليك مكروه، ولا تقصد باغتيال، ولا يخرج بك عن عادة الإحسان والإنعام، والتميز والإكرام، وحراسة النفس، والصون للحريم والأهل، والرعاية في القرب والبعد، ما دمت متحيزاً إلى طاعة الدولة العلوية، ومتصرفاً على أحكام مشايعها، موالياً لمواليها، ومُعادياً لمُعاديها، ومستمراً على مرضاة إخلاصك . فثق بهذا الأمان وآسكن إليه، وأطمئن إلى مضمونه، والله بما أودعه كفيل وعليه شهيد، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكل وإليه يُنيب .

وأما الأمان الذي كُتب لأقاربه فنصّه :

هذا أمانٌ تقدم بكتبه عبد الله ووليه، لبيسيل وزرقا، وبهرام ابن أخيهما، ومن يلتزم إليهم ويتعلق بهم، ويلتزمون أمره ممن دونهم، ومن يمسك بسابغهم .

مضمونه : إنكم مَعَشَرُ الجماعة بأُسْرِكُمْ لما قصدتمُ الدَّولَةَ ووفدتم عليها ، وتَفَيَّيْتُمْ ظَهاها
وهاجرتُم إليها ، شَمَلَكُم الصَّنْعُ الجميل ، وعَمَرَكُم الإنعامُ السَّابِغُ والإحسانُ الحَزِيلُ ،
وَكُنِفْتُم بالرَّعاية التَّامَّةُ ؛ والعنايةِ الخاصَّةِ لا العناية العامة ، ووَفَّرَ حَظُّكُم من الواجبات
المقرَّرة لكم ، والإقطاعاتِ الموسومة بِكُمْ ؛ وكنتم مع ذلك تَذْكرون رَغْبَتَكُمْ في العودِ
إلى دياركم ، والرَّجُوعِ إلى أوطانكم ، وأَلْتَفَاتًا إلى مَنْ تركتموه من ورائكم . وقد سِرْتُمُ
من الباب على قِصِيَّةِ المخافة ، وقد أَمَّنَكُم أميرُ المؤمنين ، فاتم آمنون بأمانِ الله تعالى
وأمانِ جَدِّنا محمَّدٍ رسولِهِ وأَبينا أميرِ المؤمنين : عليَّ بن أبي طالبٍ ، صلى الله عليهما ،
وأمانِ أميرِ المؤمنين ، على نُفُوسِكُمْ وأَهْلِيكُم وأَمْوَالِكُم وما تَحْوِيهِ أيديكم ويحوزه
ملككم ، ويشتملُ عليه احتياطكم ؛ لا يَنَالُكُم في شَيْءٍ من ذلك مَكْرُوهٌ ، ولا سَبَبٌ
مُخَوِّفٌ ، ولا يَمَسُّكُم سُوءٌ ، ولا تَخْشَوْنَ من ضَمٍّ ، ولا تُقْصِدُونَ بِأَذِيَّةٍ ، ولا يَغَيِّرُ لَكُمْ
رُسْمٌ ، ولا تُنْقِضُ لَكُمْ عادةً ، وأَنتُم مُسْتَمِرُّون في واجباتِكُم وإقطاعاتِكُم على ما عهدتموه ،
ولا تُنْقِصُونَ منها ، ولا تُبْخَسُونَ فيها . هذا إذا رَغِبْتُم في الإقامة في ظِلَالِ الدَّولَةِ ،
فإن آثَرْتُم ما كنتم تذكرون الرَّغبةَ فيه من العودَةِ إلى ديارِكُم عند انْفِتاحِ البَحْرِ ، فهذا
الأمانُ لكم إلى أن تُتَوَجَّهُوا مَشْمُولِينَ بالرعاية ، مَلْحُوظِينَ بالعناية ، ولكم الوفاءُ بجميع
ذلك ، واللهُ لكم به وَكِيلٌ وَكَفِيلٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

المذهب الثاني — أن يُفْتَحَ الأمانُ المكتتب لأهل الكُفْرِ بالتَّحْمِيدِ ،
ثم يقال : « ولما كان كذا وكذا أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ كذا وكذا »
ثم يقال : « فلذلك رُسِمَ بالأمر الشَّرِيفِ أن يكون كذا وكذا » على نحو ما يُكْتَبُ
في الولايات .

وعلى ذلك كُتِبَ عن السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » أماناً لفرا كس صاحب السرب ، من ملوك النصارى بالشَّمال وزوجته ومن معهما من الأتباع ، عند طلبهم التَّكِين من زيارة القُدس الشريف ، وإزالة الأعراض عنهم ، وأسْتِصْحَاب العناية بهم ، إلى حين عَوْدِهِمْ آمِنِينَ على أنفسهم وأموالهم ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء .

ونصّه بعد البسملة :

أما بعد حمد الله الذى آمَنَ بمهابتنا المناهج والمسالك ، ومكَّنَ لِكَلِمَتِنَا المطاعة فى الأقطار والآفاق والممالك ، وأعان على لساننا بدعوة الحق التى تنفى كلَّ كَرْبٍ حالكٍ وتكفى كلَّ كَرْبٍ حالِكٍ ، والشَّهادة له بالوحدانية التى تنفى المُشابهة والمُشارك ، وتبقى بالميعاد من الإصعاد على الأرائك ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنجده يبعوث الملائكة من الملوك ، وأيده بالصَّون الملائم والعون المُتدارك ، ووعدَه أن سيبلغ ملكُ أمته ما بين المشرق والمغرب وأنجزَ له ذلك ، وعلى آله وصحبه الذين زخروا عن المهالك ، ونصَّحوا الله ورسوله وأكرَّم بأولئك !!! - فإن كَرَمنا يرعى الوُفود ، وشيئنا تدعى فتجود ، وذمُّنا بها لحظ الحقوق وحفظ العهود ، فيخدمنا يُنجح كلَّ مقصود ، وينعمنا تُمنح الأمانى والمُنَى وهما أعظم نعمتين فى الوجود ؛ فليس آمِلٌ عن أبواب سَمَحنا بمرْدود ، ولا مُتوسِّلٌ إلينا بضراعة إلا ويرجع بالمرام ويعود .

ولما كانت حَضرة الملك الجليل ، المُكرَّم ، المَبجل ، العَزيز ، المُوقر ، "إستيفانوس فرا كس" : كَثيرِ الطائفة النَّصرانية ، جَمالِ الأُمَّة الصَّليبيَّة ، عِمادِ بَنى المعمودية ،

(١) لعله « وأعان لساننا على دعوة الخ » .

صديق المُلُوك والسلاطين ، صاحب السَّرْب - أطل الله بقاءه - قد شمله إقبالنا
 المَعهود ، وَوَصَلَهُ إِفْضَالُنَا الَّذِي يَحْجِزُ عَنْ مَيَامِنِهِ الشُّوءَ وَيُخْرِجُ الْوُعُودَ - أَقْتَضَى
 حُسْنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يُبَسِّرَ سَبِيلَهُ ، وَنُوفِّرَ لَهُ مِنَ الْإِكْرَامِ جَسِيمَةً كَمَا وَفَّرْنَا لغيره
 مِنَ الْمُلُوكِ مَسْوَلَةً ؛ وَأَنْ يُمَكِّنَ مِنَ الْحُضُورِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ
 أَتْبَاعِهِمَا إِلَى زِيَارَةِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، وَإِزَالَةِ الْأَعْرَاضِ عَنْهُمْ ، وَإِكْرَامِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ ،
 وَاسْتِصْحَابِ الْعَنَاءِ بِهِمْ ، إِلَى أَنْ يَعُودُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ،
 وَيُعَامَلُوا بِالْوَصِيَّةِ التَّامَّةِ ، وَيُوَاصَلُوا بِالكَرَامَةِ وَالرَّعَايَةِ إِلَى أَنْ يَعُودُوا فِي كَنْفِ الْأَمْنِ
 وَحَرِيمِ السَّلَامَةِ ؛ وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَيَتَّبِعَ إِبْرَامَهُ ، وَلَا يَمْنَعَ
 عَنْهُمْ الْخَيْرَ فِي سَبْرِ وَلَا إِقَامَةٍ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُمْ الْأَذَى حَيْثُ وَرَدُوا أَوْ صَدَرُوا فَلَا يَحْدَرُوا
 إِلَمَامَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّرُ لِكُلِّ مُسْتَعِينٍ مِنْ أَبْوَابِنَا أَقْصَا الْأَمْنِ وَأَقْسَامَهُ ، وَيُظَفِّرُ
 عَنْ مَنَا الْمُحَمَّدِيَّ بِالنَّصْرِ السَّرْمِدِيِّ حَتَّى يُطَوَّقَ الطَّائِعَ وَالْعَاصِيَ حُسَامَهُ . وَالْعَلَامَةُ
 الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ مُجَّةٌ فِيهِ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة التاسعة

(فى كتابة الأمانات لأهل الإسلام وما يُكتب فيها ، ومذاهب الكُتاب فى ذلك

فى القديم والحديث ، وأصله ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى أصله)

إعلم أنّ هذا النوع فرعُ الحقّ الكُتاب بالنوع السابق ، وإلا فالمُسلم آمنُ بقضية الشرع بمجرد إسلامه ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا » . وإنما جرت عادةُ الملوك بكتابة الأمان لكل من خاف سطوتهم ، لاسيّما من خرج عن الطاعة ، وخيف استئثارُ الفساد باستمرار خروجه عن الطاعة خوفاً ؛ حتّى صار ذلك هو أغلب ما يُكتب من دواوين الإنشاء .

وقد ورد فى السنة ما يدلُّ لذلك ، وهو ما رواه أبو عبيد فى "كتاب الأموال" عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشَّخِير أنه قال : كنا بالمربد ومعنا مطرّف ، إذ أتانا أعرجيّ ومعه قطعة أديم ، فقال : أفيكم من يقرأ ؟ قلنا : نعم ، فأعطانا الأديم فإذا فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« من محمد رسول الله لِنَبِيِّ زُهَيْرِ بْنِ أَقْبِشٍ مِنْ عُكْلٍ . إِنَّكُمْ إِنْ شَهِدْتُمْ »
« أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ ، »

«وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْغَنَائِمِ الْخُمْسَ ، وَسَمَّيْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّفِيَّ» ؛
 «أَوْ قَالَ : وَصَفِيَّ ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» .

الطرف الثاني

(فيما يُكتب في الأمانات)

وللكتاب في ذلك مذهبان :

المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ : « هذا كتاب أمان » أو « هذا أمان » ونحو ذلك ، على ما تقدم في الفصل السابق .

قال في «موادّ البيان» : والرسم فيه : « هذا كتاب أمان ، كتبه فلان بن فلان الفلاني أمير المؤمنين أو وزيره ، لفلان بن فلان الفلاني الذي كان من حاله كذا وكذا ، فإنه قد آمنه بأمان الله تعالى وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمانه » .
 فإن كان عن الوزير قال : « وأمان أمير المؤمنين فلان بن فلان وأمانه ، على نفسه وماله ، وشعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحرمة ، وأشياءه ، وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملأه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع ما يخصه ويخصهم — أماناً صحيحاً ، نافذاً واجباً لازماً ، لا ينقض ولا يفسخ ولا يبدل ، ولا يتعقب بخاتلة ، ولا دهان ولا مواربة ، ولا حيلة ولا غيلة . وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه وصفقة يمينه ، بنية خالصة له ولجميع من ذكر معه ، وعفا له عن كل جريرة متقدمة ، وخطيئة سالفة ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ، وأحلّه من ذلك كله ، وأستقبله بسلامة النفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرعاية ما أوجبه لأمثاله ،

من سَمَله ظِلُّه ، وَكَفَّته رِعايَتُه ، حاضراً وغائِباً ، ومَلَكه من آخِياره قَريباً وبعيداً ، وأن لا يُكْرِهه على ما لا يريدُه ، ولا يُلْزِمُه بما لا يَختارُه .

قلتُ : هذا ما أصَلَّه صاحِبُ ”مواد البيان“ : في كِتابَةِ الأمانات . ومقتضاهُ آفَتْتاحُ جَميعِ الأماناتِ المَكْتَتَبَةِ عن الخليفة أو الوزير أو غيرهما بلفظ « هذا » . وسِياتي أن الأماناتِ قد تُفْتَحُ بغير هذا الافتتاح : من الحمد وغيره ، على ما سِياتي بيانهُ ، ولعل هذا كان مُصْطَلَحَ زمانِه فوقَفَ عنده .

وبالجملة فالأماناتُ المَكْتَتَبَةُ لأهل الإسلام على نوعين :

النوع الأول

(ما يُكْتَبُ عن الخلفاء ، وفيه مذهبان)

المذهب الأول — طريقة صاحب ”مواد البيان“ المتقدمة الذكر، وهي أن يُفْتَحَ الأمانُ بلفظ « هذا » . وحينئذ فيقال : « هذا كِتابُ أمانٍ كَتَبَه عبد الله فلان أبو فلان أمير المؤمنين الفلاني » ، أعزَّ الله تعالى به الدينَ ، وأدام له التَّمَكِينَ ، لفلان الفلاني ، فإنه قد أَمَّنَه بأمانِ الله تعالى ، وأمانِ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم وأمانِهِ ، على نَفْسِهِ ، ومالِهِ ، وشَعْرِهِ ، وبَشِيرِهِ ، وأَهْلِهِ ، وولَدِهِ ، وَحَرَمِهِ ، وأشِياِهِ ، وأتباعِهِ ، وأصحابِهِ ، وحالِهِ ، وذاتِ يَدِهِ ، وأَمَلِكِهِ ، ورِباعِهِ ، وَضِيايِهِ ، وجميع ما يُحْصِيهِ وَيُحْصِيهِمْ . أماناً صحيحاً ، نافذاً واجِباً لازِماً ، لا يُنْقَضُ ولا يُفْسَخُ ، ولا يُبدَلُ ، ولا يُتَعَقَّبُ بِخاتَلَةٍ ، ولا دِهانٍ ولا مُوارَبَةٍ ، ولا حِيلَةٍ ولا غِيلَةٍ ، وأعطاه على ذلك عَهْدَ اللهِ وميثاقَهُ وَصَفَقَةَ يَمِينِهِ ، بِنِيةِ خالِصَةٍ له ولجميع من ذُكِرَ معه ، وعَقَلَ له عن كُلِّ جَريرةٍ متقدمةٍ ، وَخَطِئَةٍ سالفةٍ ، إلى يومِ تاريخِ هذا الأمان ،

وأحلّه من ذلك كلّهُ ، وآستقبله بسلامة النفس ونقّاء السريّة ، وأوجب له من الرّعاية ما أوجبه لأمثاله : ممّن سَمَلَهُ ظُلُهُ ، وَكَفَفَتْهُ رعايَتُهُ ، حاضراً وغائباً ، ومَلَكَهُ من آختياره قَريباً وبعيداً ، وأن لا يُكْرِهَهُ على ما لا يريده ، ولا يُلْزِمَهُ بما لا يختاره .
وغير ذلك مما يقتضيه الحال ويدعو إليه المقام .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان بِخُطْبَةٍ مَفْتُحَةٍ بِالْحَمْدِ . والرسم فيه أن يُسْتَفْتَحَ الأمانُ بِخُطْبَةٍ يَكْرُرُ فيها الحمدُ مرتين أو ثلاثاً فأكثر ، بحسب ما يقتضيه حال النعمة على من يصدر عنه الأمان في الاستظهار على من يؤمنه . يحمّد الله في المرّة الأولى على آلائه ، وفي الثانية على إعزاز دينه ، وفي الثالثة على بعثة نبيه ، وفي الرابعة على إقامة ذلك الخليفة من بيت النبوة لإقامة الدين . ويأتى مع كلّ واحدة منها بما يناسب ذلك ، ثم يذكر الأمان في الأخيرة .



وهذه نسخة أمان من هذا النمط ، كُتِبَ به عن بعض متقدّمي خُلفاء بني العباس بَعْدُداد ، أوردها أبو الحسين أحمد بن سَعِيدٍ في "كتاب البلاغة" الذي جمعه في الترسُّل :

الحمد لله المرجو فضله ، المخوف عدله ، باري النسم ، وولي الإحسان والنعم ، السابق في الأمور علمه ، النافذ فيها حكمه ، بما أحاط به من ملك قدرته ، وأنفذ من عزائم مشيئته ، كلّ ما سواه مدبر مخلوق وهو أنشأه وأبتداه ، وقدر غايته ومُنتهاه .

والحمد لله المعز لدينه ، الحافظ من حرّماته ما ترَبَّضَ المترَبِّضُونَ ^(١) عن حياتته ، المُدْكِي من نورهِ ما دأب الملاحدون لإطفائه حتّى أعلاه . وأظهره كما وعد في مُتَزَلِّ

(١) في اللسان « رجل رُبُضَة ومترَبِّض عاجز » ولعل ما هنا منه وهي في الأصل بالصاد المهملة .

فُرقَانِهِ بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

والحمد لله الذي بعث محمداً رحمةً للعالمين ، وَجَّهَةً عَلَى الْجَاهِدِينَ ، نَحْمُ بِهِ النَّبِيَّينَ
وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَجَعَلَهُ الدَّاعِيَ إِلَى دِينِ الْحَقِّ ، وَالشَّهِيدَ
عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَأَدَّىٰ إِلَيْهِمْ مَا اسْتَوْدِعَ مِنَ الْأَمَانَةِ ، وَبَلَّغَهُمْ مَا حَمَلَ مِنَ الرِّسَالَةِ ؛
فَلَمَّا أَنْقَذَ اللَّهُ بِهِ مِنَ التَّوَرُّطِ فِي الضَّلَالَةِ ، وَالتَّهَوُّرِ فِي الْعَمَىٰ وَالْجَهَالَةِ ؛ وَأَوْضَحَ بِهِ الْمَعَالِمَ
وَالْآثَارَ ، وَنَهَجَ بِهِ الْعَدْلَ وَالْمَنَارَ ، اخْتَارَ لَهُ مَا لَدَيْهِ ، وَنَقَلَ إِلَىٰ مَا أَعَدَّ لَهُ فِي دَارِ
الْخُلُودِ : مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَبِيدُ . ثُمَّ جَعَلَهُ فِي حُجَّتِهِ وَأَهْلِهِ وَرِثَتِهِ بِمَا قَدَّمَهُمْ
مِنْ خِلَافَتِهِ فِي أَمَّتِهِ ، وَقَدَّمَ لَهُمْ شَوَاهِدَ مَا اخْتَصَّصَهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ ، وَزُلْفَةَ الْوَسِيلَةِ ،
فِي كِتَابِهِ النَّاطِقِ ، عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهَا مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ
تَطْهِيرِهِ إِيَّاهُمْ : لِيَجْعَلَهُمْ لِمَا اخْتَارَهُ مَعْدِنًا وَمَحَلًّا ، إِذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . وَمِنْهَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ أَمَّتَهُ الْمَوَدَّةَ ، فَقَدْ أَوْضَحَ لَدَوَى الْأَبْلَابِ أَنَّهُمْ
مَوْضِعُ خَيْرَتِهِ ، بِتَطْهِيرِهِ إِيَّاهُمْ ، وَأَهْلُ صَفْوَتِهِ ، بِمَا افْتَرَضَ مِنْ مَوَدَّتِهِمْ ، وَوَلَاةِ الْأُمَرِ
الَّذِينَ قَرَنَ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِهِ .

وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ بَعْظِيمَ مَنِّهِ وَإِنْعَامِهِ يُدْعِمُ أَرْكَانَ دِينِهِ ، وَيُسَيِّدُ أَعْلَامَ هُدَاهُ ؛ بِاعْزَازِ
السُّلْطَانِ الَّذِي هُوَ ظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ ، وَقِيَامُ عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ ، وَالْجَوَازُ الدَّائِدُ لَهُمْ عَنِ النَّظَائِمِ
وَالْتَّعَاشِمِ ، وَالْحِصْنُ الْحَرِيزُ عِنْدَ مَخَوِّفِ الْبَوَائِقِ وَمِلْمِ النَّوَابِغِ ؛ فَلَيْسَ يَكِيدُ وَلَا تَهَـ
الْمُسْتَقِيلِينَ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهِ كَائِدٌ ، وَلَا يَجْحَدُ مَا يَجِبُ لَهُمْ مِنْ حَقِّ الطَّاعَةِ جَاحِدٌ ،
إِلَّا مَنْ آتَى عَلَىٰ غِشِّ الْأُمَّةِ ، وَمُحَاوَلَةِ التَّشْتِيتِ لِلْكَلِمَةِ .

والحمد لله على ما تولى به أمير المؤمنين في البدء والعاقبة : من الإدلاء بالحجة ،
 والتأييد بالغلبة ، عند نشوء من حيز وطأة الخفض (؟) ، متبعا لكتاب الله حيث
 سلك به حكمه ، مقتفيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنشأت أمامه ،
 باذلا لله نفسه ، لا يصدده وعيد من تكبر وعتا ، ولا يوحشه خذلان من أدبر وتولى ،
 مُتَظَرِّفا لمن نكث عهده وغدر بيعته وألتمس المكر به في حقه الآيات الموجبة
 في قوله : ((ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ)) . ((فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)) .
 مكتفيا بالله ممن خذله ، مُسْتَعِينًا به على من نصب ، لا يَسْتَفِزُهُ ما أَجْلَبَ به الشيطان
 من خيله ورجله ، وهو في أنصاره المعتصمين ، لا تستهويهم الشبه في بصائرهم ،
 ولا تحوئهم قواعد عزائمهم في ساعة العسرة من بعد ما كادت تزيغ قلوب فريق
 منهم ، فكتبهم أمير المؤمنين ، وأهدمهم لعدوه ، ينتظرون إحدى الحسنيين : من
 الفلاح المبين ، والفوز بالشهادة والسعادة ، فليس يُلْفِثُهم عن حقهم ما يُتَلَقَّونَ به من
 الترغيب والترهيب ، ولا يزدادون على عظيم التهاويل والأخطار إلا تقحفا وإقداما ؛
 مُتَمَثِّلِينَ لِسِيرِ إِخْوَانِهِمْ قَبْلَهُمْ فيما آتَصَّ الله عليهم من شأنهم ، إذ يقول جل وعز :
 ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)) .

وكان بداية جُند أمير المؤمنين في حربهم التقدُّم بالإعذار والإنذار ، والتخويف
 بالله جل وعز وأيامه ، وما هم مسئولون عنه في مقامه : من عهوده المؤكدة عليهم
 في حرمة ، وبين رُكن كعبته ومقام خليله ، المعلقة في بيته ، الشاهد عليها وفوده .

فكان أول ما بصرهم الله به حُجَّتْهُ التي لا يقطعها قاطع ، ولا يدفعها دافع ،
 ثم ما جعلهم الله عليه من التناصر والتوازر الذي فت في أعضادهم ، ودرامهم به من

التَّخَاذُلُ والتَّوَاكُلُ ؛ فَنُكَلِّمًا تَجَمُّتْ لَهُمْ قُرُونٌ أَجْتَنَّبَهَا اللَّهُ بِحَدِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَكَلَّمَا مَرَقَ مِنْهُمْ مَارِقٌ أَسَالَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ .

وَمَحْلُوعُهُمُ الْمُبْتَدِئُ بِمَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ نِقْمَتُهُ وَنَكَالُهُ قَدْ أَعْلَقَ بِالرَّدَّةِ ، وَصَرَّحَتْ شَيَاطِينُهُ بِالْقَدْرِ وَالتَّكْثِ ، يَرَى بِذَلِكَ الدَّلَّ فِي نَفْسِهِ وَحِزْبِهِ ، وَتَنْتَقِصُ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَيُؤَوِّي بُنْيَانَهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ ، وَيَرُدُّ اللَّهُ جُيُوشَهُمْ مَفْلولَةً ، وَجُنُودَهُمْ مُحَلَّاةً عَنْ مَرَكَزِهَا ، مَقْمُوعًا بِاطْلَافِهَا . وَلَيْسَ مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ نَازِعًا عَنْ أَتَهَاكِ مَحَارِمِهِ وَمَآثِمِهِ ، وَلَا مُحْدَثًا عَنْ جَائِحَةٍ يُحْلِلُهَا بِهِ إِحْجَامًا عَنْ التَّعْتُمِّ فِي مَلَاَحِمِهِ الْمَلْبِسَةِ لَهُ فِي عَاجِلِ مَا يُرِيدُهُ وَيُؤَيِّقُهُ ، وَأَجَلَ مَا يَرِصُّهُ اللَّهُ بِهِ الْمُعَانِدِينَ عَنْ سَبِيلِهِ ، النَّاكِبِينَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مُتَبَايِنَ الْأَلْفَةِ ، وَضَمَّ لَهُ مُتَشَارِفَةَ الْفُرْقَةِ ، عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِحَرْبِهِ وَحِزْبِهِ ، وَعَدُوَّهُ وَوَلِيَّهُ ، وَمَنْ سَعَى لَهُ أَوْ عَلَيْهِ ، أَوْ أَطَاعَ اللَّهَ أَوْ عَصَاهُ فِيهِ : مِنْ وَافٍ بَبَيْعَةٍ ، أَوْ خَاطِرٍ بِإِلٍّ وَذِمَّةٍ [جَدِيرٌ] أَنْ يُعَمَّ بِجَمِيسٍ نَظَرُهُ كَافَّةً رِعْيَتِهِ ، وَيَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ عَالِدِيَّةٍ ، وَيَشْمَلَهُمْ بِمَبْسُوطِ عَدْلِهِ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ ، وَتَقْدِيمِ أَهْلِ الْأَفْكَارِ الْحَمُودَةِ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُودَةِ ، بِمَا لَمْ تَزَلْ أَنْفُسُهُمْ تَشْرَبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْيُنُهُمْ تَرْتَوِي نَحْوَهُ ، لَتُحْمَدَ عَنْهُمْ عَاقِبَةُ الطَّاعَةِ ، وَيُعْجَلَ لَهُمُ الْوَفَاءُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ ، إِلَى مَا ذَخَرَهُ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمَثُوبَةِ وَمَزِيدِ الشُّكْرَانِ . وَأَمْرٍ لِفُلَانٍ بِكَذَا ، وَلِمَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْغَنَاءِ بِكَذَا ، وَأَمْنٍ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ ، مَا خَلَا الْمُلْحِدَ ابْنَ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ سَعَى فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ سَعَى الْمَفْسِدِينَ ، وَاتَّكَمَسَ نَقْضَ وَثَائِقِ الدِّينِ .

بِجَمِيعٍ مِنْ حَلِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ ، غَيْرِ مُتَّبِعِينَ بِتَرَةٍ ، وَلَا مَطْلُوبِينَ بِإِحْنَةٍ ، فَلَا تَدْخُلَنَّ أَحَدًا وَحْشَةً مِنْهُمْ لَضَعِيفَةٍ يَظُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَنْطَوَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَا

يَحْمِلْنَهُ مَا عَقَلَهُ عَنْهُ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى [خِلَافٍ] مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ مِنْ ثَوَابِ طَاعَتِهِ أَوْ نَكَالِ مَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .
 فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهَمَ خَلِيفَتَكُمْ ، مِنْ إِثَابَةِ أَهْلِ السَّوَابِقِ مِنْكُمْ بِأَوْفَى سَعْيِهِمْ ،
 وَالتَّطَوُّلِ عَلَى عَامَّةِ جُنْدِهِ بِمَا شَمَلُوهُمُ بِرِفْقِهِ وَحَسَنَتْ عَلَيْهِمْ عَائِدَتُهُ ، وَمَا تَعَطَّفَ بِهِ
 عَلَى أَهْلِ التَّفْرِيطِ : مِنْ إِقَالَةِ هَقَوَاتِهِمْ وَعَثَرَاتِهِمْ ، حَتَّى صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا
 مُتَرَافِدِينَ ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَضْغَانَكُمْ وَنَزَعَ حَسَائِكَ صُدُورِكُمْ ، وَرَدَّ أَلْفَتَكُمْ إِلَى أَحْسَنِ
 مَا يَكُونُ ، وَصِرْتُمْ بَيْنَ مُتَقَدِّمٍ بَغْنَاءٍ ، وَمُقَمَّعٍ بِإِحْسَانٍ . فَحَافِظُوا عَلَى مَا يُرْتَبِطُ بِهِ رَاهُنُ
 النِّعْمَةِ ، وَيُسْتَدْعَى بِهِ حُسْنُ الْمَزِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(مِنْ الْأَمَانَاتِ الَّتِي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، مَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْمُلُوكِ ،

وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ)

الضرب الأول

(مَا كَانَ يُكْتَبُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فِي الزَّمَنِ السَّابِقِ ، مِمَّا كَانَ يُصَدَّرُ عَنْ وَزَرَاءِ

الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى الْأَمْرِ مَعَهُمْ ، وَلَهُمْ فِيهِ أَسْلُوبَانِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُصَدَّرَ بِالْتِمَاسِ الْمُسْتَأْمِنِ الْأَمَانِ)

وَهَذِهِ نُسْخَةُ أَمَانٍ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، كَتَبَ بِهَا أَبُو [إِسْحَاقَ بْنِ] هَلَالِ الصَّابِي ،

عَنْ صَمْعَامِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ ، بِنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ لِبَعْضِ

مَنْ كَانَ مُتَخَوِّفًا مِنْهُ ، وَهُوَ :

هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليبجار ، بن عضد الدولة وتاج
الملة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين - لفلان بن فلان .

إنك ذكرت رغبتك في الانحياز إلى جملتنا ، والمصير إلى حضرتنا ، والسكون إلى
ظلتنا ، والسكنى في كنفنا ، وأتممت التوثقة منا بما تطيب به نفسك ، ويطمئن
إليه قلبك ، فتقبلنا ذلك منك ، وأوجبنا به الحق والذمام لك ، وأمنّاك بأمان الله جل
شأنه ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم ، [وأمان] أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ،
وأماننا - على نفسك ، وجوارحك ، وشعرك ، وبشرتك ، وأهلك ، وولدك ، ومالك ،
وذات يدك : أماناً صحيحاً ماضياً نافذاً ، واجبا لازماً ، ولك علينا بالوفاء به إذا صرت
إلينا عهد الله وميثاقه ، من غير نقض له ولا فسخ لشيء منه ، ولا تأويل عليك فيه
على [كل] وجه وسبب .

ثم إننا نتناولك إذا حضرت بالإحسان والإجمال ، والأصطناع والإفضال ، مؤفين
بك على أمالك ، ومتجاوزين حد ظنك وتقديرك . فأسكن إلى ذلك وثق به ،
وتيقن أنك محمول عليه ، ومفوض إليه . ومن وقف على كتابنا هذا : من عمال
الخراج والمعاون وسائر طبقات الأولياء والمتصرفين في أعمالنا ، فليعمل بما فيه ،
وليحذر من تجاوزه أو تعديه ، إن شاء الله تعالى .



وعلى نحو من ذلك كتب أبو إسحق الصابى ، عن صمصام الدولة المتقدم ذكره ،
الأمان لجماعة من عرب المتفق ، بواسطة محمد بن المسيب ، وهو :

(١) الزيادة من رسائل الصابى الخطية .

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة، وشمس الملة، أبي كاليبجار، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن ركن الدولة أبي علي، مولى أمير المؤمنين لجماعة من العرب من المنتفق، الراغبين في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة.

إن محمد بن المسيب سأل في أمركم، وذكر رغبتكم في الخدمة، والانحياز إلى الجمله، وأتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم، وأهلكم وعشيرتكم، على أن تلتزموا الاستقامة، وتسلكوا سبيل السلامة، ولا تخيفوا سبيلا، ولا تسعوا في الأرض فسادا، ولا تخالفوا للسلطان وولاية أعماله أمرا، ولا تؤوا له عدوا، ولا تعادوا له وليا، ولا تحيروا أحدا خرج عن طاعته، ولا تدموا لأحد طلبه، ولا تحوونه في سر ولا جهر، ولا قول ولا عمل. فرأينا قبول ذلك منكم، وإجابة محمد إلى ما رغب فيه عنكم، وتضمنته العهدة فيما عقد من هذا الأمان لكم على شرائطه المأخوذة عليكم: في الكف عن الرعية والسابلة، وأهل السواد والحاضرة، وترك التعرض للال والدنم، أو الاتهاك لذمة أو محرم، أو الارتكاب لمنكر أو مأثم.

فكونوا على هذه الحدود قائمين، وللصحة والاستقامة معتقدين، ولأحدائكم ضايطين، وعلى أيدي سفهاكم آخذين؛ وأنتم مع ذلك آمنون بأمان الله جل جلاله، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمان مولانا أمير المؤمنين، وأماننا: على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم، وكل داخل في هذا الأمان وشرائطه معكم: من أهلكم وعشيرتكم وأتباعكم، ومن صمته حوزتكم.

ومن قرأ هذا الكتاب من عمال الخراج والمعاون، والمتصرفين في الحمارة والسيارة وغيرهم من جميع الأسباب، فليعمل بمتضمنه، وليحمل جماعة هؤلاء القوم على موجبه، إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثانى

(أن لا يتعرض فى الأمان لالتماس المستأمن الأمان)

وهذه نسخة أمان على هذا الأسلوب ، أورده أبو الحسين بن الصابى فى كتابه
”غرر البلاغة“ ونصه بعد البسملة :

هذا كتاب من فلان مولى أمير المؤمنين لفلان .

إننا أمناك على نفسك ومالك ولذك وحرمك ، وسائر ما تحويه يدك ، ويشتمل
عليه ملكك ؛ بأمان الله جلّت أسماؤه ، وعظمت كبريائه ، وأمان محمد رسول
صلى الله عليه وسلم ، وأماننا - أماناً صحيحاً غير معلول ، وسلياً غير مدخول ، وصادقاً
غير مكذوب ، وخالصاً غير مشوب ؛ لا يتداخله تأويل ، ولا يتعقبه تبديل ؛ قد كفله
القلب المحفوظ ، وقام به العهد الملحوظ - على أن تشملك الصيانة فلا يلحقك
اعتراض معترض ، وتكتفك الحراسة فلا يطرقك اغتياض مغتمض ؛ وتترك النصرة
فلا ينالك كف متخطف ، ولا تمتد إليك يد متطرف ؛ بل تكون فى ظل السلامة
راتباً ، وفى محاماة الأمانة وأدعاً ؛ وبعين المراقبة ملحوظاً ، ومن كل تعقب وتنبع
محفوظاً ؛ لك بذلك عهد الله الذى لا يخفر ، ومواثيقه التى لا تنكث ؛ وذمامه الذى
لا يرفض ، وعهده الذى لا ينقض :

المذهب الثانى

(مما يكتب به فى الأمانات لأهل الإسلام - أن يفتتح الأمان بلفظ : «رسم»

كما تفتتح صغار التواقيع والمراسيم ، وهى طريقة غريبة)

وهذه نسخة أمان على هذا النمط ، أوردها محمد بن المكرم أحد كتّاب ديوان
الإنشاء فى الدولة المنصورية «قلاوون» فى تذكرة التى سماها : «تذكرة اللبيب»

كتب بها عن المنصور قلاوون المقدم ذكره ، للتجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، من إنشاء المولى فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهي :

رُسم - أعلى الله الأمر العالی - لا زال عدله يحل الرعايا من الأمن في حصن حصين ، ويستخلص الدعاء لدولته الزاهرة [من] أهل المشارق والمغارب فلا أحد إلا وهو من المخلصين ، ويهيئ برحابها للعتفين جنة عدن من أي أبوابها شاء الناس دخولاً : من العراق من العجم من الروم من الحجاز من الهند من الصين - أنه من أراد من الصدور الأجلاء الأكابر التجار وأرباب التكسب ، وأهل النسب ، من أهل هذه الأقاليم التي عُدَّت والتي لم تعدد ، ومن يؤثر الورود إلى ممالكها إن أقام أو تردد - الثقلة إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفيائها وأفناؤها ، فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخير ، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا إلى ذخيره : لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ، ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ، ونزهة لا يملها بصر ، ولا تهجر للإفراط في الخصر^(١) ، والمقيم بها في ربيع دائم ، وخير ملازم ، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه ، وأن بركة الله حاصلة في رجل من جعل الإحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ، ومنها ما إذا أهبط إليها أمل كان له ما سأل ، إذ أصبحت دار إسلام يجنود تسبق سيوفهم العدل ، وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكانها ، وآسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن ، وأيسر المعسر فيها فلا يخشى سورة المدائن ، إذ المطالب بها

(١) الخصر بالتحريك البرد .

غير مُتَعَسِّرِهِ ، وَالنَّظَرَةُ فِيهَا إِلَى مَيْسَرِهِ ؛ وَسَائِرُ النَّاسِ وَجَمِيعُ التَّجَارِ ، لَا يَحْشَوْنَ فِيهَا
مَنْ يَجُورُ فَإِنَّ الْعَدْلَ قَدْ أَجَارَ .

فَمَنْ وَقَفَ عَلَى مَرَسُومِنَا هَذَا مِنَ التَّجَارِ الْمُقِيمِينَ بِالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ ، وَالصِّينِ وَالسَّنْدِ ؛
وغيرهم ، فَلْيَأْخُذِ الْأَهْبَةَ فِي الْأَرْتَحَالِ إِلَيْهَا ، وَالْقُدُومِ عَلَيْهَا ؛ لِيَجِدَ الْفَعَالَ مِنَ الْمَقَالِ
أَكْبَرَ ، وَيَرَى إِحْسَانًا يَقَابِلُ فِي الْوَفَاءِ بِهِذِهِ الْعُهُودِ بِالْأَكْثَرِ ؛ وَيَحُلَّ مِنْهَا فِي بَلَدِهِ
طَبِيبَةً وَرَبَّ غَفُورٍ ، وَفِي نِعْمَةٍ جَزَاؤُهَا الشُّكْرُ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الشُّكُورُ ؛ وَفِي سَلَامَةٍ
فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ ، وَسَعَادَةٍ مُجَلَّى الْأَحْوَالِ وَتُمُوْلُ الْأَمَالِ ؛ وَلَهُمْ مَنَا كُلُّ مَا يُؤْمَرُونَ :
مِنْ مَعْدَلَةٍ تُجِيبُ دَاعِيَهَا ، وَتَحْمَدُ عَيْشَتَهُمْ دَوَاعِيَهَا ، وَتُبْقِي أَمْوَالَهُمْ عَلَى مُحَلِّفَتِهِمْ ،
وَتَسْتَخْلِصَهُمْ لِأَنْ يَكُونُوا مُتَفَيِّئِينَ فِي ظِلَالِهَا وَتَصْطَفِيَهُمْ ؛ وَمَنْ أَحْضَرَ مَعَهُ بَضَائِعَ
مِنْ بَهَارٍ وَأَصْنَافٍ تُحْضِرُهَا تِجَارُ الْكَارِمِ فَلَا يُحَافَ عَلَيْهِ فِي حَقٍّ ، وَلَا يُكَلِّفُ أَمْرًا
يَشُقُّ ، فَقَدْ أَبْقَى لَهُمُ الْعَدْلُ مَا شَاقَّ وَرَفَعَ عَنْهُمْ مَا شَقَّ ؛ وَمَنْ أَحْضَرَ مَعَهُ مِنْهُمْ مَمَالِكَ
وَجَوَارِي فَلَهُ فِي قِيَمَتِهِمْ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا يَرِيدُ ، وَالْمُسَاحَقَةُ بِمَا يَتَعَوَّضُهُ بِثَمَنِهِمْ عَلَى الْمَعْتَادِ
فِي أَمْرٍ مِنْ يُجَاهِبُهُمْ مِنَ الْبَلَدِ الْقَرِيبِ فَكَيْفَ مِنَ الْبَعِيدِ : لِأَنَّ رَغْبَتَنَا مَضْرُوفَةٌ إِلَى
تَكْثِيرِ الْجُنُودِ ، وَمَنْ جَلَبَ هَؤُلَاءِ فَقَدْ أَوْجَبَ حَقًّا عَلَى الْجُودِ ؛ فَلَيْسَتْ كَثِيرٌ مِنْ يَقْدِرُ
عَلَى جَلَبِهِمْ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ تَكْثِيرَ جُيُوشِ الْإِسْلَامِ هُوَ الْحَاطُّ عَلَى طَلِبِهِمْ : لِأَنَّ الْإِسْلَامَ
بِهِمُ الْيَوْمَ فِي عِزٍّ لَوَاؤُهُ الْمَنْشُورُ ، وَسُلْطَانُهُ الْمَنْصُورُ ، وَمَنْ أَحْضَرَ مِنْهُمْ فَقَدْ أُنْجِرَ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ؛ وَذَمٌّ بِالْكَفْرِ أَمْسَهُ وَحَمْدٌ بِالْإِيمَانِ يَوْمَهُ ، وَقَاتَلَ عَنِ الْإِسْلَامِ
عَشِيرَتَهُ وَقَوْمَهُ .

هَذَا مَرَسُومُنَا إِلَى كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ مِنْ تِجَارِ شَأْنِهِمُ الضَّرْبُ فِي الْأَرْضِ :
(يَتَنَبَّهُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . لِيَقْرَأُوا مِنْهُ مَا تيسَّرَ لَهُمْ

من حُكْمِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِنَجْمِهِ، وَيَعْتَدُونَ بِعِلْمِهِ؛ وَيَتَتَّبِعُونَ كَاهِلَ الْأَمَلِ الَّذِي يَجْلِبُهُمْ
عَلَى الْمِجْرَةِ، وَيَسْطُونَ أَيْدِيَهُمْ بِالْأُذُنِ لِمَنْ يَسْتَدْنِي إِلَى بِلَادِهِ الْخَلَائِقَ لِيَفُوزُوا مِنْ
إِحْسَانِهِ بِكُلِّ نَصَارَةٍ وَبِكُلِّ نَظَرَةٍ، وَيَفْتَنُمُونَ أَوْقَاتَ الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَدْ أَدْنَتْ قِطَافَهَا،
وَبَعَثَتْ بِهَذِهِ الْوُعودِ الصَّادِقَةِ إِلَيْهِمْ تُحَقِّقُ لَهُمْ حُسْنَ التَّأْمِيلِ، وَتُثَبِّتُ عَنْدهُمْ أَنْ
الْخَطَّ الشَّرِيفَ حَاكِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا قَالَتْهُ الْأَقْلَامُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلتُ : هذا المكتوبُ وإن لم يكن صريحَ أمانٍ فإنه في معنى الأمان، كما أشار إليه
أَبْنُ الْمُكَرَّمِ . وفيه غرابتان : إحداهما - الافتتاح « بِرِسْمٍ » ، والثانية - الكتابةُ به إلى
الآفاق البعيدة والأقطار النائية، إشارةً إلى امتداد لسان قلم هذه المملكة إليهم .

الضرب الثاني

(من الأمانات التي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ مَا عَلَيْهِ مِصْطَلَحُ زَمَانِنَا، وَهِيَ صِنْفَانِ)

الصنف الأول

(مَا يُكْتَبُ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ)

وَالنَّظَرُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ قَطْعِ الْوَرَقِ، وَمِنْ جِهَةِ الطَّرَةِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا يُكْتَبُ
فِي الْمَتْنِ .

فَأَمَّا قَطْعُ الْوَرَقِ فَقَدْ قَالَ فِي "التَّقْيِيفِ" : إِنَّ الْأَمَانَ لَا يُكْتَبُ إِلَّا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .

قلتُ : وَالَّذِي يَنْجِيهِ أَنْ تَكُونَ كِتَابَةُ أَمَانٍ كُلِّ أَحَدٍ فِي نَظِيرِ قَطْعِ وَرَقِ الْمَكْتَابَةِ
إِلَيْهِ . فَإِنْ كَانَ مِنْ تُكْتَبُ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ، كُتِبَ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ .
وَإِنْ كَانَ فِي قَطْعِ فَوْقَ ذَلِكَ، كُتِبَ فِيهِ .

وأما الطَّرة فقد قال في "التثقيف" : إنه يُكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط الأسمُ الشريف ، كما في المكاتبات وغيرها ، ثم يكتب من أول عَرْض الورق إلى آخره كما في سائر الطَّرَر ما صورته :

« أمانٌ شريفٌ لفلان بن فلان الفُلانيّ بأن يحضُر إلى الأبواب الشريفة ، أو إلى بَلَدِهِ أو مكانه ، أو نحو ذلك آمِنًا على نفسه وأهلِهِ ومَالِهِ ، لا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، ولا يَنَالُهُ ضَمٌّ ، ولا يَمَسُّهُ أذى ، على ما شِرح فيه . »

قلت : والعلامةُ في الأمان الأسم ؛ والبياضُ بعد الطَّرة على ما في المكاتبات إما وَصْلانٍ أو ثلاثة ، بحسب ما تقتضيه رتبةُ صاحبِ الأمان ، وبحسب ما يقتضيه الحال : من مُداراة مَنْ يُكتب له الأمان : لخوفِ استِثراءِ شرِّه وما يُخالفُ ذلك .

وأما متن الأمان : فإنه تُكتبُ البَسْملةُ في أولِ الوَصْل الثالث أو الرابع ، بهامِش من الجانب الأيمن كما في المكاتبات ، ثم يكتبُ سَطْرٌ من الأمان تحت البَسْملة على سَمَتِها ، ويخلَى موضعُ العلامة بياضًا كما في المكاتبات ، ثم يكتبُ السَطْر الثاني وما يليه على نَسَقِ المكاتبات .

قال في "التعريف" : ويجمعُ المقاصدُ في ذلك أن يُكتب بعد البَسْملة : « هذا أمانُ اللهِ تعالى وأمانُ نبيِّه محمَّدٍ [نبيِّ الرحمة] ^(١) صلى الله عليه وسلم وأمانُ الشريف ، لفلان بن فلان الفُلانيّ [ويذكر أشهرَ أسمائِهِ وتعريفَهُ] ، على نفسه وأهلِهِ ومَالِهِ ، وجميعِ أصحابِهِ وأتباعِهِ وكلِّ ما يتعلق به : من قليلٍ وكثيرٍ ، وجليلٍ وحَقِيرٍ - أمانًا لا يَبْقَى معه خَوْفٌ ولا جَزَعٌ في أولِ أمرِهِ ولا آخرِهِ ، ولا عاجِلِهِ ولا آجِلِهِ ، يَخْصُ وَيُعْمُ ، وتُصانُ به النَّفْسُ والأهْلُ والوَلَدُ والمَالُ وكلُّ ذاتِ اليَدِ . فليحضرهُ هو

وَبَنُوهُ ، وَأَهْلُهُ وَذُرُوءُهُ وَأَقْرَبُوهُ ، وَغُلَمَائُهُ وَكُلُّ حَاشِيَتِهِ ، وَجَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ دَانِيَةٍ وَقَاصِيَتِهِ ؛ وَلِيُصَلَّ بِهِمُ إِلَيْنَا ، وَيَقْدُ عَلَيَّ حَضْرَتِنَا فِي ذِمَامِ اللَّهِ وَكِلَاءَتِهِ وَضَمَانَةِ هَذَا الْأَمَانِ ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ مِنَّا ، وَلَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ قِبَلِنَا ، وَلَا يُتَعَرَّضَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ وَلَا أَدَى ، وَلَا يُرْتَقَى لَهُ مَوْرِدٌ بِقَدَى ؛ وَلَهُ مِنَّا الْإِحْسَانُ ، وَالصَّفَاءُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ؛ وَالرَّعَايَةُ الَّتِي تُؤَمِّنُ سِرْبَهُ [وَتُهَيِّئُ سِرْبَهُ] وَيُطَمِّنُ [بِهَا] خَاطِرُهُ ، وَتُرْفُفُ عَلَيْهِ كَالسَّحَابِ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَاطَرُهُ .

فَلِيَحْضُرْ وَاتَّقِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَلَفَّظْنَا لَهُ بِهِ لِيَزْدَادَ وَثُوقًا ، وَلَا يَجِدَ بَعْدَهُ سُوءُ الظَّنِّ إِلَى قَلْبِهِ طَرِيقًا . وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ إِكْرَامُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ ، وَإِجْرَائِهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا عَاهَدَ مِنْ أُمُورِهِ ؛ وَلِيَكُنْ لَهُ وَلِكُلِّ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ أَوْفَرُ نَصِيبٍ مِنَ الْإِكْرَامِ ، وَتَبْلُغُ قُصَارَى الْقَصْدِ وَنَهَايَةَ الْمَرَامِ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ » .

وَذِكْرِي "التَّقْيِيفَ" : بِصِيغَةِ أُخْرَى أَخْصَرَ مِنْ هَذِهِ ، وَهِيَ :

« هَذَا أَمَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَانُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ الشَّرِيفِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ ، بَأَنْ يَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، وَلَا يَنَالُهُ ضَمِيمٌ ، وَلَا يَمَسُّهُ أَدَى . فَلْيَتَّقِ بِاللَّهِ وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَيَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، آمِنًا مُطْمَئِنًّا ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، وَلَا يَنَالُهُ أَدَى فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدٍ . وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ بَيْنَهُ وَكَرَمُهُ » .

وَزَادَ فَقَالَ : ثُمَّ التَّارِيخُ وَالْمُسْتَنْدُ وَالْحَسْبَةُ . وَلَا يُكْتَبُ فِيهِ : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » لِأَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِسْتِثْنَاءَ فَيَا وَقَعَ مِنَ الْأَمَانِ الْمَذْكُورِ .

ثم قال : هذا هو الأمر المستقر من ابتداء الحال وإلى آخر وقت ، لم يكتب خلاف ذلك . غير أن القاضي شهاب الدين ذكر النسخة المذكورة بزيادات حسنة لا بأس بها ، لكنني لم أر أنه كتب بها في وقت من الأوقات . ثم قال : وهي في غاية الحسنى ، وكان الأولى أن لا يكتب إلا هي .

قلت : وقد رأيت عدة نسخ أمانات فيها زيادات ونقص عما ذكره في "التعريف" و"التتيف" . والتحقيق ما ذكره صاحب "مواد البيان" : وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال ، والذي يضبط إنما هو صورة الأمان ، أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال .

وهذه نسخة أمان ، كتب بها الأسد الدين ربيعة أمير مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، للجلوس العالي الأسدي ربيعة ابن الشريف نجم الدين محمد بن أبي ميمى : بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المجهز صعبة الجناح السيفي أيتمش الناصري ، آمناً على نفسه وماله وأهله وولده وما يتعلق به ، لا يخشى حلول سطوة قاصمه ، ولا يخاف مؤاخذه حاسمه ، ولا يتوقع خديعة ولا مكراً ، ولا يجد سوءاً ولا ضراً ، ولا يستشعر مهابة ولا وجلاً ، ولا يرهب بأساً وكيف يرهب من أحسن عملاً ؟ بل يحضر إلى خدمة السنجق آمناً على نفسه وماله وآله ، مطمئناً واثقاً بالله وبرسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، المبيض للوجوه الكريمة الأحساب ، وكل ما يخطر بباله أنا نؤاخذه به فهو مغفور ، والله عاقبة الأمور ،

وله منّا الإقبال والتأثير والتقديم ، وقد صفحنا الصّفح الحِميل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ .

فلْيَتَّقِ بِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَلَا تَذْهَبْ بِهِ الظُّنُونُ ، وَلَا يَصْغَ إِلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ وَلَا يَسْتَشِرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَنْظُنَّ إِلَّا خَيْرًا فَيَوْمُهُ عِنْدَنَا نَاسِخٌ لِأَمْسِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي خَيْرًا » .

فَتَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ هَذَا الْأَمَانِ فَإِنَّهَا وَثْقَى ، وَاعْمَلْ عَمَلًا لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ؛ وَنَحْنُ قَدْ أَمَّاكَ فَلَا تَخَفْ ، وَرَعَيْنَا لَكَ الطَّاعَةَ وَالشَّرَفَ ؛ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ ؛ وَمِنْ أَمْنَاهُ فَقَدْ فَازَ ، فِطْبُ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا فَأَنْتَ أَمِيرُ الْحِجَازِ .

قُلْتُ : هَذَا الْأَمَانُ إِنِشَاءً مُبْتَكَّرٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ ، وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ أَمَانٍ يُكْتَبُ .



وهذه نُسخةُ أَمَانٍ كُتِبَ بِهَا عَنْ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ « بَرْقُوق » عِنْدَ مُحَاصَرَتِهِ لِدِمَشْقَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْكُرْكِ بَعْدَ خَلْعِهِ مِنَ السُّلْطَانَةِ : أَمَّنَ فِيهَا أَهْلُ دِمَشْقَ خِلا الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْقُرْشِيِّ وَجَرْدَمَرِ الطَّارِبِيِّ ، كُتِبَ فِي لَيْلَةِ يُسْفَرُ صَبَاحُهَا عَنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ ، سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانُ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَشَفِيعِ الْأُمَمِ ، وَكَاشِفِ الْغَمِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ .

المَحْرُوسَةُ : مِنْ الْقَضَاةِ ، وَالْمُفْتِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ ، وَطَالِبِي الْعِلْمِ الشَّرِيفِ ، وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْأُمَرَاءِ ، وَالْأَجْنَادِ ، وَالتُّجَّارِ ، وَالْمَتَسَبِّينِ ، وَالشُّيُوخِ ، وَالْكُهُولِ

والشبان ، والبكار والصغار ، والدُّكُور والإناث ، والخاص والعام من المسلمين
و[أهل] الذمة ، إلا جردم الطاربي ، وأحمد بن القُرشيّ - على أنفسهم ، وأموالهم ،
وأولادهم ، وأهلهم ، وحريمهم ، وأصحابهم ، وأتباعهم ، وغلمانهم ، وقبائلهم ،
وعشائرهم ، ودوابهم ، وما يملكونه من ناطق وصامت ، وكل ما يتعلق بهم : من كثير
وقليل ، وجليل وحقيق . أمان لا يبق معه خوف ولا جزع ، في أول أمره ولا في آخره ،
ولا في عاجله ولا في آجله ، ولا ضرر ، ولا مكرب ، ولا غدر ، ولا خديعة ، يخص
ويعم ، وتصل به النفس والمال ، والولد والأهل ، وكل ذات يد .

فليحضروا بنيهم ، وأهلهم وذويهم ، وأقربائهم ، وغلمانهم ، وحاشيتهم ، وجميع
ما يملكونه من ناطق وصامت ، ودان وقاص ، وليصلوا بهم إلينا ، وليفدوا بهم على
حضرتنا الشريفة في ذمام الله تعالى وكلائته ، وضمان هذا الأمان . لهم ذمة الله تعالى
وذمة رسوله سيدنا محمد نبي الرحمة ، صلى الله عليه وسلم - أن لا ينالهم مكروه منّا ،
ولا من أحد من قبلنا ، ولا يتعرض إليهم بسوء ولا أذى ، ولا يرتق لهم مورد بقذى ،
ولهم منّا الإحسان ، والصفاء بالقلب واللسان ، والرعاية التي نؤمن بها سربهم ، ونهني
بها سربهم ، ويطمئن بها خاطرهم ، وترفرف عليهم كالسحاب لا ينالهم إلا ما طرهم .

فليحضروا واثقين بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا الأمان
الشريف . وقد تطفنا بهم ليزدادوا وثوقا ، ولا يجد سوء الظن بعد ذلك إلى قلوبهم
طريقا . وسبيل كل واقف عليه إكرامهم في حال حضورهم ، وإجراؤهم على أكمل
ما عهدوه من أمورهم ؛ وليكن لهم ولكل من يحضر معهم وما يحضر أوفر نصيب
من الإكرام ، والقبول والاحترام ، وتبلغ قصارى القصد ونهاية المرام ، والصفح
والرضا ، والعفو عما مضى ؛ وليتمسكوا بعروة هذا الأمان المؤكّد الأسباب ، الفاتح

إلى الخيرات كلَّ بابٍ؛ وليثقوا بعروته الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشقى؛
وليشرحوا بالصَّفح عما مضى صدرا، ولا يخشوا ضيما ولا ضرا؛ ولا يعرض كلُّ
منهم على نفسه شيئا مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف .

ونحن نعرفهم أن هذا أماننا بعد صبرنا عليهم نيِّفاً وأربعين يوماً مع قُدْرَتنا على
دوس ديارهم وتحريرها، واستئصال شأفتهم، ولكنا منعنا من ذلك الكتاب العزيز
والسنة الشريفة، فإننا مستمسكون بهما، وخوفنا من الله تعالى ومن نبيه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وهم يغالبون أنفسهم ويظنون أن تأخيرنا عنهم عن عجز منا .

فليتلقوا هذا الأمان الشريف بقلوبهم وقالهم، وليرجعوا إلى الله تعالى، وليصونوا
ديارهم وأموالهم وأولادهم، وحرَمهم وديارهم، فقد رأوا ما حلَّ بهم من نكبتهم
وبغيتهم . قال الله عز وجل : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وقال عز من قائل : ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا﴾ في معرض المدح لمن وفى بعهده : وقال جل وعلا : ﴿ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ
لِئَنُصَرِّهَ اللَّهُ﴾ . وقال تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ .
وقال تعالى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . وقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه كن عليه : المكُر والبغى والخديعة » . وقال عليه
السلام : « المرء مجزئ بعمله » . وقال عليه السلام : « الجزاء من جنس العمل » .
وقال أهل التصوف : (الطريق تأخذ حَقَّها) . وقال أهل الحكمة : (الطبيعة كافية) .
وقال الشاعر :

قضى الله أن البغى يضرع أهله * وأن على الباغى تدور الدوائر!

ثم إنهم يُعَلِّونَ آمالهم بَعْسَى وَلَعَلَّ ، ويقولون : الْعَسْكَرُ الْمَضْرِيُّ وَاصِلٌ إِلَيْهِمْ نَجْدَةٌ لَهُمْ ، وهذا والله من أكبر حَسَرَاتِنَا أَنْ تكون هذه الإشاعة صحيحة ، وبهذا طمعت آمالنا ، وصبرنا هذه المدة الطويلة ، وَتَمَنَّيْنَا حُضُورَهُ وَرَجَوْنَاهُ ، فَإِنَّهُ بِأَجْمَعِهِ مِمَّا لَيْكَ أَبُوَابِنَا الشَّرِيفَةِ ، وقد صارت الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة في حوزَتِنَا الشريفة ، ودخل أهلها تحت طاعتنا المفترضة على كُلِّ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِنَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالْيَوْمِ الْآخِرِ : من حَاضِرٍ وَبَادٍ ، وَعُرْبَانٍ وَأَكْرَادٍ وَتُرْكَيَّانٍ ، وَقَاصٍ وَدَانٍ ؛ وَهُمْ يَتَحَقَّقُونَ ذَلِكَ وَيُكَارِهُونَ فِي الْمَحْسُوسِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِعَسَى وَلَعَلَّ ، ويقولون : يَا لَيْتَ ، فيقال لهم : هَيَّاهُ .

فَلْيَسْتَدْرِكُوا الْفَارِطَ قَبْلَ أَنْ يَعْضُوا أَيْدِيَهُمْ نَدَمَا ، وَتَجَرَّى أَعْيُنُهُمْ بَدَلَ الدَّمُوعِ دَمًا ، وَهَذَا مِنَّا وَاللَّهُ أَمَانٌ وَنَصِيحَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى رَبُّ النَّبَاتِ ، وَعَالَمِ الْخَفِيَّاتِ ، يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَعْتَمِدُونَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِّعُهُمْ فِيمَا يُبَدِّئُونَهُ وَيُعِيدُونَهُ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ شَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَاهُ ، وَصَرَّفَهُ فِي الْآفَاقِ وَأَمْضَاهُ - أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ فِيهِ .

قلت : وهذا الأمانُ أَوَّلُهُ مُلَفَّقٌ مِنْ كَلَامِ «التَّعْرِيفِ» وَغَيْرِهِ ، وَآخِرُهُ كَلَامٌ سَوْقِيٌّ مُبْتَدَلٌ نَازِلٌ ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ .

(تنبيه) من غرائب الأمانات ما حكاه محمد بن المكرم في كتابه : «تذكرة اللبيب» أَنَّ رُسُلَ صَاحِبِ الْيَمَنِ وَقَدْتُ عَلَى الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فِي الدَّوْلَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ «قَلَاوُونَ» فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَسَأَلُوا السُّلْطَانَ فِي كِتَابِ أَمَانٍ لَصَاحِبِ الْيَمَنِ ، وَأَنْ يُكْتُبَ عَلَى صَدْرِهِ صُورَةَ أَمَانٍ لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ ، فَكُتِبَ لَهُ ذَلِكَ وَشَمِّلَتْهُ عِلَامَةُ السُّلْطَانِ ، وَعِلَامَةُ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ « الْمَلِكُ الصَّالِحُ عَلَى » وَأَعْلَاهُمْ

أَنَّ هَذَا مِمَّا لَمْ تَجْرِبْ بِهِ عَادَةً ، وَإِنَّمَا أَجَابِهِمْ إِلَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لِمُخْدُومِهِمْ ، وَمُوَافَقَةً لِفَرَضِهِ وَأَقْتِرَاحِهِ .

الصنف الثاني

(من الأمانات الجارية عليها مُصْطَلَحُ كُتَابِ الزَّيْمَانِ ، مَا يُكْتَبُ

عن نواب الممالك الشامية)

وهو على نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِمَّا يُكْتَبُ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُزَادُ فِيهِ : « وَأَمَانٌ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ » وَتُذَكَّرُ أَلْقَابُهُ الْمَعْرُوفَةُ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَلَى بَقِيَّةِ الْأَمَانِ ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ ، وَيُقَالُ فِي طَرَّتِهِ : « أَمَانٌ كَرِيمٌ » . وَيُقَالُ فِي آخِرِهِ : « وَالْعَلَامَةُ الْكَرِيمَةُ » كَمَا تَقَدَّمَ فِي التَّوَاقِيعِ .

وهذه نُسْخَةُ أَمَانٍ كُتِبَ بِهِ عَنِ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِخَلَبَ فِي نِيَابَةِ الْأَمِيرِ قَشْتَمِرِ الْمَنْصُورِيِّ ، فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ « شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ » لِبَعْضٍ مِنْ أَرَادَ تَأْمِينَهُ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانٌ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانٌ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانٌ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمُجَاهِدِ ، الْمُرَابِطِ ، الْمُتَنَاصِرِ ، الْمُؤَيَّدِ ، الْمَالِكِ ، الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُجِيِّ الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْكُفْرِ وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرِ الطُّغَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، مُؤَمِّنِ قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالتَّائِبِينَ ، مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ الْقِبْلَتَيْنِ خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَارِثِ الْمُلْكِ ، سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ ، مَلِكِ الْأَرْضِ ، الْحَاكِمِ فِي طَوْلِهَا وَالْعَرَضِ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، قَسِيمِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ « شُعْبَانُ » ابْنِ الْمَلِكِ الْأَمْجِدِ بَهَامِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ « حُسَيْنُ » ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ

المَلِكِ الناصر، ناصر الدُّنيا والدِّين، سلطانِ الإسلامِ والمسلمين «محمد» ابن مولانا السلطانِ الشهيدِ المَلِكِ المنصورِ «قلاوون» - خَلَدَ اللهُ مُلْكَهُ، وجعلَ الأرضَ بأسْرِها مَلِكَةً - إلى فلانٍ بالحضورِ إلى الطاعةِ الشريفة: طَيَّبَ القلبَ، مُنَبِّسَ الأملِ؛ آمِنًا على نَفْسِهِ ومالِهِ وأولادِهِ، وجماعَتِهِ وأصحابِهِ ودَوَابِّهِ؛ لا يَخَافُ ضَرَرًا ولا مَكْرًا، ولا حَديعةً ولا غَدْرًا؛ وله مَزِيدُ الإِكرامِ والأحترامِ، والرعايةِ الوافرةِ الأقسامِ، والعفوُ والرِّضا، والصَّفحُ عَمَّا مَضَى.

فليَتَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ هَذَا الأمانِ المؤكَّدِ الأسبابِ، الفاتحِ إلى الخيراتِ كُلِّ بابٍ، وَلْيَتَقَيَّ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى، فَإِنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى؛ وَلْيُشْرَحْ بِالصَّفْحِ عَمَّا مَضَى صَدْرًا، وَلَا يَخْشَ ضَمِيمًا وَلَا ضَرًّا؛ وَلَا يَعْزِضْ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا جَنَى وَأَقْتَرَفَ، فَقَدْ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ؛ وَالْخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ حُجَّةً فِيهِ.

قُلْتُ: ومما ينبغى التنبيهُ عليه في الأمانات، أنه إن احتاج الأمر في الأمان إلى الأيمان، أتى بها بحسب ما يقتضيه حالُ الحالِفِ والمحلوفِ له، على ما تقدّم ذكرُه في المقالة الثامنة.

الباب الثاني

من المقالة التاسعة

(في الدفن)

والمراد به دفن ذنوب من يُكْتَب له حتى لم تُرَبِّدْ، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في أصـله وكونه مأخوذاً عن العرب

والأصل فيه ما ذكره في "التعريف" أن العرب إذا جَنَى أحدٌ منهم جنايةً، وأراد الحَجَنِيَّ عليه العَفْوَ عما وقع، فالتَّعْوِيلُ في الصَّفْحِ فيها على الدَّفْنِ. قال في "التعريف": وطريقُهم فيه أن تجتمع أكابرُ قبيلةٍ الذي يَدْفِنُ بحضور رجالٍ يثِقُ بهم المدفونُ له، ويقومُ منهم رجلٌ، فيقول للحَجَنِيَّ عليه: نريدُ منك الدَّفْنَ لفلانٍ، وهو مُقَرَّبٌ بما أهاجَكَ عليه، ويُعدَّدُ ذنوبه التي أُخِذَ بها ولا يُبْقَى منها بقيةٌ، ويُقرُّ الذي يَدْفِنُ ذلك القائلُ على أن هذا جُملَةُ ما نَقَمه على المدفون له، ثم يحفرُ بيده حفيرةً في الأرض، ويقول: قد أَلْقَيْتُ في هذه الحَفِيرَةِ ذُنُوبَ فلانٍ التي نَقَمْتُها عليه، ودَفَنْتُها له دَفْنِي لهذه الحَفِيرَةِ، ثم يردُّ ترابَ الحَفِيرَةِ إليها حتى يَدْفِنَها بيده. قال: وهو كثيرٌ متداولٌ بين العرب، ولا يطمئنُّ خاطرُ المذنبِ منهم إلا به، إلا أنه لم تجرِ للعربِ فيه عادةٌ بكتابة، بل يُكْتَفَى بذلك الفعلُ بمحضِ كِبَارِ الفريقين؛ ثم لو كانت دِمَاءُ أَوْ قَتْلُ عَفِيَّتْ وَعَفَّتْ بها آثارُ الطلائبِ.

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة التاسعة

(فيما يكتب في الدفن عن الملوک)

قال في " التعريف " : وصورته أن يكتب بعد البسملة : « هذا دَفْنٌ لذنوب فلان ، من الآن لا تُذكر ولا يطالب بها ، ولا يُؤخذ بسببها ؛ أفتضته المراحمُ الشريفةُ السلطانية الملكية الفلانية ، ضاعف الله تعالى حسناتها وإحسانها : وهي ما بدأ من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبها ، والمظالم التي آحقتها ، وحصل العفو الشريف عن زللها ، وقابل الإحسان العيم بالتقيد سوء عملها ؛ وهي : كذا وكذا (وتذكر) : دَفْنًا لم تبق معه مؤاخذه بسبب من الأسباب ، ومات به الحقد وهيل عليه التراب ؛ ولم يبق معه لمطالب بشيء منه مطمع ، ولا في إحيائه رجاء وفي غير ما وارت الأرض فاطمع ؛ تصدق بها سيدنا ومولانا السلطان الأعظم (ويدكر ألقابه وأسمه) - تقبل الله صدقته - وعفا عنها ، وقطع الرجاء باليأس منها ؛ وأبطل منها كل حق يطلب ، وصفح منها عن كل ذنب كان [به] ^(١) يستدنب ؛ ودفنها تحت قدمه ، ونسيها في علم كرمه ، وخلاها نسيًا منسيًا لا تُذكر في خفارة ذممه ؛ وجعله بها مقيمًا في أمن الله تعالى إلى أن يبعث الله تعالى خلقه ، ويتقاضى كما يشاء حقه ؛ لا يتعقب في هذا الأمان متعقب ، ولا ينتهي إلى أمد له نظر مترقب ؛ لا ينبش هذا الدفين ، ولا يوقف له على أثر في اليوم ولا بعد حين ؛ ولا يُحشي فيه صبر مُصابِر ، ولا يُقال فيه :

(١) الزيادة عن " التعريف " ص ١٦٦ .

إِلَّا وَهَبًا كَشَىءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَزَاجٍ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ . وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي الْفُلَانِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَفَهُ ، وَغُفِرَ بِهِ لِكُلِّ مُذْنِبٍ مَا أَسْلَفَهُ - أَنْ يُكْتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابُ بِمَا عُفِيَ لَهُ عَنْهُ وَحُفِرَ لَهُ وَدُفِنَ ، وَأَصْبَحَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ مُرْتَمٍ ؛ وَدُفِنَ لَهُ فِيهِ دَفَنَ الْعَرَبِ ، وَقُطِعَ فِي التَّدْكَرِ لَهُ أَرْبُ كُلِّ [ذِي] أَرْبٍ ؛ وَدُرِسَ فِي الْقُبُورِ الدَّوَارِسُ ، وَغُيِبَ مَكَانُهُ فِيمَا طُمِرَ فِي اللَّيَالِي الدَّوَامِسُ .

وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ الْحِجَّةُ عَلَى مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ ، أَوْ بَلَغَهُ خَبْرُهُ ، أَوْ سَمِعَهُ أَوْ وَضَحَ لَهُ أَثَرُهُ - أَنْ يَتَنَاسَى هَذِهِ الْوَقَائِعَ ، وَيَتَخَذَهَا فِيمَا تَضَمَّتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْوَدَائِعِ ، وَلَا يَذْكُرُ مِنْهَا إِلَّا مَا اقْتَضَاهُ حَالُهَا الَّذِي يُؤْمِنُ مَعَهُ التَّلَافُ ، وَغَفَوْنَا الَّذِي شَمِلَ وَعَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ .

قَالَ فِي "التَّنْقِيفِ" : وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَلَا وَجَدْتُهُ مَسْطُورًا إِلَّا فِي كِتَابَةِ "التَّعْرِيفِ" . قَالَ : وَالَّذِي أَعْتَقِدُهُ أَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ بِهِ قَطُّ ، وَإِنَّمَا الرَّجُلُ بِسَعَةِ فَضْلِهِ وَفَضِيلَتِهِ ، أَرَادَ أَنْ يَرْتَبَّ هَذِهِ النُّسخةَ لِاحْتِمَالِ أَنْ يُؤْمَرَ بِكِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، فَلَا يَهْتَدِي الْكَاتِبُ إِلَى مَا يَكْتُبُهُ . ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَنَّهُ كَرَّرَ فِيهَا ذِكْرَ السُّلْطَانِ مَرَّتَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةَ قَالَ : رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، فَهِيَ عَلَى غَيْرِ نَحْوِ مِنَ النِّظَامِ الْمَعْهُودِ وَالْمَصْطَلَحِ الْمَعْرُوفِ ، بِحُكْمِ أَنْ فِيهَا أَيْضًا تَوْسَعًا كَثِيرًا فِي الْعِبَارَةِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي تُؤَدِّي كُلُّهَا مَعْنَى وَاحِدًا . قَالَ : وَكَانَ الْأَوَّلَى بِنَا آخِصْبَارَ ذَلِكَ وَعَدَمَ كِتَابَتِهِ ، لَكِنَّا أَرَدْنَا التَّنْبِيهَ عَلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ، لِيَكُونَ هَذَا الْكِتَابُ مُسْتَوْعِبًا لِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ ، مِمَّا يُسْتَعْمَلُ وَمِمَّا لَا يُسْتَعْمَلُ .

قلت : ما قاله في ”التثقيف“ كلامٌ ساقطٌ صادرٌ عن غير تحقيق ، فإنه لا يلزم من عدم اطلاع على شيء كُتب في هذا المعنى ولا سطر فيه أن لا يكون مسطوراً لأحد في الجملة . وماذا عسى يبلغ اطلاع المطلع فضلاً عن غيره ؟ وإن كان صاحب ”التعريف“ هو الذي أبتر ذلك ، كما أشار إليه في ”التثقيف“ فنعمت السجّية الآتية بمثل ذلك مما لم يسبق إليه . وأما إنكاره تكرير ذكر السلطان فيها ، فلا وجه له بعد انتظام الكلام وحسن ما أتى به في ”التعريف“ سواء كان فيه مبتكراً أو متبعاً أو منترعاً له من الأصل السابق .

وأحسن ما يكتب في ذلك في تأمين العربان : لأنه إنما أخذ عنهم ، فإذا صدر إليهم شيء يعرفونه ويخبرون على قواعدهم التي يلقونها ، تلقوه بالقبول ، وأطمأنت إليه قلوبهم ، ووقع منهم أجل موقع ، وبالله المستعان .

الباب الثالث

من المقالة التاسعة

(فيما يُكتب في عقد الذمة ، وما يتفرع على ذلك ؛ وفيه فصلان)

الفصل الأول

في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد ، وفيه طرفان

الطرف الأول

(في بيان رتبة هذا العقد ، ومعناه ، وأصله من الكتاب والسنة ،

وما يَنُخِرُطُ في سلك ذلك)

أما رُتَبَتُهُ ، فإنه دون الأمان بالنسبة إلى الإمام . وذلك أنه إنما يُقرَّرُهُ بعوض يأخذه منهم ، بخلاف الأمان .

وأما معناه ، فقد قال الغزالي في " الوسيط " : إنه عبارة عن التزام تقريرهم في ديارنا ، وحياتهم ، والذب عنهم ببذل الحزبية أو الإسلام من جهتهم .

وأما الأصل فيه : فمن الكتاب قوله تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . بفعل الحزبية غاية ما يطلب منهم ، وهو دليل تقريرهم بها .

ومن السنة ما ورد « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إلى اليمن . قال : إِنَّكَ سَتَرُدُّ عَلَى قَوْمٍ مُعْظَمُهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ،

فَإِنْ أَمْتَنَعُوا فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْحِزْيَةَ وَخُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا ، فَإِنْ أَمْتَنَعُوا فَاقْتُلْهُمْ»
بِفَعْلٍ الْقَتْلِ بَعْدَ الْأَمْتِنَاعِ عَنْ أَدَاءِ الْحِزْيَةِ يَدُلُّ عَلَى تَقْرِيرِهِمْ بِهَا أَيْضًا .

وَقَدْ قَرَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَصَارَى الشَّامِ بِإِيَالَتِهِمْ عَلَى شَرْطٍ اشْتَرَطُوهَا فِي كِتَابٍ كَتَبُوا بِهِ إِلَيْهِ ، مَعَ زِيَادَةٍ زَادَهَا .

قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو صَادِقٍ مُحَمَّدٌ ، ابْنُ الْحَافِظِ رَشِيدُ الدِّينِ
أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى ، بْنُ عَلِيٍّ ، بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ "بِالزُّبْدِ الْمَجْمُوعَةِ ،
فِي الْحِكَايَاتِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ الْمَسْمُوعَةِ" : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ
أَبْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الزُّهْرِيُّ الْمَالِكِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ شُيُوخِنَا إِجَازَةً ،
قَالُوا : أَنْبَأَنَا أَبُو الطَّاهِرِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَكِّيٍّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الزُّهْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفِهْرِيُّ الطُّرْطُوشِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا قَاضِي الْقَضَاةِ
الدَّامَقَانِيُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّيْجِيُّ فِيمَا قَرَأْتُ
عَلَيْهِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ زِيَادِ الْأَعْرَابِيِّ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَاثَةً ،
أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّفَّارُ ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ بْنُ تَخْلَبٍ أَبُو الْفَضْلِ ، أَخْبَرَنَا
يَحْيَى بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي الْعِزَّارِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ رَوْحٍ ، وَالسَّرِيِّ بْنِ
مَصْرَفٍ ، يَذْكُرُونَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مَصْرَفٍ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنَمٍ ،
قَالَ : كَتَبْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ صَالَحَ نَصَارَى الشَّامِ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابُ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا»
«إِنَّكُمْ لِمَا قَدَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذَرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا»
«وَأَهْلَ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا نُنْجِثَ فِي مَدِينَتِنَا»

«ولا فيما حَوْلَهَا قَلْبَةً^(١) ولا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، ولا تُجَدِّدَ مَا حَرَبَ مِنْهَا : دَيْرًا»
«ولا كَنِيسَةً، ولا تُخْفَى مَا كَانَ مِنْهَا فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ، ولا تَمْنَعُ كَنَائِسُنَا»
«أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نَطْعُمُهُمْ، ولا تُؤْوَى فِي مَنَازِلِنَا»
«ولا كَنَائِسِنَا جَاسُوسًا، ولا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا نَعْلَمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ»
«ولا نَظْهَرُ شُرَكَاءَ، ولا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ مِنْ ذَوَى قَرَابَتِنَا»
«الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُوقِرَ الْمُسْلِمِينَ وَنَقُومَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِنَا»
«إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، ولا نَتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : فِي قَلَنْسُوءَةٍ»
«ولا عِمَامَةٍ ولا نَعْلَيْنِ ولا فَرْقِ شَعْرٍ، ولا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ، ولا نَتَكَنَّى»
«بِكُنَاهُمْ، ولا نَرْكَبُ السُّرُوحَ، ولا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ، ولا نَتَخَذُ شَيْئًا مِنْ»
«السِّلَاحِ، ولا نَحْمِلُهُ مَعْنَا، ولا نَنْقُشَ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا نَبِيعَ الْخُمُورَ»
«وَأَنْ نُبْزَ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزِمَ دِينَنَا حَيْثُ مَا كُنَّا، وَأَنْ نَشُدَّ زَنَايِرِنَا»
«عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَنْ لَا نَظْهَرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا، ولا كُتُبَنَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أَسْوَاقِهِمْ، ولا نَضْرِبَ بِنَوَاقِسِنَا فِي كَنَائِسِنَا»
«إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، ولا نَرْفَعُ أَصْوَاتِنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا ولا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَخْرُجُ سَعَانِينَ ولا بَاعُوثًا، ولا نَرْفَعُ»
«أَصْوَاتِنَا مَعَ مَوْتَانَا، ولا نَظْهَرَ النَّيْرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ»

(١) القلية هي التي يقال لها القلاية . وهي من بيوت عباداتهم . والسعانيين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع . والباعوث عندهم كالاستسقاء عندنا . انظر لسان العرب .

«ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما يجري عليه»
«سبهم المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم» .

قال عبد الرحمن : فلما أتيتُ عمر بالكتاب زاد فيه :

«ولا نضرب أحداً من المسلمين . شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل»
«ملتنا، وقبلنا عليه الأمان . فإن نحن خالفنا عن شيء مما شرطناه»
«لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل لأهل»
«المعاندة والشقاق» .

وفي رواية له من طريق أخرى «أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها»
«ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب» .

وفيها : — «وأن لا تمنع كنائسنا أن ينزلها أحد في ليل ولا نهار، وأن»
«نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل» .

وفيها : — «وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمه» .

وفيها : — «وأن لا نظهر صليباً أو نجساً في شيء من طرق المسلمين»
«وأسواقهم» .

وفيها : — «وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم» .

قال أبو صادق المقدم ذكره : ومما ذكره أهل التاريخ أن الحاكم الفاطمي
أمر اليهود والنصارى إلا الجبارة بلبس العائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم

من الصُّلْبَانِ ما يَكُونُ طَوْلُهُ ذِرَاعًا وَوِزْنُهُ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ ؛ وَأَنْ تَحْمَلَ الْيَهُودُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قَرَامِي الْخَشَبِ عَلَى وَزْنِ صُلْبَانِ النَّصَارَى ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا شَيْئًا مِنَ الْمَرَاقِبِ الْمُحَلَّلَةِ ، وَأَنْ تَكُونَ رُكْبُهُمْ مِنَ الْخَشَبِ ، وَأَنْ لَا يَسْتَخْدِمُوا أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَرْكَبُوا حِمَارًا مُكَارٍ مُسْلِمًا ، وَلَا سَفِينَةً نُوتِيهَا مُسْلِمٌ ؛ وَأَنْ يَكُونَ فِي أَعْنَاقِ النَّصَارَى - إِذَا دَخَلُوا الْحَمَّامَ - الصُّلْبَانُ ، وَفِي أَعْنَاقِ الْيَهُودِ الْجَلَّاجِلُ : لِيَتَمَيَّزُوا بِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأُفْرِدَ حَمَامَاتِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ حَمَامَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَنَهَوْا عَنِ الْاجْتِمَاعِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَمَّامَاتِ ، وَخُطِّطَ عَلَى حَمَامَاتِ النَّصَارَى صُورُ الصُّلْبَانِ ، وَعَلَى حَمَامَاتِ الْيَهُودِ صُورُ الْقَرَامِي .

قال : وذلك بعد الأربعائة . ثم قال : ولقد أحسن فيما فعل بهم ، عفا الله عنا وعنهم ، ورزقنا من ينظر في أمورنا وأمورهم بالمصلحة .

الطرف الثاني

(في ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في عقد الذمة)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أُمُورٍ :

الأمر الأول - فيمن يجوز أن يتولى عقد الذمة من المسلمين . ويختص ذلك بالإمام أو نائبه في عقدها ؛ وفي آحاد الناس خلاف ، والأرجح أنه لا يصح منه لأنه من الأمور الكلية ، فيحتاج إلى نظير واجتهاد .

الأمر الثاني - معرفة من تُعقد له الذمة . ويشترط في المعقود له : التكليف والذكورة والحرية . فلا تُعقد لصبي ولا مجنون ولا امرأة ولا عبيد ، بل يكونون تبعاً ، حتى لا تجب على أحد منهم الجزية ؛ وفيمن ليس أهلاً للقتال : كالشيخ الكبير

والزمن خلاف، والأصح صحة عقدها له . ويعتبر في المعقود له أيضا أن يكون زاعم التمسك بكتاب : كاليهودي يزعم تمسكه بالتوراة ، والنصراني يزعم تمسكه بالتوراة والإنجيل جميعا ، وفي المتمسك بغير التوراة والإنجيل : كصحف إبراهيم وزبور داود خلاف والأصح جواز عقدها له . وكذلك المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » . والسامرة إن وافقت أصولهم أصول اليهود ، عقد لهم وإلا فلا . وكذلك الصابئة إن وافقت أصولهم أصول النصارى ، ولا يُعقد لزيدية ، ولا عابدية ، ولا من يعبد الملائكة والكواكب . ثم إذا كملت فيه شروط العقد فلا بد من قبوله العقد . ولو قال : قررتي بكذا فقال : قررتك صح . ولو طلبها طالب من الإمام وجبت إجابته .

الأمر الثالث — معرفة صيغة العقد : وهي ما يدل على معنى التقرير من الإمام أو نائيه ، بأن يقول : أقررتكم أو أذنت لكم في الإقامة في دارنا على أن تبدلوا كذا وكذا وتتقادوا لحكم الإسلام .

الأمر الرابع — المدة التي يُعقد عليها . ويعتبر فيها أن تكون مطلقة بأن لا يقيد بها بانتهاء ، أو بما شاء المعقود له من المدة . ولا تجوز إضافة ذلك إلى مشيئة الإمام ، لأن المقصود من عقدها الدوام . وقوله صلى الله عليه وسلم « أَقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ اللَّهُ » إنما ورد في المهادنة لا في عقد الدمة .

الأمر الخامس — معرفة المكان الذي يُقرون فيه . وهو ما عدا الحجاز ، فلا يُقرون في شيء من بلاد الحجاز : وهي مكة ، والمدينة ، واليمامة ، ومخالفها يعني قرأها : كالأطائف بالنسبة إلى مكة ، وخير بالنسبة إلى المدينة ، ونحو ذلك . وسواء في ذلك القرى والطرق المتخللة بينها . ويمنعون من الإقامة في بحر الحجاز ، بخلاف ركوبه للسفر . وليس لهم دخول حرم مكة لإقامة ولا غيرها ، إذ يقول تعالى : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا ﴾

المَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . فلو تَعَدَّى أَحَدُ مِنْهُمْ بالدخول ومات ودُفِنَ في الْحَرَمِ ، نُبِشَ وَأُخْرِجَ مِنْهُ مَا لَمْ يَتَقَطَّعْ ، فَان تَقَطَّعَ تَرِكَ . وقيل : تُجْمَعُ عِظَامُهُ وتُخْرَجُ . وعليه يدلُّ نَصُّ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْأُمِّ .

الأمر السادس — معرفة ما يلزم الإمام لهم بعد عَقْدِ الذِّمَّةِ . إذا عَقَدَ لَهُمُ الْإِمَامُ الذِّمَّةَ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَهُمْ وَدِينَهُمْ وَحِلَّاهُمْ ، وَيُنْصِبَ عَلَى كُلِّ جَمْعٍ عَرِيفًا : لِمَعْرِفَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ مَاتَ وَمَنْ بَلَغَ مِنْ صِبْيَانِهِمْ ، وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِمْ أَوْ سَافَرَ مِنْهُمْ ؛ وَإِحْضَارِهِمْ لِأَدَاءِ الْجَزْيَةِ ، أَوْ شَكْوَى مَنْ تَعَدَّى الذِّمَّةَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ ؛ وَهَذَا الْعَرِيفُ هُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ فِي زَمَانِنَا بِالْأَمِينِ الْمَصْرِيِّ بِالْحَاشِرِ . ثُمَّ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُمْ بِأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ مَتَعَرِّضٌ لَأَنْفُسِهِمْ وَلَا أَمْوَالِهِمْ ، وَيُضْمَنُ مَا أَتْلَفَ مِنْهَا ، وَلَا تُرَاقُ نَحْوُهُمْ إِلَّا أَنْ يُظْهِرُوهَا ، وَلَا تُتْلَفُ خَنَازِيرُهُمْ إِذَا أَخْفَوْهَا ، وَلَا يُنْعَوْنَ التَّرَدُّدُ إِلَى كَائِنِهِمْ . وَلَا ضَمَانٌ عَلَى مَنْ دَخَلَ دَارَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَأَرَاكَ نَحْمَهُ وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا بِالْدُّخُولِ ، وَأَوْجِبَ أَبُو حَنِيفَةَ عَلَيْهِ الضَّمَانُ . وَيَجِبُ ذَبُّ الْكُفَّارِ عَنْهُمْ مَا دَامُوا فِي دَارِنَا ، بِخِلَافِ مَا إِذَا دَخَلُوا دَارَ الْحَرْبِ .

الأمر السابع — معرفة ما يُطَلَّبُ مِنْهُمْ إِذَا عَقَدَ لَهُمُ الذِّمَّةَ . ثُمَّ الْمَطْلُوبُ مِنْهُمْ سِتَّةُ أَشْيَاءَ :

مِنْهَا — الْجَزْيَةُ : وَهِيَ الْمَالُ الَّذِي يُبْدُلُونَهُ فِي مُقَابَلَةِ تَقْرِيرِهِمْ بَدَارَ الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَأُورِدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السَّاطِنَةِ" : وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْجَزَاءِ : إِمَّا بِمَعْنَى أَنَّهَا جَزَاءٌ لَتَقْرِيرِهِمْ فِي بِلَادِنَا ، وَإِمَّا بِمَعْنَى الْمُقَابَلَةِ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْأَئِمَّةُ فِي مِقْدَارِهَا : فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْدَرَةُ الْأَقْلِ ، وَأَقْلَاهَا دِينَارٌ أَوْ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا نُقْرَةً فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى كُلِّ حَالِيمٍ ، وَلَا يَجُوزُ

الاقْتِصَارُ عَلَى أَقَلِّ مِنَ الدِّينَارِ، وَغَيْرُ مَقْدَرَةِ الْأَكْثَرِ، فَتَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَى الْأَقَلِّ بِرِضَا الْمَعْقُودِ لَهُ . وَيَسْتَحِبُّ لِلْإِمَامِ الْمَاكِسَةُ : بِأَنْ يَزِيدَ عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ . وَنَقَلَ ابْنُ الرَّفْعَةِ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ عَلَى الْعَقْدِ غَايَةً لَمْ يَحِزْ أَنْ يُنْقَصَ عَنْهَا . وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يُفَاوَتْ فِيهَا : فَيَأْخُذَ مِنَ الْفَقِيرِ دِينَارًا، وَمِنَ الْمُتَوَسِّطِ دِينَارَيْنِ، وَمِنَ الْغَنِيِّ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ .

وذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء، يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهمًا . وأوساط، يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهمًا . وفقراء، يؤخذ منهم اثنا عشر درهمًا . فجعلها مقدرة الأقل والأكثر، ومنع من اجتهاد الإمام ورأيه فيها .

وذهب مالك إلى أنه لا يتقدر أقلها ولا أكثرها، بل هي موكولة إلى الاجتهاد في الطرفين .

ومنها - الضيافة : فيجوز للإمام بل يستحب أن يشترط على غير الفقير منهم ضيافة من يربهم من المسلمين زيادة على الحزية ، ويعتبر ذكر مدة الإقامة ، وأن لا تزيد على ثلاثة أيام ، وكذلك يعتبر ذكر عدد الضيفان من فُرسان ورجالة ، وقدر طعام كل واحد وأدمه ، وقدر العليق وجنس كل منهما، وجنس المنزل .

ومنها - الاتقياد لأحكامنا، فلوترافعوا إلينا أمضينا الحكم بينهم برضا خصم واحد منهم، ونحكم بينهم بأحكام الإسلام .

ومنها - أن لا يركبوا الخيل . ولهم أن يركبوا الحمار بالأكف عَرْضًا : بأن يجعل الرَّاكِبُ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ . وَفِي الْبِغَالِ الْنَفِيسَةِ خِلَافٌ : ذهب الغزالي وغيره إلى المنع منها والراجح الجواز، إلا أنهم لا يتخذون الثَّجَمَ الْحَلَاةَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .

ومنها - أن يُتَزَلَّوا المسلمون صَدَرَ المجلس وصَدَرَ الطريق . وإن حصل في الطَّرِيق ضَيْقٌ [اِلْحَاقًا] إلى أَضْيَقِهِ . وَيُمنَعُونَ من حَمْلِ السِّلَاح .

ومنها - التَّمْيِيزُ عن المسلمين في اللِّبَاس : بأن يَخِيطُوا في ثِيَابِهِم الظَّاهِرَةَ مَا يَخَالِفُ لَوْنَهَا ، سِوَاءً فِي ذَلِكَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ . وَالْأَوَّلَى بِالْيَهُودِ الْأَصْفَرُ ، وَالنَّصَارَى الْأَزْرَقُ وَالْأَكْثَبُ (وهو المَعْبُورُ عَنْهُ بِالرَّمَادِيِّ) وَبِالْمَجُوسِيِّ الْأَسْوَدُ وَالْأَحْمَرُ . وَيُسَدُّ الرِّجَالُ مِنْهُمْ الزُّنَارَ من غير الْحَرِيرِ فِي وَسَطِهِ ، وَتُسَدُّ الْمَرْأَةُ تَحْتَ إِزَارِهَا ، وَقِيلَ فَوْقَهُ . وَيُمَيِّزُونَ مَلَابِسَهُم عن مَلَابِسِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتُغَايِرُ الْمَرْأَةُ لَوْنَ حُفَّتِهَا : بأن يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَيْضُ . وَالْآخَرُ أَسْوَدَ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَيَجْعَلُ فِي عُنُقِهِ فِي الْحَمَامِ جُذْجُلًا أَوْ خَاتَمًا من حَدِيدٍ . وَإِنْ كَانَ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ شَعْرٌ أَمَرَ بِحِزِّ نَاصِيَتِهِ . وَيُمنَعُونَ من إِرْسَالِ الصَّفَفَائِرِ كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْرَافُ . وَلَهُمْ لُبْسُ الْحَرِيرِ وَالْعِمَامَةِ وَالطَّيْلِسَانِ . وَالَّذِي عَلَيْهِ عُرِفَ زَمَانًا فِي التَّمْيِيزِ أَنَّ الْيَهُودَ مَطْلَقًا تَلْبَسُ الْعِمَامَ الصَّفَرُ ، وَالنَّصَارَى الْعِمَامَ الزُّرْقَ ، وَيَرْكَبُونَ الْحَمِيرَ عَلَى الْبَرَادِجِ ، وَيَتَنَّى أَحَدُهُمْ رِجْلَهُ قُدَامَهُ ، وَتَخْتَصُّ السَّامِرَةُ بِالسَّامِ بَلْبُسِ الْعِمَامَةِ الْحَمْرَاءِ ، وَلَا تُمَيِّزُ يَعْتَادُونَهُ الْآنَ سِوَى مَا قَدَّمْنَاهُ .

ومنها - أَنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ مَا يَبْنُونَهُ عَلَى [بَنِيَانٍ] جِيرَانِهِم من الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُسَاوُونَهُ بِهِ وَلَوْ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِتْخَافِضِ ، وَيُمنَعُ من ذَلِكَ وَإِنْ رَضِيَ الْجَارُ الْمُسْلِمُ ، لِأَنَّ الْحَقَّ لِلدِّينِ دُونَ الْجَارِ ؛ وَلَهُ أَنْ يَرْفَعَ مَا بَنَاهُ بِحَلَّةٍ مَنْفَصِلَةٍ عَنْ أَبْنِيَةِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَوْ اشْتَرَى بِنَاءً عَالِيًا بَقِيَ عَلَى حَالِهِ ، فَلَوْ أَنَّهُمْ فَأَعَادَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ الرَّفْعُ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا الْمُسَاوَاةُ .

ومنها - أَنَّهُمْ لَا يُحْدِثُونَ كَنِيسَةً وَلَا بَيْعَةً فِيمَا أَحَدَتْهُ الْمُسَالِمُونَ من الْبِلَادِ : كَالْبَصْرَةِ ، وَالْكُوفَةِ ، وَبَغْدَادَ ، وَالْقَاهِرَةَ ، وَلَا فِي بَلَدٍ أَسْلَمَ أَهْلُهَا عَلَيْهَا : كَالْمَدِينَةِ وَالْيَمَنِ . فَإِنْ أَحْدَثُوا فِيهَا شَيْئًا من ذَلِكَ نُقِضَ ، نَعَمْ يُتْرَكُ مَا وَجَدَ مِنْهَا وَلَمْ يَعْلَمْ حَالَهُ :

لأحتمال اتصال العمارات به . وكذلك لا يجوز إحداث الكائس والبيع فيما فُتِحَ عَنوةً ، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء . أمّا ما فُتِحَ صلحاً بخراج على أن تكون الرقبة لهم ، فيجوز فيها إحداث الكائس وإبقاء القديمة منها ، فإن الأرض لهم . وإن فُتِحَتْ صلحاً على أن تكون لنا : فإن شُرِطَ إبقاء القديمة بقيت وكائنهم استثنوا . ويجوز لهم إعادة المتهدّمة منها ، وتطيين خارجها دون توسيعها .

الأمر الثامن — معرفة ما ينتقض به عهدهم .

ويُنتَقَضُ بأمرٍ :

منها — قتال المسلمين بلا شبهة ، ومنع الجزية ، ومنع إجراء حكمنا عليهم ، وكذا الزنا بمسامة أو إصابتها بأسم نكاح ، والأطلاع على عورات المسلمين وإنهاؤها لأهل الحرب ، وإيواء جاسوس لهم ، وقطع الطريق ، والقتل الموجب للقصاص ، وقذف مسلم ، وسب نبي جهرًا ، وطعن في الإسلام أو القرآن إن شُرِطَ عليهم الانتقاض وإلا فلا . أما لو أظهر ببلد الإسلام الخمر أو الخنزير أو الناقوس أو معتقده في عزير والمسيح عليهما السلام أو جنازة لهم أو سقى مسلماً خمرًا فإنه يُعزَّر .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة التاسعة

(ما يكتب في مُتعلّقات أهل الذِّمة [عند خروجهم] عن لوازم عَقْدِ الذِّمة)

وأعلم أنه ربما خرج أهل الذِّمة عن لوازم عَقْدِ الذِّمة ، وأظهروا التمييز والتكبر وعُدُوّ البِناء ، إلى غير ذلك مما فيه مخالفةُ الشروط ، فيأخذ أهل العدل : من الخلفاء والملوك في قَمْعهم والغَضّ منهم وحَطّ مقاديرهم ، ويكتبون بذلك كُتُباً وبيعُونَ بها إلى الآفاق ليعمَلَ بمقتضاها ، غَضّاً منهم وحَطّاً لِقَدْرِهِمْ ، ورفعةً لدين الإسلام وتَشْرِيفاً لِقَدْرِهِ ، إذ يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهذه نُسخةُ كُتَابٍ كُتِبَ به عن المتوَكِّل على الله حين حجَّ ، بِمِيع رجلًا يدعُو عليه ، فهِمَّ بِقَتْلِهِ ، فقال : واللهِ يا أمير المؤمنين ما قُلْتُ ما قُلْتُ إلّا وقد أيقنتُ بالقتل ، فاسمِعْ مَقَالِي ثم مُرْ بِقَتْلِي ، فقال : قُلْ ! - فشكا إليه أَسْطِطَالَةَ كُتَابِ أَهْلِ الذِّمة على المسلمين في كلام طويل ، نفّرج أمره بأن تلبسَ النصارى واليهودُ ثيابَ العسليّ ، وأن لا يُمَكِّنُوا من لبسِ البياض كَي لا يتشبهوا بالمسلمين ، وأن تكونَ رُكْبُهُمْ خَشَبًا ، وأن تُهْدَمَ بيَعُهُم المستجدة ، وأن تُطَاقَ عليهم الجزيةُ ، ولا يُقْسَحَ لهم في دخول حماماتِ خَدْمِهَا من أهل الإسلام ، ولا يَسْتَخْدِمُوا مسلمًا في حوائجهم لنفوسهم ، وأفردَهم بن يحسب عليهم . وقد ذكر أبو هلال العسكريُّ في كتابه "الأوائل" : أن المتوَكِّلَ أوَّل من أُلْزِمهم ذلك ، وهى :

أما بعد، فإن الله أصطفى الإسلام ديناً فشرفه وكرمه، وأناره ونصره وأظهره،
وفضله وأكمله؛ فهو الدين الذي لا يقبل غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَإِنْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بعث به صفيته وخيرته من
خلقه: محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعله خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد المرسلين:
﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وأنزل كتاباً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. أسعد به أمته، وجعلهم خير
أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: ﴿وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وأهان الشرك
وأهله، ووضعهم وصغرهم وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة،
فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. وأطلع على قلوبهم، وخبث سرائرهم وضمائرهم، فنهى عن أعتابهم،
والثقة بهم: لعداوتهم للمسلمين، وغشهم وبغضائهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وقال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْيَدُونَ
أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾. وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل
الذمة في أفعالهم ، ويخضعونهم بغانة من دون المسلمين ، ويسلطونهم على الرعية ،
فيعسفونهم ويسيطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم . فأعظم
أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحب التقرب إلى الله بحسبه
والنهي عنه ؛ ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار ، وولاة الثغور
والأجناد ، في ترك استعمالهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم ، والإشراك
لهم في أماناتهم ، وما قلدهم أمير المؤمنين وأستحفظهم إياه ، إذ جعل في المسلمين
الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرعاية لما استراحهم ،
والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة [بأحد] من المشركين
بالله ، المكذبين برسوله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلهاً آخر ، ولا إله إلا هو
وحده لا شريك له ، ورجا أمير المؤمنين - بما ألهه الله من ذلك ، وقذف في قلبه -
جزيل الثواب ، وكريم المآب ؛ والله يعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام
وأهله ، وإذلال الشرك وحزبه .

فلتعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ، ولا تستعين بأحد من المشركين ؛ وأنزل أهل
الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها . فاقروا كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشيعة
فيهم ، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد
من أهل الذمة في عمل الإسلام .



وفي أيام المقتدر بالله ، في سنة خمس وتسعين ومائتين ، عزل كتاب النصاري
وعملهم ، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة حتى أمر بقتل ابن ياسر النصرائي
عامل يؤنس الحاجب ، وكتب إلى عماله بما نسخته :

عَوَائِدُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُوفَى عَلَى غَايَةِ رِضَاهُ وَنِهَايَةِ أَمَانِيهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُظْهِرُ عِصْيَانَهُ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِظَةً لِلْأَنَامِ ، وَبَادَرَهُ بِعَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ . فَمَنْ نَكَثَ وَطْغَى وَبَغَى ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَفَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَعَى فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَاجَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَطْوَتِهِ وَطَهَّرَ مِنْ رَجْسِهِ دَوْلَتَهُ ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَيَحْذَرُ الْعِهَالُ تَجَاوُزَ أَوَامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَوَاهِيهِ .



وَفِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ بِالْDIYARِ الْمِصْرِيَّةِ ، أَمْتَدَّتْ أَيْدِي النُّصَارَى ، وَبَسَطُوا أَيْدِيهِمْ بِالْخِيَانَةِ ، وَتَفَتَّنُوا فِي أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَإِصْالِ الْمَضَرَّةِ إِلَيْهِمْ . وَاسْتَعْمَلَ مِنْهُمْ كَاتِبٌ يَعْرِفُ بِالرَّاهِبِ ، وَلَقَّبَ بِالْأَبِ الْقَدِيسِ ، الرُّوحَانِي النَّفِيسِ ، أَبِي الْآبَاءِ ، وَسَيِّدَ الرُّؤَسَاءِ ، مُقَدِّمَ دِينِ النُّصْرَانِيَّةِ ، وَسَيِّدَ الْبَتْرِكِيَّةِ ، صَفَى الرَّبِّ وَمُخْتَارَهُ ، وَثَلَاثَ عَشَرَ الْخَوَارِجِيِّينَ . فَصَادَرَ اللَّعِينُ عَامَّةً مِنَ الْDIYARِ الْمِصْرِيَّةِ : مِنْ كَاتِبٍ وَحَاكِمٍ وَجُنْدِيٍّ وَعَامِلٍ وَتَاجِرٍ ، وَأَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ . خَفَوْهُ بَعْضُ مَشَايِخِ الْكُتَّابِ مِنْ خَالِقِهِ وَبَاعِيهِ وَمُحَاسِنِهِ ، وَحَذَرَهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ . وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِ مِصْرٍ وَقَبِطُهَا فِي مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ مُحَاطِبًا لَهُ وَمُسَمِّعًا لِلْجَمَاعَةِ : نَحْنُ مُلَاكُ هَذِهِ الدِّيَارِ حَرْنَا وَخَرَجْنَا ، مَلَكَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَّا ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا وَغَضَبُوهَا ، وَاسْتَمْلَكُوهَا مِنْ أَيْدِينَا ، فَنَحْنُ مِنْهُمَا فَعَلْنَا بِالْمُسْلِمِينَ فَهُوَ قُبَالَةٌ مَا فَعَلُوا بَنَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ رُؤَسَائِنَا وَمُلُوكِنَا فِي أَيَّامِ الْفُتُوحِ ، بِجَمِيعِ مَا نَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِ

مَلَّوْا كَهِمَّ وَخُلُقَاتِهِمْ حِلًّا لَنَا ، وَهُوَ بَعْضُ مَا نَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا حَمَلْنَا لَهُمْ مَا لَأَ كَانَتْ
الْمِنَّةُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَأُنْشِدُ :

بُنْتُ كَرِيمَ يَتَمُّوْهَا أُمَّهَا * وَأَهَانُوهَا فَدَيْسَتْ بِالْقَدَمِ

ثُمَّ عَادُوا حَكَمُوهَا بَيْنَهُمْ * وَيَلَهُمْ مِنْ فِعْلِ مَظْلُومٍ حَكَمٌ

فاستحسن الحاضرون من النصاري والمنافيقين ما سمعوه منه ، واستعادوه ، وعرضوا
عليه بالنواجذ ، حتى قيل : إِنَّ الذي احتاط عليه قَلَمُ اللّٰعِينِ مِنْ أَمْلَاقِ الْمَسَالِمِينَ
مِائَتَا أَلْفٍ وَاثْنَانِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا ، وَمِائَتَا دَارٍ وَحَانُوتٍ وَأَرْضٍ بِأَعْمَالِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى أَنْ
أَعَادَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْأَفْضَلِ ؛ وَمِنْ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ أَنْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ ، وَأَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْحَمِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالْغِيْرَةُ
الْحَمْدِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ لِلَّهِ غَضَبَةً نَاصِرٍ لِلدِّينِ ، وَنَاصِرٍ لِلْمَسَالِمِينَ ؛ فَأَلْبَسَ أَهْلَ الذَّمِّ الْغِيَارَ ،
وَأَتْرَظَهُمُ بِالْمُتَزَلِّةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُتَزَلَّوْا بِهَا مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ ؛ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئًا
مِنْ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُنْشَأَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ .

وهذه نسخته :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَالْحُبِّ دِمَاءٍ مِنْ يَدْعُو بِأَسْمَائِهِ ؛ الْمُتَفَرِّدِ
بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ؛ هَدَى الْعِبَادَ بِالْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَفَّقَهُمْ فِي الطَّاعَاتِ
لَمَّا هُوَ أَنْفَعُ زَادٍ فِي الْمَعَادِ ؛ وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ الْغُيُوبِ فَعَلِمَ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ إِضْمَارَهُ كَمَا عَلِمَ
تَصْرِيحَهُ ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ ﴾ . الَّذِي شَرَّفَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَعَظَّمَهُ ، وَقَضَى بِالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ لِمَنْ اتَّخَذَهُ
وَيْتَمَهُ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ شَرِّعٍ سَبَقَهُ وَعَلَى كُلِّ دِينٍ تَقَدَّمَ ؛ فَنَصَرَهُ وَخَدَّلَهَا ، وَأَشَادَهُ

وَأَنحَلَهَا ، وَرَفَعَهُ وَوَضَعَهَا ، وَأَطَدَهُ وَضَعَضَهَا ، وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ دِينًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وَشَهِدَ بِهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَشْهَدَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأُولَى الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْأَنَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

وَلَمَّا أَرْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ وَأَتَمَّ بِهِ نِعْمَتَهُ ، أَكْمَلَهُ لَهُمْ وَأَظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَأَوْضَحَهُ لِمُضَاحَاةِ مَبِينَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَأَهْلِ الْبَغْيِ وَالرِّشَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ فَقَالَ وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَهِيَ وَصِيَّةُ إِمَامِ الْخُتَفَاءِ لِبَنِيهِ وَإِسْرَائِيلَ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَشَهِدَ عَلَى الْخَوَارِئِيِّينَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَمِينُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكتاب إليه ، ويشهد من تولى منهم بأنه عليه ؛ فقال تعالى وقوله الحق المبين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وصلَّى الله على الذى رفعه بأصطفائه إلى محله المنيّف ، وبعثه للناس كافة بالدين القيم الحنيف .

أما بعد ، فإن الله سبحانه ببالغ حكمته ، وتتابع نعمته ، شرف دين الإسلام وطهره من الأدناس ، وجعل أهله خير أمة أخرجت للناس ؛ فالإسلام الدين القويم الذى أصطفاه الله من الأديان لنفسه ، وجعله دين أنبيائه ورسله وملائكته قدسه ؛ فارتضاه واختاره ، وجعل خير عبادته وخاصتهم هم أوليائه وأنصاره ؛ يحافظون على حدوده ويثابرون ، ويدعون إليه ويدكرون ، ويحافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ، فهم بآيات ربهم يؤمنون ، وإلى مرضاته يسارعون ؛ ولئن خرج عن دينه مجاهدون ، ولعباده يجهدهم ينصحون ، وعلى طاعته مثابرون ، وعلى صلواتهم يحافظون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وبالأخرة هم يوقنون : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا وإن أمة الله هداها إلى دينه القويم ، وجعلها - دون الأمم الجاحدة - على صراط مستقيم ، توفى من الأمم سبعين ، هم خيرها وأكرمها على رب العالمين - حقيقة بأن لا نوالى من الأمم سواها ، ولا نستعين بمن حاد الله خالقه ورآقه وعبد من دونه إلها ، وكذب رسله ، وعصى أمره وأتبع غير سبيله ، واتخذ الشيطان ولياً من دونه الله ؛ ومعلوم أن اليهود والنصارى مؤسومون بغضب الله ولعنته ، والشرك به والجحد

لَوْحَدَانِيَّتِهِ ؛ وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أَنْ يَسْأَلُوا هِدَايَةَ سَبِيلِ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيُحَنِّبَهُمْ سَبِيلَ
الَّذِينَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَطَرَدَهُمْ عَنْ جَنَّتِهِ ؛ فَبَاءُوا بِغَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ : مِنَ الْمَفْضُوبِ
عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ .

فَالْأَمَةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ بَنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأَمَةُ الضَّلَالِ هُمُ النَّصَارَى الْمُشْتَتَةُ عِبَادُ
الصُّلْبَانِ ؛ وقد أخبر تعالى عن اليهود بأنهم بالدِّلَّةِ وَالْمُسْكَنَةِ وَالْغَضَبِ مَوْسُومُونَ ،
فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

وَأُخْبِرَ بِأَنَّهُمْ بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُفْتَرِينَ ، فَقَالَ : ﴿ نَسِيسَ
مَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وَأُخْبِرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَعَنَهُمْ وَلَا أَصْدَقَ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ، فَقَالَ : ﴿ يَسْأَلُهَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ .

وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمًا تَرْضِيهِ الْعُقُولُ ، وَيَتَلَقَّاهُ كُلُّ مُنْصِفٍ
بِالْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، فَقَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ
اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ .

وأخبر عما أحلَّ بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين ، فقال تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا تَسُوا مَاذُكَّرُوا بِهِ أَتَجَمَّعُوا الَّذِينَ يَمْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
 بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

ثم حكم عليهم حُكْمًا مُسْتَمِرًّا عليهم في الذراري والأعقاب ، على ممر السنين
 والأحقاب ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
 يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ . فكان هذا العذاب في الدنيا
 بعض الاستحقاق : ﴿ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ . وأنهم أنجس
 الأئمة قلوباً وأخبثهم طوية ، وأزادهم سجية ، وأولاهم بالعذاب الأليم ، فقال :
 ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴾ . وأنهم أمة الخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين ، فقال :
 ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْحَسَنِينَ ﴾ .

وأخبر عن سوء ما يسمعون ويقبلون ، وخُبث ما يأكلون ويحكون ، فقال تعالى :
 ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
 وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه لعنهم على ألسنة أنبيائه ورُسُلِهِ بما كانوا يكسبون ، فقال :
 ﴿ لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى
 كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حكمه المدين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأخبر عن حال متوليهم بما في قلبه من المرض المؤدى إلى فساد العقل والدين، فقال: ﴿فَتَرَىٰ آيِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ .

ثم أخبر عن حُبوب أعمال متوليهم ليكون المؤمن لذلك من الحذرين، فقال: ﴿وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ .

ونهى المؤمنين عن اتخاذ أعدائه أولياء، وقد كفروا بالحق الذى جاءهم من ربهم، وإنهم لا يمتنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدرُوا عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ تَخِفْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِفُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . إِن يَتَقَوَّمْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ .

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحنفاء ومن معه من المؤمنين، إذ تبرأ من ليس على دينهم أمثالاً لأمر الله، وإيثاراً لمرضاة وما عنده،

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . وَتَبَرَّأَ سُبْحَانَهُ مِنْ اتِّخَذِ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

فمن ضروب الطاعات إهانته في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرون ، ومن حقوق الله الواجبة أخذ جزية رؤسهم التي يعطونها عن يده وهم صاغرون ، ومن الأحكام الدينية أن يعم جميع الأمة إلا من لا يجب عليه باستخراجها ، وأن يعتمد في ذلك سلوك سبيل السنة المحمدية ومنهاجها ، وأن لا يسأح بها أحد منهم ولو كان في قومه عظيما ، وأن لا يقبل إرساله بها ولو كان فيهم زعيما ، وأن لا يحمل بها على أحد من المسلمين ، ولا يوكل في إخراجها عنه أحدا من الموحددين ؛ بل تؤخذ منه على وجه الدلة والصغار ، اعزازا للإسلام وأهله وإذلالا لطائفة الكفار ؛ وأن تستوفي من جميعهم حق الاستيفاء ، وأهل خير وغيرهم في ذلك على السواء .

وأما ما ادّعاه الجبارة من وضع الجزية عنهم بعهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك زور وبهتان ، وكذب ظاهر يعرفه أهل العلم والإيمان ؛ لفقه القوم البهت وزوره ، ووضعوه من تلقاء أنفسهم وتمقوه ؛ وظنوا أن ذلك يخفى على الناقدين ؛ أو يروج على علماء المسلمين ؛ ويأبى الله إلا أن يكشف محال المبطلين ، وإفك المفتريين ؛ وقد تظاهرت السنن وصح الخبر بأن خير فتح عموة ، وأوجف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على إجلالهم عنها كما أجلي إخوانهم من أهل الكتاب ، فلما ذكروا أنهم أعرف بسقي تحللها ومصالح أرضها ، أقرهم فيها

كالأجراء وجعل لهم نصف الأرتفاع، وكان ذلك شرطاً مبیناً، وقال : « نُقِرْكُمْ فِيهَا مَا شِئْنَا » ، فأقر بذلك الجبارة صاغرين ، وأقاموا على هذا الشرط في الأرض عاملين ؛ ولم يكن للقوم من الدمام والحرمه ، ما يُوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذمة ؛ وكيف ؟ وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين ، شهادة سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وكان قد توفى قبل ذلك بأكثر من سنتين ؛ وشهادة معاوية بن أبي سفيان ، وإثماً أسلم عام الفتح بعد خيبر سنة ثمان ؛ وفي الكتاب المكذوب أنه أسقط عنهم الكلف والسخرة ، ولم تكن على زمان خلقائه الذين ساروا في الناس أحسن السير .

ولما اتسعت رُقعة الإسلام ، ودخل فيه الخاص والعام ، وكان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقى النخل ، أجلي عمر بن الخطاب اليهود من خيبر بل من جزيرة العرب حتى [قال] : لا أدع فيها إلا مسلماً .



وفي شهر رجب سنة سبعائة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير صاحب المغرب حاجاً ، فاجتمع بالملك الناصر « محمد بن قلاوون » ونائبه يومئذ الأمير سلا ، فتحدث الوزير معه مع الأمير بيبرس الجاشنكير في أمر اليهود والنصارى ، وأنهم عندهم في غاية الذلة والهوان ، وأنهم لا يمكن أحد منهم من ركوب الخيل ولا الاستخدام في الجهات الديوانية ، وأنكر حال نصارى الديار المصرية ويهودها بسبب لبسهم أنحر الملابس ، وركوبهم الخيل والبغال ، واستخدمهم في أجل المناصب ، وتحكيمهم في رقاب المسلمين ؛ وذكر أن عهد ذمتهم أنقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية ، فأثر كلامه عند أهل الدولة ، لاسيما الأمير بيبرس الجاشنكير ، فأمر بجمع النصارى واليهود ، ورسم أن لا يُستخدم أحد منهم في الجهات السلطانية ، ولا عند

الأمراء ، وأن تُغيّر عمامتهم : فلبس النصارى العمام الزرق ، وتشدّ في أوساطهم الزنانير ، ولبس اليهود العمام الصفّر ويدقوا ^(١) في البيع في إبطال ذلك فلم يقبل منهم ، وغلقت الكنائس بمصر والقاهرة ، وسمّرت أبوابها ، ففعل بهم ذلك ، وألزموا بأن لا يركبوا إلا الحمير ، وأن يلفّ أحدهم إحدى رجله إذا ركب ، وأن يقصر بنائهم المجاور للمسلمين عن بناء المسلم . وكتب بذلك إلى جميع الأعمال ليُعمل بمقتضاه ، وأسلم بسبب ذلك كثير منهم ؛ وألّيس أهل الذمة بالشام : النصارى الأزرق ، واليهود الأصفر ، والسامرة الأحمر .

ثم عادوا إلى المباشرة بعد ذلك ، فانتدب السلطان الملك « الصالح صالح » ابن الملك الناصر في سنة خمس وخمسين وسبعائة لمنعهم من ذلك ، وألزمهم بالشروط العمريّة ، وكتب بذلك مرسوماً شريفاً وبعث بنسخته إلى الأعمال فقرئت على منابر الجوامع .

وهذه نسخته - صورة ما في الطرّة :

« مرسوم شريف بأن يعتمد جميع طوائف اليهود والنصارى والسامرة : بالديار المصرية ، والبلاد الإسلامية المحروسة وأعمالها ، حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمن مضى من أهل ملتهم : وهو أن لا يُحدّثوا في البلاد الإسلامية ديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب ، ولا يُحدّثوا ما تحرب منها ، ولا يؤوّا جاسوساً ولا من فيه رية لأهل الإسلام ، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يُظهروا شركاً ، ولا يمتنعوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ؛ ولبسّون الغيار الأزرق والأصفر ، ومنع نساؤهم

(١) بياض في الأصل في غير نسخة والكلام غير ملثم ولعل الأصل « العمام الصفّر فبالغوا في السعي في إبطال ذلك » الخ .

من التَّشَبُّه بنساء المسلمين ، ولا يركبوا سَرْجًا ، ولا يتقلَّدوا سَيْفًا ، ولا يركبوا الخيلَ
ولا البغالَ ، ويركبون الحميرَ بالأُكُفِّ عَرَضًا ، ولا يبيعوا الخُمُورَ ، وأن يلزموا زِيَّهم
حيث كانوا ، وَيُسُدُّوا زَنَابِرَهم غيرَ الحَرِيرِ على أوساطهم ؛ والمرأةُ البارزةُ من النصارى
تلبسُ الإزارَ الكَنَّانَ المصبوغَ أزرق ، واليهوديةُ الإزارَ الأصفر ؛ ولا يدخلُ أحدٌ
منهم الحَمَّامَ إلا بعلامةٍ تُميِّزه عن المسلمين في عُقْبِهِ : من خَاتَمٍ حَدِيدٍ أو رصاصٍ أو غير
ذلك ؛ ولا يعلوا على المسلمين في البناءِ ولا يُساوُوهم ، بل يكونون أدونَ منهم ؛
ولا يضربوا بالناقوسِ إلا ضربًا خفيفًا ، ولا يرفعوا أصواتهم في تكاليفهم ، ولا يُجَدِّمُوا
في دولتنا الشريفة - ثَبَّتَ اللهُ قواعدها - ولا عندَ أحدٍ من أمرائها - أعزَّهم اللهُ
تعالى - ولا يَلُوكَ وَظِيفَةً يعلو أمرهم فيها على أحدٍ من المسلمين ؛ وأن يُجَلَّ الأَمْرُ
في موارِيثَ مَوْتَاهُمْ على حُكْمِ الشريعةِ الشريفةِ المحمَّديةِ ، وتوقع عليهم الحَوَاطَةَ
الدِّيوانيةَ أَسْوَدَ مَوْتَى المسلمين ؛ وأن لا يدخلَ نِسْوَةُ أَهْلِ الدِّمَةِ الحَمَّامَاتِ مع
المسلماتِ ، ويُعْمَلُ لهنَّ حَمَّامَاتٌ تُخَصَّنَ يَدْخُلْنَها ، عملاً في ذلك بما رَجَّحه علماءُ
الشَّرْعِ الشريفِ ، على ما شَرَحَ فيه .

ونصه بعد البسملة الشريفة .

الحمدُ لله الذى بَصَّرَ سُلْطَانَنَا الصَّالِحَ ، باعتمادَ مَصَالِحِ الدِّينِ والدُّنْيَا ، وَيَسَّرَ لِرَأْسِنَا
الراجحِ ، تَوْفِيرَ التَّوْفِيقِ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا ، وَتَحْرِيرَ التَّحْقِيقِ أَمْرًا وَنَهْيًا ؛ وَقَهَرَ بِأَحْكَامِ الإِسْلَامِ ،
من رامَ نَكْثَ العَهْدِ وَتَقْضِ الدَّامِ ، بِتَعَدَّى الحُدُودِ عُدْوَانًا وَبَغْيًا ، وَجَسَرَ على اقْتِحَامِ
ذُنُوبِ عِظَامٍ ، تُحِلُّ به في الدَّارَيْنِ ذُنَابًا وَنِجْرًا ، وَتَكْفُلُ لِلأُمَّةِ المحمَّديةِ في الأولى
والأخرى بالسَّعَادَةِ السَّرمِديةِ التى لا تُنْهَى ولا تُتَغَيَّ ، وجعلَ كَلِمَةَ الدِّينِ كَفَرُوا
السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا .

نحمده أَنَّ أَصْحَبَ فِكْرِنَا رَشَدًا وَأَذْهَبَ بِأَمْرِنَا غِيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَبَرَ بِأَحْكَامِ
الْعَدْلِ لِلْإِيمَانِ وَهَنًا وَآثَرِ لَذَوِي الْبُهْتَانِ بِالْإِنْتِقَامِ وَهِيًّا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ ، خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَنْشَأَ وَأَفْنَى وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ،
وَتَقَدَّسَ وَتَجَبَّدَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَوْجَدَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَمَا أَوْجَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ
شَيْئًا وَجَعَلَهُ عَبْدًا صَالِحًا نَبِيًّا زَكِيًّا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَعَ الرُّوحِ الْأَمِينِ قُرْآنًا وَوَحْيًا ، وَأَسْتَأْصِلُ بِهِ شَافَةَ الْكُفَّارِ وَأَنْزَلَ بِهِمْ مِنَ
الْأَخْطَارِ الدَّاهِيَةِ الدَّهْيَا ، وَاتَّبَعَ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَى الصِّدْقَ وَصَدَقَ الرُّؤْيَا ،
وَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ الشَّتَاتَ فَهَدَى قُلُوبًا غُلْفًا وَأَسْمَاعًا صُمًّا وَأَبْصَارًا غُمًّا ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ،
وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَبُشِّرِي مَنْ وَفَّقَ مِنْ أُمَّتِهِ فُرْزِقَ لِحُكْمَتِهِ وَعِيَا ، وَرَفَعَ
الضَّلَالَةَ ، وَرَدَّ الضَّلَالَاتِ ، وَأَجْمَلَ لِلْعَهْدِ حَقْطًا وَلِلدِّمَامِ رَعِيًا ، وَنَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ
الشَّرَائِعَ ، وَسَدَّتِ الذَّرَائِعَ ، وَشَمَخَتْ عَلَى التَّجُومِ الطَّوَالِعَ ، فَهِيَ أَسْمَى مِنْهَا رِفْعَةً
وَأَمْنَى عَدَدًا وَأَسْنَى هُدًيًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فُرُوعِ الزَّهْرَاءِ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أَمْرَعَ سَقِيًا ،
خُصُوصًا صِدِّيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْحَيَا ، وَمَنْ أَسْتَخْلِفَهُ فِي الصَّلَاةِ عَنْهُ
إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَقُّ لِرُبَّةِ الْخِلَافَةِ بِالرُّقْيَا ، وَمَنْ فَرَّقَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَوَافَقَ الْفُرْقَانُ لَهُ
رَأْيًا ، وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ مَا لَا أَتَّفَقُ لَغْيَرِهِ وَلَا تَهَيَّا ،
وَذَا الثُّورَيْنِ الَّذِي قَطَعَ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا وَأَحْيَا ، وَأَسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ
لَمَّا مَنِ اللَّهُ أَسْتَحْيَا ، وَعَلَى الصَّهْرِ وَابْنِ الْعَمِّ الْمُجَاهِدِ الرَّاهِدِ الَّذِي طَلَّقَ ثَلَاثًا الدَّارَ
الْفَانِيَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَقِيَا ، وَسَرَّهُ لَمَّا قَضَى عَلَى الرِّضَا نَجَبَهُ ، فَوَجَدَ الْأَجَبَةَ : مُحَمَّدًا
وَحُزْبَهُ ، وَحَمَدَ الْحَقَّ وَاللَّقْبَا ، وَعَلَى تِمَّةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ

والأنصار، رحمةٌ تُديم لمضاجعهم صوبها الدار السقيّ، صلاةً وإفرة الأقسام سافراً
القسمات باهرة الحياء، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فأحكام الشرع الشريف أولى بوجوب الاتباع، وذمام الدين الحنيف
يُبر من عصي ويُجير من أطاع، وحرُمات الملة الحمديّة أحق بأن تحفظ فلا تُضاع؛
ومن المهمّات التي تُصرف إليها الهمة، ويُرهف لها حدّ العزمه، وتُقَام على متعدّد
حدودها بالانتقام الحزبه؛ اعتباراً أحوال الملتين من أهل الذمة الذين حقن منهم
الدماء حكم الإسلام، وسكن عنهم الدهماء ما ألزموه من الأحكام، مع القيام بالحزبة
في كلّ عام، وسلموا لأوامر الشريعة المطهرة التي لولا الانقياد إليها والاستسلام،
لأنعمد في نُحورهم حدّ الحسام. فهم تحت قهر سلطان الإيمان سائرُونَ، ولأمر دين
الحق الذي نسخ الله تعالى به الأديان صائرُونَ؛ وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْحِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

ولما فتح الله تعالى ببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مافتح من البلاد،
وأسترجع بأيدي المهاجرين والأنصار من أيدي الكفار العاديّة كثيراً من الأمصار
وأستعاد؛ وأكثر ذلك في خلافة أمير المؤمنين «عمر بن الخطّاب» رضي الله عنه،
فإنها كانت للفتح مواسم، وبالمُنح بواسم؛ وتظافرت فيها للمسلمين غرائر العزائم،
التي أعادت هزاهنّها الكفار يجرّون ذبول الهزائم - عقد أمرأه الفاتحون لها
بأمره - رضي الله عنه وعنهم - لأهل الكتاب عهداً، وحدّوا لهم من الآداب حدّاً
لا يجوز أن يتعدّى؛ ولم تزل الخلفاء بعد ذلك والمملوك في جميع بلاد الإسلام
يُجدّدونها، وبالمحافظة والملاحظة يتعهدونها؛ وآخر من ألزمهم أحكامها العادلة،

وَعَصَمَهُمْ بِذِمَّتِهَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ مَا اسْتَقَامُوا بِالسَّلَامَةِ كَافِلِهِ ، وَالدُّنَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ
« الْمَلِكُ النَّاصِرُ » نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَهُ عَهْدَ الرَّحْمَةِ ، وَلَقِيَ نَفْسَهُ
الْخَيْرَ لِنُصْحِهِ الْأُمَّةَ ، فَإِنَّهُ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - جَدَّدَ لَهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ لِبَاسَ الْغِيَارِ ،
وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بَأْسَ النَّكَالِ وَالْإِنْكَارِ ، وَعَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ بَهَا الْأَعْتِبَارِ ، وَسَطَّرَ فِي الصِّحَافِ
مِنْهَا شُرُوطًا لَهُمْ بِالتَّرَامِهَا إِفْرَارَ ، وَبِأَحْكَامِهَا أَمَكْنَهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ الْأَسْتِقْرَارَ ،
وَحَذَلَ الْفِتْنَتَيْنِ الْمُفْتَرَتَيْنِ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ .

وَمَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ تَمَادَوْا عَلَى الْأَغْتِرَارِ ، وَتَعَادَوْا إِلَى الضَّرِّ وَالْإِضْرَارِ ،
وَتَدَرَّجُوا بِالتَّكْبَرِ وَالْإِسْتِكْبَارِ ، إِلَى أَنْ أَظْهَرُوا التَّزْيُّنَ أَغْظَمَ إِظْهَارَ ، وَخَرَجُوا عَنْ
الْمَعْهُودِ فِي تَحْسِينِ الزُّنَارِ وَالشُّعَارِ ، وَغَتَوْا فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْفَسَادِ
بِأُمُورٍ لَا تُطَاقُ كِبَارُ .

وَمَا وَضَّحَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ الْأَسْتِقْرَارَ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِضْرَارَ ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِمْ أَشَدَّ إِنْكَارَ ،
وَرَأَيْنَا أَنْ تَتَّبَعَ فِيهِمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَبَيْنَا [إِلَّا مَعَامَلَتَهُمْ]
بِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ الَّتِي كَمَ لَهَا عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْعِيسَوِيَّةِ وَالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ مَنَّةٍ ، وَادَّخَرَ اللَّهُ
تَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لَنَا فِي الدُّنْيَا
أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَفِي الْآخِرَةِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ، فَاسْتَفْتَيْنَا فِي أَمْرِهِمُ الْمَجَالِسَ الْعَالِيَةَ حُكَّامَ
الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِأَقْوَالِ مَذَاهِبِهِمُ الْمُحَرَّرَةِ ، الَّتِي لَنَا بِهَدْيِهَا إِلَى إِصَابَةِ
الصَّوَابِ تَبَيُّرِهِ ، وَعَقَدْنَا لَهُمْ مَجْلِسًا بَدَارَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ ، وَأَلْزَمْنَاهُمْ أَحْكَامَ أَهْلِ
الذِّمَّةِ الَّتِي بِالْإِتْرَامِ أَوْائِلُهُمْ لَهَا جَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ هَذَا التَّكْلِيفِ ، وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَهْدِ
الَّذِي نَسَّوْهُ ، وَأَلْبَسْنَاهُمْ تَوْبَ الْهَوَانِ الَّذِي لَبَسُوا [وَ] لَمَا طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ نَزَعُوهُ
وَلَمْ يَلْبَسُوهُ ، وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمُ الْآلَانَ شَرْوْطَهُ الْمَضْبُوطَةَ ، وَقَوَانِينَهُ الَّتِي هِيَ مِنَ التَّبْدِيلِ

والتَّغْيِيرَ مَحْوَطَهُ ، فَمَنْ جَاوَزَهَا ، فَقَدْ شَاقَّقَ الشَّرِيعَةَ الشَّرِيفَةَ وَبَارَزَهَا ؛ وَمَنْ خَالَفَهَا ، فَقَدْ عَانَدَ الْمِلَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَوَأَقْفَهَا ؛ وَمَنْ صَدَفَ عَنْ سُبُلِهَا وَتَنَكَّبَهَا ، فَقَدْ آقَرَفَ الْكِبَائِرَ وَأَرْتَكَبَهَا ؛ وَحَظَرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدُهُمْ لَهُ بِالْمُسْلِمِينَ شَبَهاً ، وَصَيَّرْنَا عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ الَّتِي ضَرَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَأَوْجَبَهَا .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيّ ، السُّلْطَانِيّ ، الْمَلِكِيّ ، الصَّالِحِيّ ، الصَّالِحِيّ - لَا زَالَ أَمْرُهُ الْمُتَمَثِّلُ الْمُطَاعَ ، وَزَجَرَهُ بِهِ عَنِ الْمَأْثَمِ أَمْتِنَاعُ وَأَرْتِدَاعُ ، وَرَأْيُهُ الصَّالِحُ يُرِيدُ الْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَاعَ - أَنْ يَعْتَمِدَ جَمِيعُ طَوَائِفِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَالسَّامِرَةِ بِالْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَجَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا : مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْآفَاقِ ، مَا أَخَذَ عَلَى سَالِفِهِمْ فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَكِيدِ الْعَهْدِ وَوَثِيقِ الْمِيثَاقِ :

وَهُوَ أَنْ لَا يُحْدِثُوا فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيسَةً وَلَا قَلَابَةً وَلَا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ ، وَلَا يُحْدِدُوا فِيهَا مَا نَحَرِبَ مِنْهَا ، وَلَا يَمْنَعُوا كَنَائِسَهُمُ الَّتِي عُوْهِدُوا عَلَيْهَا ، وَثَبَتَ عَهْدُهُمْ لَهَا ، أَنْ يَنْزِلَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُطْعِمُونَهُمْ ، وَلَا يُؤْوُوا جَاسُوسًا وَلَا مَنْ فِيهِ رَيْبَةٌ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَكْتُمُوا غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَعْلَمُوا أَوْلَادَهُمُ الْقُرَّانَ ، وَلَا يُظْهِرُوا شِرْكًَا ، وَلَا يَمْنَعُوا ذَوِي قَرَابَةٍ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ ، وَإِنْ أَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَا يُؤْذُوهُ وَلَا يُسَاكِنُوهُ ، وَأَنْ يُوقِرُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَقُومُوا مِنْ مَجَالِسِهِمْ إِنْ أَرَادُوا الْجُلُوسَ ، وَأَنْ لَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي لِبَاسِهِمْ قَلَنْسُوءَةً وَلَا عِمَامَةً وَلَا تَعْلِينَ وَلَا فَرْقَ شَعْرٍ ، بَلْ يَلْبَسُ النَّصْرَانِيُّ مِنْهُمْ الْعِمَامَةَ الزَّرْقَاءَ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ غَيْرِ الشَّعْرَى (؟) فَمَا دُونَهَا ، وَالْيَهُودِيُّ الْعِمَامَةَ الصَّفْرَاءَ كَذَلِكَ ؛ وَتَمْنَعُ نِسَاءُهُمْ مِنَ التَّشَبُّهِ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَلِبْسِ الْعِمَامِ ، وَلَا يَتَسَمَّوْنَ بِأَسْمَاءِ

المسلمين، ولا يتكَنُّوا بكنائهم، ولا يتلقَّبوا بألقابهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلَّدوا سيفاً، ولا يركبوا الخيل ولا البغال، ويركبون الحمير بالأُكُفِّ عَرْضاً من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها، ولا يتخذوا شيئاً من السلاح، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية، ولا يبيعوا الخمر، وأنَّ يحزُّوا مقادير رؤوسهم، وأنَّ يلزموا زيهم حيث ما كانوا، ويشدُّوا زنايهم غير الحرير على أوساطهم؛ والمرأة البارزة من النصارى تلبس الإزار الكتان المصبوغ أزرق، واليهودية الإزار المصبوغ أصفر؛ ولا يدخل أحدٌ منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلمين في عنقه : من خاتم نحاس أو رصاص أو جرس أو غير ذلك، ولا يستخدموا مسلماً في أعمالهم؛ وتلبس المرأة البارزة منهم خفين : أحدهما أسود، والآخر أبيض؛ ولا يحاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يرفعوا بناء قبرهم، ولا يعلوا على المسلمين في البناء، ولا يسأوهم، ولا يتخيَّلوا على ذلك بحيلة، بل يكونون أدون من ذلك، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم في كنائسهم، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا أصواتهم على موتاهم، ولا يظهروا الثيران، ولا يشتروا مسلماً من الرقيق ولا مُسلمة، ولا من جرت عليه سهام المسلمين، ولا من منشؤه مسلم؛ ولا يهودوا ولا ينصروا رقيقاً، ويحتنبون أوساط الطريق توسعةً للمسلمين، ولا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يدلُّوا على عورات المسلمين. ومن زنى بمُسلمة قُتِل، ولا يضعوا أيديهم على أراضٍ مواتٍ للمسلمين ولا غير مواتٍ ولا مُزدرع، ولا ينسبوه لصومعة ولا كنيسة ولا دير ولا غير ذلك، ولا يشتروا شيئاً من الحليب الرقيق ولا يؤكلوا فيه، ولا يتخيَّلوا عليه بحيلة. ومتى خالفوا ذلك فقد حلَّ منهم ما يحلُّ من أهل النفاق والمعاذرة.

وكذلك رسمنا أنَّ كلَّ من مات من اليهود والنصارى والسامرة: الذكور والإناث منهم يحتاج عليهم من ديوان الموارث الحشرية بالديار المصرية وأعمالها وسائر

البلاد الإسلامية المحروسة ، إلى أن تُثَبِّتَ ورثته ما يستحقونه من ميراثه بمقتضى
الشرع الشريف ، وإذا أثبتوا ما يستحقونه يعطونه بمقتضاه ، ويحمل ما فضل بعد
ذلك لبيت المال المعمور ، ومن مات منهم ولا وارث له يستوعب ، حمل موجوده
لبيت المال المعمور ، ويحرقون في الحوطة على موتاهم من دواوين الموارث ووكلاء
بيت المال المعمور مجرى من يموت من المسلمين : ليتبين أمر موارثهم ، ويحمل
الأمر فيها على حكم الشرع الشريف ، عملاً بالفتاوى الشرعية المتضمنة لإجراء
موارث موتاهم على حكم القرائض الشرعية بحكم الملة الإسلامية الحميدة : من
إعطاء كل ذي فرض وعصبة ما يستحقه شرعاً ، من غير مخالفة ولا امتناع ،
ولا موافقة ولا دفاع ، فإن ذلك مما يتعين أن يكون له إلى بيت المال المعمور فيه
إرجاع ، ولتعلق حقوق المؤمنين بذلك ، ولأنه يعيد حيث تفيا إلى المسلمين
ما يستحقه بيت المال من مال كل هالك ، ولأننا المطالبون بما يؤول إلى ميراث
المسلمين من ثراث أولئك ، لتكون هذه الحسنة في صحائفنا مسطرة ، وإن كانت
الأيام قد تبادت عليها ومعرفتها نكرو ، وتعاذت إليها أيديهم العادية فاختلست من
الذهب والفضة القناطير المقنطرة .

ورسمنا أن لا يخدم نصراني ولا سامري ولا يهودي في دولتنا الشريفة ثبت الله
قواعدها ، ولا في دواوين الممالك المحروسة والأعمال ، ولا عند أحد من أمرائنا
أعزهم الله تعالى ، ولا يباشر أحد منهم وكالة ولا أمانة ، ولا ما فيه تأمر على
المسلمين ، بحيث لا يكون لهم كلمة يستعملون بها على أحد من المسلمين في أمر من
الأمر ، فقد حرم الله ذلك نصاً وتأويلاً ، وضمن حكمه في الحال والاستقبال قرآنًا
وتنزيلًا ، فقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . وأوضح
في آجنتابهم للثقلين علم اليقين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مِّنْ مُّؤْمِنِينَ .

وقد نهى الله عن مواليتهم وأضاف بسخطه كل خزي إليهم ، فقال تعالى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ .

وقد أذلهم الله جلّ وعزّ لأفترائهم وأجترائهم من كتابه العزيز في مواضع عدّه ، فقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ . فوجب أن لا يكونوا على الأعمال آمنه ، ولا للأموال خزنة : لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليهود والنصارى خونه » . وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : « لا تستعملوا اليهود والنصارى فإنهم أهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا » فباعتراهم واعتزلهم يؤمن من مكرهم وخيانتهم ما يحشش .

ولما قدم عليه أبو موسى الأشعري من البصرة وكان عاملة بها ، دخل عليه المسجّد ، وأستأذن لكتبه وكان نصرانياً ، فقال له أمير المؤمنين عمر : - ولّيت ذمياً على المسلمين ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هلّا اتخذت حنيفياً ؟ - فقال يا أمير المؤمنين : لى كتابته وله دينه ، فأنكر أمير المؤمنين عليه ذلك ، وقال : لا أكرّمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزّهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنّهم إذ أفصاهم الله . - فاتبعنا في صرفهم الكتاب والسنة والأثر ، ومنعنا عن المسلمين - بقل أيديهم عن المباشرة - الأذى والضرر ، ودفعنا عن أمير المؤمنين من سوء معاشرتهم ما ألما له من الأذى مع شرّ معشر .

فليعتمد حكم هذا المرسوم ، الذى هو بالعدل والإحسان موسوم ، وليخلد في صحائف المثوبات ليستقر ويديم ، وليشع ذكره في المالك ، وليدع أمره في المسالك ، وعلى حكام المسلمين - أيدهم الله تعالى - وقضاتهم ، ومتصرفيهم

وَأَلَا تَرَى أَن يُوَفَّقُوا بَيْنَ تَعَدَّى هَذِهِ الْحُدُودِ ، مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ ، وَيُرَدَّعُوا بِسَيْفِ الشَّرْعِ كُلِّ جَهُولٍ مِنْ أَهْلِ الْخُدُودِ ، وَيُحْلُوا الْعَذَابَ بِمَنْ حَمَلَهُ الْعُقُوقُ عَلَى حَلِّ الْعُقُودِ ، وَيَذَلُّوا رِقَابَ الْكَافِرِينَ بِالْإِذْعَانِ لِمُخْتَرَاكِ الْحُقُوقِ وَإِنْخِرَاجِ الْأَضْغَانِ وَالْحُقُودِ .

وَقَدْ رَسَمْنَا بِأَن يُجَلَّ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْمُرْسُومِ الشَّرِيفِ عَلَى حُكْمِ مَا أَلْتَزَمَ فِي الْمُرْسُومِ الشَّرِيفِ الشَّهِيدِيُّ النَّاصِرِيُّ الْمُتَقَدِّمُ ، الْمَكْتُتَبُ فِي رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ ، الْمُتَضَمِّنِ الشَّهَادَةَ عَلَى بَطْرِكِي النَّصَارَى الْيَعَاقِبَةِ ، وَالْمَلِكِيَّةِ ، وَرَأْسِ الْيَهُودِ بِالتَّحْرِيمِ وَإِيقَاعِ الْكَلِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ هَذَا الشَّرْطَ الْمَشْرُوطَ وَالْحَدَّ الْمَحْدُودَ ، وَأَن لَا يُحْلُوا مَا أَنْزَمَ مِنْ مُحْكَمِ الْعُقُودِ ، فَيَحُلَّ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مُرَدُّودٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ سُلْطَانَ الْحَقِّ عَلَى مَا يَرْجِعُ بِنَفْعِ الْخَلْقِ وَيَعُودُ ، وَيَزِينُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْكَ الْإِسْلَامِ وَمَمَالِكَ الْوُجُودِ ، وَيُهَيِّئُ بِبَاسِئَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، الَّذِينَ لَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ الْمُبِينِ ، صُدُوفٌ وَصُدُودٌ ، وَيَسْلُكُ بِهِ شِرْعَةَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمِنْهَاجَهُ : مِنْ إِمَامَةِ الْبَسِيعِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِدَامَةِ الصُّوْنِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَيَهْلِكُ بِسَطْوَتِهِ الْكَافِرِينَ كَمَا هَلَكَ بِدَعْوَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَمُودُ . وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

تم الجزء الثالث عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع عشر

وأته الباب الرابع من المقالة التاسعة

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين
وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الاميرية ١٦٩٣/١٩١٨/٣٠٠٠)

دَارُ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ

صَبَّحُ الْأَمْسِكِ
٢٠١٦
١٤١٧

الجزء الثالث عشر

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

فهرس

الجزء الثالث عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

المقالة السادسة

صفحة

- فيما يكتب في الوصايا الدينية، والمساحات، والاطلاقات السلطانية
والطرخانيات، وتحويل السنين والتذاكر، وفيها أربعة أبواب ٢
- الباب الأول - في الوصايا الدينية، وفيه فصلان ٢
- الفصل الأول - فيما تقدماء الكتاب من ذلك ٢
- » الثاني - فيما يكتب من ذلك في زماننا، وهو على ضربين ١١
- الضرب الأول - ما يكتب عن الأبواب السلطانية ١٢
- » الثاني - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك ١٣
- الباب الثاني - فيما يكتب في المساحات والاطلاقات،
وفيه فصلان ٢٣
- الفصل الأول - فيما يكتب في المساحات، وهي على ضربين ... ٢٣
- الضرب الأول - ما يكتب من الأبواب السلطانية، وهو على مرتبتين ٢٣
- المرتبة الأولى - المساحات العظام ٢٣
- » الثانية - من المساحات أن تكتب في قطع العادة الخ ... ٣٨
- الضرب الثاني - ما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية ٣٩
- الفصل الثاني - فيما يكتب من الاطلاقات، وفيه طرفان ... ٤١
- الطرف الأول - فيما يكتب عن الأبواب السلطانية، وهو على
ثلاث مراتب ٤١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث مفتوحاً بـ «الحمد لله» ... ٤١
- » الثانية - ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ٤٤
- » الثالثة - مما يكتب به في الاطلاقات أن يكتب في قطع
العادة مفتوحاً بـ «رسم بالأمر الشريف» ... ٤٦

صفحة

الباب الثالث - في الطرخانيات ، وفيه فصلان ٤٨

الفصل الأول - في طرخانيات أرباب السيوف ، وهي على ثلاث

مراتب (لم يذكر إلا مرتبتين) ٤٨

المرتبة الأولى - أن يفتح المرسوم المكتتب في ذلك بـ «الحمد لله» ٤٨

» الثانية - أن يفتح مرسوم الطرخانيات بـ «أما بعد» ... ٥١

الفصل الثاني - فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأعلام ... ٥٢

الباب الرابع - فيما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية

والقمرية المعبر عنه في زماننا بتحويل السنين

وما يكتب في التذاكر ، وفيه فصلان ... ٥٤

الفصل الأول - فيما يكتب في التوفيق بين السنين ، وفيه طرفان ٥٤

الطرف الأول - في بيان أصل ذلك ٥٤

» الثاني - في صورة ما يكتب في تحويل السنين ، وهو على

نوعين (لم يذكر إلا نوعاً واحداً) ٦٣

النوع الأول - ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء ، وفيه

مذهبان ٦٣

المذهب الأول - أن يفتح ما يكتب بـ «أما بعد» ٦٣

» الثاني - مما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين

أن يفتح ما يكتب بلفظ «من فلان أمير المؤمنين

إلى أهل الدولة» ونحو ذلك ، وفيه ضربان ... ٧١

الضرب الأول - ما كان يكتب في الدولة الأيوبية ٧١

» الثاني - ما يكتب به في زماننا ٧٤

صفحة

- الفصل الثانى - فيما يكتب فى التذاكر [وفيه ثلاثة أضرب] ... ٧٩
 (ولم يذكر الضرب الأول) ... ٧٩
 الضرب الثانى - ما كان يكتب لتواب السلطنة بالديار المصرية
 عند سفر السلطان عن الديار المصرية ... ٩١
 » الثالث - ما كان يكتب لتواب القلاع وولاتها : إما عند
 استقرار النائب بها وإما فى خلال نيابته ... ٩٩

المقالة السابعة

- فى الاقطاعات والقطائع ، وفيها بابان ... ١٠٤
 الباب الأول - فى ذكر مقدمات الاقطاعات ، وفيه فصلان ... ١٠٤
 الفصل الأول - فى ذكر مقدمات تتعلق بالاقطاعات ،
 وفيه ثلاثة أطراف ... ١٠٤
 الطرف الأول - فى بيان معنى الاقطاعات وأصلها فى الشرع ... ١٠٤
 » الثانى - فى بيان أول من وضع ديوان الجيش وكيفية
 ترتيب منازل الجند فيه والمساواة والمفاضلة
 فى الاعطاء ... ١٠٦
 » الثالث - فى بيان من يستحق إثباته فى الديوان وكيفية
 ترتيبهم فيه ... ١١٠
 الفصل الثانى - فى بيان حكم الاقطاع ، وهو على ضربين ... ١١٣
 الضرب الأول - إقطاع التملك ... ١١٣
 » الثانى - إقطاع الاستغلال ... ١١٥
 الباب الثانى - فيما يكتب فى الاقطاعات فى القديم والحديث ،
 وفيه فصلان ... ١١٨

صفحة

- الفصل الأول — في أصل ذلك ١١٨
- » الثاني — في صورة ما يكتب في الاقطاعات، وفيه طرفان ١٢٣
- الطرف الأول — فيما كان يكتب من ذلك في الزمن القديم،
وهو على ضربين ١٢٣
- الضرب الأول — ما كان يكتب عن الخلفاء، ولهم فيه طريقتان ١٢٣
- الطريقة الأولى — طريقة كتاب الخلفاء العباسيين ببغداد ١٢٣
- » الثانية — ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء
الفاطميين بالديار المصرية ١٣١
- الضرب الثاني — مما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن المتقدم
ما كان يكتب عن ملوك الشرق القائمين على
خلفاء بني العباس، وفيه طريقتان ١٣٩
- الطريقة الأولى — أن يكتب في الابتداء « هذا كتاب » كما كان
يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ١٣٩
- » الثانية — ما كان يكتب عن الملوك الأيوبية بالديار
المصرية، ولهم فيه أساليب ١٤٤
- الأسلوب الأول — أن يفتح التوقيع المكتوب بالاقطاع بخطبة
مفتحة بـ « الحمد لله » ١٤٤
- » الثاني — أن يفتح التوقيع بلفظ « أما بعد فان كذا » ... ١٤٨
- » الثالث — أن يفتح التوقيع بما فيه معنى الشجاعة والقتال،
وما في معنى ذلك ١٥٠
- الطرف الثاني — ما يكتب في الاقطاعات في زماننا، وهو على
ضربين ١٥٣

- الضرب الأول — ما يكتب قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء ،
 ١٥٣ ... فيه جملتان ...
- الجملة الأولى — في ابتداء ما يكتب في ذلك من ديوان الجيش ١٥٣
 » الثانية — في صورة ما يكتب في المربعة الجيشية ... ١٥٤
- الضرب الثانى — فيما يكتب في الاقطاعات من ديوان الإنشاء ،
 ١٥٧ ... فيه خمس جمل ...
- الجملة الأولى — في ذكر اسم ما يكتب في الاقطاعات من ديوان
 الإنشاء ... ١٥٧
- » الثانية — في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف
 منها من مقادير قطع الورق ... ١٥٨
- » الثالثة — في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطرة والمثنى ١٥٩
 » الرابعة — في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتوبة في أعلى
 المنشور وبين البسملة ... ١٦٢
- » الخامسة — في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب
 في الاقطاعات في زماننا، وهى على ثلاثة أنواع ١٦٧
- النوع الأول — ما يفتح بـ «الحمد لله» وهو على ثلاثة أضرب ... ١٦٧
- الضرب الأول — مناشير أولاد الملوك ... ١٦٧
- » الثانى — » الأمراء مقدمى الألف ... ١٦٩
- » الثالث — » أمراء الطبلخاناه ... ١٨٤
- النوع الثانى — من المناشير ما يفتح بـ «أما بعد» وهو على ضربين ١٩٠
- الضرب الأول — في مناشير العشرات كائنًا ذلك الأمير من كان ... ١٩٠
- » الثانى — » أولاد الأمراء ... ١٩٣
- النوع الثالث — من المناشير ما يفتح بـ «خرج الأمر الشريف» ١٩٨

المقالة الثامنة

صفحة	في الإيمان ، وفيها بابان	٢٠٠
	الباب الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض	
٢٠٠	في الإيمان ، وفيه فصلان	٢٠٠
٢٠٠	الفصل الأول - فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان	٢٠٠
	الطرف الأول - في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه	
٢٠٠	المزينة	٢٠٠
٢٠٣	» الثاني - في الأقسام التي تقسم بها الخلق ، وهي على ضربين	٢٠٣
٢٠٣	الضرب الأول - ما كان يُقسم به في الجاهلية	٢٠٣
٢٠٥	» الثاني - الأقسام الشرعية	٢٠٥
	الفصل الثاني - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين والتحذير	
	من الحنث والوقوع في اليمين الغموس ،	
٢٠٨	وفيه طرفان	٢٠٨
٢٠٨	الطرف الأول - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين	٢٠٨
٢٠٩	» الثاني - في التحذير من الوقوع في ايمين الغموس	٢٠٩
٢١١	الباب الثاني - في نسخ الإيمان الملوكة ، وفيه فصلان	٢١١
	الفصل الأول - في نسخ الإيمان المتعلقة بالخلفاء ، وهي	
٢١١	على نوعين	٢١١
	النوع الأول - في الأيمان التي يُحلف بها على بيعة الخليفة	
٢١١	عند مبايعته	٢١١
	» الثاني - الإيمان التي يحلف بها الخلفاء (ووقع مهوًا :	
٢١٦	الضرب الثاني الخ)	٢١٦

صفحة

الفصل الثانى — فى نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك، وفيه خمسة	
مهايع (لم يذكر المهييع الخامس)	٢١٦
المهييع الأول — فى بيان الأيمان التى يُحلف بها المسلمون،	
وهى على نوعين	٢١٦
النوع الأول — أيمان أهل السنة... ..	٢١٦
» الثانى — أيمان أهل البدع، وهم ثلاث طوائف ...	٢٢٢
الطائفة الأولى — الخوارج	٢٢٢
» الثانية — الشيعة، وهم خمس فرق	٢٢٦
الفرقة الأولى — الزيدية	٢٢٧
» الثانية — الإمامية	٢٢٩
» الثالثة — الاسماعيلية	٢٣٥
» الرابعة — الدرزية	٢٤٨
» الخامسة — النصيرية	٢٤٩
الطائفة الثالثة — القدرية	٢٥١
المهييع الثانى — فى الأيمان التى يحلف بها أهل الكفر،	
وهم على ضربين	٢٥٣
الضرب الأول — من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء،	
وهم أصحاب ثلاث ملل	٢٥٣
الملل الأولى — اليهود، وهم طائفتان	٢٥٣
الطائفة الأولى — المتفق على يهوديتهم، وهم القراؤون ...	٢٥٦
» الثانية — من اليهود السامرة... ..	٢٦٨

صفحة

- الملة الثانية — النصرانية (ووقع سهواً : الفرقة الثالثة الخ)
 ٢٧١ وهم ثلاث فرق
 الفرقة الأولى — الملكانية
 ٢٧٦
 » الثانية — اليعقوبية
 ٢٧٨
 » الثالثة — النسطورية
 ٢٨٠
 الملة الثالثة — المجوسية ، وهم ثلاث فرق
 ٢٩٢
 الفرقة الأولى — الكيوسرية
 ٢٩٢
 » الثانية — الثنوية
 ٢٩٢
 » الثالثة — الزرادشتية
 ٢٩٣
 المهيع الثالث — في الإيمان التي يُحلف بها الحكماء ، وهم على
 ثلاثة أصناف
 ٢٩٨
 الصنف الأول — البراهمة
 ٢٩٨
 » الثاني — حكماء العرب
 ٢٩٩
 » الثالث — حكماء الروم ، وهم على ضريين
 ٢٩٩
 الضرب الأول — القدماء منهم
 ٢٩٩
 » الثاني — المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس
 ٢٩٩
 المهيع الرابع — في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ،
 وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف
 مما يناسب وظيفته
 ٣٠٧
 » الخامس — في صورة كتابة نسخ الإيمان التي يُحلف بها ،
 وهي على ضريين
 ٣١٩
 الضرب الأول — الإيمان التي يُحلف بها الأمراء في الديار
 المصرية
 ٣١٩
 » الثاني — الإيمان التي يُحلف بها نواب السلطنة والأمراء
 بالملك الشامية ، وما أنضم إليها
 ٣٢٠

المقالة التاسعة

صفحة

- في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب ... ٣٢١
- الباب الأول** - في الأمانات، وفيه فصلان ... ٣٢١
- الفصل الأول** - في عقد الأمان لأهل الكفر، وفيه طرفان ... ٣٢١
- الطرف الأول** - في ذكر أصله وشرطه وحكمه ... ٣٢١
- » **الثاني** - في صورة ما يكتب فيه ... ٣٢٣
- الفصل الثاني** - في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وفيه طرفان ... ٣٢٩
- الطرف الأول** - في أصله ... ٣٢٩
- » **الثاني** - فيما يكتب في الأمانات، وفيه مذهبان ... ٣٣٠
- المذهب الأول** - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا كتاب أمان الخ» وهو على نوعين ... ٣٣٠
- النوع الأول** - ما يكتب عن الخلفاء، وفيه مذهبان ... ٣٣١
- المذهب الأول** - أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا» ... ٣٣١
- » **الثاني** - أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد ... ٣٣٢
- النوع الثاني** - ما يكتب به عن الملوك، وهو على ضربين ... ٣٣٦
- الضرب الأول** - ما يكتب من هذا النمط مما كان يصدر عن وزراء الخلفاء والملوك المتغلبين على الأمر معهم، ولهم فيه أسلوبان ... ٣٣٦
- الأسلوب الأول** - أن يصدر بالتماس المستأمن الأمان ... ٣٣٦
- » **الثاني** - ألا يتعرض في الأمان لالتماس المستأمن الإمان ... ٣٣٩

صفحة

- المذهب الثانى — مما يكتب به فى الأمانات لأهل الإسلام
 أن يفتح الأمان بلفظ: «رسم» ... ٣٣٩ ...
 الضرب الثانى — من الأمانات التى تكتب لأهل الإسلام ما عليه
 مصطلح زماننا، وهى صنفان ... ٣٤٢ ...
 الصنف الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ... ٣٤٢ ...
 » الثانى — من الأمانات الجارى عليها مصطلح كتاب
 الزمان — ما يكتب عن ثواب الممالك الشامية... ٣٥٠ ...
الباب الثانى — من المقالة التاسعة فى الدفن (دفن الذنوب)،
 وفيه فصلان ... ٣٥٢ ...
الفصل الأول — فى أصله وكونه مأخوذاً عن العرب ... ٣٥٢ ...
 » **الثانى —** فيما يكتب فى الدفن عن الملوك ... ٣٥٣ ...
الباب الثالث — فيما يكتب فى عقد الذمة، وفيه فصلان ... ٣٥٦ ...
الفصل الأول — فى الأصول التى يرجع إليها هذا العقد،
 وفيه طرفان ... ٣٥٦ ...
الطرف الأول — فى بيان رتبة هذا العقد، ومعناه وأصله من
 الكتاب والسنة ... ٣٥٦ ...
 » **الثانى —** فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد الذمة ٣٦٠ ...
الفصل الثانى — ما يكتب فى متعلقات أهل الذمة عند خروجهم
 عن لوازم عقد الذمة ... ٣٦٦ ...

(تم فهرس الجزء الثالث عشر من كتاب صبح الأعشى)